A 3

C. V. 1 (3-4)

Biulo-RES-8-181

الجزء الثالث من سيرة الامير حمية
بطن الواد الهمام الضرغام
عنـــتر بن شداد ابي
الفوارس الصناديد
الشداد وهي
ســيرته
الحجازيه

ÉCOLE des L. L. O. VIVANTES
1178

1

C. V. 1 (3-4)

Biulo-RES-8-181

الجزء الثالث من سيرة الامير حمية
وبطل الواد الهمام الضرغام
عنتر بن شداد أبي
الفوارس الصناديد
الشداد وهي
سيرته
الحجازيه

ÉCOLE DES L. O. VIVANTES
1178

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد
وعلى آله وأصحابه أجمعين قال فلما أن سمع عنتر من الملك المنذر
ذلك الكلام فقال له يا مولاى افعل ما تريد فانني قد صرت لك من
جملة العبيد ولا أعدل عن أمرك ولا أحيد ثم انه بعد ذلك خدم
ودعى بدوام العز والنعم ولاعدائه بالويل والنقم ثم انه انصرف
من قدام الملك المنذر بعد ذلك الى مكان أعدله وقد بات الملك
المنذر فى أمره متفكرا فيما قد نشب فيه وهو خائف من الملك
كسرى ودواهيه الى أن أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره
ولاح فجلس الملك المنذر على سرير مملكته وقد جمع أمراء

عشيرته وسادات قبيلته وقد أخذهم فى المشورة من أجل مكاتبة العرب وليأخذ حذره من طائفة العجم ولقاها اسار شاهب قال فلما أن سمع منه أكابر قومه ذلك الكلام قالوا له افعل ما تريد ولا بأس من الاحتراز من شر هؤلاء الاعجام الصناديد قال فبينما هم فى الكلام وما قد نشبوا فيه من المرام واذا بحاجب من حجابه قد دخل عليه وقال له يا مولاى قد اختلف القول والعمل واعلم أن وزيرك عمر وابن نفيله من مكة قد وصل وقد أتى للسلام عليك وذلك من اشتياقه اليك لانه قد بلغه ما جرى لك وقد سمع بقصتك مع الملك كسرى وما صار من أحوالك فأتى ليدبر هذا الامر كما تريد و يفصل تلك القضية برأيه السديد (قال الراوى) كان هذا الوزير عمرو ابن نفيله من جملة المعمرين المنتظرين لظهور سيدنا محمد سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم لانه قد عاش من العمر خمسمائة عام وكان أكثر مقامه فى البيت الحرام وكان هو من جملة من قدم عليه وأسلم على يديه ومن جملة ما وقع له انه كان فى تلك الايام مقيم فى البيت الحرام لاجل زيارة مكة والتبرك بها فسمع من الحجاج بخبر هذه الواقعة وما قد جرى بين الملك المنذر و بين الملك كسرى فما قدر أن يصبر على العرب وخاف عليهم من طائفة العجم كيلا ينزل بهم العطب فخرج من مكة وسار الى أن وصل الى الحيره ولما أقبل على الملك المنذر سلم عليه فأكرمه غاية الاكرام وسأله عن العربان الذين اجتمعوا عند البيت الحرام وسأله أيضا عن الشيخ عبد المطلب الذى كان فى ذلك الزمان كلمته العليا على جميع العرب وهو صاحب الحسب

والنسب فقال له الوزير عمرو واعلم أيها الملك انى أخبرك عن شىء
جرى فى مكة وهو أن وصل شيخ الحرم خبر الوقعة التى جرت
لكم مع طائفة العجم فأراد أن يجهز لكم عسكرا جرارا من
كل ليث مغوار فأشرت عليه برأى وهو أن يكون منتظرا لجوابى
بعد توجهى اليك ونظرى سبب هذه الوقعة التى قد جرت عليك
وان قدرت أصلحت قصتك وأقمت ناموسك وحرمتك لان الشيخ
عبد المطلب قد أخبر أنه لم يبق الا القليل لظهور الرجل الجليل
الذى يظهر الحق ويخفى الاباطيل وأنه يسلم عليك ويتقرب
بذلك الامر اليك ثم انه يقول لك لا تعاند عباد النار حتى تشرف
مكة بالانوار من الذى يظهر من عدنان بالنبوة والبرهان وتشتد به
العمران وتخرب لقدومه بيوت النيران وتتساقط عن الكعبة
الاصنام والاوثان ومابقى الا القليل ويظهر ذلك النبى النبيل
واسمع من الشيخ عبد المطلب وأجب ماقال واعلم أنه مابقى يليق
فى القصة الآن تعتذر فى السر والنجوى وتتواضع لهذا الملك
كسرى واعلم أنك قد أسأت التدبير فى الاول والثانى وقتلت
حاجبه النصر وان وكسرت مواكبه فاحذر منه ولا تأمن
عواقبه فعند ذلك قال الملك المنذر أيها الوزير كيف يكون
التدبير قل لى حتى اننى أتبعك فى رأيك ومابه على تشير فقال له
الوزير ان أردت الرأى فالزم الادب واقعد عن مكاتبة العرب
واصبر على قليلا حتى أسير الى خراسان وأجتمع على الموبذان
وأدخل عليه وأسلم الامر اليه وأقبل يديه وأسأله أن يعفو عن
أمرنا ولا يؤاخذنا ويشفع لنا عند كسرى لانه قاضى
دولة الاكاسرة ومعلمهم عبادة النيران وأسأله أن يكشف عنا شر

كسرى ويرده عن معارضة العربان لان الموبذان رجل حليم حكيم وأكل الحكماء لا تشير باهراق الدماء فقال له الملك المنذر افعل أيها الوزير ما تريد أن تفعله من أعمالك لانك الشفيق فى أفعالك ثم ان الوزير عمرو ابن نفيله أقام فى الحيرة يومين الى ان استراح من التعب و فى اليوم الثالث رحل طالب المدائن وقد أوصى الملك المنذر بعنتر وقال له لا تمكنه من العودة الى الاوطان حتى تنظر كيف الحال و جازه على أفعاله قبل الارتحال لان الملك المنذر كان حدثه بأعماله وكيف أنه قتل الخصروان وكسر عسكره وما وقع من الافعال ولما أن سار بقى فى قلبه منه آثار ومازال سائرا فى تلك البرارى والقفار الى أن وصل الى المدائن ودخل على الموبذان من بعد الاستئذان فقام له وقد مجله وأكرمه وأجلسه الى جانبه وقال له ما الذى أقدمك علينا بعد ما وصلت أذيتك الينا فقال له الوزير عمرو و ابن نفيله اعلم أيها الاب الكبير ما كنت لما جرت هذه القضية حاضر ولا شاهدت هذه الامور الكبائر ولما أن بلغنى الخبر بما جرى من المنذر قدام كسرى وكيف أنه أكل التمر وغص بالنواه وضحكت عليه الحجاب والوزرا وعاد الى الحيرة وهو منكس الراس ضائع الحواس فأمر فرسان العرب بعد ذلك بشن الغارات على الرساتيق من أهل المدائن والبلاد ونهب الاموال وقطع الطرقات على السفار من التجار فلما سمعت ذلك علمت ان هذا الامر يزداد فسادا فأسرعت فى حس الركاب وجزعت نفسى بذلك المصاب وقلت لعلى أدرك الامر قبل الفوات فما وصلت الا وقد فات فبادرت بالسير

اليك لاصير بين يديك خوفا على هذه الصور والا دمية تموت وتهلك وان كانت باستحقاق المنيه فأحسن مادمت قادرا على الاحسان ولا يحملك الهوى فتحقد لاجل اختلاف الاديان وافرض أن العرب جهال ولا يخطر لهم حساب الملوك على بال قال فلما سمع الموبذان من عمرو بن نفيله ذلك الكلام رق له قلبه ولان وقال له يا عمرو وحق النار والنور أنى دبرت هذا الامر من قبل أن تأتى و يحصل هذا السؤال ولما أن وصل الجيش مكسورا وصاحبه فى العدم والثبور لا بلغت الملك كسرى بهذه الامور خوفا على الرجال من الاهوال وعلى الدماء أن تهرق وعلى شمل العرب أن تتفرق وكان أيضا عندنا شغل وهو أهم من هذا ونحن فيه فى القيل والقال ولا أردت أن أحمل قلب الملك كسرى هذه الاثقال لانى أفديه بروحى من كل الاهوال لان الدولة تمرض كما يمرض الانسان وتنقلب كما تنقلب الدهور والزمان ومالها من يدبرها الا وزراؤها وحكماؤها لانها أعرف بأمورها وأحوالها فقال له عمرو يا مولاى أعلمنى أى شىء الذى أشغل الملك العادل وهو ملك الارض فى طولها والعرض فقال له الموبذان اعلم أيها الوزير أن الملك قيصر ملك الروم صاحب انطاكيه كان كل سنة يحمل له المال والجوار الروميات وذخائر تعجز عنها الصفات مداراة عن بلاده بالتحف والهديات الى أن دخل هذا العام ووصلت الاموال على العاده ولكن لقضاء اراده فوصل معها بطريق جبار من كبار الجبابرة الاشرار وقد أتى معه خمسون فارسا من عبدة الصلبان وعشر قسوس وثلاث رهبان وذلك

البطريق معه رساله من الملك قيصر ولما أتى الينا وتمثل قدام الملك
كسرى قال للترجمان أعلم الملك كسرى أنوشروان
أن معي أموالا لا تحصى ولا توصف بلسان وقد صحبها جوار
حسان كأنهم حور الجنان ولكن لا أسلمها الى الملك
الا أن يكون عنده فارس يلاقاني في الميدان اذا اختلف بيننا
الحرب والطعان وذلك كما أمر في المسيح وماري المعمدان
(قال الراوي) وكان هذا البطريق له حكاية عجيبه وأمور
مطربة غريبه مما ظهر منه عند قيصر من الاهوال والفروسية
في القتال وكان عنده له قدر واجلال الى أن كان يوم من الايام
دخل عند قيصر فوجده جالسا وخزائنه بين يديه وهم يعرضون
الاموال عليه وهي من الجواهر الغوال وأكياس الاموال
ويضعوها في الاكياس وهو يختم عليها ويحطها في الصناديق
وهو مشغول الحواس ورأى عنده جماعة متهيئين الى السفر
وركوب الطريق في البر الاقفر فعندها تعجب البطريق غاية
العجب وكاد عقله أن يذهب فعندها سلم وجلس الى جانبه
بين حجابه وأقاربه ثم انه سأل الملك عن هذه الاحوال وقال له
الى أين يا ملك ترسل هذه الاموال والذخائر الغوال فقال له
يا ولدي أعلم ان هذا المال للملك كسرى أنوشروان صاحب
التاج والايوان الحاكم على جميع العربان القاصي منها والدان
الذي هو ملك العرب والعجم الذي تطيعه سائر الامم وأنه
يحمل له كل سنة من الاموال والتحف الغوال هذه الاحمال
التي تراها بين الرجال فقال البطريق وهذا كسرى
مايعبد المسيح فقال لا يا ولدي هذا يعبد النار ذات الشرار

ويحكم على سائر الاقطار وذلك لاجل كثرة جيوشه وأعوانه ومواكبه وفرسانه ولولا مداراتناله بالاموال والجوار ماكان لنا فى أرض الشام قرار قال فلما سمع البطريق من الملك ذلك الكلام قامت عيناه فى أم رأسه وانزعج حواسه وقال وحق المسيح والمذبح والذبح ماكنت أقول ان فى الدنيا من يعبد غير المسيح وان كان كما ذكرت ما بقى غير الجهاد واظهار الدين الصحيح فكيف تصبر على الذل والهوان من عباد النيران وأنت تدعى عبادة المسيح وتشد الزنار وحق من أقام الموتى من حفر التراب ونفخ فى الطين فطار منه طيورحارت منها أولوا الالباب لاتركتك تحمل من هذا المال دينارا واحدا حتى أسير به وأطلب الجهاد فى طاعة المسيح والتقى بعسكر هذا الملك وأبذل فيهم المجهود واذا أنا قتلت فدم أنت على المعهود وان أنا نصرت ونصر فى المسيح وفتحت أقاليمه وبلاده أقمت فيهما من قبلك نائب وأنت تكون مقيم فى مكانك وتأمن من النوائب وتصير الدنيا كلها مسيحيه والملة مريميه فقال له الملك قيصر لاتفعل ياولدى ولاتهجم على بابالاأقدر على سده ولاتخاطر بنفسك وكف عن هذا خوفا على قيصر وجنده ولكن ان كنت تريد أن تفعل شيأ لاجل قسمك الذى أقسمته ويمينك الذى حلفته فسر وتحقق بين يديه وافعل ماتقدر عليه فاذا انك رأيت ملكه وبلاده وفرسانه وأجناده فعندها اطلب منه البراز فى حومة الميدان والمحاولة مع الفرسان فان أوصلك الى ماتريد وهو لاتبعدا ولابعيد فانك تبلغ آمالك وتصلح أحوالك لانه ياولدى هو ملك عادل طيب الاخلاق حسن السيرة ولاعنده

رياء ولا نفاق فاذا صرت عنده وبين يديه افعل ما تقدر عليه فان رأيت لك فى ملكه مطمع عدالى حتى انى أريك ما تصنع وان ابصرت الامر عظيم والخطب جسيم فلا تتعرض له بل تحمل المال اليه ليكون حالنا معه مستقيم ولا يكون فعلنا ذميم قال فلما سمع البطريق من الملك ذلك الكلام امتثله ورآه صوابا وسار مع المال لما تجهزوا أخذ معه الهدايا والتحف ومازال فى سيره تحدثه نفسه بالبشرى الى ان وصل الى بغداد وصار فى حضرة الملك كسرى وجرى له ماجرى وقال أيها الملك اعلم أن ملكنا قيصر يحمل اليك الاموال كل عام وقد أتيت اليك بكثير من الاموال والجواهر والمماليك والجوار العظام وكان حمل المال اليك حذرا من سطوتك لئلا تلحق بنا الذل والنكل وما أتيت فى هذا العام الا اريد أن أكشف الضيم عن دين النصرانية وأبارز بين يديك كل فارس يعز عليك فاذا قتلت فى البراز كان دمى لك حلالا مع ما أتيت به من المال ويتم بينكم العهد على ما أنتم عليه فى كل حال واذا رزقت النصر على فرسانك وشاهدت لظفرى على فرسانك فقطع عن بلادنا ذلك الخراج من كرمك واحسانك فهل أنت بهذا الشرط راض بلا جدال ونترك العنا وسفك دماء الابطال لان سفك الدما فى سائر الاديان حرام ولا يرتضى به أحد من الانام اعلم أيها الملك انى ماقلت لك هذا الكلام الا طمعا فى عدلك بين الانام وذكرك الذى قد شاع فى جميع الاراضى والاكام على ألسنة الرجال وضربت به الامثال قال فلما سمع الملك كسرى من الترجمان ذلك الكلام بان فى وجهه الغضب الا أنه ما أظهر شيأ من هذا النصب لانه كان ملكا عادلا والعدل يرده الى الصواب

ثم قال لارباب دولته من يطلب الانصاف فما يكون له الا الاسعاف فانزلوه فى مكان يصلح له واتركوا المال الذى أتى به عنده الى غداة غد حتى انه يخرج الى الميدان وتشهد برازه الفرسان ولا نأخذ من الذى أتى به شيأ الا باستحقاقه واذا لم يكن عندنا فارس يلقاه من فرسان العجم والديلم فما يكون عندنا الا مكرم وجميع ما أتى به يكون اليه مسلم لاننا قد رضينا معه بهذا الشرط بلا زيادة ولا نقصان وعند الامتحان يكرم المرء أو يهان قال ففعلت الحجاب ما أمرهم به الملك كسرى وبات العسكر فى أمره ذكرى بما شرط على الملك كسرى الى ان أصبح الصباح فعند ذلك تبادرت الفرسان من العجم والديلم وقد امتلا الميدان بالامم وركب الملك كسرى وعلى رأسه التاج والاكليل وبين عينيه درة تضىء مثل القنديل وقدامه المرازبه والحجاب والصقالبه ومن حوله الرايات وعلى رأسه الازدهارات والاعلام المذهبات المختلفات الصفات وهو راكب على جواد له غرة مثل الطراز يطير من غير جناح ويسبق الخيل عند الكفاح ولما ان وصل الى الميدان خضعت له جميع الفرسان وترجلت بين يديه الشجعان واصطفت الفرسان والعساكر صفين وانقسمت قسمين ومازالت العساكر وقوفا وهم بين يديه مصطفون صفوفا الى ان أقبل البطريق البضرموط ومن حوله القسوس وقدامه الرهبان ومن ورائه الجنايب المختلفات الالوان وأصحابه قد رفعوا على رأسه الصلبان وتأهبوا للضرب والطعان قال ولما توسط الميدان صال وجال وتأهب للمصائب ولقاء النوائب وقد تقلقلت له المواكب ثم انه تقلب تحت القنطارية على ظهر الجواد وارتعدت من هيبته الاجساد وقد

زادت به الاحقاد وطلب بعد ذلك البراز والقتال فتبادرت اليه الابطال والاقبال من عباد النار وطلبته من جميع الجهات يريدون بذلك الافتخار عند الملك كسرى فى ذلك النهار فعندها صاحت عليهم الحجاب والنواب وردّوهم بأمر الملك كسرى عن الميدان وقالوا لهم اخرجوا اليه فارسا فارسا كأمر الملك وكل من أسره فى الميدان أخذ جميع ما يحبه من المال والنوال وان كنتم لا تصبرون على بعضكم البعض فاقترعوا فمن وقعت عليه القرعة فليخرج اليه ويتأخر الآخر الى أن تجيء النوبة عليه قال فلما سمع العجم من الحجاب ذلك الكلام تأخروا الى ورائهم وصاروا موكبا واحدا ثم انهم قترعوا فوقعت القرعة على مرزبان فخرج اليه كأنه شيطان من الجان وكان ديلميا شديد البأس صعب المراس مسبل الشعر كبير الرأس يقال له سرجان فلما أن صار فى الميدان انقض على البطريق انقضاض العقاب والآن فاربه ضربه ضربة بحربة كانت فى يده فخرجت كأنها حجر المنجنيق فسبقها البطريق على طارقته وقد أخرج رجله من الركاب وصبر الى ان عبر المرزبان والجواد من تحته فى شدة الجولان فرفصه قلبه على الصحصان ولما نظرت الفرسان الى ذلك ذهلت مما رأت وحارت مما جرى على الديلمى لما رأوه انقلب عن ظهر الجواد والرومى واقف لا طعنه ولا ضربه بحسام فتعجبوا من ذلك ثم انهم افترقوا وتقارعوا فوقعت القرعة على رجل جبار من جبابرة العجم وكان حاجبا ومقدما وقد قاتل بسائر السلاح وله صبر عظيم اذا اشتد الحرب والكفاح وخرج وفى يده عمود من الحديد وهو يهمهم همهمة الأسد الجليد ومازال الى ان قرب من البطريق وقاربه وفتح باعه ليضربه فوكزه

البطريق بعقب القنطارية تحت أضلاعه فقلبه لانه كان في يده قنطارية كأنها صاري مركب لو وكز بها فيلا لانقلب وكان قد شرط على نفسه قدام الملك كسرى شيأ ما سبقه به أحد غيره لانه أشهد عليه القسوس والرهبان لدى كسرى أنوشروان ان دمه لهم حلال ودمهم عليه حرام في ساحة الميدان الا من تحامق عليه فيقتله ويجعل من الدنيا مرتحله (قال الراوى) ومازالت الفرسان تخرج اليه باختلاف أجناسها وعددها وهو يصرعها على الارض بعددها الى أن قهر مائة فارس كرار وأكثرها حجاب من ولاة الاقطار وقد قاربت على الغروب شمس النهار والملك كسرى من أفعاله قد حار فعندها استدعا به الملك وخلع عليه وقال له وحق النار ومافيها من الحرارة والاشتعال انك أحق بما جئت به من الاموال وأنت أولى بها من هؤلاء الانذال ثم انه رجع بعد ذلك من الميدان وعلى عساكره وحجابه ساخط وغضبان وعادت جيوشه وفي قلوبها النيران وعاد البطريق وهو فرحان وحوله القسوس والرهبان يعوذونه بالانجيل والصلبان ثم انهم باتوا تلك الليلة في العز والافراح الى الصباح ولما أقبل الصباح برز البطريق الى الميدان فرمى في عرصاته مائة فارس من الشجعان فزاد بكسرى الغضب وازداد به الكمد ولاجعل باله من أحد ومابقى وملكه يساوي عنده حبة خردل من عظم ماوجد وصار على قلبه الهم والغم وعلا عليه السخط والغضب وصارت نار وجهه تتلهب وقد دام الامر على ذلك الحال تمام خمسة عشر يوما والحال والبطريق كل يوم في زيادة وفرسان العجم في نقصان وكسرى يبيت ويصبح وهو حزين حيران وخائف أن يرجع البطريق بالمال

ويحدث الملك قيصر ملك الروم بما فعل فيحط قدر المملكة الكسروية عند عباد الصلبان وتحدثهم نفوسهم بشئ لم يكن لهم على بال وقد خشى من عاقبة هذه الامور والاحوال (قال الراوى) فلما سمع الموبذان كلام كسرى رطب قلبه على الاجرا وتوجه الى الوزير عمرو بن نفيلة وقص عليه ما عند كسرى من أمر البطريق وما جرى (قال الراوى) فلما سمع الوزير من الموبذان هذا الكلام تعجب الوزير عمرو بن نفيلة العدوى من تقلبات الايام وقال للموبذان اعلم يا مولاى أنه قد سهل الامر وهان وسيتضح لك الحال ثم انه حدثه بحديث عنتر وما جرى له مع الملك المنذر وكيف انه أغار على النوق العصافير به وكم قد أهلك من بنى شيبان ونزل بهم الرزية وما وقع له من الاسر وقتل الحاجب خصروان وكسر عساكره وبعد ما كان حاصر الملك المنذر فى البلد حتى لم يبق له طاقة ولا جلد وكيف انه قتل الاسد وهو مقيد (قال الراوى) فلما سمع الموبذان من عمرو بن نفيلة ذلك الكلام دخل على قلبه الهنا والسرور والفرح وعلم أن الامر قد انصلح فقال وحق النار ذات اللهب ان هذا الحديث يجب أن يؤرخ ويكتب فى أحاديث العجم والعرب وأنا أقول ان ذلك الفارس يزيل عن قلب الملك كسرى ما به من التعب ويكون لاصلاح الشأن سبب ثم انه وثب من ساعته وقام وقعد وأيقن بزوال الكرب وقال لعمرو بن نفيلة لا تبرح من هذا المكان الى أن أعود اليك وأقص ما يجرى عليك ثم انه سار الى ان دخل على الملك كسرى فترحب به هو وكل من كان حاضرا فقال له الملك أيها الاب الكبير أردت أن أرسل خلفك هذه الساعه ولك

أستشير في هذا الامر الذي تعسر وبالبلاء تصبب وأسألك عن
حال هذا البطريق وماقد فعل بفرسان العجم والديلم وقد
تجبر وخفض سعاف د ولتناومابنا ألم وعدلنا يمنعنا عن أذيته
وانا نريد أن تكتب الى خرسان ونأمر فيابنا أن يأتوننا بكل فارس
شجاع عررم لعل أن يقع لنامن يذل هذا الشيطان والاطمعت
فيناعبدة الصلبان فقال له الموبذان أيها الملك الامر أقرب من
هذا والخطب سهل وعدوك مهان ومن يكون هذا الكاب
حتى تكاتب من أجله أهل خراسان وتعظم شأنه في البلدان
فقال له كسرى أعلمنا كيف يكون التدبير بعد هذا القتال والنكال
بالفرسان وهذا أمر لا يرضى به انسان وكيف التوصل لاسباب
النظر في عواقب هذا الامر الخطير فقال له الموبذان اذا كان ولابد
وقد سلمت الامر الى فانا أشير عليك أن تكتب الى نايبك على العرب
كتابا لان جميع العرب تحت طاعته والفرسان تنقاد لكلمته
وتأمره أن يرسل اليك أقل ماعنده من العبيد فتبلغ به من هذا
الشيطان كل ماتريد لان فرسان العرب ماهرون في البراز خصوصا
فرسان الحجاز تبلغ ماتريد وتختار في المهمات وفي البراز فقال له الملك
كسرى كيف وملك العرب علينا غضبان لماجرى بينه وبين
الحاجب خصر وان وقد سار اليه في عسكر مثل البحر اذا زخر
والى الآن ماوصل لنا منه خبر فقال له الموبذان أيها الملك تبقى لنا
أنت مابقي الزمان في سرور ونعمة وأمان وينزل على أعدائك
الذل والهوان اعلم ياملك أن خصروان قد شرب كأس الحمام
ووصل جيشه منهزما من منذ خمسة أيام وقد أهمت عنك هذا
الامر والشأن خوفا على صدرك أن يضيق فما رأيت أوثق من

الكتمان حتى لا أحملك ما لا تطيق وحق لهيب النيران والآن دعت الحاجة الى اطلاعك على ذلك الامر وأنا أسأل النار أن تبلغك من الاعداء الآمال وتصلح الحال قال فلما سمع كسرى من الموبذان ذلك الكلام والمقال زاد به الاشتعال وقال يا أبانا ومن هو الذى قتل الخسروان فارس العصر والاوان فقال له الموبذان قتله فارس من شجعان بنى عبس وعدنان ثم أعلمه بما سمع من عمرو بن نفيلة وزير الملك المنذر وما سمع منه عن عنتر من القوة والشجاعة والفروسية والبراعة فقال الملك كسرى فاذا كان الامر كما ذكرت فبأى وجه ترسل الى الملك المنذر حتى انه يرسل الينا هذا الفارس المذكور بعد ما قتل بطلا من خيار أبطالنا وأكابر دولتنا وقد كسر فرقة من حماتنا ولو أرسلنا اليه بالمجىء فلا أظن مجيئه ولا يأمن على نفسه من سخطنا وغضبنا ولو أعلم أنه يأتى أو يرسل هذا الفارس لارسلت اليه وسألته أن ينفذه الينا وأنا أعفو عما تقدم من ذلك لاننا على كل حال قد تعدينا فى ظلمنا عليه بما صنعنا معه وما أوصلنا من الاذية اليه فقال له الموبذان يا ملك الزمان أنا أعلم ان الحاجة فى هذا الوقت داعية اليه ولا بد لك من كتاب للمنذر بسرعة التفتيش عليه وهو يطلبه من الملك زهير ملك بنى عبس وما أظن يوجد فى الارض من يرد له عنان ثم انه حدثه بحقيقة الخبر وما كان وكيف ان الملك المنذر قد انكسر ودخل البلد هاربا وانحصر وكان عنتر عنده يومئذ فى الاسر ومقيد بالقيود فأطلقه وبلغ به المقصود وقص عليه القصة من أولها الى آخرها وكيف أتى وساق مال المنذر وحده وقتل عسكره وجنده ولولا أن كبه الجواد لما قدر المنذر عليه ولا وصل بالضرر اليه وما أتى ذلك

القارس من أرضه وساق تلك النوق والجمال الالاجل ابنة عمه
عبلى ذات الدلال وهو يريد أن يتزوج بها فقطع عليه عمه من جملة
مهرها ألف ناقة من النوق العصافيرية فأتى وساقها وهذا ما كان
سببا لذلك واعلم أيها الملك أن الصواب أن ترسل الى الملك المنذر
الخلع والتشاريف وتأمره أن يحضر عندنا وصحبته عنتر فارس
بنى عبس وتنظر كيف يلقا هذا البطريق العنيف فمن قتل منهما
صاحبه كانت له السعادة والتوفيق فقال الملك كسرى وان كان
الملك المنذر لا يطيع أمرنا ولا يعتنى بجوابنا المنيف ومكاتبتنا
وبداخله فينا الطمع ويقول فى نفسه ان الفزع بالفرس قد وقع
فكيف بعدها نصنع فقال الموبذان اعلم أيها الملك انى ما تكلمت
بهذا الكلام حتى ثبت عندى أن الملك المنذر من غضبك خائف
وجلان وبذنبه معترف لانه علم أنه قد أخطأ على ما فعل ندمان
فقال له كسرى ان كان كذلك أيها الاب فافعل ما تريد ودبر ما هو
برأيك سديد فانت الوزير والمدبر والمشير فعجل من قبل ما يحل
بفرساننا التدمير وأتنى بهذا الفارس الخطير وأوعده عنا بالعطاء
المزيد ان كان المنذر يبلغنا من ذلك البطريق ما نريد (قال الراوى)
فلما سمع الموبذان من الملك كسرى ذلك الكلام قام من عنده
وأتى الى الوزير عمرو بن نفيل وأعلمه بما جرى من الملك كسرى
ففرح بذلك وكتب من وقته وساعته كتابا للملك المنذر يحرضه على
المسير والاستعجال من غير امهال وأعلمه فى الكتاب بما وقع
لعساكر كسرى مع فارس الروم وان الامر الذى قد تم فيه الصلح
بينكم وبين كسرى أن تحضروا وبصحبتكم أبو الفوارس عنتر
حامى بنى عبس الاسد الغضنفر وانى قد ضمنت له بأن عنتر يمزق

البطريق تمزيقا ويوقع بقلب الملك قيصر من أجله حريقا وأن ينزل به العدم ويزيل عن قلب الملك كسرى ما نزل به من الهم والغم والضيق وقال له في آخر الكتاب ولا يكن لك جواب الا وضع رجلك في الركاب والمجيء بعنتر ابن شداد ثم انه علق الكتاب على جناح الطير وأقام له في الانتظار فهذا ما جرى ها هنا من الاخبار وأما ما كان من البطريق البدرموط الجبار فانه باكر الى الميدان ذلك النهار وبارز رجال كسرى الاقيال وأخذ معهم في المجال وسطا عليهم في القتال وقد عيب المرازبة الكبار وعاد وقد قال الشرف والافتخار ولما كان من الغد برز اليه مقدم من مقدمين الديلم يقال له بهرام ابن بهرمان وكان رجلا رقيقا رشيقا يقاتل بسائر الاسلحه والمزاريق والسيوف والعمد وكل رمح وثيق وهو عمدة الملك كسرى في كل شدة وضيق ولاجل هذا الحال كان منعه الملك عن القتال هذه الايام وقد منعه شفقة عليه من الهوان ولما بلغ الامر الى ذلك ورأى ذلك البطريق وقد عيب الفرسان خرج من غير استأذان وتقدم الى البطريق وجال معه في الميدان وقد كان راكبا على جواد عتيق كأنه نار الحريق وعليه درع وثيق قد نسج في ساعة سعد وتوفيق وبيده رمح رشيق ولما صار في الميدان التقى بذلك البطريق وصار هو واياه في مقام الجولان وقد فتحا اليه منهما أبوابا حسان وأخذا في الضرب والطعان حتى حارت منهما الفرسان وذهلت من قتالهما الشجعان ولم يزالا على ذلك العيار الى آخر النهار وقد كلا وملا من الجولان تحت الغبار وكان الرومي قد استحقر أمر العجم في القتال لان العجم قد قلوا في عينه لاجل ما تقدم

الى أن لقي ذلك المقدم ورآه كل ساعة في زيادة ورجحان وهو مليح الاحتراز خبير بملاقات الشجعان يوم البراز وقد خاف أن ينقضي النهار ومابلغ من خصمه مايختار وخاف أن تنقص منزلته بعد العلو والافتخار فكان يقاتل خصمه بالقنطارية بغير سنان كما جرت عادته مع الفرسان الى أن كان منه ما كان ورأى العجمي كثير الاحتراز مليحا في البراز فأخرج سنانه من قربوس سرجه وركبه على قنطارته وحمل على الديلمي وقد أراد بذلك أنه يوجه ويصل بالسنان الى صدره ولما رأى الديلمي الطعنة وهي واصلة اليه لا جزع ولا فزع ولا خاف ولا انجزع فرمى الرمح من يده وسل حسامه من غمده وضرب قنطارية خصمه قبل ما تصل اليه براها كما يبري الكاتب القلم فعلم الرومي أنها بقت ما تنفع فرماها من يده وسل حسامه من غمده وزاد غيظه وحقده وشد عزيمته وأظهر في قتاله ما عنده وتجالد مع خصمه بالحسام حتى حارت من فعالهما الصفوف وحامت عليهما عقبان الحتوف وفرحت العجم بقتال صاحبها وأملت أنه ينصر على فارس الروم وانجلى ما كان على قلب الملك كسرى من الهموم ودام الامر على هذا الحال حتى تضاحا النهار واستطال وعاد الفارسان من تحت الغبار وهما سالمان من البوار وقد صاحت العجم فرحا بمقدمها وقد استدعى به كسرى اليه وقربه منه وخلع عليه وشكره على فعاله وسأله عن خصمه وقتاله فقال أيها الملك وحق ذات الذوائب وما في هذه البنية من الكواكب انه فارس ما مثله في العجم والعرب وسوف تنظر هذا الفارس الذى أنفذت وراءه وهو ذلك العبد العنيد وسوف يصير قدامه مثل العبيد لاني أقول أنه يلقي بني عبس كلها فارسها

وراجلها

وراجلها وبذلها بقوة جنانه وشدة حربه وطعانه وبردها تتعثر في أذيالها ولولم يكن أوحد زمانه وفارس عصره وأوانه ما كان وقف قدامي ولا ثبت لحربي وصدامي وعلى أن قتالي معه ذلك اليوم ما كان الامدافعه وكان على سبيل الاختبار حتى يظهر له من أين تنزل عليه الاقدار وتحيط به المصايب والاخطار ولكن في غداة غد أرميه باحدى هذه المزاريق واتركه في دمه غريق وأحله من البلاء مالا يطيق وأشعله بنار الحريق فقال كسرى باركت فيك النار يا فارس الاقطار ثم انه عاد من الميدان وهو بجانبه نرمان بما ظهر من أهواله وعجايبه وكان البطريق الآخر عاد الى أصحابه وقال لهم لولا في أجله تأخير ما كان ثبت قدامي ولانجى من حربي وطعاني على انني لو أردت قتله كنت قتلته قبل أن يتعالى النهار الا أنني شرطت على نفسي قبل هذا أني لا أسفك لهم دما قدام الملك العادل كسرى أنوشروان ومن قدر على منهم فدمي له حلال فقالت القسوس والرهبان وحق المسيح والصلبان هذا شرط ما فعله قبلك انسان ولا ضمن أحد عن نفسه هذا الضمان في طول الازمان الا أنت يا سيف المسيح والصلبان ونحن نبات تلك الليلة نتلو حولك الانجيل المعظم ونسأل المسيح عيسى ابن مريم أن ينصرك على فرسان العرب والعجم والفرس والديلم ثم انهم باتوا على مثل ذلك حتى انشق ذيل الدجا وطلع الصباح مبلجا وأقبل الملك كسرى الى الميدان وانتشرت كتايبه ومواكبه في الوديان واصطفت الصفوف وترتبت المياه والالوف وبرقت السيوف هنالك تقابل البطلان وتجاولا في الميدان وكان البطريق قد جعل ذلك اليوم تحت ركابه

عربتين وعول على قتل خصمه ان تعسر عليه أمره أوانه يجتهد
فى أمره فعندها تطاعنا حتى مضى أكثر النهار وتراشقا بالحراب
الى أن مالت الشمس الى الاصفرار فانذهلت منهم العقول وحارت
الابصار وقدروا من شدة قتالهم الهول المهول ويتقاتلون
بالنصول ويتراشقون بالحراب والمزاريق وقلوبهم انفطرت من
شدة الضيق وفى اليوم الثالث تبارزوا وحمل كل واحد على
صاحبه وقاسا كل منهم الهول العظيم من كثرة ماقاسا من رفيقه
من طعانه وضربه وماجرى بينهما ماشيب الطفل الفطيم وظن
كل واحد منهما أن الآخر عديم وقد قتل كل واحد جواد الآخر
من شدة الجولان والركض وصارا مشاة على وجه الارض
وتقابضا بالكف والزند حتى تفتت منهما الكبد ولما جن
عليهم الليل افترقا عن بعضهم البعض وقلوبهم فى ويل وقد ضجر
الملك كسرى من تردده الى الميدان وقل ملكه فى عينه وهان
وعلم أن صاحبه ان غلب بعد هذه الفعال انقطعت ظهور أصحابه
الاقبال وخاف أيضا من رجوع البطريق الى قيصر بهذه
الاموال ولابد يعلمه بما جرى له مع فرسان العجم فى المجال فيأخذه
الطمع ويقطع الخراج الذى ينفذه اليه فى كل عام ومن شدة ماجرى
عليه من القلق أرسل الى بيوت النار والمعبد الاكبر بأنها تسعر
ولا تغلق وأوصى مشايخ النار أن يقربوا لها قربان وأن يرموا فيها
البخور ويسألوها نصر على عبدة الصلبان وكذلك فعلت
بالبطريق القسوس والرهبان وأتوا وهم من حوله يتلون عليه
الانجيل بالاحترام مع مزامير داود عليه السلام وصارت البطارقة
يبخرونه والبتاركة الكبار ويصلون عليه صلاة الاموات الى أن

ذهب الليل وفات قال ولما طلع الضوء وبان نزلا جميعا الى الميدان
واصطفت الجمعان وخرج الملك كسرى أنوشروان وتقاتل
الفارسان وكادا أن يتصدا مع بعضهما فى القتال واذا قد أشرف
الملك المنذر ومعه الفارس القسور والبطل الغضنفر أبو الفوارس
عنتر ومن خلفهم مائة فارس من العرب الاجواد وهم بالرماح
المداد والسيوف الحداد والخيول الجياد وهم مقبلون مثل
القسور والغبار عليهم يثور ومازالوا مجدين الى أن أقبلوا الى
الميدان ورمقتهم أعين الفريقان وكان أول من عرفهم عمرو
ابن نفيلة والموبذان وقد خرجوا لالقاهم فى جماعة من الفرسان
والتفتت اليهم المواكب بالنظر ووقف العسكران عن الطعان
وما كانت الاساعة حتى عاد الموبذان والملك المنذر بأحد جانبيه
وعنتر بن شداد بجانبه الآخر وقد أثقلت جثته الجواد ومن خلفه
أبطال العرب الجياد والوزير يحدثه بما وقع لهم من فارس
الروم وما حصل لهم من فعله المذموم فقال عنتر وقد عرف
سائر المرام يا مولاى أنت ضمنت عنى عند الملك العادل كسرى
بأنى ألتقى فارس الروم وهو كذلك باذن الحى القيوم وألتقى زيادة عليه
فارس العجم ولو كان معه ألف فارس من عباد المسيح ابن
مريم قال فلما سمع الوزير من عنتر هذا الكلام المعتبر فقال له
يا مولاى اذا لم أوف بهذا الضمان وأقتله فى حومة الميدان أستحق
أن اسحب من رجلى وأرمى فى بيوت النيران وأجعل لها قربان
وأهملوا جميع العبسيين الذين أنا منهم بكل محفل ومكان فتبسم
من كلامه الوزير الموبذان ولم يزالوا سائرين الى أن وصلوا الى
الميدان وقد اصطفت من العجم المواكب والجيوش والكتائب

وأشهروا العدد من كل جانب وأشرقت العدد وصارت في شعاع الشمس تتوقد وكان أول من تلقاهم موكب المدبجه وهم بثياب الديباج المرهجه وبشبابك اللؤلؤ المنظمة الموهجه وبعدها ساروا الى موكب الاساوره وهم أصحاب الاساور المذهبة المطعمة بالجواهر واليواقيت العجيب الباهر وبعدها ساروا الى موكب المتوجه وهم أصحاب التيجان والاكاليل والسيوف المجلاة البواتر ومن هناك ترجل الملك المنذر ومن معه من الفرسان وترجل عنتر موافقة للملك المنذر ومن معه من الفرسان ومشى الى أن صار قدام الملك كسرى وخدم ودعا وسلم وكذلك فعلت فرسان العرب ولزم عنتر الادب وانحنى الى الارض راكعا ورفع صوته بالدعاء وكان الملك كسرى ذلك اليوم راكبا وقد أحدقت به الوزراء والحجاب والامراء والنواب فحار عقل عنتر لما شاهد هذه الاحوال وأبصر فرفع صوته وجهر وقال أعز الله دولتك بالدوام والبقا ولا زلت في العلو والارتقا مادام الصباح مشرقا والليل غاسقا والشجر مورقا والغيث مندفقا يا ملك العرب والعجم وبحر العطاء والكرم وأهل الجود والهمم ثم انه أشار يقول

كفاك الله نائبة الزمان * وعشت من الحوادث في أمان
ولا زالت نجومك مزهرات * بسعد ثابت على لمكان
ودمت مباديا في كل عز * وحكمك نافذا قاص ودانى
أيا ملكا لقد حاز العطايا * وبذل الجود ثم علو شانى

(قال الراوي) هذا والملك كسرى ينظر اليه ويتميز طوله وعرض كتفيه ويصغي لكلامه ويسأل الموبذان عليه فقال الموبذان أيها الملك

12

هذا الفارس العبسى الذى قتل صاحبيك خصروان وكسر جيشه
وكان عشرين ألف عنان وقد أتيت به يصرم عمر هذا البطريق
ومن معه من عبدة الصلبان ويفرج عن قلوبنا ما تحملناه من الهم
والاحزان وقال انه يفنيه هو ومن معه قبل المغيب وتمحو عنه
قبيح ما فعل بهذا الآخر عن الاول فقال كسرى اذا فعل ذلك
سامحناه من الخطا وغمرناه بالاحسان والعطا لان بحر عدلنا يغرق
فيه جاهله من غير أن يبين لنا فعله وبعد ها رايك فى هذا الامر
والا فدبر بما ترى وأعرض عليه الراحة الى غدا وأنزله مع الملك
المنذر وأصحابه وأكثر لهم الطعام والمدام واوعدهم منا بالخيرات
والاكرام ثم انه استدعى بالملك المنذر اليه وطيب خاطره وأحسن
اليه وقال له يا شاه تاريان الخطأ منا فى الاول كان والحسد مركب
فى الانسان والذى كان ملأ قلبي عليك هلاك على يديك فسر قلب
الملك المنذر بهذا الكلام فقبل الارض قدامه ودعا له بالعز
والدوام وأمر الموبذان أن ينصب لهم الخيام فقال عنتر لا وحق
من أنزل القطر من الغمام لا أكلت عندكم طعاما ولا شربت
مدام ولا طلبت راحة ولا منام الا بعد قتل هذا البطريق ابن
اللئام وأسقيه كؤس الحمام لانه قد أزعج قلب هذا الملك الهمام
والاسد الضرغام ثم انه عاد الى ظهر الجواد واعتد الى الحرب
والجلاد فأعلم الموبذان كسرى بما قال فقال كسرى يا للنار نخاف
أن يكون تعبان فدعه حتى يستريح عندنا يوما من الزمان
فقال الموبذان دعه يا مولاى لانه قد أهلك حاجبنا الخصروان
فان أهلكه الرومى فتكون قد أخذت حقنا منه النار وان هو
قتل البطريق الخؤن نال السعد والامان فعندها تقدم الملك

كسرى فى موكبه الخاص لينظر مايجرى بين هذين الفارسين
فى الميدان فاستدعى ثالث الساعة الموبذان بالبطريق البضرموط
ابن الاثام وقال له اعلم اننا أتعبناك هذه الايام وأنه قد أرسل
الملك العادل الى أرض خراسان لما ضجر من الوقوف فى الميدان
وانه يأتيك بفارس يقهرك فى الميدان لان هؤلاء الذين خرجوا
اليك ماهم فرسان بل كلهم مرازبه وحجاب وولاه ونواب
ولامنهم من يذكر بشجاعة ولا أقدام الا الذى له فى قتال
هذه الثلاثة أيام والملك قدرآه معك فى نقصان فما أراد أن
يخرق ناموسه بين الشجعان لانه صاحب أقاليم وبلدان ولا أراد
هلاك معه لانه جاك على بساط عدله وأعطاك الامان وقد سبق
اليك فضله والاحسان ولوأنك أعدمته تحملت عليك طائفة
لديلم وأوصلوا اليك البؤس والنقم ولكن قد أتى اليوم نائبه على
العرب ومعه فارس يزعم أنه يلقاك ويضيق عليك وعلى عشرة
من الفرسان الذين معك وقال انه لايدع الشمس تزول الا والتى
كلكم تحت أرجل الخيول فشد عزمك والقاه فى المجال
ودمه لك حلال بخلاف غيره من الرجال فاذا قهرته عد الى
صاحبك وخذ أموالك حبتك وارجع الى ملك الروم وأنت مبجل
مكروم لان مايخرج اليك بعد هذا الفارس أحد ولا عندنا من يقوم
مقامه (قال الراوى) فلما سمع البطريق هذا الكلام قال يامولاى
وحق المسيح أن هذا الكلام الذى قلته مليح ولا يشغل لى بال
ولا يضيق لى صدر ولا حال ولا أنا ممن يكترث بالشجعان فى حومة
الميدان وأنا لو كنت أخاف من أبطال الزمان ما كنت أتيت
بهذه الاموال والجواهر الحسان وطلبت البراز والجولان

وقد أسأت الادب في حضرة الملك كسرى أنوشروان وما أتيت الامرادى أن ألتقى أهل خراسان وأبذل المجهود في طاعة مارى المعمدان وأكشف الضيم عن ملة النصرانية وعبدة الصلبان وأنا لو أردت قتل هذا الديلم من أول يوم برز لي كنت قتلته ولكن علمت أن ذلك يصعب على الملك العادل فتركته ومادام أن الامر قد بلغ منتهاه وان هذا الفارس يريد أن يبرز الي فأنا اليوم أجعله بين الفرسان الوقاح لان قتال الجد ما هو مثل قتال المزاح فقال له الموبذان فان كان الامر على مثل هذا الحال اشهد عليك أهل ملتك عند برازك لهذا الفارس الهمام حتى اذا تم عليك أمر لا يكون على الملك في ذلك عتب ولا ملام فعندها استدعا البطريق بالقسوس والرهبان وأشهدهم على نفسه عند الموبذان أنه اذا قتل في الميدان يكون دمه حلالا وان قتل خصمه فلا يطالب به والسلام قال وبعدما أشهد أصحابه على نفسه نزل الى ساحة الميدان وأراد أن يجول ويصول واذا هو بزعقة أذهلت العقول وزعزعت الارض عرضا وطول وكانت تلك الزعقة زعقة عنتر ابن شداد وكان خرج تلك الساعة من بين أصحاب الملك المنذر يريد الحرب والجلاد ثم انه لعب برمحه على ظهر الجواد حتى حير عقول أولى الالباب وبعدها رمى الرمح وجرد الحسام ولعب به أبواب الرجال وهجم على البطريق وجال قدامه وصال في أربعة أركان المجال وأنشد وقال

اليوم أنصر للمليك المنذر * ليعلم كسرى قوتي وتجبري
واهدم ركن الروم جمعا في الوغا * وأحز رأس البضرموط بأبتر
وأبيد ساقته وأقطع رأسه * ليسر به قلب الملك المنذر

أيها النذل الذى رام الكفا * ح مستهزئاً متكبراً متجبرى
فدونك حربى واصطبر لمرّ بمتى * تجد بطلا شبيه غضنفر
أوما علمت أن قدرى قد علا * فوق السماك فوق حد المشترى
وأنا الذى أدعا بحامية الوغا * يوم النزال أبى الفوارس عنتر
ان كنت أنت البضرموط فاننى * من آل عبس غاب قسور
ولان قهرت جيوش كسرى فى الوغا
فلسوف أقهر فى المجال القيصرى
ولان تكن قد فقت أبطال العجم * فأنا أفوق لتبع مع حمير
فاسمع مقالة من شجاع ماجد * ذى همة ونجابة وتفاخرى
مردى الفوارس والغبار مخيم * والنقع مظلم والعجاج مكدر
والخيل فى وسط القتام عوابس * والرمح يعمل والحسام الابتر
فأنا الذى شهدت له يوم الوغا * كل الفوارس من زبيد وحمير
سيفى أنيسى فى الظلام ودابلى * والمهر والرمح المديد الاسمر
والليل لونى والصباح فعائلى * والشمس اقبالى بغير تنكر
فلا تعب لونى أخى لدى الورى * وتقول انى كالظلام المعكر
فالمسك يعلو بالسواد مزية * وكذلك العود الزكى العنبر
وفعائلى تزرى بأنوار الضيا * وسميت فى يوم القراع بعنتر
فابرز لتلق شرح ما قد قلته * واعلم بأنى واحد فى الاعصر
قال الراوى فلما فرغ عنتر من شعره ونظامه فما عرف ما قال من كلامه الا أنه عرف أنه يطلب الحرب والقتال والطعن والنزال فمال عليه البطريق كأنه شعلة نار الحريق ثم حمل كل واحد منهم على صاحبه وأظهر ما عنده من عجائبه وغرائبه واصطدما كأنهما جبلان وافترقا كأنهما بحران وكان ذلك الرومى طويلا عريضا وكان

أشقر الوجه أزرق العينين وأما عنتر فكان أسمر أغبر كأنه الاسد القسور فجالا مع بعضهما ساعة من النهار وكان عنتر عن خصمه ثقيل العيار ويرجح عنه الدرهم بقنطار وكل ماله في زيادة واستظهار وأما البطريق فصار يرجع شيأ فشيأ الى النقصان فعرف عنتر منه ذلك معرفة الرجل الخبير لما بان له من خصمه التقصير فجدمعه في الطعان وقال هذا وقت المجاهدة وثبات الجنان ثم انه صاح في ذلك البطريق وهجم عليه وأراد القتال والجال فعندها صاح به البطريق وزعق عليه وطعنه طعنة الحنق فصبر عنتر للطعنة حتى قاربته فمال عنها وسبقها على درقته بحسن معرفته وصناعته وأمهله حتى قرب منه فحاذاه وضربه بعقب الرمح بين كتفيه أدهشه وزعق فيه أرعشه ومن قلة اكتراثه به لم يتبعه بل صبر عليه حتى عاد اليه جنانه وصبا على نفسه في ميدانه وقد قل نشاطه وجولانه فتعجبت الجيوش من فعاله وعفوه بعد المقدرة عليه في مجاله وقد صار لهم معه شهرا كاملا وكلوا من قتاله وقد كانوا بين يديه مثل الغنم ووجودهم كالعدم وعلموا لو أراد عنتر قتله لقتله وعلى أديم الثرى جندله ورأى ذلك كسرى منه فتبسم وقرب عنتر اليه وأقسم بالنار وما ظهر لها من الشرر ان هذه هي الفروسية التي تشكر ثم انه تقدم في موكبه الخاص الى عرصة المجال لينظر ما يجري بين هذين الفارسين من العجائب والاهوال وعلى أي شيء ينفصل الحال قال ولما رأى هذه الفعال مقدم الديلم بهرام حسد عنتر على ما بان منه من الشجاعة وظهر وقد حقد عليه لكونه رده عن مجاله وقتاله للبطريق وقت نزاله وأيضا لكونه قتل الناصروان

الحاجب فى أرض الكوفة وهو ابن عمه ولحمه ودمه وبعد هذا كله رآه قد تقرب من قلب الملك كسرى بهذه الفعال فأشكلت عليه الامور وغضب من فعاله حتى انه عاد لا يسمع ولا يرى وعول على قتل عنتر وقتل البطريق الآخر حتى يكون له الذكر بالفروسية وبها يذكر ومن شدة دهاه ومكره صبر حتى عاد الفارسان الى القتال والحرب والنزال وكان الرومى قد كل ومل ووها عزمه وانحل وأخذ حذره من عنتر لما رآه بخلاف من بارزه من فرسان العجم وابطال الفرس والديلم وعلم أنه فحل ذكر ومن الطعان لا يمل ولا يضجر ومازال عنتر يحاوره الى أن أتعبه وهو يطاوله ولا يطعنه ولا يضربه حتى قارب الزوال وقد قاسا البطريق من حرب عنتر الاهوال ولما توسط النهار وقلقت المواكب من الانتظار جد عنتر مع خصمه فى القتال وضاق على الاثنين الميدان وغابا عن العيان وأبصر الديلمى هذا الحال فنبه عزيمته عند اشتغال عنتر بخصمه فى المجال فأنقض على عنتر انقضاض القضاء وصاح فيه وأتى له معارضا وصار بين يديه وهز الحربة فى يمينه وصوبها اليه وقال خذها يا ابن الامة البدوية من كف بهرام فارس النار المحمية وكان عنتر مع ما هو فيه من اشتغاله بخصمه يقاتل وعيناه الى سائر الجيوش والجحافل وذلك حذرا منه على نفسه لانهم من غير ابناء جنسه قال ولما علم عنتر أن الديلمى حمل عليه عرف مراده وأخذ حذره منه ولما قرب العجمى منه وصوب الحربة اليه وسمعه وهو يقول خذها يا ابن الامة البدوية فعندها رفع عنتر حربته من يده واستقبل حربة العجمى ولقفها من الهواء وبقت فى يده وكان البطريق لما سمع أن بهرام قد حمل

على عنتر وجرى له معه ماجرى ورآه قد اشتغل به عنه فنبه عزيمته وأراد أن يضربه ويعجل منيته عندها استقبله عنتر بالحربة التى فى كفه وزعق عليه أوقفه وضربه بها فى صدره أنفذها من ظهره فمال بهاء صريعا يخبط لقماو نجيعا وعاد بعدها يطلب بهرام وقد صار الضيا فى وجهه ظلام هذا وقد ضجت مواكب العجم وقالوا وحق النار ولهيبها اذا أضرم ان هذا مافعله أحد من الامم (قال الراوى) ولما رأى الملك كسرى عنتر وقد قتل البطريق وحل به من البلاء مالا يطيق ومزق قلبه تمزيق قال أحسنت باشاة تازيان يعنى ياملك العربان ورآه بعد قتل البطريق عاد الى بهرام كأنه نار الحريق فضرب يدا على يد وتحسر خوفا على أبى الفوارس عنتر من أن يقتله على حين غفلة هذا الديلمى الاشقر وخاف على حاجبه بهرام عندما رأى عنتر قد قتل البطريق وأسقاه كأس العبر أن يلحقه به على الانرصاح على مرازبته وقال ويلكم ردوا بهراما قبل أن يقتل ويسقى كأس الضرر فتسارعت اليه الحجاب والمرازبة وردوه عن ظلمه والاعتداء من حومة الميدان وخلصوه من أبى الفوارس عنتر وردوا عنتر عنه من قبل أن يصل أحدهما الاخر بأذيه وتلطفوا بأبى الفوارس وأخذوه بينهم وساروا به الى الملك كسرى بالسوية وقدموه بين يديه فانحنى عنتر وخدم ودعا بدوام العز والنعم وأشار وجعل يقول

أدام الله عزك بالسرور ٭ وعشت مؤيدا طول الدهور
ايامك كا له كل البرايا ٭ عبيد فى السنين وفى الشهور
لانك فيهم وحصنا منيعا ٭ ومجرى العدل فى كل الامور
تركت البضرموط اليوم ملقا ٭ على البيداء مأكلة النسور

بضربة فيصل أضحى صريعا * وعاد بجمعه رزق الطيور
وخليت الدما تجرى عليه * مثل السيل فى اليوم المطير
فان عاداك قيصر يا مليكا * وسار اليك بالجيش الكثير
سالحقه بصاحبه وأفنى * جيوش الروم بالسيف البتير
ومن عاداك يا ملك البرايا * يعود كعودة النذل الحقير
ساء بذل مهجتى حتى أخلى * عبيدى للسباع لدى الهجير
أنا البطل الغشمشم ذو اقتدار * عظيم الجاه ذو القدر الخطير
فانت اليوم لى كهف منيع * وذخرتم عونى فى امور
أيا ملكا حوى رتب المعالى * ومن أمست عداه فى ثبور
لقد زاد اشتياقى واضطرابى * الى الاوطان واسمح بالمسير
لقد زاد اشتياقى واحتيابى * لوجه عبيلة القمر المنير
أدام الله قدرك و ارتفاع * بطول الدهر مع حظ كثير

قال ولما فرغ عنتر من كلامه طرب الملك كسرى من نظامه وقربه وأدناه وخلع عليه خلعة كسروية من ملابسه وكانت بالذهب مطليه وقال للموبذان سلم لعنتر ما كان مع البطريق من الاموال والجوار الروميات والخيل الصافنات وأنزله عندى فى الايوان وأكرمه غاية الاكرام حتى يحضر غدا معنا على الطعام ونجعله لنا عدة على سائر الليالى والايام ونغمره بالاحسان والانعام وبعدها التفت الى البطارقة أصحاب البطريق وقال لهم ان كان فيكم من يقاتل فليبرز الى الميدان فقالوا لا وحق المسيح ومارى حنه المعمدان لا نريد حربا ولا طعان ونحن ما أتينا لهذا الحال بل أتينا مع صاحبنا نشاهد الافعال ونكون شهداء على ما يجرى من أمر القتال وقد رأينا منك أيها الملك المفضال العدل والانصاف الى ان أتى

هذا الفارس وأسقى صاحبنا كؤس التلاف وفى هذه الساعة نطلب الاذن والانصراف ثم انهم ساروا يقطعون الفلاه ولا يصدقون بالنجاة وعاد كسرى الى الايوان وتولى أمر عنتر الوزير الموبذان وأنزله فى أعز مكان وكذلك المنذر ومن معه من العربان وكان المنذر قد امتلأ قلبه فرحا واتسع صدره وانشرح لما رأى من عنتر ما رأى وظهر وبان ثم ان كسرى فتح صناديق الاموال وأعرضها على عنتر وكانت هذه أموال البطريق التى أتى بها من عند الملك قيصر فوجد عنتر أموالا لا تعد ولا تحصى ورأى من المعادن والجواهر واليواقيت شيأ يبهر الجنان ومن الاقمشة والثياب المنقوشة بالذهب المطعمة بالجواهر على الصدور واللبب ومن الحلل القيصريات اللاتى كأنها لعب ومن الخيل الاصائل عليها سروج الفضة والذهب ورأى خيرات يعجز عن وصفها ألسن فصحاء العرب فقام عنتر وقبل يدى الموبذان وشكره وأثنى عليه على هذا الاحسان وقال يا مولاى ما أعد هذه النعم الا من فضل الرب الكبير وفضلك لانك كنت أنت السبب فيها ثم انه أشار وجعل يقول

أوليتنى نعماً فلا أقوم بشكرها * وكفيتنى كل الامور بأثرها
فلأشكرنك ما حييت وان أمت * فلتمدحنك أعظمى فى قبرها

قال فلما سمع الموبذان كلام عنتر فرح واستبشر وقام عنتر من فرحه بتلك الاموال التى لا تأكلها النيران يشكر الموبذان على احسانه ويمدحه بهذه الابيات وأنشد يقول

سرت لنا منك يا مولاى أسرار * بين الضلوع لها حكم واقدار

أسكنتها فى سويد القلب فهى اذا
يشبع منها على الناسوت أنوار
لما تمثلت فى جود وفى كرم * لم يبق للنفس آمال وأوطار
أغنيتنى عن كل الوجود فلم * يمسنى بعدما أعطيت اعسار
زاد انبساطى والايام قد نشدت * من السعادة أن لا تبعد الدار
قال فلما سمع الموبذان ذلك القول تبسم وقال لعنتر أيها البطل الامجد نحن ما نرضى لك بهذا العطاء القليل على ما فعلت من الجميل لان هذه الاموال ما هى من أموالنا وسوف تنظر عطايانا ونوالنا وأما هذه أموال قيصر التى أتت مع البطريق عابد الصلبان وقال هى لمن يقهرني فى الميدان فها أنت قتلته وصار المال لك وبسبب ضربك ونصال حربتك وسوف تنظر ما يصل اليك من الانعام اذا حضرت فى غد مع الملك كسرى على الطعام ثم انه أمر الخدام أن يبسطوا الدار بالفرش الملونات والنمارق المزركشات ويضعوا فيها الاوانى والاباريق ويملؤهم من الخمر العتيق ويقدموا أوانى الطعام قدام عنتر والملك المنذر وأصحابه الكرام فنظر عنتر الى الطعام فرآه مختلف الالوان قال تكون عافية الابدان وكلها من لحوم الضان وهى ممزوجة بالزعفران وحلويات منوعة حسان ومن داخلها القرنفل والخولنجان فحار عنتر مما شاهد وأبصر ولما خلا المكان سال الملك المنذر عن هذا الطعام وقال يا مولاى هذا طعام الاعجام على ممر الايام والا يطبخ فى المواسم والاعياد العظام وانى ما أرى فيها لحوم الجمال لان هذا طعام لا يليق الا للاطفال فعندها تبسم الملك المنذر من هذا المقال وقال له لاى شىء هذا الكلام يا فارس البدو والحضر دع عنك

ماكنت

ما كنت فيه من سكنة البر الاقفر وشرب لبن النياق صباحا
واغتباقا وتخلق باخلاق أهل المدن سلاطين القرى والبلدان لانك
أنت اليوم فى جوار هذا الملك الجليل المقدار العالى الافتخار قال
فلما سمع عنتر هذا الكلام استحى وأكل من الطعام حتى اكتفى
وشرب من المدام حتى ارتوى وقد دارت عليهم الكاسات والطاسات
واغتنموا أوقات المسرات وكان الساقى لهم المدام بعض من الجوار
والبعض يضربون على الآلات والاوتار وقد علمن أنهن ملك عنتر
وفى قبضة يديه فصرن يتقربن بالخدمة اليه وكلما قام أو قعد يدرن
من حواليه ولا يلتفت اليهم بالجمله لانه لم يكن فى قلبه غير هوى بنت
عمه عبلة وقد رشق الهوى فى قلبه ألف نبله فقال له الملك المنذر
يا أبا الفوارس لم لا تفرح وتطرب وتلذ وتلعب مع جوارك وتحمد
الرب القديم على ما أنت فيه من علو مقدارك الذى هو أعلى من هذه
المنزلة الرفيعة ولا أظن أنك رأيت فى زمانك أحسن من هذه الليلة
البديعة فدع عنك الافتكار وذكر الاحبة والديار وخل
عنك الفكر والارتياب وخذ من زمانك ما طاب لانك أمسيت
فى مرتبة الملوك أهل الفضل والاعتبار قال فلما سمع عنتر هذا
المقال زاد به البلبال وأن أنين المجروح وشكى من قلب مقروح
وتناثرت على حدوده العبرات وتذكر دياره والربوات والتفت الى
الملك المنذر وقال له لعمرك يا ملك الزمان ان هذه النعمة ما لها
عندى مقدار لان قلبى فى غير هذه الديار وأنت تعلم يا ملك الزمان
ان الاوطان لها فى القلب مكان خصوصا اذا كان للانسان
حبيب ويصير عنه بعيدا غير قريب وهو ينتظر خياله ربما يزوره
فى رقاده أو يهب عليه نسيم من ناحية بلاده ثم انه زاد بعنتر البكاء

والاشتكا فأنشأ وجعل يقول

برد نسيم الحجاز فى السحر * اذا أتانى بريحه العطر
ألذ عندى مما حوته يدى * من اللآلى والمال والبدر
وملك كسرى لا أشتهيه اذا * ما غاب وجه الحبيب عن نظر
سقى الخيام التى نصبن على * شربة الانس وابل المطر
منازل تطلع البدور بها * مبرقعات بظلمة الشعر
بيض وسمر تحمى مضاربها * أساد غاب بالبيض والسمر
صادت فؤادى منهن جارية * مكحولة المقلتين بالحور
تريك من ثغرها اذا ابتسمت * كاس مدام قد حف بالدرر
أعارت الظبى سحر مقلتها * وبات ليث الشرى على حذر
خود رداح هيفاء فاتنة * تخجل بالحسن بهجة القمر
ياعبل نار الغرام فى كبدى * ترمى فؤادى بأسهم الشرر
ياعبل لولا الخيال يطارقنى * قضيت ليلى بالنوح والسهر
ياعبل كم من فتنة بليت بها * وخضتها بالمهند الذكر
والخيل سود الوجوه كالحة * تخوض بحر الهلاك والخطر
ادافع الحادثات فيك ولا * أطيق دفع القضاء والقدر

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من شعره تعجب الملك المنذر من نظامه ونثره وفصاحته وسعة صدره وعلم أن حبه لبنت عمه شديد وسلطان الهوى عنيد فقال له ياعبسى خذ بنا فى غير هذا المقال ثم انه جعل يحدثه بما يصل اليه من المال والهدايا والانعام والنوال وبشره بقرب العود الى الديار والاوطان ولم يزالوا كذلك حتى مضى الظلام وأقبل النهار بالابتسام واستشار وافى الركوب الى الميدان واذا قد أتاهم الموبذان وحوله جماعة من المرازبة والحجاب والنياب

والعلما

والنعمان فسلم عليهم وسألهم عن ليلتهم فقالوا هي من أبرك الليالي و بلوغ الاماني فعندها أمرهم بالركوب للسلام على الملك العادل كسرى أنوشروان وقال لعنتر يا أبا الفوارس قم بنا الى الملك كسرى لانه قد أرسل يطلبك لتحضر عنده اليوم فقال عنتر سمعا وطاعه ثم انه قام من وقته وساعته وركب هو والملك المنذر والموبذان معهم وسار والى أن وصلوا الى الملك كسرى واستأذنوا في الدخول عليه فأذن لهم فدخلوا الى بستان عظيم الشأن وفي ذلك البستان من كل فاكهة ألوان من شقايق ونعمان وكان في ذلك البستان قصر عالي البنيان و في الهواء شاهق قد آمن من البوائق وتحيرت في وصفه الخلائق طوله تسعون ذراعا وعرضه سبعون قد بنى بحجارة المرمر و رصع بالدر والزمرد الاخضر وللقصر أربعة عشر بابا من النحاس الاصفر لها لمعان يأخذ بالبصر وسقوف القصر تبرق من لمعان الفضة والذهب وهو أعجب من كل عجب كما قال فيه الشاعر المنتخب حيث يقول بعد الصلاة على الرسول

قصر عليه تحية وسلام * نشرت عليه جمالها الايام
قصر سقوف المزن فوق سقوفه * فيه لاعلام الهدى أعلام
قد زينت حيطانه وتزخرفت * وكأنه سبقت له الانعام
فيه العجائب من صنوف غرائب * قد حيرت في نظمها الافهام
يحوي مليك الارض كسرى الذي * ساد الورى وسما به الاكرام
والتاج تاج الملك صيغ بجوهر * من أفخر الياقوت ليس يرام
وازداد فخرا حين حل برأس من * قد عمنا بالفضل والانعام
فاق الملوك ببذله و بعدله * في سائر الازمان والاعوام

(قال الراوي) و بسطوا فيه البسط كما أمر الملك كسرى وصفوا

فيه الكراسى من الابنوس والعاج وقد دخل الملك كسرى وحجابه وكل خواصه وجلسوا فيه وأرسل الموبذان خلف عنتر والملك المنذر فلما أتيا وأذن لهما بالدخول دخلا على الملك كسرى وقبلا الارض بين يديه وسلما عليه و وقفا فأمر الملك كسرى للملك المنذر بالجلوس فجلس وكذلك عنتر بعد ما خدم أخذه الملك بجانبه وصار يترحب به و يحادثه وعنتر يشكر كسرى على ما أولاه من النعم وبعد ذلك أحضروا موائد الطعام وقعد الملك كسرى يأكل مع الجماعة وهو يلقم عنتر مما قدامه من ذلك الطعام الفاخر ومازال يلقمه الى ان اكتفا فقام عنتر وخدم وأشار الى الملك كسرى يمدحه بهذه الابيات ونحن وأنتم نصلى على سيد السادات

يا أيها الملك الذى راحاته ✵ قامت مقام الغيث فى هطلانه
ياقبلة القصاد ياتاج العلا ✵ يابدر هذا العصر فى سلطانه
يامخجل نوء السماء بجوده ✵ يامنقذ المحزون من أحزانه
يأسا كنين ديار عبس اننى ✵ لاقيت من كسرى ومن احسانه
ماليس يوصف أو يقدر أو يفى ✵ أوصافه أحد بوصف لسانه
ملك حوى رتب المعالى كلها ✵ بسمو مجد حل فى ايوانه
مولى به شرف الزمان وأهله ✵ والدهر نال الفخر من تيجانه
واذا سطا خاف الانام جميعهم ✵ من بأسه والليث عند عيانه
اظهر الانصاف فى أيامه ✵ بخصاله والعدل فى بلدانه
امسيت فى ربع خصيب عنده ✵ متنزها فيه و فى بستانه
ونظرت بركته تفيض وماؤها ✵ يحكى مواهبه وجود بنانه
فى مربع جمع الربيع بربعه ✵ من كل فن لاح فى أفنانه
وطيوره من كل نوع أنشدت ✵ جهرا بأن الدهر طوع عنانه

19

ملك اذا ماجال في يوم اللقا * وقف العدو محيرا في شأنه
والنصر من جلسائه دون الورى * والسعد والاقبال من اعوانه
فلاشكرن صنيعه بين الملا * وأطاعن الفرسان في ميدانه

(قال الراوي) ولما فرغ عنتر من شعره وسمعه كسرى طرب غاية الطرب ولما جاء آخر النهار وانقضت تلك الاوقات انصرف الملك المنذر وعنتر الى منازلهم بعد عطايا الملك كسرى وانعامه عليه وكيف جعله نديمه وصار يسليه والمنذر يقول له يا عنتر لقد نلت مقاما ما ناله احد غيرك فلما سمع عنتر من الملك المنذر ذلك الكلام جرت دموعه على خديه سجام وقال يا مولاي هذه النعمة وان كانت جزيلة لكن عندي لا تساوي حبة خردل من حبي لمن في تلك الديار وأنت أعلم بالحال ولاسيما الوطن الذي يكون للانسان فيه حبيب ويمسي عنه بعيدا غير قريب ويصير متلبسا بالطرد والتعذيب وينتظر خيال الحبيب أن نزوره أو ريح تهب عليه من ناحية بلاده ولو ريح الاذيب ثم انه ناح من العشق والغرام وبما كان في ضميره قد باح فأنشد يقول صلوا على الرسول

سقى الخيام التي نصبن على * شربة الانس وابل المطر
منازل تطلع البدور بها * مبرقعات بظلمة الشعر
بيض وسمر تحمي مضاربها * آساد غاب بالبيض والسمر
صادت فؤادي منهن جارية * مكحولة المقلتين بالحور
تريك من ثغرها اذا ابتسمت * كاس مدام قد حف بالدرر
أعارت الظبي سحر مقلتها * وبات ليث الشرى على حذر
خود رداح هيفاء فاتنة * تخجل بالحسن بهجة القمر

يا عبل نار الغرام في كبدي * ترمي فؤادي بأسهم الشرر
يا عبل لولا الخيال منك يطرقني * قضيت ليلي بالنوح والسهر
يا عبل كم من فتنة بليت بها * وخضتها بالمهند الذكر
والخيل سود الوجوه كالحة * تخوض في بحر الهلاك والخطر
ادافع الحادثات فيك ولا * أطيق دفع القضاء والقدر

(قال الراوي) ولما سمع الملك المنذر من عنتر ذلك الشعر والنظام تعجب من فصاحته ولم يزالوا كذلك الى أن أقبل الظلام فعندها انطرحوا لطلب الراحة والمنام الى أن أقبل الصباح فبينما هم على ذلك المنوال مدة أيام اذ دخل عليهم الموبذان وقال لهم اعلموا أن الملك كسرى مراده يركب هذا اليوم يطلب الصيد والقنص وقد أمر أن يصنعوا له الطعام الى حين يرجع وتحضر جميعا في الايوان وتأكل من ذلك الطعام فقال المنذر يا عنتر قم بنا الى ملك الزمان لتنظر منه ما يأتيك من الاحسان والانعام فلما سمع عنتر من الملك المنذر ذلك الامر والشأن قال له يا مولاي ان في قلبي حسرة لا يزيلها الا العود الى الاوطان وما مقامي لاجل المال والاحسان كلا فما لي حاجة لشيء من ذلك غير النوق العصافير أريد أن تكون بصحبتي لتكون سبب الاجتماع بابنة عمي حبيبتي قال فضحك المنذر من كلامه وقال له أما النوق فقد تحصلت ومعها أمثالها من النياق والجمال وهي موقورة بالارزاق محملة من مال العراق بطول بقاء الملك العادل وهذا الوزير الفاضل وأما العود الى الاوطان فهو قريب كما تريد وتختار بعد أن يعطيك هذا الملك شيأ تفتخر به على سائر العباد ثم انهم ركبوا وساروا جميعا الى الملك كسرى انوشروان فوجدوه خارجا من باب الايوان وبين يديه

المرازبة والحجاب والخدام والغلمان ومعه آلة الصيد على التمام
من فهود وصقور وكلاب سلقان (قال الراوي) ولما وقع نظر الملك
كسرى عليهم ترجل المنذر والموبذان وسلموا وحيوا بتحية الملوك وأراد
عنتر أن يترجل ويفعل مثلهما فمنعه الملك كسرى من ذلك وأقسم
عليه وأعطاه يده فقبلها وأمر الغلمان فقدموا له فرسا من جنائبه
بمركب ذهب ولما ركب أخذه كسرى الى جانبه وسار معه وهو
يحادثه ويلاعبه ويسأله عن مبيته وراحته وما وجد من الشوق
الى أهله وباسطه في الكلام وعنتر يدعو للدولة الكسروية
بالدوام الى أن وصلوا الى مكان الصيد والقنص وكان ذلك
المكان لا يدخله الا الملك كسرى صاحب الايوان وعليه مرازبة
يحمونه من الناس وقد امتلا بالوحش من سائر الاجناس
والاصناف وروائحه كالمسك قال ولما أشرفوا عليه وقربوا منه
ورأتهم الوحوش والغزلان تنافر ولمن كل جانب ومكان
ووقع الصايح ووثبت الفهود على الغزلان وانقضوا على الوحوش
انقضاض القضاء وتجارت الفرسان على ظهور السوابق من الخيل
وساروا مثل السيل وسعوا في الارض بالطول والعرض وعلا
الضجيج حتى أزعج البر والملك كسرى واقف يتفرج وهو في نفر
قليل من أصحابه والصيد يأتي اليه ويحط بين يديه وهم يتقربون
بذلك اليه وكان عنتر قد تبع شرذمة من الوحش وساقها بين يديه
وأبعدها في البر وصد أكثرها على الارض قال فبينما هو كذلك
واذا بفارس قد انقض عليه انقضاض الاسد وصاح به صيحة
تصدع الحجر الجلمد لا كلمه ولا عاتبه حتى صار في جانبه وضربه
بآلات الحديد بساعد شديد وكف عتيد فوقع بين كتفيه كاد

أن يقضى به عليه وصاح فى أثره اخذها يا كلب الحجاز وان كان بقى فيك رمق فدونك والبراز ولو كان فيك مروءة الشجعان فلا بد لى من قتلك كما قتلت أخت الحضر وان ابن عمى الذى هو من لحمى ودمى وقتلت أيضا بطاريق عبدة الصلبان فى الميدان واحتويت على المال والجوار الحسان وانت أقل عبيد الفرسان وكان هذا الفارس هو بهرام الديلمى لاننا قد ذكرنا ما دخل فى قلبه من الحسد والنكاد لعنتر بن شداد وكان لما نهاه كسرى عن معاندته ومعاداته فعاد وقال لاصحابه ان راح هذا العبد بهذه الاموال الى البلاد وسلم من الانكاد فلم يبق لى عند أحد قيمه ولا مقدار ثم انه ترك عليه العيون والارصاد وصار يقهو رامسلوب الفؤاد حتى خلا به فى ذلك اليوم وهو يصطاد فقال هذا وقت انتهاز الفرص وازالة الغصص فسار اليه وفعل ما فعل وظن أنه لعنتر قد قتل فسل حسامه وطلبه وكان عنتر قد داخ من عظم تلك الضربة وشدتها ساعة ولما هدى روعه ورأى خصمه قدامه وقد أشهر فى يده حسامه ورآه راجعا اليه فصاح به وحمل عليه واستقبله وهو يهمهم ويدمدم دمدمة الاسد من شدة ما ناله وما وجد من الغيظ والحرد وقال له لقد خاب أملك يا عابد النار أتريد أن تقتلنى يا غدار أبشر بالويل والخبال والذل والدمار ثم انه استقبله وصاح فيه وقلب السنان الى خلفه وطعنه بعقب الرمح قلبه وعن جواده كركبه ولولا زرده وما عليه من الثياب كان قد خسف صدره هذا وان الديلم لما رأت فعال عنتر حملت عليه من سائر الجهات وسلوا السيوف القاطعات وطلبت قتاله فعند ها صاح فيهم وحمل عليهم حملة الاسد وصار يدافع عن نفسه ويتجنب سفك الدماء

وهو

وهو ينشد ويقول هذه الابيات صلوا على صاحب المعجزات

ريب المنون رماك لاضرغام * حتى بقيت مطوقا بحمام
يانسل عباد الشعاع ومن هموا * مستعبدين لشدة الاضرام
ساقتك اسباب المنية في يدي * حتى تصير مسربلا بكلام
وترى بأني فارس ماهاله * ضرب العمود وصرخة القمقام
كلا ولا أخشى الحتوف ولو يكن * حولي كماة يشبهون ظلام
ما انتمو الا فراش قد رأى * نارا فالقى روحه بضرام
فانت لطعنة من أتيت لحربه * وغدرت ليثا في الكريهة حام
من كف من سعدت له أهل الفلا * وتعوذت جلاله الاقوام

(قال الراوي) فلما فرغ عنتر من شعره ونظامه حمل على الديلم حملة الاسد وطاب له القتال والحرب والنزال ولم يزل يقاتل حتى أشرف على الهلاك والوبال وهو يطرحهم على الرمال وأراد أن يقتل خصمه ويسكنه عاجلا رمسه ويلقي الهيبة في قلوب الرجال واذا بالملك كسرى قد أقبل في حجابه ونيابه وهم يصيحون على الديالم ويشيرون اليهم بالصوارم وكان قد وصل اليه الخبر بما فعل عنتر ببهرام فركب كسرى الحصان وجانبه الموبذان الى أن أشرف على المكان ولما رأته الديالم أهرعت اليه وقالت أيها الملك اقتل هذا العبد والا قتلناه بأيدينا قبل أن تصلوا اليه وقالوا أيها الملك السعيد أيقتل هذا العبد صاحبنا ويريد هلاكنا وفنانا ونتركه بلا قتال فقال لهم الموبذان وحق الجمر تكذبون يا أنذال الديلم وقد تكلمتم بالمحال وما قصدكم الا قتل هذا الرجل الغريب الذي يجب أن يكرم بكل أمر عجيب لانه فعل في حقنا فعلا ما فعله أحد من الامم ولولاه لارتفعت حرمة قيصر على الديلم

وانثنت شوكتنا لما عجزتم عن الطريق وصرتم بين يديه شبيه الحرم وفى ذلك الوقت طلبتم الاقالة من حربه وقتاله يا أنذال العجم وان كان قتل صاحبكم فاتعدى عليكم ولا ظلم ثم انه استدعى بعنتر بن شداد اليه بصفاء السريرة والنيه وقدمه بين يدى الملك كسرى فسأله عن القضيه فأمره الموبذان أن يخبره بما جرى فحدثه بالحديث الذى طرا ورمى الملت الذى ضربه به مقدم الديلم بين يدى الملك فصدقه فى كلامه وأمر الحجاب الذى حوله والمرازبة أن يقدموا الديلم عشرة بعد عشرة ليضرب رقابهم فعند ذلك ترجل عنتر اليه وقبل الارض بين يديه وقبل أسافل قدميه وسأله فيهم وتشفع لهم وعاد الى ورائه وقال له يا مولاى لا تفعل فان العفو عنهم منك أجمل وهو بمثلك أوفق وأمثل واعلم يا ملك الزمان أننى فى هذه الايام قد عزمت على الرحيل من هذه الديار ولا أشتهى أن يذكرنى أحد بالقبيح بعد الجميل للكبار والصغار بل أكون كما قال بعضهم هذه الابيات ونحن وأنتم نصلى على سيد السادات

وكنت اذا نزلت بدار قوم * رحلت بخيرهم وتركت عارا
ولم أنس لحسنهم جميلا * وأكره أن أقيم لهم عثارا
واحتمل الاثام لاجل فضل * لمولاهم تقدم لى جهارا

(قال الراوى) فتعجب الملك كسرى من حسن أدبه واستقامة حاله وكان قد غضب فزال غضبه وقبل سؤاله فيهم وأطلقهم لطيب مقاله وشالوا ابهراما وهو يشكو من شدة الطعنة الى مكانه وأما الملك كسرى فانه عاد راجعا الى الايوان وعطف على البستان وكان ذلك البستان قد حوى من كل فاكهة ألوان من شقائق ونعمان

واخذ

وأخذ عنتر صحبته والموبذان (قال الراوى) فلما رأى عنتر ذلك البستان زال عن قلبه ما كان يعتريه من الاحزان كيف وقد رآه نزهة الاعيان وفيه من كل فاكهة زوجان فأنشد عنتر وجعل يقول بعد الصلاة والسلام على الرسول

بستان كسرى بروض الآس معطار * تزهو به على الافنان أطيار
من كل قمرى برنم ناشدا * فيهيج الاشواق للافكار
وترى الهزار مع الفواخت ناطقا * تلهين عن ضرب من الاوتار
وتمايل الطاوس فى جنباته * يحكى عروسا فى ثياب فخار
فتعجب النظار من الوانه * كأبيض وأصفر باد على الاشجار
وأتت لنا ريح الشمال فعوضت * بصفيرها عن نغمة الاوتار
وتمايلت فيه الغصون كأنها * قوم سكارى من كؤس عقار
وشذا لنا ورد تضوع ريحه * عن مسك جاوا وكعود قمار
ما بين نسرين وورد مهفهف * والياسمين بياضه كنهار
وبنفسج ونرجس ستلوحها * لينوفرا وشقائق الانذار
والبان فيه للنديم فكاهة * بالشم مع شرب مائه المقطار
والماء من كل الجوانب يدفق * يسقى الزهور بجانب الاشجار
يا عبل قد قرب الحمام فهل الى * ذلك سبيل قـــرة الابصار
يا عبل قد شط المزار متى اللقا * لأحظى بلثم ثغرك المعطار
يا عبل ان الحب على الهوى * فقهرت كل غضنفر كرار
وعلمت أن الموت أمر واجب * لابـــد منه وان تطل أعمار
وعلمت أن الدهر يغدر أهله * وينغص الاوقات بالاقـــدار
وعلمت أن الموت يأتى بغتة * فغدوت مستلما بدا الاقدار

(قال الراوى) وكان فى البستان قصر عالى الاركان مشيد البنيان قد

أمن صاحبه من حوادث الازمان سليم من البوائق مبنى بحجارة
المرمر الفائق مرصع بالزمرد الاخضر وقضبان الذهب الاحمر
وفى صدره قبة مثمنه مرفوعة مكونه فيها عقود من خالص
الجوهر ولدار بعة وعشرون بابا من النحاس الاصفر يخيل
انها ذهب أحمر لمالمعان يأخذ بالبصر وحلقها من الذهب
والفضة البيضاء وقد مثلت عليها صفات الطيور وفى وسط ذلك
المكان سبع برك مرصعات بالدر والجوهر الزمرد الاخضر
وقطع الياقوت الاحمر ولها أنابيب من الفضة والذهب وقدام
الايوان بركة كبيره وفى وسطها طاوس رأسه من الزمرد
الاخضر وعيناه من الياقوت الاحمر ومنقاره من العقيق
الاصفر يرمى من منقاره على كسرى ومن معه فتات المسك
الازفر ودق العود والعنبر وماء الورد المكوفر وسقف القصر
يشرق بالفضة والذهب الاحمر وهو قصر من أعجب العجب مفروشة
أرضه برائق المرمر (قال الراوى) ثم أنهم بسطوا فيه السماط
كما أمر الملك كسرى عند ركوبه وكانوا قد وضعوا طعامات شتى
ونصبوا لكسرى فى الصدر سريرا ألواحه من الذهب الاحمر
وتاجه من الزمرد الاخضر وقوائمه من الفضة البيضاء الحجر
وكان اذا وضع فى الليل أضاء كالشمس والقمر ونصبوا حوله
كراسى من العاج والابنوس والفضة الذهب فدخل الملك
كسرى وحجابه ونيابه وأمر الملك كسرى للملك المنذر بالجلوس
فجلس الى جانبه على كرسى عال قدام الايوان بجانب السرير وكان
ذاك الكرسى كبيرا من الذهب الاحمر وكذلك فعل بعنتر
ووقف حجابه وأعوانه وغلمانه وأخذ كل واحد منهم مكانه وبدا

الملك كسرى يأكل الطعام مع الجماعة وصار يقدم لعنتر
من الطعام الذى بين يديه ويشاغله بالكلام ويميل اليه
ويلاعبه ويضحك عليه وعنتر قد برك للاكل على ركبتيه وصار
يكبش بالخمسة ويدفع بالراحة ولا يحرك فكيه ولا يلعب بشفتيه
ويجمع ويقطع ويبلع وزوره يقرقع كالمدفع وهو يأكل أكل
العرب الجياع وينهب الطعام مثل السباع أو مثل الاسد اذا
جاع وكسرى يقدم له صدور الدجاج ويأدوم الخرفان الرضع وهو
يبوس يديه ويأخذ ويدفع ويبلع وروائح الطيب من الطعام تطلع
وكسرى يلقمه بيده من طعامه ويتفرج على أكله من الجلاس
ويكبر له اللقمة ويحدثه من دون الامم وهو غرقان فى تلك النعم
وكسرى فى وجهه يتبسم وعنتر يأكل من تلك الاطعمة المختلفة
الالوان شىء ألذ من العافية فى الابدان لانه طعام يشفى العليل وهو
مع ذلك يكتال ويشيل وكلما أكل لونا من تلك الالوان يسأل
كسرى عنه وهو يجيبه يسمى له ألوانا مختلفات بلقمه لقيمات
هائلات أقل لقمة تشبع رجلا وهما يقتات وعنتر يأكل وكسرى
يتعجب من أكله وأكابر العجم والفرس قد شبعوا وقاموا وعنتر
لم يشبع ولم يزل جاثيا على ركبتيه والى سائر الاطعمة يحلق بعينيه
حتى فرغ الطعام وشبع واكتفى وتأخر وحمد وخدم ودعا
لكسرى بدوام العز والنعم ثم انهم بعد ان شالوا أيديهم من الطعام
وانشالت أوانيه قد دخلت عليهم أولاد السهارجة بيواطى
المدام بطشوت الذهب والفضة والطاسات والاباريق
والكاسات الملاح وهى ملانه من الخمر العتيق الذى صفا
وراق وصار يحاكى دموع العشاق وهو أبرد من النسيم

وقد أصلحته القسوس لاجل اصلاح النفوس حتى صفا وراق فى الكؤس كأنه اللهيب يحكى وجنة الحبيب وقد أقبلت الملاهى من سائر الجهات وغنوا بالحان مطربات ودارت أقداح المدام بالطاسات الى أن غيبت عقول السادات وصاروا فى سرور وأفراح وخامر عقولهم الراح الا عنتر فان ذلك النعيم كان عنده كأنه أتراح لان جسده حاضر وقلبه فى غير هذه الديار وهو كثير الافتكار وشوقه الى عبلة قد طال والملك كسرى يمازحه ويسأله عن بلاده وعنتر يحكى له على ما جرى له من حب ابنة عمه عبلة ويصف له حسنها وجمالها الذى شاع عنها بين أصحابها وما لاقى بسببها وشكى اليه شدة شوقه اليها فعلم كسرى انوشروان أن شوقه اليها شديد وعشقه لها ما عليه من مزيد فقال له يا عبسى وحق النيران اننى لفى عجب من بعادك وبقاك وهذه الشكوى شكواك فقال عنتر يا مولاى وحق انعامك الذى لا يحصيه الثناء ما أنا الا ميت فى صفة الاحياء ولولا خيال ابنة عمى عبلة يطرقنى والا كادت نيران الاشواق أن تحرقنى فعند ذلك تعجب الملك كسرى من مقاله ورق له ورثى لحاله فقال له الملك المنذر ويحك يا عنتر ريح قلبك وخل عنك هذا الحديث وجهل جاهلية العرب واستعمل الادب فى مقام هذا الملك الكريم المنتخب وأنشدنا شيئا من أشعارك بما تزيد به الملك فرحا وطرب واغتنم أوقات النعيم وأشكر الرب القديم الذى رفعك الى هذا المكان العظيم واسمع صوت هذه الغانيه فان صوتها يشفى العليل لما فيه من الترخيم واصغ لقول الشاعر حيث قال هذه الابيات للتعليم

لاتؤخر لذة اذا أمكنت * انما الدهر سريع العطب

(قال الراوى) فقال عنتر للملك المنذر ما أحسن ما تقول لو أن للفؤاد محصولا أو وصولا ثم ان عنتر تحسر واستعبر وتنهد وأن وتضجر والتهبت ناره واشتغلت أسراره وتذكر بعاده عن محبوبته وأوطانه فأنشد وجعل يقول بعد الصلاة على الرسول

فؤادى ما يسليه المدام * وجسمى لا يفارقه السقام
وأجفانى تبيت مقرحات * تفيض الدمع اذ جن الظلام
وغانية شجت قلبى بصوت * يرادده النوى والمستهام
شغلت بذكر من غناها * وقلت لصاحبى هذا منام
وفى أرض الحجاز لنا خيام * حلال الوصل عندهم حرام
وبين قباب ذاك الحى خود * رداح لا يحل لها لثام
لها من تحت برقعها عيون * مرام حشو جفنيها سقام
وبين شفاقها مسك زكى * وكافور يمازجه مدام
فما الليل عند طلعتها ظلام * ولا للصبح اذ بدت ابتسام
يلذ غرامها والوجد يحلو * ومن يعشق يلذ له الغرام
الا يا عبل قد شمت الاعادى * بابعادى وقد أمنوا وناموا
وقد لاقيت فى سفرى أمورا * تشيب من له بالمهد عام
وبعد العسر قد لاقيت يسرا * وملكا لا يحيط به الكلام
وسلطانا له كل البرايا * عبيد والزمان له غلام
يفيض ندا العطا من راحتيه * فما ندرى بحار أم غمام
وقد خلعت عليه الشمس تاجا * فلا تغشى جوانبه الظلام
جواهره النجوم وفيه بدر * منير لم يزل أبدا تمام
وكل الناس جسم وهو روح * تحيا بها المفاصل والعظام

بنو نعش لمجلسه سرير * على والسموات الخيام
فدم يا أوحد الخلفاء وابق * مدا الايام ما ناح الحمام

قال الراوى لهذا الحديث وكان عنتر ينشد هذه الابيات ويرددها وكان كسرى يميل طربا لانه كان فصيحا عارفا بلغة العرب ولما فرغ من تلك الابيات قال وحق النار يا عبسى لو أعطيتك ملكى لكان قليلا فى مقابلة فعالك الجميل فان عطاءنا ينفد ومديحك انا يبقى فتمن واطلب ما يكفيك فلعلنا نلحق بعض فعالك نكافيك فقال عنتر يا مولاى وحق ذمة العرب اننى بك قد بلغت آمالى واكتفيت من طلبى وسؤالى وحصل لى فوق آمالى ورقيت بك درج المعالى وأغنانى احسانك عن كل ملك كبير وسيد أمير بعد ما كنت طريدا فقيرا أسير ومثلك يا أوحد الزمان فى العدل والكرم ينطلق لسان العبد له ويتكلم وطلب ما يغنيه عن سائر الامم وأنا قد وقعت فى بحر ما له طول ولا عرض ولا اعود الا بما أفتخر به على أهل الارض لانى أعلم انى اذا عدت الى أهلى غمرتهم بفيض نعمتك وأخذت ابنة عمى بعلو همتك وسعادتك ولا بد لى اذا عدت الى أهلى أن أعمل وليمة أفتخر بها على كل من فى الآفاق ويسمع بها من فى اليمن والشام والهند والعراق وقد اشتهيت أن يكون مثل هذا التاج على راس ابنة عمى يزين مفرقها ليلة زفافها وما طلبت يا مولاى هذا الطلب الا لعدلك وكرمك وان كنت قد أسأت الادب فبحلمك تهرع اليه الخلائق من كل حدب (قال الراوى) يا سادة فتبسم كسرى من هذا الكلام وقال وحق النار المحرقة ذات اللهب لقد قنعت منا يا عبسى باليسير بلا تعب ولا نصب ثم أنه كلم بعض خدامه بلغة

الديلم فضوا وعادوا يحملون قبة من الديباج مغشاة والقبة من الفضة البيضاء وعلى رأسها باز من الذهب الاحمر وعيناه من الياقوت الاصفر ورجلاه من الزمرد الاخضر

وذيل القبة مكلل بالدر والجوهر واللؤلؤ الخالص المدور والقبة تساوي ملك قيصر وقال كسرى ياعنتر هذه القبة تكون لابنة عمك تركب فيها اذا رحلتم من مكان الى مكان وهذا التاج تزف فيه عليك وتفتخر هي به على سائر النسوان ثم انه رفع اليه العمارية الفضة والتاج وقال والله يااخا العرب ويا كاشف عنا الكرب تمنى ان كان بقي في خاطرك شيء آخر فقل لنا عليه واعذرنا في التقصير فان الطارق علينا كثير فقبل عنتر الارض مرارا ودعا للدولة الكسروية بالدوام والاستمرار وقال له يامولاي انا قصير اللسان عن شكر هذا الاحسان ثم ان عنتر انشد يقول هذه الابيات صلوا على سيد السادات

أصبحت ياملك الدنيا باجمعها * أثني عليك بما أوليت من نعم
خولتني منك فضلا لا أقوم به * اذ أنت أكرم من يمشي على قدم
فقت الملوك ملوك الارض قاطبة * وجود كفيك مثل الغيث منسجم
أنت الذي خضعت كل الملوك له * يوم النزال وكل العرب والعجم
تغني وتوفي لمن والاك مرتجيا * جودا عميما يوافي نعمة النعم
فرحت عبدك بالتاج المنيف وقد

أصبحت ياذا العلا في الناس كالعلم
والعبد اصبح في وجد يكابده * من الصبابة والتبريح والسقم
أضحى بعيدا عن الاوطان حلف جوى * شوقا الى عبلة سهران لم ينم
ياعبل قد حزت ملكا من يدي ملك * كفاه تحكي لموج البحر ملتطم

فاق الملوك ببذل المال منذ نشا * معطى النوال طليق الوجه مبتسم
مولاى فامنن على الآن يا ملك * بعودة نحو أرضى واتمم النعم
فان قلبى مشوق نحو أرضهم * اعلى أنظر ذاك الحى من اضم

(قال الراوى) ثم انه قال يا مولاى أتمم الفضل والاحسان بالسماح بالعودة للاوطان فعند ذلك قال الملك كسرى للموبذان تولى أنت يا أبانا أمره وأنجز له طلبه وما فيه رغب وسيره الى أهله ولا تتركه يعود حتى تفتح له خزائن الاموال و يأخذ منها ما يختار ثم زده أوفى مزيد وجهزه بعد ثلاثة أيام وعاهده أن يعود الينا فى كل عام فأجابه الموبذان بالسمع والطاعه وأمر غلمانه أن يرفعوا التاج والعماريه الى الدار التى جعلت برسمه ففعلوا ذلك فوثب منهم رجل يقال له رستم وثبة الاسد من شدة ما وجد كأنه البعير اذا شرد من شدة الغيظ والحرد وسار الى البستان وحوله جماعة من أصحابه والغلمان ودخل على كسرى من غير استأذان فقبل الارض وخدم ودعا له بدوام الملك والنعم فقال له كسرى أهلا وسهلا يا أوحد الزمان وخيار الاقوياء والشجعان ثم انه تبسم فى وجهه فقال رستم يا مولاى لو كنت عندك بهذه المنزلة العاليه ما كنت فعلت هذه الفعال مع عبد من عبيد الباديه وجعلته لك نديما من جملة الجلاس فقال له أيها الملك ما الذى فعل هذا الاسود من الفعل العجيب حتى انك قربته منك هذا التقريب وغدا يعضى و يقول أخذت بسيفى من كسرى ما طلبت فلما سمع كسرى ذلك من رستم علم أنه من شدة الحسد فزاد ضحكه من ذلك وقال لرستم اقعد يا رستم واقض معنا أوقات السرور بقية يومك وهون على نفسك أمرك وكل الذى تحبه وتريده يكون فان هذا الرجل

ماهو مثل ما تعرف من الرجال لانه أوحد زمانه فى الشدة والقتال
وقد رفع عنا الهم بقتله البطريق وأزال ما كنا فيه من الهم والضيق
ونريد أن نجعله لنا صاحبا فى كل شدة وضيق وأنتم بالامس
والبطريق فى الميدان ونحن نستغيث فلا نغاث فا منكم احد خرج
وفرج همنا وكربنا وقتل البطريق وفصل حربنا وكان البطريق
وحق دينى أراد أن يخذلنا ويرجع بالاموال والقماش والجوار
والجواهر وأنتم صرتم بين يديه كالحريم الضرائر واليوم يا رستم
أنتم تشطرتم أم الشجاعة تعلمتم فقال رستم وحق النار ونورها
اذا أشرق وشعاعها اذا أحرق وتفرق ما أرجع آكل لك
طعاما حتى أقابض هذا فى الاتساع وأحاوله فى الباع والذراع وتنظر
ما يسر الفؤاد والذى أعانه جماعة من العدا والاضداد والحساد
فاغتاظ لذلك الملك كسرى وهو جالس وزادت به الوساوس
والتفت الى عنتر وقال له أتدرى يا حامية عبس ما نحن فيه من المقال
فقال لا وحق ذمة العرب لكننى أرى رجلا جسيما وسيما عظيما مثل
الليث الغادر أو البيت العامر وكأنه يطلب قتال انسان
فقال له كسرى صدقت فيما قلت وما أتى هذا الانسان الى هذا
المكان الا مراده يجرب شجاعته معك ويصارعك فقال عنتر
يا مولاى هو من أصحابك فقال نعم فقال عنتر يا ملك الزمان فأنا
ما أشتهى أن آذيه وكيف تطاوعنى روحى أن أدنو منه أو آذيه
وقد رأيت من احسانك ما أنا فيه من غاية الكفايه وعلو
النهايه وهذا أمر لا أقدر أفعله وهذا الذى أقوله يا ملك الزمان ما هو
خوفا منه ولا عجزا عنه ولكن خوفا من أن تتحدث عنى القبائل
فى كل شعب وواد وينسبونى الى الغدر والعناد ويقولون

حضر عند الملك العادل كسرى أنوشروان وأكل طعامه وبعد
ذا قتل رجلا من أعوانه وأصحابه ويذكر فى الناس يامولاى بالغدر
والفساد فقال له كسرى ياعبسى فكأنك اذا صارعته تقتله قال
نعم يامولاى لان الصراع نوع من أنواع الحرب والقراع ويحتاج
الى الالتصاق فى الضرب والطعان واذا أبصر الرجل اللبيب حال
الغلبة من خصمه تأخر وأما اذا كان أحمق وأنكر التقصير وكابر وحمل
نفسه مالا يطيق فيغتاظ خصمه منه فيعدمه التوفيق ويقطع
عليه الطريق ويقطع رأسه بالسيف العتيق الرقيق (قال
الراوى) فلما سمع الملك كسرى ذلك ضحك وعاد على رستم وقال له
اسمع منى ولا تصارع هذا الرجل فانه قد قال لى ما هو كذا وكذا فلا
تعارضه فانى أخاف عليك منه أن تغضب فيقتلك ويعجل عليك
وها أنت وشأنك أخبر فقال رستم يامولاى ان قتلنى فدمى له
حلال وأنا وحق النار لابد لى من مصارعته وان لم يفعل ذلك أساء
الأدب فى مجلسك وتقدمت اليه ولطمته قتلته وبعد ذلك أنت
الملك المحكم فى فقال كسرى من شدة ما اغاظه وما ناله اخلع ثيابك
وأنا أدعه أن يصارعك وأبيحه دمك فعند ذلك فرح رستم وهمهم
ودمدم وخلع ثيابه عن كتفين وهما أصلب من الحجر وصدر
كأنه مرمر هذا والملك كسرى قد أقبل على عنتر وقال له ياعبسى
اقبل منى هذه المسئلة وصارع هذا الرجل الذى قد دنا أجله
وتعب بنفسه وسوء عمله وان تحامق عليك عجل عطبه واقتله
ان أساء اليك وأنت برئ من دمه لانه وحق النار ان قدر عليك
قتلك فخذ حذرك منه فعند ذلك قام عنتر وهو يقول والله يامولاى
انه يشق على هذا الحال ولكننى لا أخالف لك أمرا وتقدم

الى

الى رستم وفى يده عود من الريحان وهو يتمايل غير مكترث بهذا الامر كأنه من الخمر نشوان وقد لعبت بأعطافه نشوة الخمر وعيناه تتوقد مثل الجمر وكان رستم قد تحزم وتشمر ولما نظر اليه رمى عود الريحان من يده وشمر عن ذراعيه واذا رأى ذيله فى منطقته وقد ناله من الغيظ أمر عنيد وصاح فى رستم يا نسل الاوغاد دونك والصراع والجلاد حتى ترى فعال عنتر بن شداد قال وكان رستم قد انحنى الى الارض كأنه القنطرة وهو غير مكترث بصراع عنتر لما يعرف نفسه وما هو فيه من القوة والشدة والبراعه فى الصراع والشجاعه قال الاصمعى باسناده وقد تقاربا الاثنين فى الصراع واعتركا فى ذلك الاتساع ومن شدة طمع رستم فى عنتر وحماقته هجم عليه وظن أن عنتر مثل غيره من الرجال ولما أن هجم على عنتر قبض على قوائمه وأراد أن يقلعه ويتعتعه ليهزه فوجده شجرة جوز لا يحول ولا يزول فعاد رستم يريد الخروج منه وقد ندم على فعاله ولم توافقه أعماله وكيف فعل بنفسه فى مبارزته لعنتر وأعماله ثم اقبل عليه وعاوده ثانيا ودخل فيه بكل المعانى فلم يزده فى تلك الامر توانى وكان عنتر فى ذلك الفن أصنع من ضرب الحسام الهندوانى فعند ذلك اخرج عنه وهو لا يصدق بالخلاص ولا بسلامة نفسه ثم انه هم أن يعود اليه دست ثالث واذا بثلاثة قد برزوا من تلك الطوائف وكان هؤلاى أولاد عم رستم وقد خافوا عليه من عنتر أن يبطش به فهجموا عليه فلم يأخذه منهم دهش ولا رعش بل بادر الى واحد منهم ولطمه على وجهه مال على قفاه ثم مال الى الثانى ولكمه فرماه وعاد الى الثالث ودخل فيه وشاله على رأسه وجلد به الارض رض عظامه رض وأدخل طوله فى العرض

وأخلط أضلاعه في بعضها البعض فلما نظر الملك كسرى الى ذلك تعجب وأقبل بكليته اليه وقال أحسنت يا أخا العرب وفارس بني عبس المنتخب أحسنت يا شير شاه الحق هذا الكلب يا بناء عمه ثم التفت الى الطائفة التي خرج امنها تلك الثلاثة وتواعدهم فماتوا من الخوف والفزع ثم ان عنتر قام الى رستم كأنه الاسد الى وقاربه وهاجمه ولازمه ومسكه من منطقته وزعق فيه أدهشه وأذهله وخبله وشاله حتى بان بياض ابطه وصار ملقا في الهوى على يده وأراد أن يحمله الى عند الملك كسرى ويحطه سالما بين يديه فتخبط رستم وأراد الخلاص من يده ولطم عنتر لطمة على صماخ اذنيه كاد أن يخلع رقبته ومن شدة ما جرى على عنتر من لطمته ضرب به الارض رض عظامه رض ولاخلاله طولا يعرف من عرض فمات لوقته وساعته فلما نظر أصحابه الى ذلك الامر فسلوا الخناجر وطلبوا عنتر ليقتلوه فصاح فيهم الموبذان وجميع الغلمان وأخرجوهم من البستان وهم يحملون رستم وقد عاد عنتر الى مكانه وقبل الارض قدام كسرى وقال يا مولاي لقد أساءت الادب يا ملك الزمان في مثل هذا المكان ولكن اسمع ما قال عنتر ابن شداد فصيح اللسان بعد الصلاة والسلام ولد عدنان

قضت المنية أن يموت قتيلا * ويعود منه ورامحي مذلولا
تبت يداك لقد علمت جهلة * وبها سلكت الى الفناء سبيلا
أما شهدت عيناك فعلي في الورى * والرمح يقرع في الاكف نصولا
والخيل قد نفرت وماج صهيلها * والفارس الصنديد راح مهولا
ولهول صرخاتي ووقع مضاربي * وعروض قرعي والجبان قتيلا
ولقد خشيت على فراق زمانه * حتى غدا منه القيام طويلا

يا أيها

28

يا أيها الملك الذى هو عادل * والمجد سيته استمع لى قيلا
واشهد على اسرافه فى فعله * حتى غدا فى دمه مجدولا
طلب الزيادة كى يعز بفعله * فتركته من بعد ذاك ذليلا
لو كان ذا أصل وطيبة مولد
لكان تبع الصواب ولا عصى لك قيلا
لكنه قد حان وقت مماته * وأتت به الاقدار نحوى ميلا
حكم الاله بفعله فى موته * وقضى بذاك على يدى نزولا
فاسلم ودم فى نعمة محروسة * طول الزمان عليك ليس تزولا

(قال الراوى) ففرح كسرى بذلك وقال له يا عبسى خصمك كان عليك باغ فنعم ما فعلت به فقال يا مولاى لو أردت قتله قبل رفعه من الارض لفعلت ذلك ولكن أردت ان أجله واضعه بين يديك سالما فأساء الادب فى الفعال والخطاب فما كان له عندى سوى القتل جواب فقال كسرى وحق النار لقد صدقت يا عبسى لانى لما زجرته فما انزجر لانه كان أجله قد حضر ثم عادوا الى ما كانوا فيه من الفرح والسرور وشرب كاسات الخمور حتى جن عليهم الظلام وحكم عليهم سلطان السكرى والمنام وتفرقت أكثر الناس فغمز الملك المنذر عنتر فقام ودعا الملك كسرى بالعز والدوام وقد انصرف وبين يديه الغلمان والخدام حتى أتى الى الدار التى جعلت برسمه ولما دخل تلقوه الجوار الروميات ومشين بين يديه الى أن جلس وجعلن يكبسن رجليه وبتن جميعا حواليه ولما أصبح الله تعالى بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح أتاه المؤذان الى باب الدار ووقف حتى ركب عنتر وخرج اليه وخدمه وقبل ركابه فشكره الوزير على فعله وكلامه وسأله عن مبيته هذا وقد ركب

الملك المنذر وسار الجميع وعنتر يقول للموبذان بالله يامولاى
أدخلنى الى بيوت النيران حتى أبصر وقيدها وأتحدث فى ديارى
بما شاهدت ولقيت من الشدائد والعجائب فقال له الموبذان
وقد تبسم وتعجب ياعبسى أنا ما يمكننى أدخل بك بيوت النيران
وأنت قد تهزئ بها الا ان كنت تشير لها بالسجود فقال عنتر يامولاى
اننى ما أدخل للنيران الا على نية زيارتها بقلب سليم لاننى أعلم انها
آية من آيات الرب القديم رب زمزم والحطيم وما أنا جاهل بهذا
الامر العظيم قال فلما سمع الموبذان من عنتر ذلك الكلام
عجب منه وتحير وسار به الى أن أدخله المعبد الاكبر فرأى رجالا
قياما وهم عراة الاجسام وفى أيديهم مقامع من حديد يقلبون
بها النيران ويزمزمون بكلام اليهود وطريقة المجوس ويتلون
مايقولونه بانغام تشفى النفوس وتسلب العقل المعكوس
وفى صدر المكان كبير خدام النيران وهو رجل كبير جالس على
طراحة من جلود الاسود وهو يومى ويقول بنود بنود كبود كبود
ويتردد ويشير ويومى لها بالسجود من دون رب البرية الخالق
الموجود وأنا وأنتم نقول لا اله الا الله الملك الحق المعبود فلما رأى
الموبذان ابتداه بالسلام والتحية والاكرام فرد عليه السلام
وكشف الموبذان رأسه ثم سجد للنيران ودار بها سبع مرات
فرأى ذلك عنتر ففعل مثل مافعل وقد حار عقله واندهل وفرح
الموبذان وقال أفلحت ياعبسى وأنجحت الآن وقد زاد قدرك
علوا ومابقى وحق النار ينصر عليك عدو أبدا ولا يلم بجسمك سوء
لاجل سجودك لهذه الانوار المكونة المكرمة فداوم على تعظيمها
كذا فى كل مكان تأمن من غير الزمان وطوارق الحدثان

وعثرات اللسان ويرتفع قدرك والشان فقال عنتر يا مولاى ومن أين لنا نار مثل هذه أنتم تضرمونها بقرامى العود الرطيب القمارى وحطب العسجد والطيب فيظهر لها هذا النور والعجيب ويفوح منها هذا النسيم الرطيب الذى يشفى العليل ونحن نضرم نارنا بيعر الجمال وقرامى حطب الغيلان ورؤس الاشجار فيعتكر لها دخان يدوخ الدماغ ويعمى العينان فضحك الموبذان من هذا الكلام وعلم ان العرب لا يعبدون الا الاصنام ثم عادوا بعد ما دار عنتر حول النار سبع مرار وقد جاش الشعر فى خاطره فباح بما فى ضمائره من الشعر والنظام فأنشد وجعل يقول

قرامى العود توقد باشتعالى * ووهج لهيبها فى الجو عالى
وطيب نسيمها أحيى فؤادى * اذا هبت بها ريح الشمالى
ونور ضيائها بالنور يحكى * لوجه عبيلة ذات الدلالى
وما طاب النسيم بها وأنى * لعبلة ما أقول من المقالى
الا يا نار عبلة لا تقلى وتقدى * فقلبى فى لهيب النار صالى
وشوقى زائد مما ألاقى * ودمعى جارى يحكى للآلى
ونومى زال عن عينى قتلى * برؤيا الطيف فى ظلم الليالى
وذكر عبلة فى وسط قلبى * يهيج نار كبدى باشتعالى
يطيب لى المقام بأرض قومى * فقبر اليد لا أحوى عقالى
ولا أهوى الغنى بدار بعد * ولو أن البلاد جميعها لى
ودخان العروق الخضر عندى * اذا ما فاح من بعر الجمالى
ألذ شذى من العود القمارى * وأضوا فى العيون من اللآلى
وما حب العلالى شاق قلبى * ولكن حب من سكن العلالى
أيا مولاى قد زاد اشتياقى * الى الاهلين جد لى بارتحالى

وخذ دستور من ملك البرايا * مليك عادل بالجد عالى
لانك أنت ذخرى واعتمادى * فكن لى راحما وانظر لحالى
فمالى فى الانام سواك عون * على قصدى فجد لى بالسؤالى
وعش وابق سليما رب ملك * مخلدلا بروع بالزوالى

قال الاصمعى فلما انشد عنتر هذه الابيات ومدح فيها الموبذان الى أن مال لها طرباواهتز عجبا وقال ياأبا الفوارس لقد جعلك الله أعجوبة الزمان وجوهرة هذا الوقت والاوان وقد حويت حسن الكلام والضرب بالحسام والصولة فى الحروب والضرب والصدام ثم خلع عليه ما كان عليه ووهبه لعنتر ثم خرجوا من المعبد الاكبر وعادوا الى الدار التى أعدت لعنتر ودخل عنتر والملك المنذر ومضى الموبذان الى بين يدى الملك كسرى وشرح له عبادة عنتر للنيران وكيف انه سجد لها وكيف مدحه بتلك الابيات الحسان التى لايحسن شاعر يعمل مثلها فى هذا الزمان وقد ذكر فى النظم شدة شوقه الى الاهل والاوطان وطلب العودة الى دياره حتى يبل شوقه من ابنة عمه عبلة ويقر قراره وتنطفى ناره فقال الملك كسرى أيها الوزير لاتلمه على ذلك فان المحبة تدب فى الاجساد مثل البياض فى السواد فان دبيبها يدب فى القلوب وقد قيل فى الزمان الاول فى المعنى حيث يقول

وقائلة ماذاوقوفك هاهنا * بعرصة دارقد روعك ذنبها
فقلت لها اقلى الملامة واقصرى * هوى كل نفس أين حل حبيبها

(قال الراوى) قال الملك كسرى أناقد سمحت بجميع مايحتاج اليه ولا أمن به عليه بل له المنة علينا فى قبوله وهذا عندى قليل فى مقابلة فعل الجميل ومامدحنا به من شعره ومقاله وقد

وهبت له جميع ماجاءبه البطريق من عند قيصر وقد أمرت صاحب بيت المال بالمال وصاحب بيت الكساوى بالكسوة ومايتعلق به من السيوف والحراب والرماح والدروع والزرد السابغات والجواشن والكازغندات والخود الدمشقيات والخيول والخدم والحشم والغلمان والفحول الخصيات وجميع الحوائج والمهمات وآلة الحرب على أتم الحالات وقد كتبت بها أوامر الى جميع الخزان والنواب بتسليم هذا كله اليه وما بقى العتب على وقد صار العتب من هذه الساعة عليك (قال الراوى) فلما سمع المؤبذان من الملك العادل كسرى ماشرحه من جزيل النعم ووسيع العطاء والكرم قبل الارض ولثم ودعا له بدوام الملك والنعم وخرج من ساعته واستدعى بصاحب خزنة الاموال وسأله عن ماأعطى الملك كسرى لعنتر من المال فقال والله يامولاى قد تقدم أمر الملك العادل بتسليم مائة ألف دينار كسروية ذهب باسم الملك العادل ومثلها باسم الملك قيصر ومثلها من الفضة وألف ثوب من الديباج ومن سائر الاصناف بنية الخلع على بنى عمه وألف ثوب منسوجة بالذهب الوهاج برسم ابنة عمه عبلة ومن سائر الحلى والحلل والاصناف كذلك وعشر سرادقات كبار ومايحتاج اليه من بسط وفرش وغير ذلك بصناديقها وبغالها ومائة عبد وخمسين مملوكا بلبوسها ولامتها وسلاحها وسيوفها ورماحها وجميع آلة حربها وكفاحها ولقد أعطا الملك كسرى لعنتر مالم يعطه أحد من الملوك من قبله ولا من بعده ففرح المؤبذان بذلك ثم أمر من ساعته لكل أحد بما رسم الملك كسرى فأتوا بالجميع وسار به المؤبذان وقال لعنتر اركب فركب وأخذ بسبب

الوداع فخرج وركب الغلمان خلفه وكان مقدم العبيد عبد اسمه ما يقال له أبو الموت وهو عبد طويل عريض شجيع وركب الخمسون مملوكا وسار الكل فى ركابه وهو فى موكب الى أن أتى الى خزائن الملك كسرى فقال له الموبذان يا عبسى قد أمر الملك أن تعرض عليك خزائن الاموال فمهما صلح لك أمدد يدك وخذه ولا تستحى فقال والله يا مولاى ما أنا الا قد نلت المراد وسر فؤادى بعطايا هذا الملك العادل الذى ليس له بين الملوك مماثل فقال له الموبذان لا بد أن تأخذ شيئا لاجل خاطر الملك فعند ذلك مد يده وأخذ لابنة عمه بدنة جوهر مفصلة بالياقوت الاحمر واللؤلؤ الكبار المدور وقال هذا النور عينى عبلى ولم يعلم بما أعطاه الملك العادل كسرى من الاموال والثياب المزهجة بالذهب والقلائد وقال عنتر للموبذان أنا يا مولاى قد طلبت من النار حاجة ولم أعلم هل تقضيها لى أم لا فقال له الموبذان وما هى الحاجة يا أبا الفوارس فقال يا سيدى قد طلبت منها العودة لى الديار لاهلى قريب من غير بطاء ولا تعريب فقال له الموبذان يا عنتر وما النار الا قد قبلت دعاك وغداة غد تسير الى أوطانك ونحن ما نلومك اذا طلبنا قربك وأنت تطلب البعاد لانك مسلوب الفؤاد قليل الرقاد كثير السهاد فقال والله يا مولاى بلادكم أحسن البلاد وأنتم أحسن العباد ولكن اذا كان شوق الانسان كل ساعة يزعجه وهبوب ريح الحبيب يروعه وقلبه ما هو معه ولا يعلم ما يضره ولا ينفعه فكيف يتبع من لا يتبعه ثم ان عنتر أن وبكى واشتكى وأنشد وجعل يقول

هاج الغرام ادر كؤس مدامى * فعسى تغيب النفس عن الآلام

ودع

ودع العواذل يطنبوا فى عذلهم * فلقد هويت اللوم من لوامى
بدنى الحبيب فان تناءت داره * عنى فلا أصغى الى الاحلام
فكأن من قد غاب جاء مواصلى * وكأننى أومى له بسلامى
زاد البعاد وأطنب الدهر الذى * مازال يمضنى بفرط سقامى
ولقد لقيت شدائد أو أوابدا * حتى التقيت بها وعزم مقامى
وقهرت أبطال الوغا حتى غدوا * جرحى وقتلى من فعال حسامى
وأنا الذى سجدت له جن الفلا * وخلقت موتا والقضاء أمامى
ماراعنى الا الفراق وجوره * والدهر والايام من خدامى
فلأصبرن على الحبيب ولو نأى * عنى وزاد مدى الزمان غرامى

(قال الراوى) فرق له قلب الموبذان وعلم أنه شديد الهيمان فأخذه ودخل به على كسرى وكان قد جلس ذلك اليوم فى الايوان فلما صار عنتر بين يديه سكع وخدم وباس الارض وسلم فرحب به كسرى وأدناه وقربه وحياه وضحك فى وجهه عند ملتقاه وسأله عن حاله وأحضر الخمر واسقاه الى أن أقبل الليل باعتكاره ولم يتركه كسرى يخرج من عنده تلك الليلة الى الصباح ولما أشرق الفجر ولاح حدث الملك بما ذكرنا من شوقه الى الاوطان فأذن له بالعودة وأخلع عليه وعاد المماليك والغلمان والخدام بين يديه ولما ان وصل الى مكانه ودخل الى الدار التى هى ذلك الوقت له قرار فتبادرت اليه الجوار وهنوه بما قد نال عند الملك كسرى من السعد والاقبال ولكن هو فى بحر الهوى غارق فتذكر الاهل والاوطان فانشد يقول هذه الابيات صلوا على صاحب المعجزات

جالت خيول ودادى بعد ابرامى * والشوق بين ضلوع والحشا نامى

لامت أناس عـــلى عشقى ولاعلموا
بأن منزل عشقى فى الهوى سـامى
وعدت من فرط مابى تابهاقلقا ✽ من الصبابة خلفى صارقدامى
ياعبل هـل نظرة تعفى بها كبدى ✽ من الغرام وتشفى باللقا اسقامى
ياعبـل كل شىء يروق لناظرى ✽ من بعد بعدك أويحون حامى
ياعبل قدطال الفراق فماالذى ✽ تختاره الايام من اعـدامى
ياعبل هل تدرين ما آناواجد ✽ من دمعة تنهـل فرط غرامى
وتزايد الشوق المبرح فى الحشا ✽ وتغير الصبر الجميـل النامى
رقى الصب نضجت أحشـاؤه ✽ صارت جذاذا من عظيم هيامى
انى ليحيينى الوداد عـلى اللقا ✽ وأصـد عن عذل وكثر ملامى

(قال الراوى) ومافرغ عنـتر من هـذه الابيات الاوقدوصلت تلك البغـال محمـلات والاموال الذى رسم بهـا الملك كسرى مع المماليك والجوارفقـال عنترلاموبذان يامولاى لمن هـذه الاموال والبغال فقـال لك ياعنتريا أبا الفوارس أعطاك اياهم الملك العادل كسرى وأنت عن ذلك غافل وبعدهذا تقدمت العبيد الى بين يديه والغلمان وبرزت الاحمـال والاموال وشدوها على البغـال وقوضوا الا لات وخيـام الارتحـال وحملت جميع الصناديق الذى فيها الخلع والاموال والملابس الفوال (قال الراوى) وكان للملك كسرى مرزبان يقـال له مهـروان وكان أخا خسروان الذى قتله عنتروهزم جيشه لما كان فى أسر الملك المنـذر فلمـا ان رأى عنتر وقد أخذ الاموال وقوض خيام الارتحال فتقـدم الى بين يدى الملك كسرى وقال أيها الملك العظيم الشان الرفيـع الذكـر والمكان ما الذى تقول عنك ملوك الزمان اذا أنت أطلقت هذا المـال لعبد

اسود حجام ليس له قدر ولا شان ولا له ذكر بين العربان وقد
قتل حاجبك خسروان وكسر جيشه وكانوا عشرين ألف عنان من
الاعاجم وعباد النيران وما تقول عنك الملوك الا انك خفت من
سيفه والسنان وربما يامع فيك قيصر ملك عبدة الصلبان وقد
قتل عندك بطريقه فى وسط الميدان وصار له عليك ثار فتنجر اليك
عساكره وهى تحاكى قطر الامطار والرأى عندى انك تأخذ
ما أعطيته من الاموال وتذيقه أنواع العذاب والنكال فلما سمع
الملك كسرى أنوشروان هذا المقال قال ويلك يا مهروان وما الذى
تقول عنى ملوك الزمان اذا قالوا كسرى أنوشروان أعطا الفارس
من الفرسان مال وأتحفه بالعطاء والافضال ورجع فيما أعطاه
من الاموال وجعله عنده فى الاسر والاعتقال فقال مهروان يا ملك
الزمان اذا كان قولك هذا المقال واذا كنت لم تفعل ذلك فاحضره
بين يديك وقل له يا عنتر اننى سمعت عنك من الملك المنذر أنك قتلت
أسد اقدامه وأنت مقيد الرجلين مطلوق اليدين فاذا قال لك نعم أيها
الملك ان هذا الذى سمعته عنى صحيح فقل له يا عبسى انى اشتهى أن
أتفرج على قتالك للاسد حتى يشهد لك بذلك كل أحد وأحضر له
الاسد الذى ربيته وسميته خميس فانه أسد عبوس وليث شروس
ولا يستطيع أحد من جيشك أن يقابله ولا يقف قدامه ولا يقاتله
فان هو قتله فيكون قد استحق هذه الاموال منك ويكون من
الشجعان الابطال وما يكون له فى هذا الزمان مثال وان كان
الاسد يحمل عليه ويقتله فتكون أنت قد حزت أموالك ورجعت
اليك رحالك وتعذرك الملوك بهذا السبب ولا يصير عليك فى ذلك
لوم ولا عتب (قال الراوى) فلما سمع الملك كسرى من المرزبان

هذا الكلام بقي متكبرا فرأى كلام المرزبان من الحسد فأمر الموبذان
أن يرد عنتر وأمره بالمهلة في الرحيل ويأمره بالحضور الى بين يديه
لاجل أمر قد عرض عليه فعندها أتى الموبذان لعنتر وأمره بالمهلة
في الرحيل وأن يحضر قدام الملك كسرى فقال سمعا وطاعه ثم أمر
العبيد بحط الرحال عن الجمال والبغال وسار مع الموبذان حتى
انه حضر بين يديه في الايوان ولما حضر بين يديه سلم وخدم
بعد ما سلم فأجلسه كسرى في مكانه الاول ولم يغير عليه شيء
مما فعله وقال له يا أبا الفوارس اعلم اني قد سمعت من الملك المنذر
بأنك قد قتلت قدامه أسدا وأنت مقيد الرجلين مطلوق اليدين
وأنا اشتهي انني أراك تبارز قدامي أسدا وقد ربيته صغيرا وهو
الآن قد صار أسدا كبيرا ما أحد من الفرسان يقابله ولا يقف
قدامه من شدة فعائله فقال عنتر يا مولاي وأنت لاجل أسد
رديتني والى قتل كلب من كلاب البراغيت تنفى وحق ذمة العرب
ما ظننت انك دعوتني الالامر عظيم أو خطب جسيم أو جيش
كبير أو جحفل غزير وبعد هذا دونك أيها الملك وما طلبت
فانني به ملي وبقتاله وفي قال فعند ذلك أمر الملك كسرى باحضار
الاسد فمضت الغلمان وغابوا ساعة وعادوا وأقبل عشرة وهم
ماسكون بجنزير وكل خمسة من جانب وهم سايرون الى أن وصلوا
الى الايوان قدام الملك كسرى انوشروان صاحب التخت والايوان
الكثير العطايا والاحسان وهم يجرون أسدا كأنه الثور
طويل قد جلله الوبر وهو يمشي ويتبختر ويطير من عينيه الشرر
وله أنياب أحد من النوائب ومخاليب أشد من المصائب وهو أسد
شدوق شدقم عبوس ضيغم أفطس أدغم اذا همجهم وهو

اسود كالليل اذا أظلم وأعتم كأنه القضاء المبرم بشدق كأنه القليب وأنياب كأنها الكلاليب وهو كما قال فيه الشاعر اللبيب حيث يقول

وليث عبوس تصدع القلوب ونبته
وترعد الابطال من عظم ضرخته
شدوق تراه كالقليب محاجره * كشعلة نار في الدياجي وظلمته
وأنيابه مثل الكلاليب ان بدت * تروع قلوب الناظرين لرؤيته
اذا رأته الخيل ولت شواردا * الى القاع تهوى من تعاظم سطوته

قال الاصمعي ولما أقبلت به الغلمان ووقفوا به قدام الايوان وهو يهمز ويكفهر وحسه كأنه الرعد القاصف فلما رآه كسرى أشار الى عنتر وقال له ياشاه تازيان أريدك تبارزلي هذا الاسد الغضبان ولا تخالف قولي ياسيد الفرسان فقال سمعا وطاعة لك ياملك الزمان ثم انه أدار اذياله في دور منطقته وأخذ في يده اليسرى جحفته وبيده اليمنى سيفه الضامي وقد دارت في رأسه نخوته وتذكر ابنة عمه عبلة فانشد يقول

يا ليث أثبت لا تكون فزوعا * واحمل على فلست منك مروعا
واهجم على فانني لا أنثني * عن قتل مثلك لم أكون هلوعا
ان كنت تزعم ان وجهك عابس * فأنا العبوس ولم أكون شنيعا
واليوم تضحى في الفلاة مجندلا * وتخر في هذا المكان صريعا
انا عنتر العبسي والبطل الذي * ذكره على فوق السماك رفيعا
فلاضربنك ضربة تبقى بها * فوق التراب مضعضعا تضعيعا

(قال الراوي) وهو الاصمعي المؤلف لهذا الكلام فلما رأى الملك كسرى الى عنتر وقد قال هذه الابيات علم أنه فارس لا يخاف

السباع ولا يخشى صولة الشجاع فأمر الغلمان أن يطلقوا الاسد من السلاسل الى ذلك البطل الجلاجل الذى ليس له مماثل حتى انا نرى كيف يفعل به فعندها أطلقوه من تلك الجنازير وهو فى قدر الفيل الكبير (قال الراوى) ولما رأى عنتر أنهم أطلقوه دنا منه وزعق فيه وزمجر وبين يديه قد ظهر فلما عاينه الاسد وقد أقبل اليه وقد صمم بسيفه عليه فاجتمع حتى صار كثلثيه وامتد حتى صار كمثليه وهدر وزمجر وقفز على عنتر فعندها التقاه عنتر وفى يده حسامه الضامى الابتر وحاوله محاولة الاسد الليث الغضنفر فمع وثبة الاسد ضربه عنتر ضربة بالضامى الابتر بين عينيه طلع الحسام من بين فخذيه فوقع على الارض قطعتين وصار فى وسط ذلك الايوان جزءين وصار ممددا ومافى بطنه تبدد وصاح عنتر يا للعرب العربا السادات النجبا أهل الكرم والرتب وحاد عنه فصاح كسرى من عجبه أحسنت يا فارس الاقطار أنت حقيق شاه تازيان وشيرشاه يعنى ملك العرب وسبع أسود وحق النار والنور ثم انه ناداه الى بين يديه فأقبل عنتر عليه وقبل الارض قدامه فشكره وأثنى عليه وأخلع عليه كل ما كان لابسه على جسده من الملبوس أفرغه عليه ثم انه قد أقسم بشعاع الشمس لابد من قتل المرزبان مهروان ويأخذ جميع ماله من الاموال والنوال والجوار الحسان والغلمان والمال والملابس الغوال فعند ذلك ضربت رقبة المرزبان وسلبت نعمته ونواله وخيله وجماله وعبيده وغلمانه وجواره ولقى بغيه وأعماله ومضت لياليه وأيامه وسائر أحواله (قال الراوى) ثم ان كسرى قال لعنتر يا فارس بنى عبس اعلم أن هذا المرزبان

34

أشار علينا ان نقتلك ونأخذ جميع ما أعطيناك من الاموال وأشار علينا بسوء الحال وشوم الفعال ونحن قد عرفناك بالعدل والاحسان فى سائر البلدان فاشتهيت ان أقلده بغيه والان قد رجع عليه وصار اليه وكان رزقه نعمة أنعمت بها النار عليك فخذ الآن جميع ماله وأرحل الى ديارك ولا تقطع عنا زيارتك ولا اخبارك (قال الراوى) فعندها نهض عنتر وباس الارض هذا وقد أمر كسرى لاجناده بالركوب لاجل وداع عنتر وسار الملك المنذر وقد فرح بما وصل لعنتر من أموال قيصر ملك الروم وبما أعطاه الملك كسرى وباخذ أموال المرزبان مهروان وبعلو العرب على العجم وبما وصل الى عنتر من جزيل النعم وخرج له الموبذان وكسرى لوداع عنتر وكل من فى المدائن من الاجناد والوزراء والحجاب وساروا معه الى أن أبعدوا عن الديار وانتشروا فى الفلاه حتى ملؤا الاقطار فعند ذلك ترجل عنتر بن شداد عن ظهر الجواد وقد نظره الخلائق والاجناد وتقدم وقبل رجل كسرى فى الركاب وقد فرحت بفعاله جميع من معه من الاصحاب وأنشد وجعل يقول هذه الابيات صلوا على سيد السادات

أنت المليك الذى ما مثله ملك * وجوده شاع بين السهل والجبل

أغنيتنى بالمال والانعام ياسندى

ومن عطاك يحاكى الوابل المطل

أنت الرجا لجميع القاصدين اذا * أصبحت فى العسر والاقتار والحل

أوليتنى نعما لم احصى لها عــــددا

من بعد ما كنت بين الخوف والوجل

عدت بالمال والانعام فى سعة * من جود كفيك يا سؤلى ويا أملى
وأنت الذى خضعت كل الملوك له * مع الجبابرة العظماء والاول
يا من غدا فى ذرى العلياء منتصبا * عـــلى قلة الجوزاء والحمل
فابق ودم فى سرور دائماً أبدا * ما غردت أيكة فى دوحها الخطل

(قال الراوى) لهذه السيرة فلما سمع كسرى هذه الابيات وهذا المقال والنظام من عنتر زالت عنه الاتراح وحلت بقلبه الافراح والمسرات وزالت همومه والحسرات ثم انحنا اليه واوما عليه وأدناه اليه وقال له وحق من غرب الغرب وشرق الشرق ان عطاءنا ينفذ ومدحك الينابيق فعند ذلك قبل عنتر يده وأسافل رجليه وشكره وأثنى عليه ثم ودعه كسرى وسأله أن يعود اليه كل سنة ويزوره ولا ينقطع عن بلاده فى كل عام ولا يغفل عن انفاذ كتبه والسلام عليه ثم رجع كسرى وسار عنتر طالب بلاده وأحبابه وأهل وداده صحبة الملك المنذر وقد دارت به العبيد والخدام وفى أوائل العبيد عبد همام فناداه عنتر وقال له ما اسمك فقال يا مولاى اسمى أبو الموت وكنيتى جالب الافات فقال له عنتر كن مقدما على العبيد ورباك من أبغالك ورجالك فانك عندى لا تضام فقبل يد عنتر ومضى الى خدمته والمماليك بالسلاح الكامل على الخيول العربية وهم سائرون يقطعون الربا والاكام ليالى وأيام وعنتر مشاغل نفسه بالاشعار ويتذكر الطلول والديار وهو ينشد ويقول هذه الابيات ونحن وأنتم نصلى على سيد السادات

هل من معينى على زمان عادى * ما يرى لى فى الدهر من اسعادى
عبس الدهر بى الى أن عدا بى * كل سقم ألم فى اجسادى

وسلكت

وسلكت القفار فرداً وحيداً * بين غيلانها فى البر والاسادى
ذاك من حر لوعة فى فؤادى * أججت فى الحشا غليل الاصادى
واقتراب الحياة منى تدانت * مذنح الزمان فى ابعادى
يانسيم الحجاز بلغ سلامى * لعريب ببطن ذاك الوادى
وتلطف فى ذكر وصف هيامى * وغرام ما أن له من تفادى
واشتياق ولوعة وزفير * وعيون لم تكتحل برقادى
واتراح عن الحبيب ووجد * ووداد أكرم به من ودادى

(قال الراوى) هذا والملك المنذر يشاغله بالحديث والاشعار ويحكى له على غرايب الاسمار حتى وصلوا الى الحيرة فخرج أولاد الملك المنذر الى لقائهم وخرج معهم الخاص والعام ودخل الملك المنذر المدينة فى يوم مشهود بعد من الاعمار والعرب قد حارت من تلك الاموال التى لا تعد ولا توصف ونظروا الى العمارية الفضة والخدم والعبيد والاماء والبغال والجوار والمماليك الراكبة سدمن بولاد وقائد بن الجنائب العربيات بجلالات ابريسمية كسرويات وأبو الموت مقدم العبيد كأنه النمر الادعر أو الاسد الغضنفر فانبهر الناس بما رأوا ورجعوا من الخيام مع الملك المنذر الى أن دخل القصر وجلس فى دار مملكته ومحل عزه وقد أخلى لعنتر دارا واسعة رحبة وأمره بالدخول فيها فأبى وقال يا ملك العرب وحياتك ما بقيت أقدر على المقام أكثر من ثلاثة أيام (قال الراوى) ثم أمر عنتر لغلمانه أن ينصبوا له الخيام فنصبوها وأركزوا الاعلام ونصبوا له السرادق الاحمر الكبير فخرج كل من فى مدينة الحيرة وأرض النجف يتفرجون على خيام عنتر وسرادقاته ثم ان المنذر اصطنع وليمة عظيمه حسنة جسيمه واستدعا بعنتر اليها فضى

اليه فرآه قد نحر الفصلان والنوق السمان ولحوم الضان وروق المدام فأخذ الناس فى اللهو والطرب والفرح ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع طلب عنتر الرحيل فأجابه الملك المنذر الى ذلك وقد علم بما فى قلبه وأمر له بألف ناقة من النوق العصافير محملة من هدايا العراق وطرايف الآفاق ووهب له خمسين جنيبا من جنايب الملك من أفخر الخيول العتاق ومائة عبد ومائة جمل محملة صناديق ومائة جارية ومائة عبد أجلاد معتودين بالجلاد فبقى مع الامير بدر الدوله عنتر بن شداد مائتين عبدا صنديدا أسود من كل فحل أمجد معتودين بالحرب والطعن والضرب والمماليك على خيولها برماحها وسيوفها وهم بالسلاح الكامل (قال الراوى) ولما أراد عنتر الرحيل قال له الملك المنذر يا أبا الفوارس خذ معك رجالا من عسكرى ولو مائة فارس يسيرون معك الى قومك حتى انهم يوصلوك اليهم ويعودون فقال عنتر يا ملك الزمان أيش هذا المقال مثلى لا يحتاج الى غفير ولو مالت على الجبال فى صور الرجال ثم انه شكره وخدمه وودعه ولم يدعه يسير من الحيرة كما سار كسرى معه بل قال يا مولاى ما أعد هذا الانعام الذى وصل الى الا منك ومن نعمتك وما انا الا من بعض خدمك لانك أطلقت لما أسرت وعفوت لما قدرت وجدت بالاموال وتكرمت فلازالت سيوفك مسلوله وأموالك لقاصدين مبذوله ثم انه قبل الارض وأخذ يشير اليه ويمدحه ويقول صلوا على الرسول

يا أيها الملك العظيم الاكبر * أجزم فما أحد بفخرك يفخر
الجود يجمعه ثناؤك والندا * كفا يفيض بها وكفا يخبر

هذا

هذا وكم من كربة فرجتها * زالت عجاجتها وجهك مسفر
فيض العطا من كفه متدافق * وترى أنامله تفيض وتقطر
حسن القراع سيوفه مسلولة * كالبرق تلمع فى الظلام العاكر
لا مقصرا مما يريد من العلا * والناس فيها عالى ومقصر
جود العطا من كفه متدفق * والسحب من بعض الاماكن تمطر
أعطيت من مولاك كل فضيلة * وقهرت كل غضنفر ومقسور
قصرت مساعى الناس دون محله * والمجد حشو بنانه والخنصر
حاز المناقب والفضائل والعلا * والبأس والجود المليك المنذر

(قال الراوى) فلما سمع الملك المنذر كلامه قال واعجبا من هذا الرجل كلما قلنا اننا جازيناه ببعض ما أولانا رجع بفضله علينا ومقاله وغمرنا بفعاله وقد بنى لنا منزلة شريفة بمدحه ونثره ونظامه وملأت جميع الاقطار بطيب كلامه ثم ان الملك المنذر ترجل عن جواده وسلمه اليه وخلع أثوابه وأفرغها عليه وودعه وعاد الملك المنذر الى الحيرة وسار عنتر والعبيد بين يديه يسوقون الاموال والنوق والجمال والخيل والبغال وهو فرحان ببلوغ الامال مع اقتداره على الاعداء الانذال الا أنه قد أسقمه الى علة الاشتياق واستقبل أرض الحجاز من أرض العراق وقد استنشق أرياح العلم السعدى وأرض الشربه وتلك النواح فبكى وأن واشتكى وحن ثم انه ناح وبسره باح فجرت دموعه غدران فتمنى أن ينظر الى الاحياء لما هبت عليه الرياح من الناحية فباح بما فى قلبه بعد أن فاض وساح على خديه فانشد يقول هذه الابيات صلوا على سيد السادات

نسيم ربا أرض الشربة أحيانى * وأحيا فؤادى أم نسيم من البان
وهاتيك نار أوقدت لعبيلة * أم البرق من اطلالها يتغشان
فيا دارها لازال ربعك آنسا * بأترابها مع الجيران
ترى سهرت عينا كى يا عبل ليلة * كما سهرت من أجل بعدك أجفانى
وأشجاك فى الاسحار نوح حمائم * فهن بأصوات وترجيع أشجانى
ترحلت عنك لا ملال ولا قلى * ولكن بغاعمى على واقصانى
رمانى الى بحر المنايا فخضته * بأبيض ماضى الشفرتين يمانى
ضربت به عنق الزمان فارجفت * صروف الليالى طارق الحدثان
ضربت به عنقا لحاجبهم ضحى * ولم أختشى من صاحب الايوان
ولاقيت فى أرض العراق فوارسا * تعد اذا اشتد اللقا بفرسانى
وأجلسنى سعدى مكانا من العلا * تقصر عن ادراكه العربان
وعدت بمال الكسروى وقيصر * ونوق وأجمال وخيل وغلمان
وعند وصول الحى تبكى حواسدى
كما ضحكت يوما وشيبوب ينعان
هموا طلبوا بالغدر قتلى وما دروا * بان المنايا صارمى وسنانى

(قال الراوى) وجد عنتر فى المسير يقطع الروابى والمناهل والقفار ويطلب المنازل والديار الى أن توسط الطريق فوصل الى أرض يقال لها ذات المناهل وكانت أرضا كثيرة العيون والجداول مخضرة الجنبات طيبة رباها وفيها الوحوش كثيرة آمنة من سالك أو عابر وكان عنتر اذا قرب من منزل يوصى العبيد بحفظ الاموال ويتقدم الى المنزل هو بنفسه يكشف الاحيا والمناهل ولربما يكون أحد مكمنا والعبد أبو الموت يعرف الطرقات وهو شيطان مارق ثم يقف حتى تصل اليه الاموال وكان يفعل هذا

مخافة من العدو ولما وصل الى ذلك المكان الذى هو ذات المناهل كما ذكرنا فسار عنتر حكم ما جرت به العاده يكشف المكان حتى انه ينزل فيه الاموال واذا هو بخمس عبيد من العبيد الذى للعرب وهم نزول فى ذلك المكان ومعهم هودج على رأسه هلال من الذهب الاحمر ومن داخله شخص يبكي ويتحسر وينادى من قلب جريح ويلاه واذلاه بعدك ياعنتر واقلة ناصرى ووحدتى فى هذا البر الاقفر قد غابت أسود الغاب وتحكمت الكلاب فلا عاشت بعدك ذوى الاحساب كمثل عمارة النذل من سمى الوهاب ياذل الحريم بعدك يابن العم وقدر علينا الغريم وحل بابى واخى البلاء والتدمير ببغيهم على وعلى الحسير القتيل الذاهب ذهاب ابناء السبيل ثم أنشدت تقول

أين عيناك يافارس الثقلان * ان ترانى فى ذلة الخذلان
مع أناس لا يحفظون ذماما * لا ولا يرحمون للرحمن
أنت لا كنت للزمان خؤنا * غادرا فيه ولا سقيت المرانى
موتى خير من زمن قد جاف * فيه عذلى وزاد هوانى
طول الله مدتى بعد فحل * كان يحمى الديار والنسوان
فسقا الله قبره صوب غيث * هاطلا هطلا مدا الازمان
فلقد كان فارسا يقهر الاسد * ويفنى الابطال فى الميدان

(قال الراوى) فقال لها العبيد ويلك يا لخنا وكان فارسك الذى تزعمينه حيا لكان يهلكه طارقة الليالى وآفة الزمان وترى ما يصنع به من الاهوال فاسكتى وقرى والا هلكتى قال فلما سمع عنتر هذا الشعر والنظام قلق قلبه وهام وأخذه الوجد والغرام وتقدم وقال للعبيد ياويلكم لمن هذه الخيام ومن هو الذى يريد النزول

في هذا المقام من العرب الكرام ومن هذه الجارية التي تبكي وتحسر وتنادي باسم عنتر فقال له بعض العبيد ولم يرفع رأسه اليه اغد يا وجه العرب ودع عنك الفضول ولا تسال عن شيء لا يعنيك والا اصبحت مقتولا فسر واوسع في هذه القيعان قبل ما يأتيك طارقة الزمان ويشرف عليك ويأسرك ويضيفك الى من هو معه مأسور امن الفرسان الذين هم سادات عبس وعدنان فخفق فؤاد عنتر من هذا الخبر وبقي في هم ونكد وفكر وقهر شديدوهم ان يجرد حسامه ويهوى به الى العبد الذي يكلمه واذا بسجاف الهودج قد انفك وارتفع وظهر من تحته جارية تخجل الشمس والقمر اذا طلع وهي تنادي يا ابن العم وانت على قيد الحياة وفي عداد الاحياء وانا في ايدي الاعداء واقاسي الهم والبلاء ثم رمت روحها من الهودج الى الارض وهمت ان تقوم وتتعلق بركابه فلم تقدر وغشي عليها من شدة نيران الجوى فتأملها عنتر واذا هي ابنة عمه عبلة فصاح بها من عظم ما به والذي اصابه من النوائب واويلاه يا ابنة العم ما هذه المصايب ومن الذي اتى بك الى هذه البيدا ومن اين وصل اليك هؤلاء العبيد بني الاماء واولاد اللئام ثم انه هم ان يترجل اليها واذا بالعبيد الذي كانوا معها قد عادوا الى ظهور الخيل وصاحوا عليه فلما رآهم همهم ودمدم فلحقه العبيد ومدوا اليه رماحهم فدعنتر اليهم سنان رمحه واستقبل الاول منهم بطعنة في صدره مرقت تلمع من ظهره واعتمد الآخر بطعنة في جانبه فاقلبه والتفت الى الباقي ولما رأى الثلاثة العبيد الاخر الى هذا الطعن المنكر عادوا على اعقابهم وطلبوا رؤس الروابي والشعاب وهم لا يلوون على طريق ولا يصدقون بالنجاة

فرجع

فرجع عنهم عنتر ولم يتبعهم وهو كأنه الاسد القسور والليث الغضنفر لان قلبه متعلق بابنة عمه عبلة ويريد أن يسمع كلامها وما الذي أوقعها في هذه البراري والقيعان وما السبب في وصولها الى هذا المكان (قال الراوي) وكان السبب في هذا الامر حديث عجيب وأمر مطرب غريب يجب ان نسوقه على الترتيب وتسمع من يصلي على الحبيب وذلك أن شيبوب لما رجع سالماً من بني شيبان وجزم بأن أخاه عنتر قد سكن رمسه بين الشجعان والفرسان وكان قد كبا به الجواد ونجا هو بنفسه في كل شعب وواد فسار وهو يندب الليل والنهار عند الغروب والشروق وطلوع الشمس حتى وصل الى ديار بني عبس ونعاه في الاحياء وقد كشف رأسه وشق لباسه فارتفع البكاء وتبادر اليه الرجال والنساء والعبيد والاماء وسألوه عن ماتم وجرى فأخبرهم كيف انه ترك أخاه مرمى في اقطار الارض والفلا بعدما كان قد بلغ مناه وأخذ النوق العصافير وفاز بملك الملك الكبير وتبعته الخيل في عدد لا يحصى له مدد وكبا به الجواد كما ذكرنا فلما سمعوا بذلك وشاع في بني عبس الخبر شق شداد ثيابه وبكى ورمى مضاربه وقبابه وكذلك فعلت اخوته زخمة الجواد مثل فعاله وكذلك فعل أحباب عنتر منهم مالك بن الملك زهير والحارث أخوه واجتمع الكل عند شداد ومزقوا الثياب والجلباب ورموا عمايمهم وتباكوا وتناحبوا وصاحوا وقالوا واذل بني عبس بعدك يا فارس الزمان والعصر والاوان وأقام شداد يرثي ولده عنتر الفارس الغضنفر وهو عليه يبكي ويتحسر ثم انه أنشد يقول هذه الابيات صلوا على سيد السادات

حل المصاب وفي الفؤاد رسيسا * لرزية قدمت وحل البوسا
فقد الشجاع القيل عنتر بالما * من نكبة وفجيعة وعكوسا
ها قد مضى فلكم أسال مدامعا * حزنا عليه وكم اذاب نفوسا
يا سفرة في ساعة مذمومة * ما كان أشنعها عليه عروسا
أسفي على من غاب منا في الثرى * غدا رهين جنادل مو روسا
بكت السماء لفقده ولعدمه * دما وأصبح عيشها مـبوسا
هوت النجوم الزهر عند مصابه * والافق أظلم وانكسفن شموسا
والبدر منخسف غدا في لجة * حزنا عليه وقد أمسى يلاقي بوسا
خلت المواكب والمجالس من فتى * عبس وفارق ربعه المأنوسا
يا آل عبس قد فقدتم فارسا * كم قد فنا جمعا وفك حبوسا
يردي الفوارس عند مشتبك القنا * قد كان في حد المصاب عبوسا
قد كان ليثا في الحروب غضنفرا * حامي العشيرة فارسا عمر وسا
ويل لعبس سوف تلقى بعده * ذلا وتنهبها الليوث الشوسا
قد طال ما صان الحريم من العدا * من بعد ما ترك الديار هموس
أرداهموا بسنانه وحسامه * وسقاهم بالسمهري كؤسا
فلا بكين عليه ما هب الصبا * بمدامع تجري وتروي العيسا

قال الاصمعي ولما سمع ذلك الامير مالك ابن الملك زهير جرى على قلبه مالم يجر على قلب أحد من البشر وفاض دمعه وانحدر وكذلك الحارث ابن الملك زهير وكل منهما رثاه بقصيدة ثم ان الامير مالك ابن الملك زهير طلب مضارب أبيه وهو ما في الاقدام ونعى اليه عنتر ابن شداد ودموعه بانسجام فدق بيد على يد وأنفذ خلف شيبوب واستعاد منه الحديث فقال لقد كانت عبله ميشومه على عنتر وعلى بني عبس الآخر ولقد عمهم شر الادنى

والاقصى

والاقصى ثم قال وأين مالك أبو عبلة وأراد أن يقابله على ما فعل مع عنتر فقالوا له يا ملك هو وولده غائبان عن الاحياء وما فى بيوتهما غير النساء وقد جرى عليهم من الهم والحزن والكمد ما لم يجر على قلب أحد وكان الذى أخبره بذلك صادق لان عبلة لما أن خلى لها المكان هتكت ستر الاحتشام ونشرت ذوائبها على اكتافها كأنها حنادس الظلام ولطمت بين أترابها وعجب من فعالها جميع الحضار وهتكت لاجل عنتر ابن عمها ستر الخباء وصار الناس منها فى عجب وكان أبوها وأخوها قد كثر عليهم الكلام فى الحى وصار محبون عنتر اذا رأوهم يلومونهم على ما فعلوا ويقولون لهم انكم قصرتم فى عنتر حامى العشيرة ورميتموه فى بحر الهلاك والهوان وتركتم قبائل العرب تأكلنا وتخطفنا من كل جانب ومكان وحق اللات والعزى لئن قتل وتمكنت منه العدا لا أبقينا من أعدائه فى الحى أحدا أبدا وكان شداد قد أسمع أخيه مالك غليظ الكلام أيضا وهجره وأبعده ولم يعد يسلم عليه ولا يسأله من حين غاب ولده عنتر وقال له يا مالك كان لنا ولك يد انصول بها على حوادث الزمان فقطعتها وعدمت منها البنان ولكن سوف تعلم اذا اشتبكت القنا من يخلص ابنتك ومن يمنع عنها الشر القادم ويدفع فلما رأى مالك ذلك أراد أن يقطع الزمان فى القفار والقيعان ولا يرجع يعود الى الحلة ويقيم فى الذل والهوان فخرج هو وولده وهما بسلاحهما وقد أخذ معهما جماعة من الحى نحو خمسة عشر فارسا وساروا حتى انهم يكسبون لهم شيأ من بعض احياء العرب وكان الزمان هجيرا وحره شديد فساروا يقطعون البر والفلا حتى وصلوا الى أول أراضى بنى كنانة وابلوا بيوم لا يقدر أن يلتقى

الصاحب صاحبه من شدة الهجير والحر والزفير وهبت عليهم نسائم السمائم من سائر الجنبات وتلهبت الاحجار واتسعت فى أعينهم الطرقات وأعوزهم الما واشتدبهم الظما وزادبهم العطش واعتراهم الدهش والقت الشمس حرهاعلى الاكام وازرقت وجوههم والشفاه وأيقنوا بالتلاف والوفاه فعندذلك قال مالك لولده عمر وياولدى قدأضر بنا الظما وقداعترانا العطش وحل بنا الدهش فحرك جوادك لانه كريم ومافى خيلنا أجود منه ومافيها أصبرمنه وانزل الى هذا الوادى الذى عن يمينك فعساك أن تقع لنافيه بمنهل وتعود الينا على عجل والا هلكنا ودنامنا الاجل فعندها حرك عمر وجواده وهمزه ونزل به الى ذلك الوادى وسارالى أن توسطه واذا بارض متسعة ومرج حاومن كل الازهار وطيوره ناطقات وعيونه نابعات وفيه من سائر الالوان أزهار وأشجار عليها من سائر الاثمار وقد تجاوبت على أغصان الاشجار سائر الاطيار من شحرور وبلبل كما قال فيه الشاعر

انظر الى حسن لون زاهر بهج ❊ وصوت نغمة ذاك الطير منفرج
مابين زهر ونوار و بينهما ❊ فواكه فقت فى منظر بهج
والعين والقلب يرتاحان نظرته ❊ به يعود انقباض النفس للفرج
والطير يظهر من أصواتها ❊ نغم وكل نوع على أشجانه يهج
من هزار وشحرور وفاختة ❊ تلهيك شجواعن الاتراب والفرج
والارض قد كسيت اثوابا ملونة ❊ كأنها حلل الوشى منتسج
فاطرب وأعجب ودع عينك فى نظر ❊ تربح همك والاشواق تبتهج
وخذ نصيبك ما الاوقات دائمة ❊ ولا الزمان يباق غير منزعج

وكن لطيفا كريما الينا فطنا * تحظى بعيش رخيص السوم مبتهج

(قال الراوى) ورأى عمرو بجانب النهر بيتا من شعر مضروب ورواقا منصوبا ورمحا على باب المضرب مركوزا وفرسا معدودا مسرجا ملجوما فلما رأى عمرو ذلك خاف أن ينزل الى الماء فوقف ينظر الى الماء والخباء وأطال نظره واذا فى باب الخباء امرأة عجوز تامة الطول بوجه واسع كأنه دائرة الترس الواسع بشعر أبيض ثم انها صاحت بعمرو وقالت له ياويلك ما الذى أتى بك الى هذا المكان وأوقفك على مسكن الاسد الغضبان يا قرنان وابن ألف قرنان فقال لها عمرو اعلمى يا أم الفرسان اننى قادنى الظماء وطلبت هذا الماء وشم الهواء فمن أى الناس أنتم وكيف اتخذتم هذا المكان مسكنا وفيه نزلتم وجعلتموه لكم وطنا فقالت له العجوز ياغلام اما نسبتنا فنحن من بنى كنانه أهل الصدق والوفاء والامانه وأما مقامنا فى هذا الموضع فان الاسود لا تسكن الا فى الدحال ونحن كذلك على هذا الحال مقيمون بين الشعاب والاوغال فبينما هى تتكلم مع عمرو وتخاطبه واذا قد خرج من داخل الخباء غلام طويل فى تقاطيع الفيل كبير الرأس شديد الباس عظيم الهيكل تلوح الشجاعة من بين عينيه وتشهد له الفروسية لا تشهد عليه وكان هذا الفارس يقال له واقد بن مسعرة الكنانى وكان غضبان على قومه وبنى عمه وقد نزل فى هذا المكان وأمه صحبته ولما أن خرج وأبصر عمرو وهو واقف مع أمه يخاطبها وتخاطبه فغضب وقدح من عينيه الشرر وزعق عليه بصوت مزعج يصدع الحجر وقال له ويلك من أى الناس تكون أنت يا من هو كأنه مجنون أخبرنى وعجل واقتصر فى الكلام قبل أن أعدمك حسك

واسكنك رمسك فعندها قال له عمرو وقد صارت عيناه مثل الجمر يافتى تأدب فى المقال ولا تحتقر بالابطال ولا تستهون بالرجال فأنا من بنى عبس الكرام الفرسان الذى تسميهم العرب ابطال المنايا والموت الزوام (قال الراوى) فلما سمع واقد ذلك زاد به غيظه وحمقه ونادى اسكت يا ابن ألف قرنان ويا ابن الاما ويا ولد الزنا وحق اللات والعزى لقد انتسبت الى قوم غير كرام الذين قد أدخلوا العبيد فى أحسابهم فاى فخر لكم بذكر انزل وسلم سلاحك ونفسك قبل أن يحل بك الهوان فقال عمرو وحقيق انه عاب نسبنا بذكر عنتر لما صار ابن عمى ان هذا الرجل قد صدق ولكن لابد ما أمحو عن نفسى ذلك بالحسام ثم رأى واقد قد ركب جواده بعد الكلام وأستلب رمحه وهزه وجرب الحسام وطلب عمرا مثل الاسد الضرغام وانقض عليه كالبلاء المبرم وخطفه من سرجه خطفة النسر القشم وحذفه من يده الى ورائه فعند ذلك شدته العجوز كتاف وقرت منه السواعد والاطراف فابطاه خبره عن أبيه وساء ظنه فيه وركض فى طلبه وبنو عبس خلفه تطرد الخيل الى أن أشرفوا على المرج المقدم ذكره فرأوا الشاب واقفا على جواده وعمرو بأن فى شداده فصاح مالك آه واولداه ثم حمل على واقد من شدة ما دهاه وواقد قد انقلبت فى أم رأسه عيناه واشتد حنقه وبلاه واستقبل مالكا استقبال الارض العطشانة أوائل المطر وصرخ فيه صرخة تفلق الحجر وطعنه بعقب الرمح فى صدره أقلبه على ظهره وغاص بعد ذلك فى الخيل فأنزل بركابها الويل وما أتى آخر النهار حتى قتل خمسة وطرح على الارض سبعة مجرحين وبقوا ثلاثة فسلموا انفوسهم اليه لما رأوا

الموت

الموت الاحمر بين يديه فشدهم كلهم بالكتاف وهم قد أشرفوا على التلاف وعاد وهو مسرور الفؤاد بفعاله فتحركت عنده النخوة العربية فانشد يقول هذه الابيات

اذا ذل في يوم الوغا كل سيد * حميت حريمي بالحسام المهند
فعال غلام يلتقي كل نكبة * ويعلم أن المرء غير مخلد
ويلبس من حر الهجير ملابسا * ويطرق تحت الخيل والجو أسود
سلي عبس عني يا أميمة واعلمي * فعالي بهم وأثني على طيب مولدي
سقيتهموا الما أتوا الماء من القنا * بكاس مرير الذوق غير معتدي
وعادت سرات القوم تدمي جراحهم * وبعضهم في البر يعض باليد
فمن برد الماء الذي قد وردته * بوادي تروح الجن فيه وتغتدي
أنا الليث الا انني غير عابس * أنا البحر الا انني غير مزبدي
كنانة قومي ماب كل فضيلة * وأهل المعالي والفخار المشيدي
ولي عزمة ما نالها قط فارس * علوت على اعلى النيرين وفرقدي
أتاني بنو عبس يريدون قتلتي * وقد سقتهم سوق الأسير المقيد
ولو شئت أفنيت الفوارس كلها * وأسقيتهم كاس المنية من يدي

(قال الراوي) فلما فرغ من شعره رجع الى خباه ولما كان من الغدا أراد أن يحضر بني عبس ويطالبهم بالفداء واذا قد أتاه عشرين فارسا من وجوه بني كنانه حتى انهم يترضوه ويرجع معهم ويعطوه مهما طلب وما يريد ولما رأوا فرسان بني عبس عنده ما سود بن ازداد عندهم قدره وأجاب بني عمه ورحل معهم وبنو عبس يساقون بين يديه في غاية الذل والانكسار فلما وصل بهم الى الحي وقعت البشائر والتقاه قومه بالافراح وقد تباشرت العشائر لما أن رأوا معه بني عبس وافتخر وابه وضرب خيامه ومن

الغد أحضر مالك بن قراد وولده عمرو وعياض بن ناشب وسائر الفرسان وطالبهم بالفدا والمال والنوق والجمال وأكثر من المقال فقال عياض بن ناشب ياوجه العرب لا تطلب منا الا على قدر حالنا فاننا من صعاليك العرب وأكبر من فينا ما يملك الا فرسه وسيفه والسنان واعلم أننا ما خرجنا من بيوتنا في هذه النوبة الا من الفقر والفاقة وما فينا من يملك جملا ولا ناقة فقال له ياعبسي ما أنت الا حاذق في المقال وكل فرسان العرب يجحدون أن ليس لهم نوق ولا جمال اذهي رأت الاسر والاعتقال وأنا لا بدلي من ضربكم بالسياط حتى تقطعوا على أرواحكم المال والا أدعكم كذا كذا سنة في العقال قال فبينما هم كذلك واذا بامرأة عجوز دخلت عليه ودنت منه وسلمت عليه ثم قالت له ياولدي ياواقد أنت ترى الشيخ العبسي قال نعم قالت له ياولدي له بنت وحياتك لم يلد مثلها في أحياء العرب وليس لها مثيل في هذا الزمان والرأي عندي أنك تطلبها منه وتطلقه من العقال وتحظى بوجه الهلال وبقوامها الغصن الميال وان لم تكن أوفى من هذا المقال والا فلمني باكر وعند الزوال (قال الراوي) فلما سمع واقد من العجوز هذا المقال والكلام هاج فؤاده وهام واشتعلت بفؤاده نار الاضطرام ولهيب الغرام لانه كان يعرف صدق العجوز لانها صديقة أمه من سنين وأعوام فتركها حتى انصرفت واستدعا بمالك أبي عبلة بين يديه وقال له اعلم ياوجه العرب من بني عبس اني كنت معولا على ضرب رقابكم لما طلبت منكم الفداء وسمعت قول أصحابكم والان قد سمعت من هذه العجوز مقالا وهو سبب اطلاقكم من الاسر والوثاق فقال مالك وقد فرح غاية الفرح

و وكف طرفه ودمع وما الذى سمعت ياوجه العرب فقال له أريد
أن تزوجنى بنتك عبلة فقدوم فتها الى هذه العجوز وانها عندى
لصادقة فى المقال فقال مالك وقد فرح بخلاص نفسه بعد الاياس
اعلم يامولاى انك بهذا الامر أحق واوجب ولكن ياولدى حديثى
عجيب وحديث ابنتى غريب ثم ان مالكا ابتدأ وحدثه بحديثه
من الاول الى الآخر وقال له ولا بقى يمكننى الا الحيلة وما ارى
اوفق من رحيلنا الى أرضكم بالكليه وأكون تحت ظلك بكرة
وعشيه لانى أعلم أن الملك زهيرا وأولاده بعد عنتر مايجاورنا ولا
يطيب لنا معهم عيش ومقامنا هاهنا اصلح فعندها قال واقد
والله ياشيخ ان هذا كلام مايصدقه عقلى ولا يجوز على أذنى انك
تخلى قومك ووطنك و بنى عمك وتقيم عندى فى بنى كنانة وأنا
لا أطلق من بنى عمك أحدا حتى أرى بنتك عندى وملك يدى
والا ضربت رقابكم وسرت الى بلادكم وآخذها غصبا وأملا أرضكم
خوفا ورعبا وأملكها سلبا ونهبا ثم أنشد يقول

ودع عنك ذكر محال حق بالكذب
ياأنذل الناس فى الاعجام والعرب
تظن ويحك أن الزور يخدعنى * لكى تنال الذى ترجوه من أرب
لاضربن رقاب القوم أجمعهم * وأقدم الخيل تشكو سرعة التعب
بطل أشوس ضرغام اذا انبسطت
يداه فى الحرب كالاطيار فى الطلب
وأشبع القوم جربا ثم أملك من * حلت بقلبى ولبى ثم فى عصب

(قال الراوى) فلما سمع ذلك مالك قال له هاأنا أحلف لك بالرب
القديم وأعاهدك اننى ماقلت باطلا ولا حدثتك الا بما أنا فاعل

وها أنا سائر أنا وولدى وما أبطى عليك أكثر من ثلاثة أيام أو سبعة أيام وأعود اليك بغاية المقصود وان أنا أخلفت قولى معك اضرب رقاب بنى عمى ودعنى أنا المطالب بدماهم وأدن دياتهم الى أهلهم فقال له عياض بن ناشب وكان من جملة المأسورين يا مالك ما كان أشأم من هذه السفرة التى كان أولها أسر وآخرها ضرب رقبه فقال له مالك يا بن ناشب لا تلمنى على ما أنا قائل واعرف قدر هذا العمل لانى قد سمحت بابنتى وطاب على قلبى ترك أولاد عمى واخوتى على انى ما أترك أحدا منكم ينطلق حتى توثقونى موثقا من الماجد انكم تكتمون حالى ولا تحدثون بنى عبس على فعالى (قال الراوى) فقال عياض يا وجه العرب من هو القرنان الذى يقول أو يخبر بهذا الشأن كيف نقول وقع بنا فارس واحد قادنا قود البغال وشدنا فى القيود والاغلال وحق ذمة العرب ان نحن خلصنا هذه النوبه من سوء الحال وعدنا الى أهلنا والعيال لا رجعنا نطلب الاهل والديار ولا نعود نطلب مكسبا ولا جمالا وما زالوا فى كلام وجدال حتى انفصل الحال بأن مالكا أباعبلة يسير الى بنى عبس هو وولده عمرو ويدبرون ما يتم به الامر ويسير واقد بعده بثلاث أيام فى جماعة من بنى عمه ويكمن فى الشعاب والاكام من أرض الشربة والعلم السعدى حتى يخرج اليه بابنته ويسلمها له فيأخذها ويعود الى قومه وقد عاهده على ذلك وصافحه وما لحه وسار من يومه يطلب ديار قومه وعياض يقول له عليك بسرعة العودة فى الحال والا هلكنا فى الشد والاعتقال فسار مالك وولده عمرو وهما يقولان لا نبطى عليكم أكثر من مسافة الطريق عشرة أيام ثم سار وايجدون السير حتى وصلوا الى ديار بنى عبس

وعدنان

وعدنان وهما لا يصدقان بالنجاة ودخلوا الى ديارهم فى الليل فأبصروا الديار منقلبة بالنواح وهم يبكون على عنتر المساء والصباح فقال مالك لولده ماهذه الابشس الفعال ثم قصدوا أبياتهم ونزلوا عن خيولهم ودخلوا بجانب البيت فرأوا قبرا مبنيا وابنته عبلة بجانبه تبكى وتكثر النواح والتعداد وهى لابسة السواد ودموعها على خديها منسجمة وقد قطعت خدودها وهى تنشد وتقول هذه الابيات

ياقبر قد أروت ثراك دموعى * ومنعت أجفانى لذيذ هجوعى
ياقبر فيك ثوى ابن عمى عنترا * أم لحده قد حل بين ضلوعى
لهفى عليك بجندلا فوق الثرا * تبدى أنين الواله المفجوعى
قتلوه ظلما واشتفت أعداؤه * لمارأ واذلى لهم وخضوعى
والله لاملكت روحى غيره * يوما ولوجاؤا بألف شفيعى
لاكان مالك قد أراد بعاده * عنى ولم يرثى لسيل دموعى
ولقد سعى افراقنا بسرعة * لهفى لعنتر ساعة التوديعى

(قال الراوى) فلما رأى مالك هذا الحال من بنته وسمع ذلك المقال علم ان ابنته صح عندها قتله فأظهر الرياء والمحال والبكا والاعوال وقال لزوجته ويلك ماهذه المصايب وعلى من هذه المأتم والنوائب فقالت اليه زوجته وحولها جماعة من الاماء وهن مسلوبات الذوائب مشققات الثياب من الجوانب فقالت ويلك ابن أخيك عنتر قد صح موته ومابقى هنا أحد الا عدولك ويدعو عليك فعندها زاد به البكا ومزق ثيابه وقال وحق ذمة العرب ان دعاهم قد استجاب ونفذ فينا وجرى علينا مالم يكن فى حساب وبعضنا قد قتل وبعضنا قد أسر وقد نسبونا الى الزور والمحال ومابقى لنا مقام

في هذه الديار ثم عاد الى ابنته وقبل رأسها وعينيها ولم ينكر عليها
وقال لها ترفقي بحالك يا بنية ولا تفعلي هذه الفعال فقد قتلت نفسك
دون بنات عمك فقلي من البكاء والاعوال فقد حملتي نفسك من الهم
والغم أحمال لا تطيقها الجبال ولم يزل يترفق بها في الكلام المقال
ويزخرف لها حتى ردها عن البكاء وبعد ذلك قصد أبيات أخيه
شداد فرآه قد ساء الاهوال فلما رآه عزاه وقال له يا أخي قد حكم
الرب القديم بهذا وأنت يا أخي اليوم سيفنا القاطع ودرعنا المانع
ونفذ فينا حكم القضاء ودارت علينا الايام ويحق لنا أن نقرح
الجفون لهذه المصيبة العظمى التي عمت الاقصى والادنى والرجال
والنساء ثم دنا منه ليقبل رأسه ويعزيه فحول شداد بوجهه عنه وقال
يا مالك دع عنك النفاق والله ما قتل ولدي الا أنت بانفاذك له
الى أرض العراق بمكرك ليأتيك بالمهر والصداق من الجمال والنياق
وحق ذمة العرب لولا بيننا اخوة ونسب لكنت أخذت ولدك
في ولدي ولو كان ما يسوى قلامة ظفره وكنت أحرق عليك كبدك
كما احرقت كبدي ولكن أيضا هو له من يأخذ منك ثاره ويقابلك
بما فعلت حتى تعلم فيمن فرطت فلما سمع مالك من أخيه شداد هذا
الكلام عرف أنه لم يبق له في بني عبس مقام وصارت له حجة يرحل
بها من الديار ويسير بأهله ليلا ونهار فرجع الى أبياته وأخبر
زوجته بما لاقى في سفرته وقد أعلمها بأنه زوج ابنته وان بني عمه
في الأسر والاعتقال وكيف انه ضمنهم من القتل وأوصاها بالكتمان
فقالت له زوجته وحق اللات والعزى يا مالك لو علم بنو عبس
بهذا الحديث ما أبقوا علينا ولا تركوا منا أحدا الا ناقد قل شاكرنا
وكثر شاكينا وقاموا بنا أهبوا للرحيل وقد أخفى مالك أمره من

أجل الرجال الذين تركهم فى الاسر والاعتقال وخاف لا يعلم به عماره فلا يمكنه من الرحيل لانه أيضا طمعان فى عبله قال وكان عماره غائبا عن الحى لانه سمع بنى عنتر فاوسعته الدنيا ونادا ما أسعده يوم وزاد ضحكا وابتسام وأنشد يقول هذه الكلام

اليوم يوم مسرة وسداد * قد نلت فيه الامر والاسعاد
واليوم عندى ألف عيد مقبل * متتابع كله أعياد
من حين جانى نعى عبد أسود * نسل الاثام وعبد سوء بادى
وأنا الفتى السامى الفخار اقد علت * بمناقبى الآباء والأجداد

(قال الراوى) ثم ان عماره قال فى نفسه هذه عبله قد بقت لى واريد أسير وأكشف الحال وما أعود حتى يفرغ عزا بنى قراد ويهدى الحى ويعود مالك وولده عمرو وادع أخى يتوسط فى هذا الامر وأتزوج عبله ثم ان عماره من شدة فرحه أخذ عروة بن الورد وعشرة فوارس أخر وغزوا بلاد اليمن وعلم أبو عبله بذلك فخف عنه بعض ما كان يجده من الغرام وأقام ثلاثة أيام وهو ينتظر واقد بن مسعرة الكنانى الذى زوجه بعبله حتى يأتى اليه ويسير معه فهو كذلك واذا هو بعبد قد دخل عليه وقال له يا مولاى قد وصل سيدى وهو مكمن فى وادى الظبا ومعه ستين فارسا من شجعان قومه فابصر أنت الآن ما عندك من المقال فقال يا ولدى عد اليه وأخبره باننا راحلون اليه بالظعن والعيال رحيل من لا يرجع الى الاوطان فعاد العبد اليه وأخبره بما ذكر مالك الى ان اسدل الظلام وهد خيامه وشال مضاربه على ظهور الجمال وركب عبله وعول على الارتحال فقالت عبله يا أماه ما هذا الخبر

وات هذا الحال فقال لها يا بنيه ما عاد لنا فى هذه الارض مقام لان الاحجار ضجت منا لاجل فقد عنتر وقالوا اما قتله الا ابوك وأنا وحياتك ما أنفذه الا ليأتى بالنوق العصافير لاجل علو منزلتك عند العرب حتى لا يقولون زوجها العبد جبان قليل القيمة من الفرسان والان فقد جرى ما جرى وصار أهلنا أعداءنا ونريد أن نبعد من بينهم مدة من الزمان فاذا انطفت النار رجعنا الى الديار والان ان قدم عماره فيعاونه أخيه ويأخذك غصبا منا ونحن ما بقى لى محام ولا نصير ولا حجة نحتج بها وقد عرفت انك ما تشتهيه وأنا ما أرضى أن أغصبك على الزواج ولا أريد الا ما تريدينه فقالت والله لم يطاوعنى قلبى أن آخذ أحدا من بنى زياد ولا أيضا من العباد ولا يحب قلبى غير عنتر بن شداد الذى نال الفخر على جميع العباد ولا أزال عليه أتحسر الى ان أعدم السمع والبصر ثم انها بكت واشتكت وأنشدت تقول

يا قلب صبرا على شوق أكابده * وكيف يهدى لسيع ماله راق
وكيف ترقى دموع طال ما سجمت * لفقد أروع ماضى العزم غيداق
من كان فى الفضل والامجاد مرتقيا * على الدعائم فى عز العلا راقى
لأبكين عليك الدهر ما هتفت * حمائم الايك فى دوح وأوراق
وكيف يصبر ذو وجد وذو حرق * مقلب القلب فى وجد وأشواق

(قال الراوى) كل هذا ولم ينكر عليها أباها بل انه سار من أول الليل ولم يلتفت اليها وصارت أرضهم بلاقع وربوعهم خاليه فقال بنو عبس الى حيث ألقت رحلها أم قشعم ومن جملة القائلين الملك زهير لقد أفجعنا فى الفارس الاروع والقيل الصميدع لاحياه الله ولا بياه ما أكثر غدره وما أعظم حيله وحق ذمة العرب لولا

ما بيننا من النسب لكنت قابلته على فعله قبل أن يرحل قال وسار مالك بأهله حتى أشرف على وادى الظبا واذا بمهره قد لاقاه ومعه أسارى بنى عبس وهم مكشوفون الرؤس حفاه فقال عياض ابن ناشب كثر الله خيرك هكذا يكون عرسك واذا هم فى الكلام واذا بعبله قد أقبلت وخلفها الظعن فقال مالك تسلم زمام زوجتك وطيب قلبها فلطالما تألفك واعلم انى سررت بجميع ماتملكه من مال ونوال وعيال ومابقى لنا معول الا عليك من دون الابطال (قال الراوى) لهذا الكلام فقالت عبله ياويلكم ومن هؤلاء الاقوام ومن يقال له هذا الغلام فقال لها أخوها هذا معتق رقبتى ورقبت أبوك لانا أسرنا وأطلقنا رغبة فيك وقد زوجناك به ونريد من هذا اليوم نجعل أرضه لنا سكنا ووطنا لانه صاحب المقال الصادق والامانه وهو سيد بنى كنانه قال فلما سمعت عبله ذلك الكلام صارت دموعها على خديها سجام وقد علمت أن أباها احتال عليها ومكر بها فخرقت ثيابها وعظم مصابها ونادت واذلاه واقلت ناصراه وابن عماه واعنتراه واه مصيبتاه من هذه العتاه الظالمين ويلك ياعمرو ما الذى ألجأكم لهذه الفعال ومن هو الذى طلب منكم الزواج حتى أنكم تزوجوه ومن فعل هذا الفعال من العرب حتى انكم فعلتموه فقال لها عمرو ياعبله اعلمى انه قد جرى السهم بما فيه فارضى به لك ولا تقطعى الفيه فانه فارس لايلتقى مثله فى الفرسان وليس له منافس اذا جالت الفتيان والاقران ثم انه هم أن يلوى جواده فرمت نفسها الى الارض وحثت التراب على وجهها وصارت تنادى والهفاه عليك ياعنتر قياذلى بعدك فقاتل الله من قتلك ومن الى طرق المهالك أرسلك أما من مجير أما من نصير

أما في اليمن غيور أو رجل مذكور يخلصني من هذه الظلمه ويحملني له أمه ثم أنشدت تقول

دمع سفوح أثار السقم في جسدي

والنار تضرم في الاحشاء والكبدي

الا من مجير يخلصني من النكدي

من البلاء لقد أوهى الضنا جلدي

هذا كتابي من الاشواق يا لهفي

قد خانني الدهر في ليث الوغا الاسدي

مفلق الهام والاضلاع والزردي

وهازم الجيش مفني منهم العددي

جودي عليه جفوني بالبكا وزدي

حتى ارى الدمع يروى منه كل صدي

وأنت يا وحش الفلا من أدمعي اروى

وأنت يا رمق لا تنقضي وزدي

ما كان هتكي في القيعان من صفتي

صبرا فاني لا أشكو الى أحد

قال وكانت عبلة تقول هذه الابيات وواقد ينظر اليها والى ما قد أعطيت من الجمال والقد والاعتدال وقد رشقته من لحاظها بنبال وكان أبوها وأخوها قد سبقاها وعلما بما جرى عليها وساروا وتركاها فلما فعلت بنفسها تلك الفعال نزل اليها أخوها عمرو وعول أن يضربها ويردها الى هودجها فقال له واقد وقد رق قلبه عليها وقال أنا أتلافاها وأزيل عنها كربها ثم انه تقدم اليها وصار يتعطف بها ويقول لها لا تفعلي يا نور العين ومن هي

الروح الذى بين الجنبين ولا تقتلى نفسك بغير سبب وأنت سيدة بنات العرب وصاحبة الحسب والنسب فاصبرى حتى أوصلك الى الديار وأنا أجعل فى خدمتك الاماء والاحرار وأتحفك بالملابس الفاخرة والنعم الغامرة يا ابنة السادات الاخيار فأنا واقد ابن مسعرة الكنانى صاحب النسب العدنانى وكل العرب تعرف شأنى وترفع قدرى ومكانى وتخضع فرسانها الى اذا نزلت ميدانى ومالى فى الزمان لى مقارب ولا مدانى (قال الراوى) ثم أقسم عليها وقال لها بحياتى عليك أرجعى الى هودجك وأنت مكرمة ودعى عنك ذلك العبد الولد الزنا ثم دنا منها وأراد أن يقبلها بين عينها ويردها الى هودجها واذا هى قد دفعته فى صدره القته على ظهره وصاحت اخسأ وتأخر يا أخس العرب ويا ارزل من دق فى البيدا وتدوطنب فلما سمع أبوها كلامها قام هو وأخوها وقد علاهم الخجل فدنوا منها وقنعاها بالسوط على اكتافها وقالا بالخنا ويلغ من قدرك تخاطبى بعلك بهذا الخطاب وهو سيد جميع الاعراب ثم جرد حسامه وضربها به صفحا فقالت له ويلك يا أخى شلت أناملك وقطعت مفاصلك يا أنذل العرب وأقل الرجال وأوحش الاوباش ماهذا الحال وماهذه الاحوال والفعال وأنت تدعى وتقول انك من الابطال يا ويلك اضربنى بالحسام ودعنى طريحة فى الاكام والا أنتم بقيتم معيرة بين الابطال لانكم أنستم سوق البغال وفديتم أنفسكم من الاسر والاعتقال بجارية غربتموها عن أهلها فقابلكم الله على هذه الفعال وسلط عليكم غلبات الرجال فعند ذلك داخل عمرو الغضب وجلدها بالسوط حتى سال دمها وعاد رفعها الى هودجها غصبا عنها وقال

لواقدأيها السيد لاتسمع مقالها فما عليها معول لانها ان صارت في أرضك نالك ثم عاد الى جواده وركبه وأخذ بزمام ناقتها وساقها ثم عاد الى أسارى بني عبس وأطلقهم وسار بالقوم وعبلة قد أقلقت البر بالصياح وقد أقلق واقد صياحها وآلمه بكاؤها وتمكن من قلبه عشقها وزاد في جهاره هواها وهو لا يصدق متى يصل الى حيه ساالما ويدخل الى ديار قومه ويفوز منها بالمنا وينال ما يهواه وهي سائرة لاتنشف لها دمعه ولا تخمد لها لوعه بل تنادي باسم عنتر وتلتفت الى كل ناحيه في ذلك البر الاقفر وتبكي وتحسر وتذكر ما قد نزل بها من النوائب والعبر وتتألم من هذه المصايب وتنشد وتقول هذه الابيات

ونار حزني أطفي تلهبها * بدمع عيني والاشواق تشعلها
ياحامية عبس قد فني تجلدها * ولا حياة لها بالصبر تشغلها
وكيف تخفى عليك بلوتها * وترثي نفسها وتعدلها
سايرة والسياط في يدهم * يضربنها والدمع منهلها
ياحامية عبس لو بقيت لها * كان على النيرين منزلها
ومالها مسعد يساعدها * على بلاها الا تذللها
ويلاه من نكبة بليت بها * صبري ضعيف عنها ومجملها
ليت المنايا الى سايرة * بكأس حتف من قبل أسئلها
قد رشقت قلبي باسهمها * كما رمتني بالنكل أنصلها
والهف قلبي عليك فارسها * قد اذابت الروح من تعللها
لو نظرتني عيناك يا أملي * كشفت عني الخطوب أهولها
مني عليك السلام ما هتفت * حمايم الدوح في تعللها
أولع البرق في الدنا سحرا * أو هبت الريح في تعللها

(قال

(قال الراوي) وجد القوم في المسير حتى أمسى عليهم المسا ونزلوا على الماء وقدموا لها العشا فلم تستطعم بطعام لا هي ولا أمها لانها كانت حاملة همها وعلمت انها ستقتل نفسها الشدة بكاها على ابن عمها ولقد أخبروا عنها أنها قعدت ثلاثة أيام لم تذق الطعام ولا المنام فلما كان في اليوم الرابع وقد هفتت من الجوع وتغيرت من السفر وهي تدعى على أبيها مالك وأخيها عمرو وهي سائرة تقطع البيداء وتقول يارب سلط عليهم العداه ولا تنجيهم من نوائب الرداه ولم تزل كذلك حتى تضاحا النهار واذا بغبار قد ثار وسد الاقطار وطلع له عجاج وارتفع من صدر البر وفي أقل من لمح البصر أدركهم وبان لهم من تحته ثلاثين عبد أسود في لون الظلام مقبلين اقبال الغمام تهز على أكتافهم رماح طوال وهم بالدروع والزرد وكانوا قد أبصروا الهودج والنياق فأطلقوا الاعنة وقوموا نحوهم الاسنه وهم ينادون وافرحتاه وفيهم عبد طويل في تماطيع الفيل وهو ينادي ويقول أنا حادثة الليالي وطارقة الزمان قال وكان هذا العبد من زوايا اليمن من قبيلة يقال لها بنو الريان وكان قد اهتم باقتناص بنات العرب وسكن القفار والفلوات وكان لا يعرف لا حلالا ولا حرام ولا ذمام ولا يخاف ممن يطعن بسنان ولا يضرب بحسام وما كان يقيم قط في مكان أكثر من ثلاث أيام لما عليه من الدما والمصايب ولاجل ما قد سبي من البنات الكواعب وكان هذا العبد اذا ظفر ببنات العرب يأخذها ويبعد بها في البر ويتمتع بها ثلاث أيام وبعد ذلك يسلمها للعبيد الذين معه فاذا شبعوا منها يأخذون ما يكون عليها ثم يذبحونها ويشوونها ويأكلونها ويرحلون من تلك الارض وكانوا كلهم قد تغولوا واعتادوا على سفك الدماء

وهتك المخدرات وفسخ الزمام وارتكاب الفجور وفعل الحرام وصيد السباع من الدحال وشرب دماء الابطال وقد تبعوه ورافقوه من جميع القيعان والقفار وكان من شره وفعله فى البنات والنسوان سموه طارقة الزمان ولما أتفق وقوعه بعبلة فى ذلك المكان ورأى معها فرسان بنى كنانة ميل فى طلبها وأتبعته العبيد ولما رأى واقد الكنانى هذا الامر فصارت عيناه كالجمر وقال لمالك كن مع بنتك وولدك مع هودج زوجتك وقل لبنتك تنظر الى فعالى من فعال ابن عمها عنتر الذى هى تدبه وعليه تتحسر واعلم ان هذا العبد الذى التقيناه هو فارس اليمن وغفير صنعا وعدن وانى وحق العلام ما قلت الا الصدق فى الكلام لانه أشد من يضرب بحسام ولى أسمع به ثلاثة أعوام وأتمنى أن ألقاه حتى كنت أكفى العرب شره وها أنا اليوم قد وقعت به اتفاق ثم أنه طلق لجواده العنان وقوم اليه السنان وعلا عليهما الغبار فتلقاه العبد وهو يقول خاب والله مسعاك ياولد الزنا ووقع بك من يسقيك كأس الغنائم مالا وجالا واتحما واصطدما والتقت فرسان بنى كنانة والعبيد فى ذلك القفر والبيداء وعمل الصارم الذكر وأبصر واقد من طارقة الليالى ما أذهله وأضعف منه الجنان وخاف أن يراه مالك بعين النقصان وطلب أن يتقرب الى قلب عبلة وطلب العلى والافتخار وقد طعنه طعنة وقد أمل أن أجله انقضى فخاب رجاه وانقطع واطلم العبد رمحه طيره أربع قطع وطعن العبد واقد فى صدره أطلع السنان من ظهره فصار يضطرب فى عندمه فلما رأى أبو عبلة هذه المصائب التفت الى ابنته وقال لها ما أيشم وجهك على أبيك لا باركت اللات والعزى فيك ثم حمل هو وولده وأرادا

يمنعان عن الحريم والولدان فرئى من هذا العبد المهول العظيم وصاح فيهم صيحة منكرة وأقلب الرمح الى وراءه وطعنه بعقب الرمح ألقاه على ظهره فاشرف على فناه وطلب ولده عمرو ومن شدة هيبته وعظم صرخته سلم روحه ودار كتافه لما رأى الموت أتاه فجأة نذل بين يديه ثم ناداه يا فتى بحق رأسك ترفق بأسرك وتسلم الحريم والاموال فعندها شده العبد كتاف ونزل الى أبيه فعل به كذلك ورجع لجواده يطلب معونة أصحابه وقد أمن على عبلة وعلم أنها حصلت له هذا وعبلة قد شمتت بأبيها وأخيها عمرو وقد بقيت عبلة حائرة ما تصنع فقالت لها أمها ويلك يا عبلة انزلي بنا يا بنية حتى نحل أبيك وأخيك ونسير في هذه البيدا والبر ونخلي السودان يقتلون هم وبني كنانة كيف ما أرادوا فقالت عبلة ويلك يا أماه ما هذا الكلام أين نمضي في هذا البر الاقفر كم جهد ما تسير الجمال قدام الخيل في هذا البر الاقفر فاصبري حتى نرى من ينصر ومن ينكسر فكون ذلك اما وأبي وأخي عبيد ولا نموت هكذا في القفر والبيد ونسلم من هؤلاء الاشرار قال وكان قصد عبلة ان تذيق أباها وأخاها العذاب كما أذاقوها التشتت والتعب قال وبينما هي مع أمها في الكلام واذا بأبيها مالك ينادي زوجته ويلك يا لخنا انزلي الينا وحلينا من الاعتقال حتى نركب من هذه الخيول الشاردة ويأخذ كل منا واحدة وراءه ونقطع بكم البر والفلاء لعل أن نجد لنا خلاص من هذا العنا قال فلما سمعت منه زوجته ذلك الكلام نزلت وفعلت ما أمرها به وكذلك عبلة نزلت حياء من أبيها وحلت أخيها وتعلق كل واحد منهم بجواد ركبه وأردف خلف ظهره واحدة من النسوان وسار يقطعا عرض البر

الافق وجدوا فى سيرهم واذاهم بعشر فرسان وهم قطعة من النوق وهم سائرين فلما رآهم مالك أقبل اليهم يطلب منهم الانصار وكانوا هؤلاء الفرسان الامير شرف الدين عمارة الوهاب وعروة ابن الورد والباقى من بنى عبس الاجواد وقد عادوا من سفرتهم من أرض اليمن فرحين مسرورين وهو لا يصدق أن يصل الى الاحيا حتى ينال من عبلة الذى هو طالبه وانه لما سمع صياح مالك عرفه وقد رأى الخيل تطلبه فلما قربوا بعضهم البعض فمن شدة الخوف والفزع ماعرف بعضهم البعض وابصر عمارة عبلة وأمها وهم على ذلك الحال فأنكر ذلك وقال لهم ياويلكم ماشأنكم اخبرونى فانى فى عجب من هذا الاتفاق فقال له مالك بالله عليك يا عمارة جد بنا فى المسير واطلب بنا أهلك من قبل أن تقع فتهلك وأنا ما احدثك حديثى حتى نصبوا حماقدنا النا فقال عمارة ما خوفك وهل أعداك كثيرة حتى انك نافر هذا النفار فقال له مالك يا عمارة أمسكت فقد رأيت لهم فارس لا عنتر ولا غيره من سائر البشر وهو يلقا عشرة مثل عنتر ثم حدثهم بقصته وما جرى له فى نوبته وما لاقى فى سفرته وكيف زوج ابنته وكلما جرى له وجعل يصف طارقة الزمان وشدته وعمارة وعروة يشتموه ويلومونه على فعلته واذاهم فى الكلام وقد بان خلفهم غبار قد سد الاقطار والصياح قد ثار والعبيد قد لحقوهم والعبد المقدم ذكره فى أوائلهم ينادى ويقول يا كلاب الى أين تمضوا وخلفكم مثل طارقة الليالى وحادثة الزمان وكان طارقة الليالى لما شد مالك أبو عبلة وولده عمرو خاض الغبار وخاعلى رجاله فسطا على بنى كنانة وأباد منهم الرجال ونزل فيهم بسيفه والسنان وأهلك الاقران بطعناته وكانوا كما ذكرنا

ستون فارسا فانتصف النهار حتى قتل منهم هو وأصحابه خمسة وأربعين وهرب الباقون وهم مجروحون ونجوا لسرعة خيلهم وعاد يطلب الهوادج فرآها خالية من الاسارى لانهم هربوا فصار خلفهم وصاح وقال للعبيد يا ويلكم ان فاتتنى هذه الجارية طلعت روحى فيها فأسرعوا فانى قد رأيت وجهها أحسن من الشمس والقمر ولولا شغل قلبى بكم ما كنت أمهلتها حتى كنت قضيت منها الوطر ثم ركض بالجواد على الاثر وهو ينشد ويقول هذه الابيات

كيف يفوت الغريم من طلب * يا أنذل الناس من عجم ومن عرب
اين من كان يحميكمو ومعى * رجال كالانجم الشهب
حازوا العلو والافتخار على * جميع الماضين فى الحقب
لا يرهبون من السيوف ان لمعت * و يشتهون الحمام كالطرب
من يجير الغريم من غضبى * لا هبل اليوم ولاجو رجب
سوف أرديكم على عجل * وأنال المنا مع الأرب
ثم احضى بالتى وصفت * واقتنيها فى سرعة الطلب

(قال الراوى) ولم يزالوا يركضون على أثر مالك والعبيد خلفه من كل شيطان مارد حتى أدركوهم ولما رآهم مالك تغير لونه وانقلب كونه و زاد بلباله وقال يا بنى العم ها قد لحقتنا الخيل ومقدمهم التى وصفت لكم صفته فعودوا بنا الى لقائهم لنموت كراما فعندها صاحت عبلة لعمارة وقالت له يا ابن العم أنت تعلم ان الذى كان يحامى عنا قد قتل ولو كان حيا كان يعز عليه ان يرانى هكذا والساعة قد بقى مالى فى العالمين سواك فارنى اليوم شجاعتك التى تفتخر بها فلما سمع عمارة ذلك رمى روحه على الحمام وطفح على قلبه كأس العشق والغرام ونادى أى وعيناك يا ابنة العم اليوم يبان لك

يا منية القلب فروسيتي حقا وتعلمي ان كل ما كان يقال عني صدقا ثم تحزم وتشمر ونفش سباله وقال يا عبلة يا نور العين سوف أريك من قتالي ما يرضيك حتى لذلك العبد أنسيك وترين قتال السادات الضراغمة الكما من قتال أولاد الاما ثم ان الامير عمارة أطلق رأس جواده حتى صار قدام أصحابه وعروة بجانبه وهو يقول يا ابن زياد لمثل هذا اليوم تدخر الابطال الشداد فقال عمارة ويلك يا عروة ماهو شغلك خل عنك اليوم ترى من الامير عمارة ما يسرك وما تم كلامه حتى حذفه واحد من العبيد بزانه فى صدره أقلبه على ظهره وصار اعلى ما فيه رجلاه فانقض عليه العبد وأخذه أسيرا وزعق زعقة مثل الرعد حتى طلع الزبد على أشداقه وحمل على عروة بن الورد فالتقاه وجرى بينهما حرب شديد ثم انه قبض على درعه ولم يتركه يتمكن من طعنه وجذبه قلعه من سرجه وباقى العبيد ملكوا فرسان بنى عبس واحتوى طارقة الزمان على مالك وولده عمرو وأوثقهم كتافا وبات فى ذلك المكان لاماء معه وهو ظما آن فنزل بالعبيد رفقا لاجل الراحة وكان أعوزهم الماء وقد رق النسيم وبرد الهواء وقد ردت العبيد عبلة الى هودجها وقالوا لها يا هذه من مثلك وأنت عشيقة طارقة الزمان فما ردت عليهم جوابا ودموعها تنسكب انسكابا حتى أصبح الله بالصباح والرجال معه مشدودون على خيولهم بالعرض قدامه وكان قد طيب قلوبهم وقال لهم أبشروا فانا لا أريد منكم نوقا ولا جمالا لان أموال العرب كلها لى ولا أريد منكم الا أن تأتونى ببناتكم وأمهاتكم واخواتكم وكل من كان له بنت مليحة أو أخت صبيحه يأتى بها كى أتلذذ بها ثلاثة أيام وبعد ذلك يأخذها ومن لم يجبنى منكم قطعت ظهره

بالسياط فقال عمارة لعروة هل رأيت عمرك أو سمعت بهذا العبد الميشوم فقال عروة يا عمارة ما كانت عبلة الا ميشومة عليه كما كانت على من قبله لان كل من سمى عليها فى العشا ضربت رقبته فى الصباح ومن سمى عليها فى الصباح ضربت رقبته فى العشا وقد رأيت كيف كان ونحن سائرون وقد كسبنا هذه النوق والجمال والانعام فحلت بنا هذه المصائب وأتتنا هذه النوائب لما نظرنا الى وجهها ومن قبل كنا رابحين فلما نظرناها صار لنا ما صار فى الحين فهذا ما جرى لعروة وعمارة وطارقة الليالى قد أرسل قدامه خمسة عبيد وأعطاهم عبلة وقال لهم أسبقونى بها الى ذات المناهل وأضربوا لى هناك خيمة فانى أريد أتمتع بهذه الجارية المليحة القوام وأنظر ما أعمل بهؤلاء القوم اللئام قال فسارت العبيد بين يديه كما ذكرنا والتقاهم أبو الفوارس عنتر كما ذكرنا وقتل منهم عبدين وهرب الباقون واشتغل عنتر عنهم بابنة عمه عبلة وسألها عن حالها وقد غير الشوق والفزع لونها وغشى عليها ولما أن رأت وجه ابن عمها حين أفاقت قالت يا ابن العم نحن فى اليقظة أم فى المنام ثم أنشدت تقول هذه الابيات

ذهب الاساعة وزال شقاءى * لما التقينا بعد طول عناء
وغدا الزمان مبشرا بوجود من * أضحى فريدا قاصم الاعداء
غفلت عيون الدهر عنا ساعة * ورجعت من موتى الى الاحياء
يا فارس الثقلين يا كنز الورى * يا سابق الابطال للعلياء
سعدت عيونى عندما نظرت الى * ما فيك من كرم وحسن ولاء
فابق وعش فى ظل خير دائم * مادامت الافلاك فى السماء

(قال الراوى) ثم انها ابتدأت وحدثته وقصت عليه القصة وما

لقيت فى طريقهما من الشقاء والتعذيب وأخبرته بجميع القصة كأنه
كان حاضرها فلما سمع عنتر ذلك هطلت دموعه من عينيه وضمها الى
صدره وقبلها بين عينيها وحدثها الاخر بما جرى له عند كسرى
والمنذر وقتله حاجب كسرى خمروان وما تم له فى غيبته أيضا
مع الملك كسرى وما وقع له مع الفرس والاعاجم وعباد النار وعاد
سالما من صروف الزمان ثم حدثها بما أتى معه من الاموال
والنوق والجمال والصناديق والعبيد والغلمان والمماليك بأحسن
حال وهم راكبون على الخيول العربيات بأحسن الملابس والجوار
الروميات الحسان والبغال الكسرويات والبخاتى والجنايب
القيصريات والنوق العصافير التى كأنها العرائس المجليات
والعمارية المنفضة بالجواهر المثمنات والتاج الذى تحير فيه الصفات
قال فلما عاينت تلك المال الاميرة عبلة وحسن الحال قالت هذا كله
لك والا لأحد نازل معك فى هذا المكان من الملوك الكبار وهولاء
المماليك الذين هم على الخيول لمن يكونون فقال لها الامير عنتر
كل هذه الاموال والجوار والمماليك والغلمان هم لك وأنت
الحاكمة عليهم وهم ملك يدك قد أتاك بهم عبدك (قال الراوى)
فعند ذلك رجعت روحها بعد الممات وانكشفت عنها الشدائد
والكروبات فقالت لعنتر يا ابن العم بحياتى عليك خذنى
وارجع بى الى ديار القوم الذى أعطوك هذا الملك والانعام الغامر
والخير الوافر وخل أبى وأخى ههنا مع هؤلاء العبيد يفعل بهم
الزمان ما يريد ولا نعود نرجع الى بنى عبس لانه لم يكن فى عشرتهم
خير من الامس فتبسم عنتر من مقالها وقال ابشرى بما يسرك
وحياة عينيك على قلبى لابد لى ما أرغم انف الجميع وأتركك

تكونين

تكونين الحاكمة فيهم على الرفيع والوضيع ثم انه أمر أصحابه
بالنزول وأشار الى بعض العبيد الذى يعتمد عليه وقال له ويلك
احتفظ بهذه فهى بنت عمى فأكرم مثواها فهى صاحبة هذه
الاموال أدناها وأقصاها وقد وقعت بها مسبية مع هؤلاء العبيد
وأريد أن أفرجكم على قتال أعدائنا اليوم ثم سلمها اليه وتقدم
يلتقى العبيد وكان طارقة الزمان سائرا على أثر أصحابه الذين
أنفذهم ليضربوا الخيام وهو سائر فرحان وحب عبلة قد تمكن
منه واذا بعبيده الثلاثة منهزمون فلما صار وا بين يديه كاد كل
منهم أن يغشى عليه فقال لهم مالكم وأين الجارية وباقى أصحابكم
فقالوا له ان أصحابنا صاروا نهبا للعقبان والجارية قد ملكها
عبد أسود لا كالسوادن وما فطن الا أنه هامر ذلك المكان لان
صورته تذهل عقل الانسان وطعناته تحير الفارس البهلول
وصرخاته تترك المعافا معلول ثم انهم حدثوه بما جرى فنفخ كما
تنفخ الافعى وهمهم و زمجر وطغى وتجبر وقال يابنى الزوانى مثلى
يخاف من قاص ودانى أو يخاف من جن أو شيطان وأنا اسمى
طارقة الزمان ثم أطلق لجواده العنان وقوم السنان وركض واذا
بعنتر قد التقاه فصاح فيه وقال له أنت قتلت أصحابى بنى حام وأخذت
الجارية مليحة القوام فقال له عنتر ويلك يا ابن اللئام متى صارت
عبلة لك أمة يا ابن الاعايب وقد شاب منى فى هواها الذوائب
وقصر دون خدرها كل ماش وراكب مما حولها من القنا
والقواضب فيا اندل العرب لولا غيبتى فى طلب المهر والصداق
لما رأى غبار نعلها أنت ولا غيرك من الرفاق فضلا أن ترى جمالها
وتلك الاخلاق فدع عنك ما رأيت يا ابن اللئام فانها أضغاث

أحلام ودونك وضرب الحسام واعلم أن هذا اليوم آخر ما يكون لك من الايام يا كلب يا منحوس يا شيطان فلما سمع من عنتر ذلك الكلام صار الضيا في وجهه ظلام وقال له ويلك من تكون من العرب والى أى القبائل تنتسب قال فعند ذلك صاح فيه عنتر صيحة عاليه وقال له ويلك أنا ابن عم هذه الجاريه المسمى بعنتر بن شداد حامية بنى عبس الليث الشداد ثم أنشد يقول

تقدم يا لئيم الى المجال * وخل ما تقول من المحال
فقد وافاك ليث قسورى * صبور على المهمات الثقال
عبوس ضيغم بطل جرىء * عبوس أشوس حاز المعالى
له شرف على كل البرايا * بطعن الرمح فى يوم النزال
فدونك والقتال وكن جريئا * كما سميت طارقة الليالى
فسوف تصير فوق الترب ملقى * وتعبث باليمين وبالشمال
وكيف أرع منك العرب جمعا * مع النسوان ربات الحجال
أنا البطل الذى سادا البرايا * بضرب السيف والسمر العوال
تخر لى الفوارس يوم حربى * وتخضع لى جحاجحة الرجال
ولى مجد علا كل البرايا * وقلب ثابت والسعد عالى

(قال الراوى) ولما فرغ عنتر من شعره حمل على طارقة الليالى حملة الاسد الضرغام وزعق فيه فجاوبه طارقة الليالى بالكلام وانعقد عليهم الغبار وعلا بينهم الصياح وكان لهم ساعة تشيب لما النظار هذا وقد أقبلت العبيد وتتابعت كأنهم عفاريت الجان فرآت ما أذهلها وقد ناداهم يا ويلكم يا لئام والذى خلق الضياء والظلام لاحلقن رؤسكم بهذا الحسام ولا تركنكم حديث بين الانام ثم جعل يلقاهم ويعدهم على وجه الصعيد

هذا وقد حار كل منهم وصاروا يتعجبون من حربه ونزاله وقد رأى كل واحد منهم شيأ ما كان على باله وأقبلت أيضا جماعة من عبيد عنتر وأتوا على الصياح ولما رأوا عنتر فى القتال حملت عبيده وقد التحم القتال وفى دون ساعة أفنوهم عن آخرهم والتقى أبو الفوارس بالعبد المقدم ذكره فصرخ فيه أرعبه وطعنه بالرمح فى فؤاده أقلبه وجمع العبيد الاسلاب ونزلوا للراحة فى تلك المهاد وصار عنتر يأخذ بخاطر عبلة وهى تتبسم فى وجهه ثم حلوا مالكا وولده عمرا والأمير عمارة وعروة بن الورد ومن كان معهم ثم باتوا فى ذلك الواد وقد ذابت قلوبهم والاكباد مما رأوا مع عنتر من الاهوال ثم سلم على عمه مالك وهو فرحان بذلك وقال له البشرى يا عم بالخلاص من أعداك واعلم أن الذى لاقيه جزاء بما قدمت يداك لانك زوجتنى ابنتك وغيرت بعد ذلك نيتك وأرسلتنى الى أرض العراق فى طلب المهر والصداق وتركتنى حتى مضيت وخنت العهد والميثاق وزوجتها بفارس بنى كنانه وضيعت العهد والامانه فلقاك الله عاقبة البغى والخيانه قال فلما سمع مالك من عنتر ذلك الكلام تنهد وتحسر وقال يا ولدى لا تعتب على لان عذرى واضح وان عرفته كنت له مسامح لانه يا ابن الاخ أخوك شيبوب أتى الى الاحياء وأخبر أنك شربت كاس الحمام وقطع رجانا منك والسلام فلما سمعنا منه هذا المقال سرت أنا وولدى وجماعة من الفرسان فى طلب المعاش والمكسب والمال فجرت علينا هذه الشدائد والاهوال والحمد لله الواحد الأحد على هذا الحال لانك يا ولدى لولا أن تأتينا وتخلصنا وان لا كنا فى شدة الهلاك والعنا فقال عمارة يا أبا الفوارس لا تندم

لان الحق عاد الى اصحابه والسيف الى قرابه والحمد لله الذى صار خلاصنا على يدك ونحمد الرب القديم الذى أعادك الينا سالما وملكه هذه الاموال العظام ورزقك النصر على أعدائك الشدائد والويل لمن يكون لك معاند فتبسم أبو الفوارس من كلامه ومقاله وشكره على فعاله مع علمه بمكره ومحاله وبعد ذلك أخذهم وسار بهم الى عبيده ومماليكه وغلمانه وخيله وبغاله ونوقه وجماله وهو قدامهم يترنم بالاشعار

يا عم لازلت فى عز وفى خول * ترقى لعز العلا فى القول والعمل
ولا برحت مدا الايام فى سعة * وفى أمان وفى رزق وفى أمل
فاسمع حديثى وما لاقيت من سفرى
وما جرى لى من الاخطار والهول
انى لقيت من الاهوال أصعبها * شيأ يجل عن الاوصاف والمثل
قاسيت فى سفرتى هذى عنا وبلى
وسرت فى الارض من سهل ومن جبل
حتى أتيت مليكا لا مثال له * من مشبه فى الفعل والعمل
الملك المنذر المولى الذى شرفت * به القبائل فى سهل وفى جبل
أولى الى جميلا لست أنكره * وتوجنى بالحلى والحلل
لما أتى بى الى كسرى وقدمنى * أمامه خوفا من فعلى ومن عملى
وكان قد جاء بطريق اليه وقد * سطا على جيشه كالجحفل الحطل
تركته وهو ملقى فى المجال وقد * اراد يدفى جهلوا منى الاجل
ثبت بداه لقد وافى فتى شرسا * وعاد من طعنتى ملقى على وجل
ضربت به الارض لما خان فى فعل
تركته من يدى على الارض منجدل

53

وكان عند مليك الفرس سبع سمى
خميس سالم يلتقى فى السهل والجبل

جاؤا به نحوى وظن الفرس يقتلنى * تركته بحسامى جزء منفصل
لما رأى كسرى فعلى وشجاعتى * أنعم علىّ بانعامه مع الخول
كذاك المنذر المولى الذى سبقت * أمواله بعطا مال بلا بخل
وأعطانى النوق مهرا التى * سلبت منى الفؤاد عبيلة غاية الامل
فسرت أقطع أرض الفلاة وقد * لقيتها وختمت القول بالعمل

(قال الراوى) فلما سمع عمه مالك وأصحابه هذا الكلام تعجبوا من ذلك الشعر والنظام وتمواسائرين معه الى أن أشرفوا على الخيام فرأوا ذلك المال الباهر فحارت منهم النواظر فقال عمه مالك يا ابن الاخ لمن هذه الاموال والنعم وهذه السودان والخيم وهذه الجنائب التى عليها جلالات الابريسم فلا شك ان هاهنا ملك من ملوك الاقاليم فقال عنتر يا عماه هذه اموال عبدك وخادمك عنتر التى جلبها لابنتك من أرض العراق لانك طلبت منى الف ناقة من النوق العصافير فأتيت بها محملة من خزائن صاحبها ومعها هذا الخير الكثير وفعلت فعلا تعجز عنه سائر الآفاق ثم نزل بهم فى تلك الخيام وأمر عبيده بذبح الاغنام والنوق وترويج الطعام وأخذ يقص على عمه مالك ما جرى له مع الملك المنذر والملك كسرى وما ناله من المنزلة الرفيعة وكيف أخذ المال الذى أتى به من عند قيصر ملك النصرانية بعد ما قتل الفارس الرومى الذى أتى مع المال وكيف أخذ أموال الثلاث ملوك بعد الاسر والقيود وعمارة يسمع وقد حلت به الكروب ونظر الى عبلة وقد صارت فى تلك المنزلة فصار متحيرا وما فرغ عنتر من المحادثة والكلام حتى راج الطعام

وقد أتت به الخدام وكلما تقدم خادم يخدم الامير عنتر يمنعه من ذلك ويقول أخدم انت هؤلاء السادات الاماجيد لانهم الموالي ونحن العبيد هذا وقد خرست الالسن ولا يدرون ما يقولون وكانهم أجواد الجام أوكانهم في منام بما رأوا من كثرة الاموال العظام (قال الراوي) ولما أقبل الظلام دخل عنتر على عبلة يفتقدها ويتوجع لها مما جرى عليها وقد قبلها بين عينيها فترامت الاخرى عليه وصارت تقبله في وجهه وعارضيه وهو يقول لها أبشري يابنت العم بزوال الهم والغم وبهذه الاموال الذي يعجز عنها العرب بما فيها من الجواهر والملابس العجب وكل شيء مفتخر وهذا التاج الذي ما فرح بمثله الاوائل والاواخر وهذه الجوار التي كانهن الاقمار وهذه العمارية الفضة المرصعة بالجواهر الكبار فتحكمي فيهم ليلا ونهار لانها نعمة قد ساقها لك الملك الجبار فقالت عبلة والله يا ابن العم ان سلامتك عندي أحب الي مما ذكرت وما أرى العز الا ان حضرت فتبسم عنتر من كلامها وانشرح صدره لمقالها وشكرها على وفاودادها وخرج من عندها وركب الى حفظها من طوارق الازمان وكان عمه مالك قد استخفى منه وقام اليه ومعه ولده عمرو وعروة بن الورد وأرادوا أن يتولوا الحرس عنه فاقسم عليهم انهم لايفعلوا ذلك وقال لهم اعلموا ان الموالي لاتخدم العبيد لاسيما وأنتم لكم أيام ما نمتم ولا تهنيتم بمنام على الصعيد لما قد جرى عليكم من هؤلاء العبيد (قال الراوي) كل هذا يجري من عنتر في حقهم وهوماله عندهم قيمة ولا مقدار لان بغضه مؤسس في قلوبهم وكانوا يتمنون أنهم قتلوا على يد طارقة الليالي وسيوف الاعدى ولا يكان خلاصهم

على

على يديه من الردى وقد زاد فى قلوبهم بغضته لما أنهم نظروا
رؤيته وعمارة زادت حسرته وكاد أن تنفطر مرارته الى أن أقبل
الليل بظلمته فباتوا تلك الليلة يتحدثون فى قصته ويتعجبون من عظم
مروءته ويحسدونه على ما أتى به فقال عمرو أخو عبلة يا أبتاه
أعلمك من اليوم ما بقى لى اقامة فى بنى عبس ولا بد لى ما أطلب
بلاد اليمن وأقيم فيها باقى العمر والزمن الى ان يدركنى الحمام
لانه لم يبق لى عين تنظر الى هذا الولد الزنى الحجام يملك أختى عبلة
بدر التمام وأنا فى حياة الدنيا لا كان ذلك أبدا الى أن أشرب
شراب الردا فلما سمع منه أبوه ذلك الكلام فقال له كيف يعمل
الانسان أيعادى اله السما الحاكم الديان فيا ولدى كلما احتلت
عليه بحيلة وأنفذته اليها يسلم منها ويأتى سالم ولا سيما فى هذه
النوبة رجع بهذه الاموال والغنائم الذى لا يقدر عليها أحد من
الملوك الثقال وأنا أعلم اننا اذا وصلنا الى الاحياء يرون له أصدقاء
ولنا أعداء لانك قد رأيت ما فعلوا فى حقنا لما سمعوا أنه قتل وشرب
شراب الردى فعند ذلك بكى عمرو وأن واشتكى فقال عروة بن
الورد وذمة العرب يا عمر وان وصل عنتر الى بنى عبس ومعه هذه
الاموال وفرقها على الفرسان والابطال ملكها وملك عقولها وعزل
الملك زهير منها شيأ قبله ولا أحد منهم يبغضه لان هذا ليس بمال
قليل ولا يقدر عليه الا كل ملك جليل ولا تقدر عليه سادات
العرب ولا كل من ضرب فى البيدى وتد ومد طنب (قال الراوى)
فلما سمع عمارة ذلك الكلام بكى مما حل به من الحسد والغرام
وصاح وامصيبتاه واحسرتاه يا بنى الاعمام والله لقد انفطرت مرارتى
وسأموت بحسرتى من هذا الاسود الحجام الذى قد أسعده رب

الانام بعدما كان راعي الجمال والاغنام وحق الآلهة والاصنام ان أخذ عبلة وأنا في الحي حاضر زادت بليتي ومت بحسرتي لوقتي وساعتي فياليت طارقة الزمان كان ذبحني ذبح الاغنام ولا كنت أبصرت هذا الولد الزنا عاد سالم ومعه هذه الاموال والغنائم ثم انه بكى وأن واشتكى وأنشد يقول

يا ليتني لم أنا داباالوالد * لولا الدهر عض يدى
لاولا الدهر عاندني * رماني بالحزن والكمد
وجاء حسابا لست أعهده * وقد أتى مالبس في خلد
ولم أر ناصرا يساعدني * ولا غيورا يطفي لظى كبدى
مالي سوى الموت راحة ولقد * عز اصطباري وخانني جلدى
فهل من خطير ذى همة شرس * بهمة فاقت همة الاسد
يفرج مابي من أسود عبس * قبيح فعل نذل الورى نكد

(قال الراوي) وماز الوا على ذلك الايضاح الى أن أصبح الصباح وما فيهم من نام من شدة الحسد ولا استراح وبعد ذلك أتاهم عنتر وسأل عمه في الرحيل فقال له يا ابن الاخ أنت وشأنك عندها صاح عنتر في العبيد وأمرهم بالرحيل من هذه البيداء وكانوا ثلثمائة غلام مماليك وغلمان وكلهم شجعان يقدمهم أبو الموت الاسد الهمام ثم ان الامير عنتر أخرج الحلي والحلل وألبس عبلة سبع حلل عظام ما لبس مثلها بنت من بنات العرب الكرام وألبسها على رأسها العصابة الجوهر والتاج الذى يبهر البصر وأخرج لها الكمر الجوهر وحزمها به على ذلك اللبس المفتخر وأخرج لها ثلاث عقود من اللؤلؤ المدثر وفصوص الياقوت الاحمر والاصفر من خاص نفائس الجوهر فأشرق المكان من ذلك

اللامعان فى شعاع الشمس على ذلك الجبين الازهر فتحير كل من
اليها نظر هذا وعمارة لما رأى ذلك حس أن روحه قد خرجت
من جنبيه وكاد أن يغشى عليه وبعد ذلك شد الامير عنتر
لعبلة العمارية الفضة البيضاء على بغلين شداد وكانت تلك العمارية
مطعمة بأصناف الجوهر ثم انه أركب عبلة عليها وأمر العبيد
بسوق الجمال والظعن وأمرهم أن يترفقوا فى المسير هذا وقد سار
عمارة فى المقدمه ودموعه تجرى على خديه منصبه وهو
لا ينظر ما بين يديه من عظم ماجرى عليه وعنتر قد سلم عبلة الى
أبيها وقال له تسلم يا عماه ابنتك وهذه الاموال التى سهلها الله على
يدى وأفعل معى ما أنت أهله فدعا له عمه وشكره وأظهر له خلاف
ما أضمره وقال له يا ابن أخى اليوم عبلة ابنتك ونحن عبيدك
وخدمك قال وكان هذا الكلام من مالك مكرا ولعنه الا أن عنتر
لما سمع من عمه هذا الكلام تقدم وقبل اقدامه وأوعده ببلوغ
مرامه وقد زاد له فى الاكرام والتبجيل ورفع المقام ثم انهم ساروا
الى المساء ونزلوا على غدير سلمى فباتوا ليلتهم وعنتر لهم حارس لانه
من فرحته بلقاء عبلة قد هجر المنام وطاب له السهر والنظر الى
وجهها فى الضياء والظلام ولما أصبح الصباح وأضاء بنوره
الوضاح رحلوا من تلك المنزلة وقطعوا البرارى والقفار والسهول
والاوعار فلما بقى بينهم وبين أرضهم ليلة واحدة طلبوا عمارة فما
وجدوه فسألوا بعض العبيد عليه فما أحد منهم أعطى عنه خبر
ولا علموا متى فارقهم فى البر الاقفر فقال مالك أبو عبلة للامير عنتر
ما أقول الا أن عمارة سبق الى أهلنا يبشرهم بقدومنا ويعلمهم
بسلامتك وعما وصل معك من الاموال والغنائم والجوار

والغلمان والمماليك والخدام وهذه الخيل والبغال فقال عنتر يا عماه أنا مالى عنده هذه المنزلة حتى يريد أن يفعلها وان كان الامر كما ذكر كان الملك زهير وأولاده خرجوا الى لقائنا ونظروا ما معنا من الاموال فقال مالك يا ابن الاخ أنا أمضى من ساعتى هذه الى الاطلال وأبشر بسلامتك الرجال وأصلح حالى مع أبيك شداد لانه قلبه قرقسى على لاجل ذلك الخبر الشنيع الذى أخبره أخوك شيبوب وما أقدر أصلح قلبه الا بذلك البشارة والخبر بسلامتك لانى اذا عدت من ساعتى هذه أكون عندهم عند طلوع الشمس وأشرف على العساكر والعشائر وألتقى فى الحى البشائر وتكون أنت رحلت من هنا وقت السحر أو نصف الليل ونلتقى كما اضحى النهار ونزول العنا والاضرار وينظرك حسادك ومعك هذه الاموال وكثرة الخير وما قد نلت من النوال (قال الراوى) فلما سمع عنتر من عمه ذلك قال يا عماه الامر أمرك والعبد عبدك وذمامى فى يدك أفعل ما بدا لك فلا أعدمنى الله طلعتك وان شئت فخذ معك عبلة ابنتك حتى اننى أسير تابعا لك فقال مالك يا أبا الفوارس أنا أقول انها اذا كانت فى صحبتك يكون أحفظ لها وأنت أشفق عليها منا الا أننا ما بقى لنا فيها حكم من حيث أنيت بمهرها ثم انه غير جواده بجواد من جنائب عنتر وسار هو وولده عمرو وعروة بن الورد وأم عبلة وقد ركبوا من خيول عنتر المستريحة وتواسائرين على حالهم وأما عنتر فقد نزل فى مكانه وأقام الى نصف الليل ومالك ومن معه سائرون فى حديثه بالسوء وقد فعل معهم شيأ ما أحد فعله من الفعائل هذا كله والحسد قد قطع قلوبهم وشق صدورهم وساروا وهم حائرون فى أمورهم لا يدرون ما يفعلون

في

فى حق عنتر ولا كيف يدبرون على هلاكه وعمر واخوعبلة يقول ماهذا الا كيد عظيم من هذا العبد الزنيم لان عمارة ماهج على وجهه الا منه ومن أجله فلعن الله بطنا حمله فما أشم طلعته وسواد رؤيته فياليتنى أنا الا آخر كنت هميت على وجهى مع صهرى وصاحبت الوحوش باقى عمرى كان أحب الى من نظرى هذا العبد صهرى وان هذا الامر كلما افتكرت فيه أحس ان مرارتى تنفطر فياليتنى أموت وأنقبر وياليت لا كنت أسمع ولا أبصر ثم انه زادبه الآلام والنكد فانشد يقول

الدهر يرمينى بكل مصايبى * من لوعة وصبابة وعتابى
فمن ابتلى يصبر لى ما نابه * وبلاه من ذل وكثرة صابى
اذلم يكن لى من زمانى ملجأ * من هول أمر غاب فيه صوابى
فلاطلبن الموت فى كشف الذى * قد نالنى من ذلتى ومصابى
كل الامور لها احتمال فى الورى * الا الشتات مذلة الاصحابى
الموت شىء واحد فى ذوته * والحكم فيه مخالف الاسباب

(قال الراوى) فلما فرغ عمرو من شعره ونظمه قال له أبوه ياولدى لا يضيق صدرك ولا يطيل فكرك لانى اذا عجزت من أمر خنقت أختك فى الليل وأرحت نفسى من هذا العنا والويل الذى قد هدى منى القوى والحيل لان العرب فعلت هذه الفعال وقد قتلوا بناتهم وارتاحوا من الاعلال ومازالوا فى جد المسير حتى أصبحوا فى ديار بنى عبس عند طلوع الشمس وقصدوا أبيات بنى قراد ودخل مالك على أخيه شداد وقال له قم يا أخى ولاقى ولدك الذى عاديتنى عليه ومن أجله وقلت أنا الذى كنت السبب فى قتله فها قد وصل اليك ولدك سالم ومعه أموال وغنائم ومن كثرتها

قد سدت الصحرى من أموال الملك المنذر والملك كسرى فقال شداد أحق ما تقول يا مالك فقال أى وحق مالك الممالك المنجى من المهالك عندها نهض شداد وركب على ظهر الجواد وهو يقول وافرحتاه من بعد ترحاه هذا وقد علا الضجيج والصياح فى الابيات من النساء والبنات ولم يبق فى الخيام من الحله لا أمة ولا حرة الا وقد خرجت الى بره واعلنوا بالفرح والمسرات ودقت بالدفوف الاماء والمولدات وعلا الصياح الى أن وصل الى أبيات الملك زهير فقال لاعبيده ياويلكم انظروا ما حال الناس من بنى قراد فقالوا يا مليكنا لك البشارة بوصول عنتر بن شداد لانه قد عاد سالم ومعه الاموال والغنائم قد سدت الفضاء وملاءت الصحرى من أموال الملك قيصر والملك كسرى فقال الملك زهير ان هذا غاية ما يكون من العجب وهذا حديث يؤرخ ويكتب بماء الذهب وحق اللات والعزى لاخرجن الى لقائه حتى أرغم أنف أعدائه وأسر قلوب أصدقائه ثم انه نهض من ساعته وركب فى فرسان قبيلته هو ومن يعز عليه من أهله وعشيرته وتبعه أولاده وأبطاله وأجناده وكان أفرحهم بذلك اليوم ولده مالك وأخوه الحارث لانهما من خواص أصدقائه واغتم من ذلك جميع أعدائه (قال الراوى) هذا وقد تركوا الابيات خالية ما فيها الا شيخ ضعيف عن القيام أو صبى صغير لا يعى على حوادث الايام قال وكان عنتر قبل رحيله قد أقام على الغدير الى نصف الليل وقام وشد لعبلة العمارية الفضة على بازل من البغال وأركب ابنة عمه ورحل على أثر القوم وهو يحادث ابنة عمه ويتلذذ معها بالحديث وبالنظر الى وجهها الازهر لان أعظم ما يكون من اللذة مشاهدة الحبيب للمحبوب

الى حضر واو اشيا ولا رقيب ثم انه شفى غليل فؤاده وهو يحدثها وينظر اليها هكذا الى وقت السحر فعند ذلك قال لها يا ابنت العم انا اعلم ان اباك الساعة وصل الى الاحيا واعلم اهلنا بقدومنا ولا بد أن الملك زهير يخرج الى لقائنا هو وسائر أولاده وفرسانه وأجناده ولا أقدر أكافهم التعب فى المسير من اجلى وانا اقل عبيدهم والخدم ومن الرأى ان اتقدم الى قدام والتقى بهم قريبا من الديار واخلو بالملك زهير واحدثه بحديثى وما وقع لى فى سفرى وتقدموا انتم علينا الانى قد امنت عليكم من حوادث الزمان وهذه ارضنا ومنازل بنى عدنان ثم انه اوصى الخدم والعبيد بالحفظ والرفق على عبلة بالمسير خوفا عليها من غبار الخيل وزعقات الابل فى هدو الليل وسار والارض لم تسعه من شدة فرحه الى ان تضاحى عليه النهار واذا هو بغبار قد علا وثار وسد الاقطار وقد ظهرت من تحته فرسان بنى عبس وعلى اكتافهم القنا وبين ايديهم العبيد والاما وهن يضربن بالمزاهر وقد ابهرن بحسنهن النواظر والملك زهير بين ايدى الجميع كانه اسد الغاب وعلى راسه رايته العقاب واولاده من حوله وفرسانه الانجاب فلما رآه عنتر ترجل من على جواده وقد انساه ذكر عبلة حلاوة اللقا ونسى ما قاسى من التعب والشقا ولما تقاربت بنو عبس منه صاحوا باصواتهم الملاح وضجوا بالافراح والاستبشار وحركت المولدات المزاهر وازعجت الاقطار كل هذا يجرى وعنتر يقبل يد الملك زهير واقدامه فى الركاب ويدعو له بطول الدوام والبقا وطيب الايام وبعدها انشد يقول

كشف الزمان لثامه عن باهر ✻ متكامل الاضوا بنور زاهر

وأتى النسيم به وبرح ما برى * وسرى الى العليا بنور عاطر
قصر والذى طلبوا بنا الواسيفه * كالطير اذ يرمى بسهم غادر
بالنصر معقود اللواء موثيد * مرد عداه بكل أسمر باتر
ياواحدا فى دهره مترفعا * فى سعده الباهى على كل كابر

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من شعره ونظمه تقدمت اليه أكابر بنى عبس وسلمت عليه صغيرهم وكبيرهم لاسيما صديقه مالك والحارث أولاد الملك زهير وفرح الجميع بلقاه وسلامته من أعداه وصار الملك زهير يسأله عن طريقه وما كان سبب تعويقه واخوته جرير وشيبوب يضجان بالبكاء من حلاوة اللقاء بعد الحزن والشقاء الان عنتر ما فرغ من حديثه مع الملك زهير حتى أقبلت عبيده تسوق النوق والاموال والصناديق فوق البغال والمماليك راكبين الخيول الغوال وبأيديهم السيوف الصقال وقد تزينوا بأفخر الملابس الحسان وشدوا أوساطهم بالمناطق الذهب والحياصات العرمرم وتلفعوا فوق رؤسهم بالاقبية الكسروية من الديباج الملون ومن ورائهم الجوار الروميات والحبشيات والتركيات وأزعجوا الارض فى الطول والعرض وقد أقبلوا الدنيا بأصوات الافراح والمسرات وأقبلت بعدهم العمارية الفضة وقدامها الجنائب القيصريات والخيل الكسرويات وعليهم السروج المذهبات وعلى متونهم الجنائب الحسان ومن فوقهم المماليك والغلمان كأنهم خرجوا من الجنان فسبحان الكريم الديان الذى من بهذه النعم على هذا الفارس العرمرم وجلب هذه الارزاق الحسان على رغم أنف أعداء الاثام وقهر سائر الشجعان (قال الراوى) ولما تقارب الجميع

من عنتر وقد أشهروا فى أيديهم السيوف الصقال ودار وا به يمينا وشمال ترجل عنتر من على متن جواده الابجر وشد وسطه بمنديل مذهب كان للملك قيصر مزركش أطرافه بالذهب الاحمر وصاح فى عبيده فوقفوا وأجابوا مقاله ولم يخالفوا أمره فأمرهم أن يجوزوا بالجمال والبغال ثم انه قادمن الجنائب عشرة ما لها مثال بجلالاتها ومراكبها وخمس بغال بصناديقها وأموالها الغوال وقدم الجميع للملك زهير وباس الارض قدامه وسأله فى قبولها فقبلهم منه على كل حال وكان بين كل صندوقين جارية رومية أو حبشية أو عجمية ما لها مثال وبعدها فرق على بنى عبس الاموال الذى ذكرناها لكم ان الملك كسرى كان أعطاها له برسم بنى عمه بخلاف الاموال التى خصه بها وحده وبعدها فتح صناديق الاموال وفرق منها على فقراء الحى والارامل والايتام والعبيد والخدام ولم يترك أحدا فى الحلة الا وأعطاه من الاموال واسترضاه (قال الراوى) كل هذا يجرى والملك زهير يتعجب من كثرة ما رأى من هذه الاموال والغنائم الذى تدهش النظار فقال وحق الكعبة الغرى وأبى قبيس وحرى لقد أفقر عنتر الملك كسرى . ثم انه قال يا بنى الاعمام كل من أهداه عنتر من هذه الخيرات والانعام يعطيه غيره من النوق والجمال لاجل أعانته على الولائم والعرس و بلوغ الامال فأجابوا جميعا بالسمع والطاعه وقد تهيؤا لهذا الامر من تلك الساعه وأما عنتر فما زال يفرق الاموال على بنى عبس الاقيال حتى أفنى ما معه من الخيل والنوق والجمال والصناديق والبغال ولم يبق عنده الا النوق العصافير ومن الاموال شىء يسير وهو سائر بجانب الملك زهير يحادثه بجميع ما جرى له فى مدة سفرته الى حين

حضر والملك زهير يتعجب من ذلك وهو يعلم بما جرى على قلبه
من الاحزان لما أتاه أخوه شيبوب ونعاه فى الاوطان وعنتر يقبل
يده ويثنى عليه (قال الراوى) وبعدها رجع كل واحد الى أبياته
وتفرقت بنو عبس الى منازلها وأقبل عمرو وأخو عبلة وهو قائد بزمام
البغال الذى عليهم العمارية التى وفيها أخته عبلة والاموال
مع العبيد قدامه جملة (قال الراوى) ولما وصل الى فريق بنى
قراد الكرام كانت العبيد ضربت لهم الخيام ومدوا الاطناب
وركزوا الاعلام عندها تقدم عمرو وكشف سجاف العمارية
وصاح بأخته وقال لها قومى أنزلى يا عبلة وافرحى بهذه الاموال
والخيرات والارزاق التى أقبلت عليك بالعرض لان الرب الكريم
فتح لك كنوز الارض وأزال عنك الفقر والفاقة وضيق الخناق
ووسع لك فى الارزاق فلم يجبه من العمارية أحد لا أبيض
ولا اسود فظن أنها نائمة من كثرة السهر وما قاست فى البر
الاقفر من التعب والضجر فصاح بأعلى صوته وقال لها قومى
يا عبلة وأنزلى ما هذا وقت منام فلم يجبه أحد فهز العمارية بقوته
وأدخل رأسه جواها فلم يرفيها أحد لا أبيض ولا أسود فصاح
وجلبب من شدة ما وقع له من النكد وعاد على عقبه وهو ينادى
بعدم أخته عبلة وهو حائر ومازال الى أن وصل الى عنتر وأعلمه
بفقد عبلة وكيف انه ما رآها وما وجدها فى العمارية ثم سأله
عنها فقال عنتر ما رأيتها من ليلة أمس لما تركتها مع خدامها
وأتيت لأجل السلام على بنى عبس ولكن يا ابن العم أين
ذهبت فقال له لا أدرى ولا أعلم ما وقع لها من الهم والغم عندها
قامت على عنتر القيامة وحس بالنار وحه تنسل من بين جنبيه

وما

59

ومابقي يدري ما بين يديه ثم انه جمع الاماء والعبيد وسألهم عنها فما أحد أعطاه خبراً فاغتم لذلك وتحير واشتد به كربه واحترق فؤاده وكبده وصار يدق بيد على يد من شدة الغيظ والكمد ثم انه بكى وأن واشتكى وأنشد يقول

الى كم أتحمل أسباب الجوى * وأعالج الاشواق من ألم النوى
حتى عدمت تجلدي وتصبري * وضاع مني السمع وزادت البلوى
فلأصبرن على النوائب كلها * ولوان الجسم مني قد ذوى
ولقد حملت الهم من دون الورى * ماليس تحمله الشداد ذوي القوى

(قال الراوي) كل هذي يجري من عنتر على عبلة ومالك أبوها قد أظهر الحزن في الظاهر والفرح في الباطن لانه يريد هلاك ابنته كي لا يأخذها عنتر بغير نيته وقد تبدلت أفراحه بالاحزان الشداد وشمت بعنتر الاعداء والحساد وكان أكثر الشماتة من بني زياد وأما الملك زهير لحقه من الغم شيء كثير وانقهر وجرى على قلبه مالم يجر على قلب بشر وصار يتعجب من هذا الامر الخطير ثم انه أرسل بعض عبيده يتجسس أخبارها ويقتفي آثارها فسارت جماعة من العبيد وطلبوا البراري والقفار فما وجدوا لها أخبار ورجعوا الى ديارهم خائبين والى عند الملك زهير طالبين وأعلموه أنهم ما وجدوا لها خبر ولا وقعوا لها على أثر فقال الملك زهير لعنتر يا أبا الفوارس طيب قلبك ولا يضيق صدرك فوحق البيت الحرام وزمزم والمقام والركن والحجر ومن طاف به من ربيعة ومضر لاقتفين آثارها وآتيك باخبارها ولو انها خلف سد اسكندر فقال عنتر يا مولاي ان الخطأ كان مني في الاول لاني تركتها في العمارية عند من لا يعرف قدرها وسرت أنا اليك وطلبت العجلة خوفاً على قلبك

من العنا والتعب حتى لا يعتريك نصب (قال الراوى) وبعد ذلك عاد عنتر الى أبياته وقد طلب بيت أمه زبيبة وهو يمشى بغير اختياره لانه يعلم أنها ساقاعدة فى انتظاره وفى قلبها من أجله نار لا تطفى ولهيب لا يخفى وهى لا تصدق أن تنظر اليه وتتمتع به بعد هذه الغيبة الطويلة فهذا ما كان من عنتر وما جرى له وأما ما كان من عروة بن الورد وأحواله فانه اجتمع بالربيع بن زياد وحدثه بحديث أخيه عمارة القواد وما فعل من الامور والعناد وأخبره كيف خلصه عنتر من أسر طارقة الليالى وكيف فقدهم فى الظلام ولم يعلموا أين مضى ولا يعرفوا أين سار فقال الربيع عند ما سمع من عروة ذلك الكلام وحق الركن والحجر والبيت العتيق المطهر ومن طاف به من جميع البشر ما قتل أخى عماره الا هذا العبد الاغبر وانى لأطلب ثارى الامن الملك زهير وأرميهم بسببه فى العنا والضير وان هو سلمه لى هذا العبد نفعل به ما نريد والا رحلنا من جواره وأخذنا ثار أخينا بأيدينا من هذا العبد العنيد ولما أصبح الصباح قام الربيع واخوته بعصبته وهو فى جماعة كثيرة من أقاربه وعشيرته وسار بهم الى أن دخل على الملك زهير فى الخيام ثم انه صاح وبكى وناح وقال واأميراه واأخاه ثم انه أخبر الملك زهير بما صدر من الكلام فتعجب الملك زهير من تلك الاحكام فعند ذلك قال لهم يابنى زياد ما هذه الاحوال والعناد اتركوا الرجل من أيديكم واعلموا أن عنده شاغلا من دون الانام وبعد هذا ان أقمتم عليه البينة انه هو الذى قتل أخاكم وحق الرب القديم أسلمه اليكم فقال له الربيع يا ملك واذا أقمنا عليه البينة أنه هو الذى قتل أخانا وأهرق دمه ما تقول أنقتله بأيدينا

ويكون يا ملك الزمان عبد شداد بن الامه عديل أخينا الامير عمارة ابن الحرة المكرمة ثم ان الربيع أنشد يقول

يا أيها الملك العظيم الشان * اعطف على ذلى وفرط هوان
أيقاس انذال العبيد بسيد * بطل كمى من بنى عدنان
أيكون عبد ماله حسب ولا * نسب ولا قدر مدى الازمان
ونشتفى بقتله من عظم ما * فى قلبنا من لوعة النيران
كلا ورب البيت ما نرضى بذا * فى قتله ألفا من السودان

(قال الراوى) ثم ان الربيع خرج من عند الملك زهير حردان وقد علم الملك زهير ومن عنده من العربان أنهم ظالمون عنتر وانه برىء مما قالوه عنه من ذلك الكلام المجهر ودام أهل الحى يتحدثون فى أمر عبلة وقد كثر الكلام بالجملة وكل واحد يتكلم بما يجد فى نفسه من الكلام (قال الراوى) وكان السبب فى فقد عبلة حديث عجيب وأمر مطرب غريب نحب أن نسوقه على الترتيب وذلك أن عنتر لما فارق عبلة بالليل وأوصى عليها الخدم والعبيد وسار لملاقاة الملك زهير وبنى عبس المشاهير فأخذ عبلة النوم لكثرة العناء والضير لان عنتر كان أسهرها بحديثه ولما أن فارقها نامت داخل العمارية والعبيد سائرة بالاموال والنياق والبغال وجميع الاموال سائرون بجانب العمارية يمينا وشمال فلعب النعاس بعين الامة القائدة بزمام البغال وذلك لامر قدره الله تعالى فقصرت البغال عن السير ولحق الخدم التعب والتقصير ومازالوا سائرين الى أن طلع الفجر وبان وشبعت عبلة من المنام ولما انتبهت من منامها ما رأت العبيد والخدام ولا سمعت للظعن حسا ولا ضجيجا فرفعت سجاف الهودج وكان الصبح بالنور قد ابلج فرأت

فساح البر وهى وحدها والاماء والعبيد نيام عندها زعقت عليهم ايقظتهم من غشوة السكرى وقالت لهم ياويلكم اين القلعن وباقى اصحابكم فقالوا لها يامولاتنا لقد غلب علينا النوم وها نحن بين يديك نطلب ان ترفعى عنا العتب واللوم واعلمى أن القلعن لم يكن عنا ببعيد بل هو قدامنا قريب (قال الراوى) فلما سمعت عبلة منهم هذا الكلام طاب قلبها من الآلام وقالت لهم ياويلكم قفوا على قليلا حتى أنزل أتمشى ساعة لاتلين حد العصب الموجب وجع الركب من القعاد الطويل ففعلوا ذلك ونزلت عبلة الى الارض وصارت تنظر فيها طولا وعرض الى أن لانت أعصابها وارتاحت من التعب التى اعتراها ثم انها قالت للخدام سيروا أنتم قليلا قدامى وها أنا سائرة خلفكم فساقوا الخدام الاموال عبلة قد حدثها قضاء حاجة فتمشت على غير الطريق لتزيل الضرورة وأرادت تقوم وتتبع القوم واذا بفارس قد انقض عليها من صدر البر ورأى ماعليها من الحلى والحلل والتاج ولما صار عندها وعرفها نادى وافرحتاه بالذى كنت آمله وأرجاه واختطفها من الارض وأردفها خلفه وركض بها فى الفلاه وكان هذا الفارس عمارة القواد وذلك انه لما خلصه عنتر من أسر طارقة الليالى وعاد معه الى قرب ديار بنى عبس وقد شاهد تلك الاموال والغنائم كادت روحه أن تزهق من جسده فمات كمدا وعلم أنه مابقى يقدر على المقام من شدة الوجد والغرام ففى تلك الليله ماذاق طعم المنام بل انه خرج فى الليل من الخيام وصار يلطم على وجهه وقد أقلقه الهوى وهو حيران وتارة يسير يمينا وتارة يسير شمالا وتارة يقتفى أثر نوقهم والجمال فعندها باح بما فى قلبه وأنشد يقول

أسير وقلبى فى الديار أسير * وارجوا يسير الوصل وهو عسير
وابكى على ذلى وقد كنت * سيدا الى صناديد الرجال تشير
ولولا صروف الدهر ما زاد ناقصا * ونال العلا عبدا وذل أمير
متيم واشكوا فى الفلاة بحرقة * وبين ضلوعى للفراق زفير
تجذبنى الاشواق يا ابنة مالك * اليك وقادتنى الامور اسير

(قال الراوى) ولم يزل سائرا على هذه الوسيلة طول هذه الليلة فلما أصبح الله بالصباح أخذ يتبع أثر القوم وهو يتنهد ويتحسر ولما اراده الله سبحانه وتعالى من القضى والقدر وقع بعبلة وهى ماشية تتمخطر فانقض عليها واختطفها واردفها وراءه على الجواد وركض بها فى ذلك البر الاقفر فلما عرفته عبلة قالت له ويلك اما تستحى وانت تسبى بنت عمك فقال أسبيكى ولا أموت قتيل هواكى فوحق ذمة العرب ما بقيت أدع عنتر يراكى (قال الراوى) فلما حققت عبلة منه ذلك زاد بها الانين وقالت والله لاتملك منى ما تريد وان لم أقدر على منعك قتلت روحى بيدى فقال لها ما هذا وقت خطاب ولا عتاب ثم ان عمارة الفواد سار وهى خلفه طالب أرض اليمن وديار بنى قحطان ومراده يستجير بالملك مفرج ابن حنظلة ملك بنى طى ولم يزل على ذلك الى أن أمسى عليه المسا ونزل على بعض الامياه وبات تلك الليلة الى أن أصبح الله بالصباح وعبلة فى بكى ونواح فركب عمارة جواده وأراد أن يردفها وراءه واذا بغبار قد على وطار وسد الاقطار وبان من تحته فرسان وشجعان وهم ثلثمائة فارس ليوس عوابس ويقدمهم فارس كأنه عامود أو قطعة من جلمود قال وكانت هذه الفرسان من بنى طى والمقدم عليهم يقال له مفرج ابن همام الطاءى

وكان فارس عصره وفريد دهره فلما ان قارب عمارة ونظر عبلة وهي واقفة تبكي وعليها تلك الحلل الفاخرة فقال لقومه يا بنوا الاعمام أبشروا بهذه الغنيمة التي أقبلت علينا في هذا النهار لاشك أن هذه الجارية من بنات الملوك الكبار وقد وقع بها هذا الرجل فدونكم يا بنوا العم وإياه وان هو مانع عنها اقتلوه وأعدموه الحياه قال فعند ذلك دارت به الفرسان وطلبته من كل جانب ومكان فلما نظر عمارة الى ذلك حار في أمره ولحقه الانبهار وقال لعبلة يا بنت العم انزلي حتى اني أدافع عنك العدا وأرد عنك هذا القوم لانهم يريدوا أن يأخذوك مني لاجل أن تنظري كري وفري ولكن يا بنت العم بالله عليك اذا رأيتهم ملكوني أو قتلوني لا تتزوجي بهذا العبد الزنيم بعدي (قال الراوي) فما تم عمارة كلامه وابرامه حتى دارت به الفرسان وطعنه فارس منهم بعقب الرمح أقلبه عن جواده كركبه وأخذه أسيرا وتاه ذليلا حقير وحملوه هو وعبلة وساروا بهم الى بين أيادي سيدهم مفرج ابن همام (قال الراوي) فلما نظر مفرج ابن همام الى عبلة وحسنها خفق فؤاده والتهب بناره فأمر بحملها وعرض عمارة على جواده في شدة واعتقاله وسار هو وأصحابه وفرسانه وأجناده الى أن وصل الى أرضه وبلاده وكان كلما سار يتلاطف بعبلة في السؤال وهي ما تزداد الابكا والانتحاب حتى وصلت معه الى الديار قال ولما قر قرار مفرج ابن همام في أرضه أحضر عمارة وسأله من أي القبائل انت فقال له أنا عمارة ابن زياد من بني عبس الاجواد وأخي الربيع أمير من الامرا الشداد فقال له وهذه الجاريه ما تكون منك يا ابن الوغاد فقال له هذه عبلة بنت مالك ابن قراد ابن عمها عنتر ابن شداد ثم انه أخبره على القصة من

أولها الى آخرها وكيف ان مالك أنفذه الى أرض العراق فى طلب المهر والصداق وكيف أتى شيبوب ونعاه فى الاحياء وكيف مالك رقع مع واقد ابن مسعره الكنانى وقصة طارقة الليالى وكيف قابلهم عنتر فى الطريق وخلصهم من البلى والتعويق والقصة من أولها الى آخرها (قال الراوى) فلما أن سمع مفرج من عمارة هذا الكلام صار الضيا فى وجهه ظلام وقال له يا ابن اللئام هذا جزى عنتر ابن شداد بعد خلاصك من العبيد نسل الحرام ثم انه أمر عبيده فى الوقت والحال أن يشبحوا عمارة فى أربع سكك من حديد ويضربوه الضرب الشديد ففعلوا ذلك به وداموا عليه بالضرب والعذاب فجعل عمارة يستغيث فلا يغاث فقال له مفرج أفدى نفسك يا ابن الاوغاد فقال له عمارة أطلب منى أيها الفارس الجواد ماشئت وما تريد فقال له أطلب منك خمسمائة ناقة وخمسة رواس من الخيل بعددها ولا ماتها فقال له ياسيدى على كل ماطلبت على انك تنفذ عبدا من عبيدك يسير الى بنى عبس ويجتمع باخوتى ويعلمهم بما أنا فيه من التعس والنكس وهم يرسلوا اليك الفدا وكلما طلبت وأخبرك ان أردت أن تفدى هذه الجارية بما يسرك وما تريد فاهلها يرسلوا لك أوفر مزيد فقال له مفرج يا ابن الاوغاد فالجارية لم بقت تبرح من يدى لانها ملكت فؤادى وكبدى وأريد أحظى بها وأسلها جميع ماعندى ففى الحال أرسل عبدا من عبيده العظام وقال له سير الى بنى عبس بهذه الرساله وأخبرهم بهذا المقال فقال عمارة للعبد أوصيك ياعبد الخير ماتدخل عليهم الا يكون بالليل وتعلم أخى الربيع بما أنا فيه من الذل والويل وقول له لاتتوانا على عمارة لانه فى القيود ويقاس الاهانه قال فعند ذلك

سار العبد يجد المسير ولله المشيئة والتدبير الى أن وصل الى بنى عبس وحكم دخوله بعد غطوس الشمس وسأل عن فريق بنى زياد فعندها أرشدوه اليها العباد فسار حتى أنه دخل على الربيع ابن زياد وأخبره بما جرى على أخيه عمارة القواد وأعرض ذلك وكان فى جواب كتبه له وهو فى عز المهالك فأخذه وقراه وفهم رموزه ومعناه فعند ذلك أرسل خلف اخوته وأعلمهم بذلك الايراد واستشارهم فيما يفعل فقالوا له افعل أنت مابدا لك فكلنا تابعين أفعالك فقال لهم لكن نحن بنى زياد الامراء الاجواد ونخلص أخانا بمال أونوال لكان ذلك أبدا ولو سقينا شراب الردا فان ذلك عار وذل وشنارة فقالوا اخوته مايكون الرأى عندك فافعل ما تريد فقال لهم الرأى عندى اننا نقبض على هذا العبد ابن الاوغاد ونسير نحن نخلص أخانا بالرماح المداد من يد هؤلاء القوم الاوغاد فقالوا له هذا هو الصواب والامر الذى لا يعاب فعند ذلك قبضوا على ذلك العبد وربطوه فى الخيام ونادى الربيع وقال لهم خذوا أهبتكم يابنوا الاعمام ونخلص أخانا من الاسر والهوان لان الذى فعله عار وان درى بذلك الملك زهير يقول لنا أخاكم سبا ابنة عم الرجل ولج بها فى القفار وأنتم أتيتم وتهمتموه انه قتله وأنزل به الدمار وهذا والله فى حقنا ذل وعار لا ينمحى أبدا ويلومنا على ذلك الصغار والكبار وبعد ذلك باتوا يصلحون أمرهم وهيؤا أشغالهم الى أن أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح فسار وافى مائتين فارس من كل بطل مداعس وليث ممارث وكان معهم عروة ابن الورد البطل الهمام وساروا يطلبون حلة مفرج ابن همام فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من مفرج ابن همام فانه صار بتلاقا قلب

عبلة ويطيب خاطرها حتى انها تألفه فلم تزداد عليه الا قسوة وعناد فراودها عن نفسها فابت واغلظت عليه فى الكلام وقالت له يا ابن اللئام لن تنال منى ما تريد وانك الى وصال أملك أقرب فابعد عنى وحيد لان هذا أقبح ما يكون عند بنات العرب يا جبان يا بليد وان كنت تغصبنى على نفسى أقتل روحى بيدى وتبقى أنت تطالب بدمى فعند ذلك اشتد به الغضب والآلام فضربها بالسوط على اكتافها وجنبيها حتى ابتلاها بالسقام وجلب لها الهلاك والاعدام فعند ذلك علا صراخها وصياحها وقالت يا ابن اللئام لو نظرك ابن عمى تفعل ذلك لطيره منك الهام فصاحت وقالت وابن عماه واحسرتاه وامصيبتاه واعنتراه فلما سمع منها ذلك زاد عليها بالضرب بالسوط الذى فى يده فزاد بكاؤها ونواحها فسمعت أمه ذلك النواح فأتت اليه قريب الصباح وقالت له ما لهذه الجارية من البكاء والنواح فأخبرها بامره وأمرها وكيف انه راودها عن نفسها فاغلظت عليه فى الكلام وهددتنى بابن عمها ابن اللئام فلما سمعت منه أمه ذلك الكلام قالت له يا ولدى أتركها واكسر نفسها بالخدمة وقلعها الذى عليها والبسها الصوف وذلها بالشقاء لانه يا ولدى كثير من النساء من يجىء الا بالاهانة والمذلة والتعديد وبعد ذلك تصير لك أطوع من العبيد وتأتيك بكل ما تحب وتريد فعند ذلك استصوب رأيها واجاب سؤالها ومقالها وخلع ما كان عليها من الحلى والحلل وألبسها الصوف على ذلك البدن وأظهر لها الجفا بعد المحبة والوفا وصارت أمه تستخدمها فى مخيض اللبن وجمع الجلة والحطب ونقل الحاجات والخشب فكانت عبلة تقطع النهار فى الخدمة والليل بالبكاء والدعاء على عمارة المحتال و يسمع ذلك وهو

في القيد والاغلال فيزيد على نفسه بكاء وانكال فهذا ما جرا لهؤلاء من الذل والانكاد وأما ما كان من عنتر بن شداد فانه ما زال يبكي ويتحسر وفيما جرا عليه يتفكر فازدادت به الحسرات فأنشد هذه الابيات

دموعي على الخدايس لها مسيل * وعيني نومها أبدا قليل
وقلبي لا يقر له قرار * ولا يسلو لما ذكر العزول
وكم أبلاقي الابعاد دهرا * وشوقي المنازل والطلول
طلبت من الزمان صفاء عيش * وحسبك ما يكن يعطى البخيل

(قال الراوي) وكان عنتر لما فقد عبلة أرسل أخاه شيبوب يدور عليها في الحلل ويسأل كل من رآه في سهل أو جبل فلما كان يوم من بعض الايام قدم عليه أخوه شيبوب فوجده حزينا وهو كأنه في بلوى أيوب وضر يعقوب فلما نظره عنتر قال له يا أخي طولت على غيبتك هات ما عندك يا شيبوب ان كنت وقعت على عبلة من خبر أو اقتفيت لها أثر فاخبرني بالعجل يا ابن الكرام ولا تطول على الكلام فقال له شيبوب ها هي مرمية عند مفرج بن همام في بني طي وأمه تستخدمها في الجلة والحطب وتغلظ عليها في الكلام وقلت الادب فقال له وما سبب وصولها الى تلك البلاد يا ابن الاوغاد فقال له أخذها عمارة بن زياد فقال وكيف عرفت ذلك يا ابن الحرام فقال شيبوب فقدتك أمك وأبوك وجميع قومك ولا كنت ولا كانت عبلة يا ابن اللئام لأي شيء هذا الاستعجال في الكلام فقال له عنتر يا أخي لا تلمني لان عقلي ضائع ثم انه أخذ بخاطره ومسح أطرافه وسكن غيظه وقال له أخبرني يا أخي كيف عرفت ذلك وقال له يا ابن الام اني درت بلاد اليمن وصنعا وعدن وأتيت جبال بني

64

سلمى وبت فى كل فريق الليلة والليلتين ولما كان فى آخر ليلة بت فى حلة مفرج بن همام عند عبد يقال له سلام فأضافنى وأكرمنى بعد ما سألنى عن عرقى وحسبى ونسبى فقلت له يا ابن الخالة أنا من بنى جهينه فقال لى أكرمت يا مولد العرب فلما نامت الناس كلها وهدت الحركات وهجعت الكلاب بين المضارب فوقع فى أذنى صوت عبلة وهى تنادى فى الليل الهادى وتندب كأنها حمامة الوادى وتقول واشوقاه الى العلم السعدى وأرض الشربة واحسرتاه من بعد الوطن وفراق الاحبة يا حامية عبس من أين أناجيك ومن أى الجهات أناديك وكيف السبيل فيمن يوصل خبرى اليك فما يخلصنى من هذا العذاب غيرك يا ابن العم لقد شمتت بك أعداؤك ونامت عيون حسادك وسهرت عيون أصدقائك ولقد آلمنى العذاب وقرح جفن عينى الدمع والاكتئاب يا أبا الفوارس أين كانت أيام التلاق حتى دهمتنا أيام الفراق وحكم علينا بذلك الملك الخلاق ومتى كان قدومك من أرض العراق حتى تشتفى الافاق وأنا أقاسى الهم والعذاب والبكاء والانتحاب وقد آلمنى لبس الخشن من الثياب ثم انها يا ابن الام بكت وأكثرت النواح وقيل انها تموت قبل الصباح فقلت للعبد الذى أنا فى ضيافته يا ابن الخالة ما لهذه الجارية من دون نساء الحلة ما نامت وهى على هذه الحالة وهذا الليل قد انقضى والصبح قد أضاء فقال العبد يا فتى اعلم أن هذه الجارية يقال لها عبلة ابنة مالك بن قراد العبسى ثم انه يا أخى أعاد على حديثها وكيف وقع مفرج بن همام برجل يقال له عمارة بن زياد وكيف أمره وأحكى له على ما جرا لك معه وعلى ما أتى به معك من بلاد العرق وكيف

خلصته من العبيد اللئام وكيف انك ملكت عبلة بعدما كانت في يد الاخصام فلاجل ذلك هج على وجهه واقتفى منها الاثار ولاجل القضاء والقدر لقيها في الطريق واخذها وراءه على الجواد ثم أخذها منه مفرج بن همام بعد ما صار له ما صار وطلب منها ما تطلب الرجال من النساء وهددته بك يا فارس الفرسان الذي رفع قدر العبيد على الابطال الصناديد وترك لهم ذكرا يذكر في محافل الشجعان الاماجيد فلما سمع مفرج بن همام منها هذا الكلام كبرت نفسه عنده فنزع ما كان عليها من الثياب والجواهر والاموال وضربها بالسياط الثقال وفعل بعمارة أقبح الفعال وأوثقه بالقيود والاغلال حتى انه يفدي نفسه بالنوق والجمال وقد أنفذ لاخوته يعلمهم بما هو فيه من سوء الاحوال ويطلب الخلاص منهم من كثرة العذاب وشدة الاعتقال وها نحن منتظرون قدوم المال حتى ننظر على أي شيء ينفصل الحال ثم اني يا ابن الام لما سمعت هذا الكلام وأقبل الصباح بالابتسام طار من عيني لذيذ المنام وما صدقت الصباح يصبح حتى انني طلعت من عندهم لاجل أن أعرفك على ما جرى لهم لانني أعلم انك من أجل غيبتي تقاسي الهم والغم وأنت على لظا الجمر واني عند عودتي يا اخي رأيت بني زياد سائرين الى ديار القوم يطلبون خلاص أخيهم عمارة وكنت لما رأيتهم تجنبت عن الطريق حتى لا يراني عدو ولا صديق ولا هم التفتوا الي ولا عرفوني وهذا جملة ما عندي والسلام من حين فارقتك وسرت من عندك الى حين أتيت اليك (قال الراوي) فلما سمع عنتر من شيبوب ذلك المقال زاد به الهم والغم والخبال وغاب عن الوجود وبقي حاضرا في صفة

مفقود من شدة حزنه على عمارة وشوقه الى عبلة لانه كان كثير المحبة لها شديد الغيرة عليها فآلم قلبه ما سمع عنها وما جرى عليها فقال لابد لى ان أكافى بنى زياد ولاحرمنهم لذيذ الرقاد وأحسرهم على النساء والاولاد والا فما أكون عنتر بن شداد ثم ان عنترا أنفذ أبيها وأخيها فلما حضرا أطلعهما على ذلك الحال العجيب فأخذا فى البكاء والنحيب وقد شاع الخبر فى أبيات بنى قراد وعلا الصياح وزاد وسار عنتر الى مضرب الملك زهير فرأى ولده مالكا فأعلمه بالحال وان عبلة قد تحقق فقدها فسار معه مالك الى أبيه ودخلا عليه وأعلماه بالخبر ثم ان عنترا بعد ذلك بكى بين يديه وانتحب وقال أيها الملك اعلم انهم اتهمونى بفقد أخيهم عمارة وانظر ما فعلوا معى بعد ما خلصت أخيهم من الاسر والهوان وجدت عليه بالفكاك من سوء الارتباك (قال الراوى) فلما سمع الملك زهير ذلك الكلام ورأى تلك الفعال حقد على الربيع وأضمر لبنى زياد وقال قد فعلوا فعل كل أمر شنيع الاوغاد لان أخاهم سباء عبلة مع انها ابنت عمه ولحمه ودمه وأخذها وهرب بها فى كل واد وكساها عارا لا يمحى طول المدا والتناد وقد أتوا يطالبونا بثارهم منا ومن عنتر بلا ذنب ولا أثر وان هذا الظلم زائدا كبر ثم انه قال يا أبا الفوارس دعهم فى بغيهم وغدرهم يفعلون ما يريدون وانظر ما يجرى عليهم فقد ساقهم الله الى آجالهم برجليهم كما لا يشتهون وأنا أعلم انه لا يرجع منهم الى الحى من يخبر بخبرهم ونحن هاهنا مقيمون حتى نسمع أخبارهم وآخذك وأسير بك على آثارهم ونشفى فؤادنا منهم ولا نعود الا بخلاص عبلة ونقتل مفرج بن همام وننهب سائر ماله من الانعام (قال الراوى) فلما سمع عنتر من

الملك زهير هذا الكلام استحى وعاد من حضرته وقد زاد به الغرام وكان مالك قد عاد معه فقال له عنتر يا مولاى أنا ما بقيت أقدر على القيام ساعة واحدة من بعد ما سمعت بخبر ابنت عمى عبلة ولا بد لى من طلبها فى هذه الليلة تحت ستور الظلام واصطلى هذه النوبة وحدى ولا أتعب الملك ولا أكلفه المسير الى هذا الامر اليسير لانه شىء قبيح وأريد منكم كتمان هذا الامر ولا أحد به يبيح فقال له مالك يا أبا الفوارس ما أخليك تسير وحدك ولا تخرج من ماهنا الا وأكون معك مع من أعتمد عليه من الفرسان من بنى عبس وعدنان ونبذل نفوسنا فى خلاص عبلة التى هى واحدة الزمان وسيدة بنات بنى عبس وعدنان ولو تكون فى آخر مطالع الشمس وآخر العمران يا أبا الفوارس اصبر على يومين وثلاثة ليال لعل أن يخرج أبى الى الصيد والقنص ويخلو لنا الحى ونغتنم الفرص حتى لا يعيقنا أحد عن المسير ونزال من قلوبنا نار السعير ونبلغ المرام ولا نخالف لأبى كلام فقبل عنتر مقاله ولا قدر أن يخالف سؤاله ثم ان عنتر بات تلك الليلة باكى العيون لم تغمض له جفون الى أن طلع الصباح وانهزم جيش الظلام وراح فقال عنتر أسير الى مالك أبى عبلة وأبى شداد وأشاورهما فيما من الاقامة أفعل كما أمرنى مالك أو أرحل واذا بمالك ابن الملك زهير قد دخل عليه وقال له يا أبا الفوارس هى نفسك الى المسير والسفر واعلم ان أمرك قد تجهز وتيسر وأريد أن أخالف أبى وأتبع هؤلاء ولا أزال معك فى مسراك ولا بقيت أفارقك حتى تبلغ قصدك ومناك فأعلم فرسان بنى عبس وخذ معك عمك مالكا وولده عمرا وأباك شداد او عمك زخمة الجواد ولا تتركه عند النساء والاولاد

فقال عنتر لمالك يا مولاي كيف نرحل ونخالف أباك وقد أمرني بالمقام حتى يرى ما فيه الصواب ويدبر ما يراه من بلوغ الاسباب فقال له مالك اعلم ان ابي ما أمرك بذلك الا شفقة منه عليك فارحل بنا في هذا اليوم لان أبي قد دعاه الشيخ بدر سيد بني قرارة فقال عنتر أنا يا مولاي زائد القلق والهيام ولا ذقت لذيذ المنام فلا عدمت همتك الشريفة التي لم تزل ترعاني في سائر الازمان ثم ان عنتر أنفذ أخاه شيبوبا الى أبيات بني قراد ليعلم أباه ومالكا أبا عبلة وولده عمرا ويخبرهم بذلك الامر والشان لانهم أصحاب رأى واجتهاد فسار اليهم شيبوب وأعلمهم بما عول عليه أخوه عنتر فلما سمع مالك وولده عمرو ذلك أخذا أهبتهما الى المسير وأتى مالك ابن الملك زهير الى عنتر وسأله فيما يفعل فأعاد عليه الحديث الذي جرى من أوله الى آخره فعند ذلك عاد مالك الى أبياته وأمر عبيده فاعلموا فرسانه وحماته وما ظهر النهار وتضاحا حتى خرجت الفرسان الى ظاهر الحي وكانوا مائتي فارس للحديد لوابس شجعان في الصدام عوابس وعليهم الزرد كاملين العدد تلتقي ورود المنايا بأرواحها وتنهب الاجسام بشفار صفاحها وعنتر بين أيديهم على ظهر جواده الابجر كأنه الاسد القسور وقدامه أخوه شيبوب يسيرهم في ذلك البر الاقفر والى جانبه مالك بن الملك زهير صاحب الوجه الاقمر وعنتر كلما سار يتخايل له ان عبلة تنادي باسمه ليلا ونهارا وينادي ويقول من شدة شوقه اليها لبيك لبيك يا بنت العم ها أنا قد سمعت نداك وسرت الى هلاك أعداك ثم ان عنتر قال لمالك يوما من الايام بعد ان قطعوا مسافة بعيدة يا مولاي ان سفرتنا أمرها عجيب وزين لاحتوائها على أمرين تخليص حبيبة

من الذل وانقياد عدو شين فقال مالك وما معنى هذا الكلام يا أبا الفوارس فقال لانى سائر الى أعدائى أتسبب فى خلاصهم وأعلم أنهم لو ظفروا بى ما أبقوا على ولكن لاجل عين تكرم ألف عين ولاجل عبلة أتحمل الضيم ثم انه بكى بكاء شديدا وأنشد يقول

أحمل الضيم من بنى العم جهدى * ثم أخفى عنهم غرامى ووجدى
واذا ما سئمت قلت احملونى * فانا ظالم كثير التعدى

(قال الراوى) فلما سمع مالك ابن الملك زهير هذا النظام تعجب من عظم مروءته وقال يا أبا الفوارس لا يأخذك على ذلك الامر ندم فوحق الركن والحجر أنت الظافر بأعدائك وهم اليك فى كل الامور محتاجين ولسعادتك تابعين ولقولك كلهم سامعين وسوف ترى ما يجرى لبنى زياد مع مفرج بن همام وتعلم أن الظلم له أسباب ماتنام ثم انهم ساروا يقطعون البلاد ويطوون الارض على ظهور الخيل الجياد آناء الليل وأطراف النهار فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من عبلة وعمارة ومفرج بن همام الذى هم فى قبضته فانه لما أنفذ العبد فى طلب الفداء أقام ينتظر ما يكون من أمره ويقول اليوم ترضى عبلة وتطاوعنى على أمار يدهذا وقد شاع الحديث فى بنى طى وتحدث به الرجال والنساء فى كل حى فسمعت بذلك أم ناقد بن الجلاح الذى قتل عنتر ولدها وكانت بعد قتله لبست عليه السواد فصارت لاتهدى من البكاء والتعديد فلما سمعت بأسير عمارة ابن زياد ركبت وسارت مع عبيدها تطلب أخذ الثار وكشف العار وما زالت سائرة الى أن وصلت الى الديار ودخلت على مفرج بن همام وبكت فى وجهه وطالبته بأخذ الثار وكشف العار فقال لها ياخالتاه أما ثارك فلا أنساه واعلمى اننى ما أقنع فى ثار ولدك من بنى

عبس بهؤلاء الرعاه ولا أرجع عنهم حتى أفنيهم وأترك ديارهم خراب وأذبح ساداتهم والشباب على قبر ولدك الفارس المهاب واقودا اليك أسودهم عنتر قود الحمير والبقر وهذا عمارة بن زياد ماطلبت منه الغدى والمال الا خديعة ومحال لعل بعض اخوته يأتى بالغدى ويكون معه جماعة من ساداتهم فأقبض على الجميع وادعك تتحكمى فيهم الرفيع منهم والوضيع حتى يسمع أسودهم عنتر ويأتى يطلب خلاصهم فأسره وأسلمه اليك وترى ماتقربه عينيك ونكون قد أخذنا منهم المال وبلغنا الآمال قال فلما سمعت أم ناقد ذلك المقال طاب قلبها بذلك السؤال وقالت ان كان ولابد فأعطيني هذا الاسير حتى أعذبه العذاب الكبير وأطحنه الحنطة والشعير فقال لها افعلى مابدالك فجع الله أعمالك عند ذلك وثبت أم ناقد مثل اللبوة اذا فقدت أشبالها وأخذت الصوت بيدها ودخلت على عمارة البليد وهو مشبوح فى أربع سكك من حديد وهو يقاسى العذاب الشديد فلما دخلت عليه قالت له ويلك يا ابن الانذال من تكون أنت من الرجال قال لها ياستاه أنا عمارة ابن زياد أخو الربيع شيخ بنى عبس الاجواد فقالت له اليوم آخذ ثار ولدى منك يا ابن الاوغاد ثم انها جعلت تضربه ضرب الحقود وتأكله بأسنانها مثل القرود فقال لها عمارة وهو لا يعرفها يا أم الرجال الابطال لأى شىء تفعلين معى تلك الفعال وأنا اشتريت نفسى بالنوق والجمال والمال الكثير والنوال وقد مضى الرسول يأتى به فى عاجل الحال فقالت له أنت تظن أن تفدى نفسك يا ابن الانذال فوحق البيت الحرام وماعليه من الآلهة والاصنام لو أتيت بجميع مالك من الانعام ماخلصت

من تلك الآلام ولا بد لي من ذبحه مثل الاغنام وأشرب من دمه مثل المدام فقال لها عمارة ولماذلك ياستاه فقالت أما تعلم من أنا يا ابن اللئام فقال لا وحق الملك العلام قال فعرفته العجوز بنفسها وأعلمته بحسبها ونسبها وقالت له اعلم أيضا ان العبد الذي أنفذه مفرج بن همام يأتي بالمال والانعام كله زور ومحال حتى يأتي ويأخذه ويقبض على الرجال قال فلما سمع عمارة منها ذلك الكلام أيقن بالهلاك وعلم ان ما بقي له من الموت فكاك وأيقن اشرب كأس الحمام وندم على ما فعل وصار في حالة الاعدام وقال في نفسه هذا شيء ما كان لي في حساب ولا ظننت بأن تجري هذه الامور والاسباب فوالله ما بقيت أتلذ بطعام ولا بشرب مدام اذا ما رأيت هذا الاسود الحمام في ملب عبلة بدر التمام ويخلصنا من هذا الانتقام وانا وحق اللات والعزى ما برحت مما أنا فيه من ذلك العذاب والانتقام والاذلال ولا أزال فيه على ممر الليالي والايام ولا يقدر أحد غيره على هؤلاء اللئام وأموت أنا من دون جميع الانام (قال الراوي) فهذا ما جرى من هؤلاء وما حصل لهم من الاحكام وأما ما كان من أمر الربيع القرنان فانه سار وقطع البر والاكام ومعه اخوته وتمام المائتين فارس كما ذكرنا في الكلام وما زال يطوي الارض طي الى أن بقي في ديار طي فقال لمن معه اعلموا يا بني الاعمام اننا حصلنا في ديار القوم وأتينا لنخلص أخانا ونبرى من العتب واللوم وما بقي في الامر الاحسن التدبير من قبل أن يعلموا بنا ويأتينا الصغير والكبير فقال له اخوته لا تترك شيأ من التدبير وافعل ما بدا لك ونحن الجميع نتبع أفعالك حتى لا يقال عنا عند سائر الرجال ان بني

زياد خاصوا أخاهم بالنوق والجمال ونصير معيرة فى سائر الاطلال
فقال سيروا وطيبوا نفوسكم أزال الله عنكم تفريقكم فوالله
ما وصلت الى هذا المكان حتى أحكمت التدبير وفعلت فعلة يعجز
عنها كل فارس خطير ولم نخلص أخانا من ذلك العذاب النكير
ونعود كلنا سالمين فى سعادة وتمكين فقالت له جميع الرجال وكيف
ذلك المقال فقال لهم ننزل الليلة على غدير الجرعة ونحن على ذلك
الايضاح الى أن يصبح الله علينا بالصباح ونتمكن فى تلك الآكام
ونرسل أحدنا الى مفرج بن همام يقول له أيها الامير والفارس
الخطير اعلم اننا نحن من بنى عبس الابطال ونحن عشرة رجال
وقد أتيناك بما طلبت من أخينا وهم النوق والجمال كما اتفق
بينك وبينه من المقال فلقينا رجال من الاعداء الانذال فأخذوا
جميع ما معنا من الاموال والخيل والجمال ولا رضينا بذلك أن
نقاتلهم خوفا من سفاح الدما وأنت تعلم اننا فى أرضك وانما فقد
خلص مالك لانه ما أتى الاعلى اسمك وقد نهب فى أرضك
والاعور بذلك الى الابد ما قام قائم وقعد وأنا أعلم أنه اذا سمع
ذلك المقال يركب فى نفر قليل من الرجال لما يعلم من نفسه من
الشجاعة والقوة والبراعة ونكمن له فى ثلاث مكامن حتى انه
يبقى فى أوساطنا هو ومن معه فنهجم عليهم ونقبضهم قبضا بالكف
ونسوقهم أسارى وهم أذلا حيارى ونسير الى ديارنا وحمانا
حتى نفادى بهم أخانا قال فلما سمع اخوته ومن معه هذا التدبير فرحوا
واستبشروا وأبعدوا التنكدير وكان بينهم رجل ذو هيبة ووقار وسطوة
ومقدار يسمى انس الجواد وهو أخو الربيع ابن زياد فقال له
الربيع سر يا أخى الى مفرج بن همام وأخبره بذلك الكلام وزخرف

له لامور والاحكام قال فسار انس من وقته وساعته وهو يجد
ويتأمل فى فكرته الى أن وصل الى مفرج ابن همام فى حلته وأبداه
بالسلام فرد عليه السلام وقال له من أنت من العرب الكرام
فقال له من بنى عبس وعدنان وقد أتيت اليك فى أمرهم فقال له
مفرج قل ما بدالك وأخبرنى بحالك وأوجز فى السؤال وأصدقنى
فى المقال فأعاد عليه أنس ما دبره الربيع من المحال فلما سمع مفرج
ذلك الكلام صار الضياء فى وجهه ظلام ونهض وانبا على
الاقدام وقد ثارت فى رأسه نخوة الرجال الكرام وقال وحق
الملك العلام رب زمزم والبيت الحرام لاسرت فى هذا الامر
الا وحدى ولا يتبعنى أحد من جندى ودع يكون ما كان
ولا صاحبت أحدا من الاخوان ولا أخذت معى مصاحب ولو ان
الاعداء بعدد الكواكب أيكون مالى أتى على اسمى وتنهبه
الاعادى وهو فى أرضى وبلادى لا كان ذلك أبدا ولو اننى
شربت كأس الردا ثم ان مفرجا أراد أن يسير فى تلك الغدا فقد
فاعترضته العجوز سلما أم ناقد ابن الجلاح وقالت له ويلك يا ابن العم
ما هذا الامر الذى اعتراك وأى شىء لذى حل بك ودهاك
أخبرنى بما جرى من الكلام لانى رأيتك صغيت الى كلام هذا
ابن اللئام قال فأعاد عليها مفرج ما سمعه من أنس وعيناه تشتعل
فى رأسه مثل القبس حتى صارت تحاكى النار التى فى الغلس
قال فلما سمعت من مفرج هذا الكلام صار الضياء فى وجهها
ظلام وعبست وهمهمت وقالت وحق الكعبة الحرام وما عليها
من الآلهة والاصنام ان جميع ما سمعته زور ومحال ولا ينطلى
على هذا المقال وان سرت وقعت فى الاسر والاعتقال وخلص

العبسى من غير نوق ولا جمال والدليل على ذلك الا براد أن العبد
الذى أرسلته اليهم ما عاد فقال لها مفرج صدقتى يا خالتاه فى ذلك
المقال وكيف التدبير فى ذلك الامر العسير فأخبرينى بما عندك
من المقال لانه ما فيه شك ولا محال فقالت له اقبض على ذلك
الرجل المخذول الذى أتى لك فى صفة رسول وتجعله مع ابن عمه
حتى يعلم عاقبة فعله وبعد ذلك تركب أنت فى أبطالك الامجاد
وتسير الى هؤلاء الاوغاد وتحملوا عليهم حملة الآساد وتأسروا
من تأسروه والذى يمانع عن نفسه اقتلوه وقد بلغتم الآمال
وبان لكم الصدق من الحال لانك أنت معول على قبض
الرجال الذين يأتوك بالغدى والمال وها هم فعلوا تلك الفعال
ويقام عزك عند جميع الملوك العوال قال فلما سمع مفرج من
العجوز ذلك الكلام رأى فيه الصواب فرجل أنس واقلت جواده
وأمر العبيد أن يوثقوا شداده وقال لهم سوقوا هذا الكلب
الى الضرب الذى فيه ابن عمه واتركوه عنده فى همه وغمه الى أن
نأتى بجميع أولاد عمه وننزل بهم الشدائد ونضرب رقابهم فى يوم
واحد ونكشف الثار ونزيل العار ونسير بعد ذلك الى ديارهم
فنجعلها خراب يزعق فيها البوم والغراب هذا وقد فعلت العبيد
بانس تلك الفعال وأنزلوا به الذل والوبال وقد صاح بعد ذلك
مفرج بن همام فى أبطاله ورجاله وانتخب منهم مائتى فارس
من كل بطل مداعس وليث ممارس كلهم أقيال شجعان عرفوا
بالفروسية فى حومة الميدان فأخذهم وسار يقطع البر والفدفد
وقد طلع على أشداقه الزبد قال وكانت العبيد لما أخذوا أنس ابن
زياد أدخلوه على أخيه عمارة القواد فلما رآه وصار عنده كادت

روحه أن تخرج من جسده وقال له يا أخي ما الذي أوقعك في هذا المكان وأنت في ذلك الهوان والله لقد قطعت ظهري وحيرتني في أمري وأنا كنت منتظر الكم انكم تأتوني بالغدى والخلص من أسري هذا من بد العدا قال فلما ان سمع منه أنس هذا المقال فقال له كل هذا من أجلك يامذلول السبال لاجل ما فعلت من الاعمال ثم أعاد عليه جميع ماجرى من الاعمال وما دبر الربيع من الاحتيال وما قد جرى لمفرج والعجوز من المقال وكيف انها عرفته بالقصة وكيف قبض علي من غير امهال فقال عمارة وقد بكي وامصيبتاه من هذه النوبة المشومه والفعلة المذمومة التي انقطع فيها أثر بني زياد وقد شمتت بنا جميع الحساد وما بلغت من عبلة مراد ولا طفيت لهيب نار الفؤاد فقال أنس والله ياعمارة هذا كله من فعلك ولا وقعنا في ذلك البلا الا بسبب عملك لاننا نهيناك عن عبلة مرارا وأنت ماتنتهي ولا تفعل الا ماتريد وتشتهي ولاسيما ان قتلك مفرج بن همام أنت وأنا وجميع اخوتك الاجواد شمت بنا ذلك العبد الولد الزنا عنتر بن شداد لانك أكبر أعدائه أنت وأخوك الربيع ويكون ذلك شؤم رأيك الشنيع فقال عمارة لقد صدقت يا أخي في هذا المقال ولكن ما مضي الزمان ولا حضيت بعبلة ست البنات والنسوان ولو كان شهر واحد أو أقل من ذلك الزمان فقال له أخوه أنس سلط الله عليك وعليها غلبات الزمان ياويلك أنت مجنون أو مصاب بلاك الله يامفرنان بأشد العذاب قال فهذا ما كان من هؤلاء وما حل بهم من الامر الشنيع وأما ما كان من الامير الربيع فانه لما أرسل أخاه بذلك الخطاب فتفرغ بعد ذلك لما دبر من الاسباب

وقسم

وقسم من معه ثلاثة أقسام فجعلهم ميامن ومياسر وترك منهم عشرة ظاهرين وهم على خيولهم راكبين وبرماحهم معتقلين وقال لهم اذا رأيتم مفرجا قد أقبل مع أخي أنس فنادوا به وانتم مبادرين وقولوا له أيها السيد المفضال نحن الذين أتيناك بالمال والنوق والجمال وأردنا ان نخلص ابن عمنا من الاعتقال فبينما نحن سائرين في تلك القفار واذا قد لاح لنا غبار وانكشف عن خمسمائة فارس جبار فأخذوا منا النوق والجمال وها نحن قد جئنا أعلمناك حتى تخلص أموالك من أعدائك ثم سيروا بين يديه في هذه التلال والرمال حتى نخرج من المكامن عليه في ساعة الحال ونأخذه قبضا بالكف من غير ضرب ولا قتال ولا طعن ولا نزال فقالوا سمعا وطاعة ثم انهم فعلوا ما أمرهم به الربيع في تلك الساعة ووقفوا في البر والآكام واذا قد أقبل عليهم مفرج بن همام ومعه من ذكرنا من الاقوام فلما ان رآه هؤلاء الرجال تبادروا اليه في عاجل الحال وأرادوا ان يعلموه بما قدمنا من المقال فلم يمهلهم ولا سمع منهم خطاب ولا كلام ولا جواب بل انه أرسل عليهم من حسامه أنواع العذاب واسقاهم كاس الشراب وفي دون ساعة جرح منهم سبعة وانهزمت الثلاثة وقد فروا في الصحرى وصاروا الى المكامن وأخبروهم بما تم وجرى فعندها خرجت الكمناء وهم مترجلين هذا ومفرج كان تبع المنهزمين ليكشف صحة هذا الامر بتمكين فبينما هو وقومه على تلك الحال واذا بالكمناء خرجوا عليهم من اليمين والشمال وظهرت جميع الفرسان من كل جانب ومكان وقد تصايحت يا آل عبس يا آل عدنان فعند ذلك ظهر الحق وبان

السكمان وعاد الدبراعلان والربح الى خسران فعندها صدق مفرج كلام العجوز وعلم ان الحق معها بيان انها خبيرة بأمور الزمان ومواقع الحدثان فعند ذلك حمل والتقى صدور الخيل وهومثل الاسد الغضبان وصار يطعن الفرسان ويجندل الابطال والشجعان وقد ابلاهم بالذل والهوان قال هذا والربيع ينادى لبنى زياد ويثقفهم للحرب والجلاد ويقول والله ما كانت الحيلة الامحكمة ماتخطر على بال احد من العباد ولكن ما ساعدنا الزمان ولا حوادث الايام ولا قلنا ان هذا الشيطان يظفر علينا بهذه الفرسان ويعلم مادبرنا من الامر والشان واشد شىء انه قبض على أخى أنس وأنزل به العذاب فأقرله بما دبرنا من هذه الاسباب وفى هذه الساعة ما بقى ينجينا الا الضرب بالسيوف والصبر على شرب كاسات الحتوف والا شمتت بنا الاعداء والحساد ولا سيما عنتر بن شداد لانه لنا من جملة الاضداد ثم انه حمل واقتحم الغبار وتبعته فرسانه الاخيار واعتمدوا على ضرب بالحسام البتار حتى ظهر من حوافر الخيل شرار النار وتقطعت الاوداج وقصرت الاعمار وفار الدماء حتى صار يجرى كالانهار وعلى على الجميع الغبار حتى خفى وعمى الابصار هذا وقد بكت الارواح لما خرجت من الاجساد وطارت الجماجم من وقع السيوف الحداد وطلعت الارواح على أسنة الرماح الصعاد وأكثر الحرب والجلاد وزاد بين الطائفتين الاحتقاد وكثر بينهم العناد وانعدمت الرجال الاجواد وصبرت للحرب والجلاد وقد خسرت بنوزياد من ذلك الحرب والقتال والتجئت الى أساقيف الجبال وقد قتل

منهم

71

منهم خمسين فارس رئبال وجرح أكثر من ذلك المقدار وقد هبرهم
مفرج هبرا وبترهم خمسة وعشرا وما زالوا على ذلك الحال
الى أن ولى النهار وأقبل الليل بالانسبال وقد ذهب النهار
وافترقت الطائفتان عن الحرب والقتال وبات مفرج وهو يقول
وحق اللات والعزى لقد كان الرأى مع العجوز أم ناقد سلما ولولا
مشورتها كنا خسرنا وكانت شمتت الاعداء منا والساعة قد
بلغنا المنا ونلنا المسرة والهنا وفى غداة غد أخرج الى البراز
وأنجز أمرهم غاية الانجاز وأحمل عليهم أجمعين وأتركهم
فى أمرهم متحيرين ولا أترك منهم من يخبر بخبر وان أتى عبدهم
عنتر كان الحظ الاوفر لانى أريد أن أحمله الى أم ناقد وأوهبه
لها حتى تأخذ منه بثار ولدها وأصير أفتخر بذلك فى جميع القبائل
وأذكر بهذه الفعلة عند سائر الابطال الجحاجل قال ثم ان مفرجا
أقام ينتظر الصباح حتى يروى من دمائهم البطاح وأما الربيع
فانه بات بليلة طويلة وقد ندم لكونه ما حمل المال وأخذ أخيه
عماره وقد أيقن بالذل والخساره وما رأى على نفسه أنه يهرب
لانه خاف من معيرة العرب فأقام ينتظر العرضيات والامور
الخفيات وقد أظهر لقومه الصبر والجلد وأخفى عنهم الهم
والكمد وما زالوا على ذلك الايضاح الى أن طلعت غرة الصباح
طارت الطائفتان يطلبان الحرب والكفاح وقد ركبوا على الجرد
القداح وتقلدوا بالصفاح واعتقلوا بالرماح هذا وقد أخذ
مفرج الى بين الصفين واشتهر بين الفريقين وطلب الحرب
والقتال والطعن والنزال وقد أيقن بأنه نال الظفر وزال عنه
الغم والقهر وصال وجال ونادا وقال ياويلكم يا بنى زياد نحن

قلنا انكم تأتونا بالمال والنوق والجمل وتفدوا أخاكم من الاسر والاعتقال فجئتم أنتم بالرجال والابطال وقدمتم الى الحرب والقتال وأحكمتم التدبير في رأى البال وظننتم انكم تبلغون منا الآمال أبشروا بالذل والخبال والوبا والوبال هيا ابرزوا الى المجال ومحل الطعن بالعوال واعلموا ان رسولكم قد قبضناه ومع رفقته قرناه وأنتم الى هذا الامر مصيركم ولا بدلي عن ذبح كبيركم وصغيركم ثم انه أنشد وجعل يقول

قراع الخيل بالاسل الدقاق * وضرب الروس بالبيض الرقاق
أحب الى من قرع الملاهي * على كأس وابريق وساق
ظننتم يابني عبس باني * أموت وعبدكم في الارض باق
وان خداعكم يغدى أسيرا * بقيد الذل أصبح في وثاق
لقد حدتم واعنا نفاقا * وهذا بعض عاقبة النفاق
ظننا الخيل تأتينا خفافا * تقادمع الحمولة والنياق
وقد أقسمت أيمانا بأني * أشتت شملكم عند التلاق
وأسق من دم الاعداء رمحي * اذا جالت على قدم وساق

قال وما تم مفرج شعره حتى قفز اليه أخو الربيع وكان يسمى قيس الجواد وحمل عليه وأخذ الاثنين الطراد والجلاد والطعن بالرماح المداد حتى عاد بياض النهار سواد وطلع القتام وزاد وتقربت الرجال الى المعمعه ومدت أعناقها وصارت متطلعه تنظر لمن يكون النصر والظفر واذا بزعقة مفرج بن همام وقد علت من وسط القتام وقد أخذ قيس أسير وقاره ذليل حقير وسلمه الى عبيده أوثقوه بالحبال وعاد مفرج يطلب الحرب والقتال فخرج اليه طالب الدارك فحمل بني زياد الاعلم وسهمها

الاقوم وفارسها الفتاك وليثها الهتاك فصدمه مفرج بن همام صدمة الاسد الضرغام وفي يده رمح معتدل القوام بسنان كانه لسان ثعبان متقلد بسيف مليح الهدام جيد الاعتقال يبري الجسم والهام وعلى رأسه بيضة عاديه مشرفة بهيه ثم حمل على مفرج بن همام حملة الليث الضرغام فالتقاه الآخر كانه الصقر اذا حام والتقيا الاثنين في وسط الميدان وأخذا مع بعضهم في الضرب والطعان وقد أوسعا لهما في الارض ميدان وقد تحيرت منهما جميع الفرسان واذا بمفرج صدم طالب الدراك صدمة العدم والهلاك وطعنه بالرمح أرماه على وجه الارض كاد أن يرض عظامه من وسائه الى قومه أخذوه أسير وقادوه ذليلا حقير ثم ان مفرج عاد الى الميدان ومحل الضرب والطعان وطلب براز الشجعان فخرج اليه عروة بن الورد وهو على جواد أصيل الجد أصيل الخد شديد القوى والحيل وأبي الكفل ساتر الذيل وفي يده رمح طويل سنانه يضيء كانه قنديل وعلى رأسه بيضة عاديه ملومة مجليه ثم انه صال وجال وأنشد وقال

دع الفخر فالايام تبني وتهدم * وتنصف من غير اقتصاد وتظلم
وترفع من قد عاش في الذل عمره * وتفضل مهموما وتعطي وتحرم
ومن كان غرا بالزمان حلت له * مشاربه عند الصفا وهي علقم
عدمت عتاق الخيل اذ لم أخض بها * بحار المنايا والغبار مخيم
واضرب بالهندي حتى يملني * ويرجع بعد القطع غير مثلم
وأبذل دون القوم نفسا عزيزة * بسمر القنا حتى تعز وتكرم

قال فلما فرغ عروه من شعره ونظامه زعق وهجم على خصمه فالتقاه مفرج كانه النمر الحردان والتقى الاثنان في الميدان

وأخذا فى المهاجمة والجولان حتى كادت منهما الارواح من الابدان ودام الامر بينهما حتى طلع الغبار الى العنان وجرى بينهما عجائب تذهل العينان هذا ومفرج قد سطا على عروة واستطال وهجم عليه هجمة الاسد الريبال اذا فقد أولاده الاشبال وقبض عليه وأخذه أسير وقاده ذليلا حقير فعند ذلك علت على بنى عبس الضجات وطلبتهم سنوطى من سائر الجهات فحمل الربيع ابن زياد وتبعته رفقته الاجواد واشتد بينهم القتال والجلاد قال وكان خبر هذه الواقعة شاع فى جميع الرجال والابطال حتى حشر وهم بين الجبال وألهبوهم برمى النبال فقالت العقلاء للربيع ابن زياد والله لقد حان هلاكنا بين العباد وكثر علينا الشر والعناد وقد حل بنا الردا ومابقى فينا من يصبر الى غدا فقال الربيع ما الذى نفعل فى ذلك الامر النكير وقد وقعنا فى بحار المقادير والله مافعل بنا تلك الفعال وأوقعنا فى الخسارة الا الصيقع الرقيع أخو عمارة ولا فعل أحد أفعالنا وقد شمت بنا عنتر الولد الزنا ومابقى فى القصة وذلك المرام الا انى أجىء غدا الى مفرج ابن همام ونطلب منه لارواحنا الذمام ونقيم عنده فى الاسر والاعتقال الى أن نشترى أرواحنا منه بالمال والنوق والجمال قال ثم انهم أقاموا ينتظرون الصباح حتى طلع ولاح وهم قد حل بهم الظماء ويتمنون شربة من بارد الماء قال فلما أضاء النهار وبانت الانوار أرسل الربيع رسولا الى مفرج بن همام يقول له أيها البطل الضرغام والسيد الهمام اعلم ان العرب الكرام مايفتخرون على الاعجام الا بحفظ الذمام واطعام الطعام والصدق فى الكلام والمسامحة عند الخطا والبذل فى الاكرام و

والعطا ونحن قد اعترفنا بذنوبنا ونريد منك الذمام على أرواحنا حتى اننا نسلم اليك نفوسنا ونعطيك ما تقر به عينيك ولا تطلقنا حتى يصير الفدا بين يديك لاننا قد قل منا القدر والحيل وصار النهار في وجوهنا مثل الليل وذلك مما حل بنا من الظماء لانا كما تعلم ما عندنا شيء من الماء وان كنت ما تفعل تلك الفعال مكنا من ورود الماء وانصفنا في الحرب والقتال وتفرج لنا مثل عددنا من الرجال ان كنت من الرجال الذين يخشون العار والذل والشنار حتى اننا نبذل بين يديك المجهود ونموت تحت الرايات والبنود قال عند ذلك سار الرسول باهتمام الى أن وصل الى مفرج ابن همام وشرح له ما قد منا من الكلام فعند ذلك زاد به الضحك والابتسام وقال له يا ويلكم يا بني زياد اللئام الاوغاد ما بقي لكم عندي ذمام بعد ما كذبتم في الكلام ولا سيما وقد ألحقتم باسيادكم العبيد اللئام فوحق مسبب الاسباب ما بقي لكم خلاص من ضرب الرقاب الا ان كنتم ترموا عددكم وتترجلوا عن خيولكم وتأتوا الى عندي حتى أجز نواصيكم واقطع آذانكم وآنافكم وأمكنكم بعد ذلك ورود الماء وترووا أكبادكم من العطش والظماء فقال الرجل العبسي وكان اسمه جبيل اذن يا مولاي على قليل ولا تطول علي في المقال والقيل فها أنا قد وصلت اليك وصرت بين يديك فخذ هذه فرسي وعدتي واقطع اذني ولحيتي ودعني أبل من الماء كبدي وأشفي غلتي قال فلما سمع مفرج هذا الكلام أبدا الضحك والابتسام فأعطاه الذمام ومكنه من ورود الماء فشرب حتى روي من الظماء وقال له أنت في ذمامي دون صحابك

ولا تكون معهم والا فقد تكلك جميع أحبابك وسر الى ديارك
ودع عنك الفضول والا كنت أول مقتول وأما قومك
فلا بد لي عن هلاكهم وأفجع بهم نساءهم ان لم يرحلوا من ذلك
المكان صحبة من لهم من الفرسان والا أنزلت بهم الاوابد
وأصليهم في يوم واحد ويشتفي بذلك قلوب أصحاب الدماء جميع
من أكل الخبز وشرب الماء قال فعند ذلك عاد جميل الى
الربيع ابن زياد وأخبره بما كان بينه وبين مفرج من ذلك
الايراد وذلك بعدما تركه شرب حتى اكتفى وقد أمن على
نفسه من الجور والجفى قال فلما سمعت بنوزياد ذلك المقال
خافوا على نفوسهم وقد تغيرت منهم الاحوال ولحقهم من ذلك
الاندهال فقال الربيع يابني الاعمام موتوا كراما ولا تعيشوا
لئام لان قطع الآذان وجز النواصي غاية ما يكون من الذل
والهوان وعار لا يمحى طول الزمان فعند ذلك قال جميل والله
ياربيع ان سلامة الرجل هي غاية بهجته طول الزمان واذا سلمت
مهجته دعه يعيش بغير ناصية وآذان ثم انه ألوى عنانه وسار
طالب الاوطان وأما الربيع ومن معه من الرجال فانهم أخذوا
أهبتهم الى الحرب والقتال وقد أيقنوا بالهلاك والوبال فبينماهم
على ذلك الحال واذا بمفرج ومن معه هجموا عليهم من اليمين
والشمال وقصدوهم بالرماح الطوال فما كان غير ساعة وقد
أخذوا الجميع في الحبال وصاروا في الذل والاعتقال بعدما هلك
أكثرهم وصاروا امدين على الرمال وفي الجملة الربيع بن زياد
وأقرنوا الجميع في الاصفاد وعاد مفرج الى حلته وفرح بما ناله
بين أهله وعشيرته وقد وقعت في الحلة البشائر وخرجت الى

74

ملتقاهم الاماء والمولدات وفى أيديهم الدفوف والمزاهر وهنوه بالسلامة والنصر وقالوا له لازلت مؤيدا طول الزمان والدهر قال وكان أعظم الناس مسرة وافراحا العجوز سلمى أم ناقد بن الجلاح وقد صارت تلطم وجوه المأسورين وتعذبهم العذاب المهين وتقول وحق اللات والعزى لابد من شرب دمائكم مثل لبن النوق وأعذبكم عذاب ماعذب به قط مخلوق ولا أقنع بسائر بنى عبس فى دم ولدى ناقد بن الجلاح ولاعذبنكم فى الغدو والرواح والمساء وعند الصباح وأنا أسأل رب البيت الحرام أن يبقى لى حياة مفرج بن همام هذا وقد جعلوا الاساره فى الخيمة التى فيها الامير عماره وقد حل بهم الذل والخساره وأيقن كل واحد منهم انه هالك وقد حكم عليهم بذلك مالك الممالك (قال الراوى) ثم ان مفرجا أرسل جماعة من عبيده الى جميع أمراء القبائل يأمرهم بالحضور الفارس منهم والراجل ليشاهدوا صلب بنى زياد وما يحصل لهم من الويل والانكاد وقد أرسل الى مجلم بن حنضلة وأخيه يزيد الملقب بشارب الدما يبشرهم بما فعل وبما أنعم الله عليه من ذلك العمل قال ومن شدة ما حصل له من الفرح والاهتمام أمر بذبح النوق والاغنام وأن يروجوا الطعام ويروقوا المدام وأخذوا فى اللهو والطرب والتحديث والكلام هذا ما كان وما جرى لهم من الايراد وأما ما كان من أمر بنى زياد وما حل بهم من الويل والانكاد فانهم لم يزالوا يبكون على ما حل بهم من الخسارة وهم الجميع يلومون ويعنفون أخيهم عماره على ما فعل من تلك الاشارة وهو من شدة ما جرى عليه وما دهاه يتأوه وينادى واحسرتاه وامصيبتاه وقد صار جارى الدمعه

وكثر عليه الهم من تلك الفجيعه وصار لا يرد خطاب ولا يبدى جواب هذا وعبلة قد حصل لها الفرح والابتهال لما رأت بنى زياد فى الاسر والاعتقال وقد خف عنها ما حل بها من الاثقال وزال عنها همها وبقيت منتظرة الفرج بقدوم ابن عمها الا انها تعلم انها ماترى الفرج الا على يديه واسرا اباها امتى وقع نظرها عليه فهذا ما كان وما حصل من الكلام واما ما كان من مفرج بن همام ومن عنده من بنى الاعمام فانه صار يشرب معهم المدام وقد اكثروا من الحديث والكلام حتى سكروا وانتشوا والتهوا عن الكلام فاخذ مفرجا الوسواس بذكر عبلة وقد صار من اجل حبه لها فى ذبله فدخل الى بيته وهو يميل من الخمار وقال لامه وحق ذمة العرب الاخيار ما بقيت أنام الليلة ولا يقر لى قرار حتى أبلغ من جاريتى العبسية ما اختار والا قتلتها وأنزلت بها البوار بعد ما أذبح بين يديها من بنى عمها خمسين فاسار أخيار وأشفى قلبى منها سريع وأول ما أبدأ بهذا الذى يقال عمارة وأخيه الربيع وأضربهما بعد ذلك الضرب الوضيع (قال الراوى) فعند ذلك خرجت أم مفرج الى المضرب الذى فيه الاموات والمولدات ونادت بعبلة فأتت الى حضرتها فى أسرع الاوقات فقالت لها اعلمى أن مولاك فى هذه الليلة طافح سكران وقد حلف وشدد فى الاقسام والايمان انه لا يرقد الليلة ولا ينام الا وانت حضيته فى المنام والاذبح من بنى عمك خمسين غلام فاقبلى منى هذا الكلام وأجيبيه الى ما أراد من المدام وقد نلتى ما تشتهى من الامر والشان فلعلك أن تنزلى فى قلبه وتتشفعى فى بنى عمك مما نزل بهم من الآلام فعند ذلك قالت لها عبلة اسمعى يا عجوز ما أقول من الكلام فوحق

من رفع هذه السماء وأجرى بقدرته الماء وعلم آدم الاسماء
لوان ابنك يقطعنى قطعا قطعا ويبضعنى بضعا بضعا وذبح جميع
بنى عبس وكل من طلعت عليه الشمس ماتراني له مجيبه ولا
سامعة ولا مطيعة وان رأيته جد فى قتلى أنا أقتل روحى بيدى ولا
أدعه يتحكم فى مهجتى قال فلما سمعت أم مفرج منها ذلك
الكلام وما اقسمت به من تلك الاقسام زادها الغيظ والغرام
فلطمتها على وجهها وقالت للاماء خذوها الى عند سيدها يفعل
بها ما يريد كما تفعل الاسياد بالعبيد فعند ذلك دارت بها
الاما وصرنا يجذبنها وهى تضج بالبكا وتكثر من الانين
والاشتكا وتقول يال عبس يال عدنان أما من أحد يخلصنى من
قبضة هذا الشيطان ولم تزل تعان بذلك النداد حتى سمعوها
أسارى بنى زياد فقالوا للموكلين بهم يا وجوه العرب الاجواد
أى شىء جاء ابنت عمنا فى هذا الليل الهاد وهى تولود كأنها
حمامة الواد فحدثهم بعض الرجال بما جرى وأخبرهم بما تم
وطرى وان مفرجا حلف بالكعبة الغرا وأبى قبيس وحرى مالم
تطعه عبلة على ما يريد والا أحرق دماءكم على وجه الصعيد فقال
عروة بن الورد هذا أمر جيد ما فيه احتجاج وانا أسأل اله السماء
أن تزيد عليه عبلة فى اللجاج وتغلظ عليه فى الخطاب حتى يضرب
منا الرقاب ويريحنا مما نحن فيه من العذاب فوالله لو قبل منى
ما تعرض لها لانها مشؤومة على كل من طلبها وما طلبها أحد
الا وقد فرغت منيته وجميع من راى وجهها ضربت رقبته قال
وما فرغ عروة بن الورد من ذلك المقال حتى سمع صياحا قد علا
وقعقع فى الجبال وصراخا قد أذهل جميع الرجال وجميع من

فى الحى قد جفل والسيف يعمل فى جنباته أوفاعمل فقال عروة ما قد جاء العمل وقد طلع من ذيل الخيل فوحق من مصيرنا كلنا اليه ليعرفن مفرج شؤم طلعة عبلة عليه ويحل به القتل والخبل ولو أنه فارس السهل والجبل ثم انه جعل يستمع الى تلك الاصوات التى أقلقت تلك الوديان واذاهم يصيحون يالعبس يالعدنان ونداء عنتر قد تصاعد وعلا وقعقع فى جنبات الفلا وصار السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل وتغلى كغليان المرجل وصارت الرجال تتنافر من بين الاطناب ويصدم بعضها بعضا وهى طالبة الهرب والذهاب مما حصل لها من الخوف والارتياب قال وكان السبب فى وصول عنتر الى هذا المكان انه لما سار كما ذكرنا من الاوطان وجرى ما قدمنا من الامر والشان وانه لم يزل سائرا وقلبه قد انكوى بالنار كى حتى انه قارب ديار بنى طى وقد أراد أن يرسل أخاه شيبوب يكشف له أخبار من فى الحى ويعلم ما جرى للربيع واخوته مع مفرج بن همام واذاهم بفارس قد أقبل عليهم من تلك الآكام فعندها تبينه عنتر وهو فى الصحرى واذا به جميل العبسى الذى جرى له مع مفرج ما جرى فقال له عنتر يهنئك سلامة النفس فقال له الشيخ جميل جزاك الله خير ياحمية بنى عبس ثم انه أرمار وجهه الى الارض وقد اختبط فى بعضه البعض وانهد منه أساسه وحث التراب على رأسه وصار ينادى أهله وناسه فتقدم اليه شداد أبو عنتر وقد صعب عليه ما حصل له من ذلك الضرر فأخذ بيده بعد ما حصل له من الضير وقدمه الى مالك بن زهير فسأله عن حاله وعن الامر الذى جرى له وناله فقال له أى شىء أقول لك

من

من المقال أما تنظر الى ماحل بى من سوء الحال فقد أسرت بنو زياد وفقدت الرجال الاجواد ومابقى منهم الا نفر قليل وقد حل بهم الامر الوبيل فلو رأيت اليهم ورماح الاعداء تنهبهم من كل جانب وقد هلكوا الجميع وحلت بهم المصايب ثم انه أعلمهم بجميع ماحصل لهم فقال عنتر لقيوا بغيهم وأوقعهم الله فى شر أعمالهم ثم انه قال لمالك وجميع من معه أى شىء عندكم من الرأى الذى نريد أن نصنعه فقال مالك بن زهير الرأى عندى يا أبا الفوارس اننا نجد المسير لعلنا أن نخلص الربيع ومن معه من ذلك الامر النكير حتى يعلم انه عتيق سيفك وأمين خوفك ولا عاد ينوى لك سوء أبدا ماعشت بطول المدا فقال عنتر يامولاى وحق مالك على من الايادى الجميله والنعم الجزيله أنا أعلم أن بغضتى ماتتغير من قلب الربيع ابن زياد وكذلك أخوه عمارة القواد ولو جعلت منزلتهم فوق ظهر الغمام مافعلوا معى الا القبيح طول المدا والايام وأما قولك اننا نلحقهم وهم فى القتال فما هم من الرجال الذين يصبرون على الاهوال وأقول انهم الساعة فى القيود والاغلال وذلك أن جيلاذ كرانه مابقى فيهم رمق لقلة الماء وكثرة الفرسان الذين ملؤا البيداء وأنا ءوات على اننى أكبر القوم فى جنح الظلام وأدوس بخيلى فى وسط الخيام وأبدل الافراح بالاتراح وأخلف فى ديارهم البكا والنواح وأخلص ابنة عمى عبلة قبل أن يصبح الصباح قال ثم انه طوى الارض طى حتى انه أشرف على ديار بنى طى فرأى نيرانهم خامدة الوقيد وقد نامت السادات والعبيد فقال عنتر لصديقه مالك خذ أنت الميسره واتركنى أنا للميمنه ونهجم عليهم فى رقدتهم وننظر مانفعل بهم عند غفلتهم قال ثم انه أخذ معه

خمسين فارس ليوثاعوابس وهجم بهم بين المضارب والخيام
وترك مع مالك مائة وخمسين فارساهمام وبذل السيف فى المشايخ
والشباب وجرى ماجرى من الامور والاسباب قال وكان مفرج
فى انتظار عبلة حتى تأتى اليه الى ان سمع الصياح ذهب السكر من
رأسه وضاقت الدنيا عليه فخرج من باب المضرب وصاح فى عبيده
ويلكم قدموا الى الجواد وأتونى بعدة الحرب والجلاد حتى
أكشف هذه الامور والاسباب فلعل القضاء والقدر ساقه أسود
بنى عبس الى هذه الديار وزين له الشيطان تلك الاخطار فوحق
ذمة العرب الكرام والبيت الحرام انهم ماماتوا الا فروغ
آجالهم وقصر أعمارهم وهلاكهم ودمارهم قال وكانت عبلة سمعت
صوت عنتر مثل الرعد القاصف فسكن قلبها بعد ما كان راجف
ونسيت ما كانت فيه من العذاب وزال عنها الحزن والارتياب
ونادت بعلو صوتها جاءك والله البلا يا قرنان وابن الف قرنان
من الفارس الهمام والبطل الضرغام وفاتك ما كنت ترجوه
من الوصال بقدوم قاطع الاوصال وانقضى عليك عقاب بنى
عبس وخلص غزالة الوادى من بين يديك وفى هذه الليلة تنوح
أمك عليك قال فلما سمعت أم مفرج من عبلة ذلك المقال لطمتها
على رأسها فجرحتها وجرى دمها سال وقالت لها اسكتى يا بنت
الدواهر لا عشتى ولا بقيتى أتظنى ان بقى لك ناصر أو معين يخلصك
من ذلك العذاب المهين يا ويلك يا بنت اللئام تدعى علينا وأنت
أسيرتنا والساعة ترين رأس هذا الاسود الذى ترومى منه
الخلاص والفرج وهو مرمى قدامك مدحرج ثم انها وثبت الى
ولدها فرأته قد ركب جواده وهو يميل من عليه لان الخمر غيب منه

رشاده فخافت عليه من نوائب الزمان وقد منعته عن ذلك
الامر والشان هذا والسيف يعمل فى سائر الجنبات والصياح
قد زعزع جميع الفلوات وشيبوب يرى النار من جميع الجنبات
حتى حرق المضارب والخيام وصارت الدنيا مثل النهار بعد
ما كانت ظلام وقد شردت البنات والجمال من شدة ما حصل
لها من الحريق وتلك الاهوال وداست أعناق النساء والرجال
وقد صعدت فى رؤس الجبال ومازال الامر على ذلك الحال
حتى قرب الصباح بالابتهال وقد تخلت رجال الحى عن نسائهم
والخيام وذلك خوفا من النار وضرب الحسام هذا وشيبوب
قد وصل الى الاسارى الذين هم بنو زياد وهم قد أيقنوا بالهلاك
من ذلك العذاب والنفاد وكانت الرجال الموكلين بهم غافلين
وهم من ذلك الامر خائفين وجلين والاسرى هلك منهم عشرة رجال
من كثرة ما داستهم الخيل والجمال قال وكانت العجوز سلما
قد نظرت بعينها ما نزل بهم من البلا والويل وأبصرت أم مفرج
فردت ولدها وفرسان الحى تركب من جياد الخيل وهم كلهم
شاردين الى الجبال وذلك خوفا من الهلاك ومفرج الآخر
ولى هارب يطلب لنفسه النجاة من تلك المصايب فلما ان شاهدت
هذه الامور العظام ركبت جوادا من الخيول الشاردة وجردت
فى يمينها حسام وقالت وحق الملك العلام الذى خلق الضياء
والظلام لا نخرجن من هذه الخيام حتى أبلغ من الاسارى مرادى
وأشفى منهم غليل فؤادى ثم انها دعست بالجواد وجرحت جماعة
من بنى زياد فصاح فيها شيبوب أدهشها اوخبلها وأرعشها
وفى عاجل الحال دنا من الربيع قطع كتافه وكذلك اخوته

ومن معه الجميع فصاحوا يا عبس بالعدنان فهربت ام ناقد وخافت على نفسها من الهلاك والطعان وما اصبح الله بالصباح واضاء بنوره ولاح الا وما بقي في الحي قتيل أو أسير وأمره الا لها يصير وكان شيبوب دائر على عبلة ليحفظها من غائلة الحرب ويداريها من الطعن والضرب فرآها تخوض في بطون القتلا وتبكي مثل المرأة الثكلا وهي تنشد هذه الابيات

يا بني عبس نفسوا كبدي * وخذوا نحو ابن عمي بيدي
قل صبري واشتفا بي حاسدي * ولقيت الذل بعد الاسودي
جسدي تا لمه أرياح الصبا * كيف يقوى على العذاب السرمدي
قربوني من حمايا عنتره * ليس يحمي الظبي غير الاسدي
وأخبروه انني في حيرة * وأنا من لوعتي لا اهتدي
وورد خدي الذي تعهده * نشفته أدمع كالبردي
وجفوني زال عنها نومها * وشكت طول العذاب السرمدي
لواقي بعض الذي لاقيته * جلمد لانقض صم الجلامدي
غربة دائمة لا تنقضي * وبعاد وافتراق لا يهتدي

قال فلما سمع شيبوب نظمها وما قالته من شعرها وندائها آلم قلبه شكواها وعرفها بنفسه مجهر واخذها ووصلها الى أخيه عنتر وسيفه وسنانه يقطران دما وهو يتمنى أن يرى عبلة مثل ما يشتهي الظمآن شربة من بارد الماء فلما أن نظر الى عبلة ترجل اليها وضمها الى صدره وقبلها بين عينيها وصار يقول لها اقلي يا منية القلب بكاك فلا عاش من يشناك فوالله يا بنت العم يعز على أن تلقي هذا الملتقا أو ينالك بؤس او شقا وأنا في حياة الدنيا ولكن هذه غدرات الزمان لانه دائما غدار وخوان ثم انه قال لشيبوب ادخل بعبلة بيت مفرج

78

ابن همام وكلها فى كل ماله من الحطام ولا تزل مقيما بها فى حفظ وخير حتى أسير أنا الى مالك بن الملك زهير وأنظر الى ما به وأشاهد أحواله وما الذى تم عليه من الاعداء وناله قال فدخل شيبوب بعبلة الى بيت مفرج ابن همام فما وجد فيه شيخا ولا غلام فطاف فى سائر نواحيه فوجد جميع ما كان على عبلة من الحلل والجواهر والتاج الكسروى موضوعين فيه ففرح بذلك واستبشر وسلم الجميع الى عبلة صاحبة الوجه الاقمر فهذا ما كان من شيبوب وعبلة وما جرى لهم من الخبر وأما ما كان من أمر أبى الفوارس عنتر فانه لم يزل سائرا يجد المسير وهو كاقد منا طالب مالك بن زهير قال وكان مالك ورجاله قد حملوا تلك الليلة حمل السادات الكرام وأبادوا العدى تحت ستور الظلام فالتقاهم عنتر وهم يركضون بين المضارب والخيام وهم يهزوا فى أيديهم القنا والقواضب وقد شردوا الاعداء فى البر والسباسب ومالك ابن زهير فى أوائلهم كأنه العقاب وهو يهمهم مثل الاسد اذا خرج من الغاب وهو ينشد ويقول

شكا صارمى فى غمده شدة الظما ✱ فقلت له اصبر حتى أرويك بالدما
وجردته فى الكف أبيض عابس ✱ فما عاد الا أحمرا قد تبسما
فعال فتى يأتى المذلة عمره ✱ ولا يذكر الفحشاء الا توهما

(قال الراوى) فلما سمع عنتر كلامه أعجبه شعره ونظامه فقال له يا مولاى والله ما أنت الا صادق فى مقالك وهو أقل فعالك ثم انه هناه بالسلامة واستخبره عما جرى له فى ليلته فقال له والله يا ابن العم ما كانت الا ليلة تعد بليالى ثم انهم افتقدوا من معهم من الرجال فوجدوا فقد ثلاثة عشرة من الابطال وأما أرض القوم فانها أصبحت عبرة من كثرة القتلا والدما قد صبغ الغبرة فعند ذلك

قال عنتر لما لك اسمع ما أقول من المقال واعلم أن ما بقى لنا مقام في هذه الاطلال بعدما قضينا الاشغال وبلغنا الآمال فبينما هم يتشاورون في أمر الرحيل من هذه البلاد واذا قد أقبل عليهم الربيع ابن زياد ومن معه من آل زياد الأوغاد وأ كثرهم جاله وهم في أوشم حاله وكان قد بقى منهم مائة وعشرون وهلك الباقون ولما رأى الربيع لعنترة الرئبال تقدم الى بين يديه وبكا زور او محال وخديعة في المقال وقال له والله ما فينا من له وجه يلقاك لاجل فعلنا القبيح الزميم ولأجل ما لك علينا من الفضل والتكريم ولكن يا ابن العم الخطأ مركب في الانسان وكل أحد يحب لنفسه الزيادة ويكره النقصان والآن قد بين الله فضلك وجمع على بنت عمك شملك وها نحن بين يديك مثل العبيد فافعل بنا ما تريد لاننا بهيبتك نجينا من التلاف وبسعادتك فرج الله عنا ما كنا فيه من تلك الاوصاف قال فلما سمع عنتر ذلك الخطاب تناثرت دموعه مثل السحاب وعشق الربيع المرتاب وأنشد يقول

فجبوا ان شئتموا أوفاعدلوا * واحكموا في عبدكم حكم الموالى
واءرضوا عنى وخونوا واغدروا * وانظروا عند الملمات فعالى
أنتموا سيفى الذى أسطو به * وعليكم في مدى الدهر اتكالى

(قال الراوى) ثم انه عاد الى عمارة بن زياد وهناه بالسلامة مما كان من الانكاد وزال من قلب عنتر ما كان فيه من الاحقاد وفي قلوبهم البغضا وبعد ذلك عادوا الى المضارب يطلبون الراحة ويدارى كل أحد جراحه وعنتر يقول والله يا بنى عمى لولا الخلف الذى يجرى بيننا ما ذل عبسى أبدا والآن قد رزقتم النصر وخلصتم من غلبة الاسر وهذه ديار بنى قحطان وكل من فيها يتمنوا لنا

79

القلعان من كثرة مالهم علينا من الدما من قديم الزمان فدونكم
وأكل الزاد والرحيل من هذه البلاد فقالوا هذا هو الصواب والامر
الذي لا يعاب قال ثم انهم ذبحوا الاغنام وروّجوا لهم طعام
وقد أكلوا وشربوا بعد ذلك المرام فهذا ما جرى لهم من الامر
والشان وأما ما كان من مفرج الكتمان فانه صار يأكل كفيه
من هذا الامر الذي جرى عليه وكاد أن يغشى عليه وبعد ذلك
فاق على نفسه عند اقبال النهار وصحا من نشوة الخمار فرأى بني
عبس نازلين في الخيام وأصحابه وبنو عمه ممددين مثل النيام
قال وكانوا بنوا عبس أخذوا الراحة وأكلوا الطعام وخرجوا
بعد ذلك من الخيام وقد عزموا على المسير باهتمام وفي تلك
الساعة أقبلت بنو جذيمة الاشاوس وهم في خمسمائة فارس
وهم طالبون الفرجة على صلب بني زياد فرؤا دار مفرج شماتة
للحساد فحصل لهم من ذلك الافراح فبينما هم على ذلك الايضاح
واذا قد التقاهم مفرج بن همام وهو في بكا ونواح واعلمهم بما حل
بهم من الافتضاح فهو معهم في ذلك الامر والشان واذا قد
أقبلت عليهم بنو نبهان يقدمهم المهلهل ابن فياض الحارثة
الطارقة والمصيبة الماحقة فاشتد ظهر مفرج ابن همام بهذه الامور
والاحكام وانجلت عنه جميع الاحزان وقد أرسل اعلم فرسان
بني نبهان بجميع ما جرى من الاحوال فنالهم أشد منال
وصعب عليهم ممن قتل من الرجال والابطال وقالوا في كم كان
عنتر حتى فعل بكم هذه الفعال فقال لهم والله يا بني الاعمام ما كان
الا في دون المائتين فارس ولكن هجم علينا في غسق الظلام ونحن
سكارى ما نعقل كلام فبلغ منا ما اختار وقتل العبيد والاحرار

ورحل من هنا يطلب منازله والديار وخلص بنى زياد وكانوا مائة وعشرين فارس أمجاد فقال جابر أبوا الاسد الرهيص واذل بنى طى بين العربان واحراه من هذا العبد الكشحان فوحق مكون الاكوان الذى خلق الانس والجان لا نزلت من على ظهر الجواد ولا خلعت عدة الحرب والجلاد حتى أقتل عنتر ابن شداد وأبلغ منه ما أختار واكشف عن بنى طى ما نزل بهم من العار ثم انه تم على حاله وأتبعوه بنو عمه ورجاله وقد اجتمع على بعضهم البعض وسار وامع مفرج ابن همام وهم ألفين فارس تمام غاطسين فى الحديد مسربلين بالزرد النضيد لا يخافون الفوت ولا يخشون من الموت فدقوا الارض ضبيا وتقربوا حتى أدركوا عنتر ومن معه عند المغيب وكانوا قد عولوا على الراحة والنزول فى تلك الارض والطول قال فعند ذلك قال مفرج لجابر لاى شىء تقول يا ابن العم فى الهجمة عليهم ونضرب فيهم بالصفاح ونفرغ منهم قبل أن يصبح الصباح ونهدى من شرهم ونرتاح فقال جابر ما هذا صواب لانهم عصابة يسيره ونحن فرساننا كثيره وان اختلطوا بنا ضاعوا فينا فى جنبات الارض ويلعب السيف فينا طولا وعرض ويقتل بعضنا بعض ونكون طلبنا الزيادة فنقع فى النقصان ونعود بالذل والحرمان وتأدى بنا العجلة الى خسران والرأى عندى أنك تأخذ أنت ألف فارس وتطلب بها المقدمة وتمسك عليهم طريق ديارهم وأبقى أنا فى ألف فارس أخر على آثارهم واذا أصبح الصباح انطبقنا عليهم من الجانبين ونبذل فيهم سيوفنا أجمعين ونمحقهم محقا ونكون قد عدمنا الاعداء من الاصدقاء فقال مفرج هذا هو الصواب والامر الذى لا يعاب قال وان جابرا هذا هو أبوا الاسد الرهيص الذى

يقتل

80

يقتل عنتر بعدما يجرى له معه وقائع تذكر وتكون عبرة لمن اعتبر وموعظة لمن تفكر ولكن ما نذكر الا كل شىء فى مكانه بعون الله وسلطانه قال هذا وقد اخذ مفرج الألف فارس وسار بطلب المقدمة وكانت بنو عبس قد سمعت الصياح وأبصرت لمعان اسنة الرماح وبريق الصفاح فقالوا لعنتر لأى شىء عندك من الرأى يا أبا الفوارس أدركتنا الاعداء وملؤ علينا البيدا وأنت تعلم ما فى قلوبهم من النيران لما فعلنا فى حقهم من قديم الزمان وما نظن الا انهم نظروا الى قلتنا فأحتقرونا ولا خطرنا لهم على بال ونراهم ما حملوا ولا حصل عندهم اهتمام ونظن انهم يقاتلونا فى الظلام ويهجموا علينا ونحن نيام فيأخذوا الأهبة للقاهم حتى نقطع أقصاهم وأدناهم فقال لهم عنتر يا بنى عمى هذا الامر ما نخاف منه ولا قط نحمل همه لانهم ان فعلوا ذلك الامر خسروا وربحنا وانفسد حالهم وانصلحنا لان العصابة اليسيرة يسترها الظلام لاسيما اذا اختلط فى وسط القتام وهذا ما يفعلوه ان كان فيهم فارس مستبد ويكون فى زمانه شجاع أوحد فقال مالك ابن زهير أراهم انقسموا قسمين وافترق الجميع فرقتين الفرقة الاولى تقدمت والاخرى تأخرت قال عنتر نعم لانهم خافوا الانهزاب فى الليل وظلام الاعتكار ونطلب أطلالنا والديار وأنا وحق الذى أنار الهلال وارس بقدرته الجبال ويعلم عدد الحصا والرمال ما أترك الصباح يصبح الا وقد انفصل الحال فقل لأصحابك يأخذوا أهبة القتال ولا ينزلوا عن ظهور الخيل حتى أريك ما أفعل بهم فى ظلام الليل فقال الربيع على ماذا عولت يا ابن العم أعلمنا بما خطر فى بالك لان الرأى بيننا مشترك فقال له عنتر عولت أن أترك القوم حتى

يتزلوا عن ظهور الخيل وأريكم كيف أفعل بهم في ظلام الليل
ونحمل على هذه الفرقة التي بين أيدينا ونخوضها بشدة عزمنا
وعوافينا وأنا أعلم ان الصباح يقع من خلفنا ومن بين أيدينا فيقع
عند ذلك الضرب خطأ وصواب ونقطع الغلاصم والرقاب وأنا
ما أقول كلام فيه شيء يعاب وهو انكم تتفرقوا وقت الحملة وقد اشتد
عليهم الكرب وابذلوا مجهودكم في ساعة الحرب وقووا الطعن
والضرب وأطابوا المقدمة وانفسحوا في جنبات الارض وقد قتل
بعضهم البعض ويعمل فيهم السيف طولا وعرض وأول الحملة
نادوا بأنسابكم واذا اختلطوا بكم قلوا خطابكم ولا تذكروا عبسا
ولا عدنان ولا يمني ولا قحطان حتى لا تعرف الاعداء من الاصدقاء
ولا تعقل الرفيق الرفقا قال فلما سمع الربيع هذا الخطاب رآه
عين الصواب فوصى جميع رجاله وأصحابه واعلمهم بما قاله عنتر
من خطابه قال الامير عمارة بن الورد والله يا ابن العم ما هذا الا ليل
مهول ولا ينجوا منه الا كل ضامر مهذول وأحسن ما يكون فيه
قتل هذا الاسود المهول الذي وجهه مثل وجه الغول وما له الا
من يرصده وقت حملته ويطعنه على غفلة منه بعدمه مهجته فكان
يهلك بين هذه الجحافل ولا يدرى به لا فارس ولا راجل ويقال
انه قتله بنو قحطان ويروح كأنه ما كان فقال عروة النهى
جاءك لموخي لأي شيء هذا الرأي الفاسد فوحق الذي خلق
الخلق والبشر وأضاء بقدرته الشمس والقمر ان قتل عنتر في هذه
الليلة ما رجع منا بشر ويخبر بخبر وأي شيء الفائدة أن يقتل
الانسان عدوه في وسط هذه القوم الذين ما يشتهون أن يعيش من
الدهر ولا يوم فبالله عليك دعنا من هذا السؤل البارد وأبطل هذا

المقال

المقال حتى اننا نرجع الى ديارنا والاطلال قال ثم انهم أخذوا أهبتهم للحرب والقتال والطعن والنزال هذا والامير عنتر صبر حتى نزلت الطوائف وأمن منهم كل خائف ونام منهم الاكثر وأظلم الظلام واعتكر فقال عنتر لشيبوب كن يا أخي أنت لحفظ عبلة ومداراتها وقت الحملة ولا تبرح بها من أثرى حتى أريها فعلى وكرى وفرى قال ثم انه أركبها جواد الجرد والبسها ثوبا من الزرد خوفا عليها من غائلة الحرب في وقت وقوع الطعن والضرب ثم ان عنترا أمر مالكا أن يصف رجاله ويعدل جميع أبطاله هذا وعنتر يهمهم ويدمدم دمدمة الاسد الكاسر وقد جمع الميامن على المياسر وقد التم بعضهم على بعض وصاحوا صيحة واحدة تدكدكت لها جنبات الارض وهزوا الرماح واشهروا البيض الصفاح وانطبقوا على طائفة مفرج بن همام مثل انطباق الغمام وبذلوا فيهم الرمح والحسام تحت غسق الظلام وداسوا بحوافر خيلهم في بطون النيام وكثر الصياح والانزعاج وزاد سواد الليل الوهاج وصار القتام كالبحر اذا هاج اذا ضربته الرياح وكثرت فيه الامواج قال وكان جابر سمع صياح الاقران وقد اندهش من كثرة ما رأى من الضرب والطعان فصاح عند ذلك في ابطاله والشجعان وقال للمهلهل وحق ذمة العرب لقد أجادت طائفة بني عبس وعدنان وفعلت فعل الرجال وما هي الاخبيرة بأمور الحرب والقتال عارفة بشدائد الاهوال وان نحن حملنا لمعونة أصحابنا كنا خاسرين وان تركناهم أفنوهم أجمعين ونرجع من ديارنا سالمين فقال المهلهل لأي شيء هذا الحديث يا جابر وكيف يخفى العبسي العدناني من اليمني القحطاني احمل

أنت بالناس ودع عنك التوانى ثم انه حمل وقصد الصياح وحملت رجاله من ورائه وقد هزوا الرماح واختلطوا الكل تحت غيهب الظلام وعمل عند ذلك الرمح والحسام وطارت الجماجم والقمم وقام الحرب على ساق وقدم وشابت المفارق واللمم والسيف عند ذلك حكم وجار فى حكمه وظلم ووقعت المضارب صوابا وخطا وهلكت الرجال غلطا وأنكر النسيب النسيبا وفاض الدم منسكبا وصار الشجاع متعجبا ودمدمت سباع الحرب غضبا وقطعت الرجال بمضارب الظبا قال وقاتل عنتر تلك الليلة قتال من كره حياته وأرمى نفسه على موته وفناه لما علم أن عبلة وراه وقد فرق المواكب والكتائب وأظهر فى هذه الليلة العجائب وانسل بعد ذلك بأصحابه من قدام الاعدا وأوسع بهم فى وسيع البيدا قال وكان خلاصهم من الحرب فى وقت السحر وقد أحلوا بأعدائهم الويل والدبر هذا والحرب فى بنى قحطان يعمل والدم يبذل ونار الحرب تشعل الى أن ظهر ضوء الصباح والفجر قد انفجر وعرف الخصم خصمه بحقيقة النظر وقد فقد من بنى قحطان خمسمائة فارس أو أكثر وكان غالبهم هلك على يد عنتر وقتل من بنى عبس ثلاثون فارس وانطمست آثارهم وعادوا دوارس وقد جرح عمارة الفتاك وأشرف من جراحه على الهلاك وقد حل به سوء الارتباك قال ولما انفصل الناس من بعضهم بعض وعولوا أن ينزلوا الى وجه الارض خرجت العجوز سلما أم ناقد ابن الجلاح الى مقام الحرب والكفاح وأكثرت من البكا والنواح ووقفت بين الفريقين وهو مقام الجلاد وعلى جسدها ثياب أسواد وقد أكثرت العويل والتعديد ونادت واذل

بنى

بنى طى الى آخر الأبد من جور ذلك العبد الذى طغا وتمرد بالعرب أما فيكم من له شجاعة وحميه يأخذ لنا بالثار من هذه الطائفة الدنيه ويطعمنى من لحم عنتر قطعه ويسقينى من دمه جرعه ثم انها قالت وحق البيت الحرام وما عليه من آلهة واصنام لان وقع عنتر فى يده لأذبحه واشرب من دمه لانه أنحل جسمى وأوها جلدى ثم بكت حتى أبكت العيون وآثارت الشجون ورجعت بعد ذلك الى النفس الابيه والنخوة العربية وأنشدت وجعلت تقول

بالقومى ملأت لبس السوادى * من زمان الصبا ولبس الحدادى
كان لى فارس اذا حضر الحرب * تطاطت له رؤس العبادى
كان عزى وعدتى فى الرزايا * وعليه فى الدهر كان اعتمادى
فجعنى فيه زنيم بنى عبس * وأجرى أدمعى واشجا فؤادى
آه واحسرتاه عليه مال * صريعا من فوق ظهر الجوادى
بنأوه من تحت الغبار ويشكو * مالقاه من السيوف الحدادى
فأعينوا ضعفى على الثار وارعو * حرمتى واحفظوا ودادى

(قال الراوى) فلما فرغت من شعرها ونظامها همت أن ترمى الى بنى عبس نفسها فقفز مفرج بن همام بقوة عزم واهتمام وقد غير الجواد ولبس عدة الحرب والجلاد وصار فى مقام الطراد وقال لها ارجعى يا أم الفرسان الاجواد وقلى من البكا والتعداد وأنا أبلغك المراد واقود اليك عنتر بن شداد وافنى بنى عبس وآل قراد وأجعلهم مثلا بين العباد لان نارنا أعظم من نارك وعارنا أكثر من عارك ثم انه ردها من الميدان وجال وصال حتى هدا مرج الحصان وطلب البراز والطعان وقال يا ويلكم يا بنى عبس

الاوغاد قد جرى ماجرى لنا منكم في هذين الليلتين شيء ماجرى مثله لأحد من العباد وخلصتم من قبضتنا بنى زياد بالمكر والعناد ودبرتم وماقصرتم لانكم طائفة قليله ولكنكم فرسان جليله ولاسيما وانكم في بلاد بعيده والآن ضوء النهار قد ظهر وبانت الاقطار وفي هذه الساعة تبان منازل العلو والافتخار وماسنة العرب الا الانصاف وهو من شيم السادات الاشراف وها نحن قد انصفنا كم وماظلمنا كم فابرزوا الى مقام القراع ومحل الارتفاع فارس لفارس وشجاع لشجاع ولكن لايبرز لى الامن له نسب كنسبي وحسب كحسبي وأم مثل أمي وأب مثل أبي حتى آخذ ثارى من السادات الاماجيد وأعود بعد ذلك الى قتال العبيد ثم انه أنشد يقول

ذا لم أقتضى حقي وديني * بضرب السيف والرمح الرديني
فلاصحبت حادثة الليالى * ولازال الرقاد جفون عيني
فعلتم يا بنى الانذال فعلا * آثار الحرب بينكم وبيني
وان لم أشتفى منكم سريعا * فما أدعا كريم الوالدين
واني قد برزت وفي يميني * ثقيل المتن ماضى الشفرتين
أبيد به فوارسكم جميعا * اذا عض الجبان على اليدين
وأسقى عبدكم كاس المنايا * بطعن الرمح بين العسكرين

(قال الراوى) ولما فرغ مفرج من ذلك الشعر والنظام وماقاله من ذلك الكلام الذى لم يبلغ به صاحبه مرام جال وصال وطلب الحرب والنزال فلما سمع عنتر ماقاله وما أبداه من شعره ونظامه وقف بالجواد حتى صار في أمامه وكان عنتر في تلك الساعة عند بنت عمه عبلة وهو يسليها ويمنع عنها الخوف فسمع صياح

مفرج

مفرج بن همام وما قاله من الشعر والنظام فلما سمع هذا المقال قفز اليه وهو مثل الاسد الرئبال وصال وجال فى حومة المجال وقال له يا ديوث العرب وابن الرجال الارذال ثكلتك امك وعدموك أهلك وقومك من أنت يا ويلك حتى تطلب براز السادات وتعد نفسك من الشجعان العادات فها أنا اقل عبيد لهؤلاء القوم الكرام وها أنا برزت الى هذا المقام حتى أحمل عنهم التعب والملام وقد برزت اليك حتى اعجل دمارك وأخرب ديارك يا ويلك يا قرنان يا ابن ألف قرنان أتظن أنى نسيت ما فعلت بابنة عمى عبلة سيدة النسوان وما انزلت بها من الذل والهوان أو كأنى قنعت بما قتلت لكم من الفرسان أو بما اهلكت من الشجعان فوحق الدائم بلا زوال القديم المتعال الذى ليس له شبيه ولا امثال وقدر الارزاق والآجال وسلخ الليل من النهار وخص الشمس بالانوار وسخر الفلك الدوار وهو الواحد القهار ما بقيت أخرج من هذه الديار حتى ما أدع دار ولا نافخ نار ثم انه أجابه وأنشد وجعل يقول

اذا خصمى تقاضانى بدينى * قضيت الدين بالرمح الردينى
وحد السيف يرضينا جميعا * ويحكم بينكم حقا وبينى
جهلتم يا بنى لاندال قدرى * وقد عرفوه أهل الخافقينى
وما هدت يدى الحادثات * ولا مدت الى بنان حينى
فكم من فارس أبقيه ملقى * عفير الخد مخضوب اليدينى
تحوم عليه أطيار المنايا * وتمرج فوقه غربان بينى

(قال الراوى) ثم انهما انطبقا على بعضهما بعد ذلك المقال وما لا فى حومة المجال وجرى بينهما عجائب وأهوال تحير منها صناديد

الرجال وكان لهما ساعة تقشعر منها الجلود مما جرى بينهما في ذلك اليوم المشهود ومازالا في كر وفر وانفساح ومستقر وهزل وجد وقرب وبعد ثم انهما التصقا وافترقا وجهما وزعقا حتى ضاق بينهما الميدان وامتدت اليهما أعين الشجعان لينظروا ماجرى بينهما من الامر والشان فرأوا الفرق كما بين المدن والقرى أو بين الثعالب وأسد الثرى قال وكان مفرج كل دمل وبطل قواه واضمحل فأراد أن يشير الى قومه بالحمل وناداهم أجمعين وهو يطلب منهم ناصرا ومعين فلم يجد من خصمه احتمال ولا انهزام بل ان عنترا انطبق عليه مثل انطباق الغمام وصرخ فيه صرخة الاسد الضرغام وضربه على رأسه بالحسام وكانت الضربة مشبعة تمام فوقعت على هامة شقته الى حد الحزام فوقع على الارض صريع يمج علقما ونجيع وقد صار يختبط في دمه ويضطرب في عندمه قال ثم ان عنترا صال وجال وطلب الحرب والقتال فهمت أن تبرز اليه الفرسان فأعاقهم جابر فارس بني نبهان وقال لهم ان حاربتم خسرتم مع هذا الشيطان الذي قد تصور لنا في صورة انسان لانه قد زاد له فيكم الطمع وكذلك أنتم وقع في قلوبكم منه الخوف والفزع لانني أنا تأملت الى قتاله فعرفت جميع أحواله وعلمت من أين تنزل عليه المنية ومن أي مقتل تصل اليه الرزية فاصبروا على قليل وأنا أكفيكم شره وأصرم عمره الطويل ولو لبست بقتاله العار مابقي الليل والنهار وآخذ بنت عمه عبلة وأتركها مع الاماء والجوار قال ثم ان جابرا بعد كلامه لبني نبهان وماضمن لهم من ذلك الضمان قفز بجواده الى حومة الميدان وهو على جواد

كأنه السرحان من جياد الخيل شديد القوى والحيل لونه مثل سواد الليل مليح التحجيل بين عينيه غرة كأنها قنديل سقي بلبن اللقا اذا جرى يسبق هبوب الرياح وعليه ثوب من الزرد لها عيون كأنها عيون الجرد لا يعمل فيها الصارم المهند ولا الرمح المسدد متقلد بسيف مصقول لا يعتريه من الضرب ملول ومعتقل برمح أسمر من عمل سمهر ثم انه لما نزل الى حومة المجال صال وجال وطلب الحرب والقتال والطعن والنزال وأنشد يقول

دونك حربي واعرض عن الطربي * وقم لمثلي واستعد للهربي
وخل عنك الحرب يا اذل العرب * تبا لقوم ألحقوك بالنسب

(قال الراوي) فلما سمع عنتر كلامه زاد غيظه وغرامه وأجابه يقول

ان كنت عبدا أود سافي النسب
فالسيف يكسيني فخارا مع حسب
عضبا اذا جردته يوم الغضب * ذلت له أعناق سادات العرب

(قال الراوي) ولما ان فرغ عنتر من شعره ونظامه حمل عليه بشدة حيله واهتمامه فالتقاه جابر مثل الاسد الكاسر وانطبق على بعضهم البعض وجالا طولا وعرض حتى تدكدكت من تحت خيلهم الارض ثم انهما بعد ذلك التصقا وافترقا وللسيفين امتشقا وزاد غيظا وحنقا وانبلت الخيل من تحتهما عرقا وعلا غبارهما وصار مسردقا وعاد النهار في أعينهما غسقا وكان جابر محتقرا بعنتر قبل برازه وحربه الى أن ذاق طعنه وضربه فرآه فارسا لا يصطلا وجبلا كلما تقرب منه شمخ وعلا فأظهر

الصبر والجلد واخف الغيظ والحرد ولكن أبو الفوارس أصبر منه وأجلد قال ومازالوا على هذا الامر والشان وهم فى حرب وطعان الى أن حصل منهم ضربتان صائبتان ولكن كان السابق بالضربة عنتر فارس عبس وعدنان لانه خبير بذلك الامر والشان فوقع السيف لجابر على صدره خرج يلمع من سلسلة ظهره فوقع على الارض قتيل وهو فى دماه معفر جديل قال فلما انظرت بنوا بنهان الى ذلك الامر والشان صاح فيهم المهلهل فحملوا من كل جانب ومكان وصاحت جميع الاقران وتزاعقت الشجعان وتبادرت الى حومة الميدان وهجموا على عنتر مثل العقبان فلما أبصر مالك ابن زهير الى ذلك الامر والشان حمل فيمن معه من بنى عبس وعدنان والتقى بهم ذلك الجمع وطلاب العطا والمنع وكثر صياح الفرسان والتقت عند ذلك الطائفتان فتزلزلت الاقطار وتزوبع الغبار وقدحت الصوارم نار وقصرت الاعمار وتهتكت الاسوار وماجت الفرسان مثل ماتموج البحار واندهش الجبان وحاروأيست الطائفتان من عودتهم الى الديار ومساوات العبيد والاحرار هذا وعنتر قصد الى قبيلة بنى بنهان وقد أهلك منهم الفرسان وأباد الابطال والشجعان وفرق جمعهما بتواتر الطعان ومازال على ذلك الاهتمام الى أن بقى فى وسط الاعلام وضرب فيهم بالحسام وشتت الجمع بعد الالتمام قال فلما رأى المهلهل الى تلك المصايب وأبصر الى تفريق الكتائب فخاف على نفسه من شرب كأس النائبات فولى هاربا وأخذ فى الانهزام وقد تنكست عند ذلك جميع الاعلام وأيقن الجميع بشرب كأس الحمام فتفرقوا فى البرارى والآكام

وقد

85

وقد صاروا فى انهزام وعنتر بمن معه وراهم كالعقبان وهم ينادون يالعبس يالعدنان ومازالوا على هذا الحال الى أن أقبل الليل بالاعتكار وولى النهار بالانوار فعند ذلك رجعت بنوا عبس عائده بعدما جمعت الخيل الشارده والعدد المبدده وقد فرحوا بذلك الامر والشان وعنتر بين أيديهم وهو كأنه شقيقة الارجوان مما سال عليه من أدمية الفرسان وهو مسرور بنصرته على الاعداء الانذال وقربت عليه عبلة لما رأته فعل تلك الفعال وفرحت بسلامته وثبتت فى قلبها محبته هذا وقد تقدم عنتر اليها وضمها فى صدره وقبلها بين عينيها وصار بعد ذلك ينشد ويقول

ياعبلة ان كان ظل القسطل الحلكى

أخفى فعالى عليك يوم معترك

فاسألى السيف عنى هل ضربت به * يوم الكريهة الاهامة الملك
واسألى أبجرى هل كنت أقحمه * الاعلى موكب كالليل محتبك
واسألى الرمح عنى هل طعنت به * الاالمدرع بين النحر والحنك
كم ضربة لى بحد السيف قاطعة * وطعنة شكت القربوص فى الورك
لولا الذى تعلو الافلاك قدرته * جعلت ظهر جوادى قبة الفلك

(قال الراوى) عند ذلك زاد فرح عبلة من مقاله وفعاله وقالت له لارد الله فاك ولا كان من يشناك وأهلك الله جميع أعداك هذا وقد هنته بنو عبس بالسلامة من ذلك الايراد وقد فرح له بذلك صديقه مالك وأبوه شداد ثم انهم بعد ذلك استشاروا عنترا انهم ينزلوا فى هذه الساحة ليأخذوا لهم هم والخيل راحه قال نعم ماذكرتم من ذلك الخطاب وانه أمر لا يعاب ثم انهم نزلوا فى ذلك

المكان وأراد عنتر أن يحرسهم خوفا من نائبات الزمان فقال عمه
مالك وعروة ابن الورد والربيع ابن زياد وأخيه عمارة القواد
والله يا أبا الفوارس ما يتولى الحرس الا نحن فى هذا الليل الغالس
فقال لهم عنتر يا بنى عمى أنا أقسم بحق الله ان ما أحد اغيرى يتولاه
فخذوا لكم راحة الى نصف الليل وكذلك ترتاح الخيل ودعونا
نخرج من هذه الارض التى ما لنا فيها صديق ولا صاحب ولا رفيق
فقال مالك بن زهير والله يا أبا الفوارس وزين المجالس
ما أدعك تستكفل بهذا الامر وحدك لانك فى تلك الوقعة اتعبت
نفسك وقد لقيت ما كفاك وفعلت ما لا فعله أحد سواك وبعد
ذلك تريد أن تحرسنا وأنت على أثر تعبك فنحن بهذا الامر أحق
منك فقال عنتر لا كان ذلك أبدا ولو شربت كأس الردا
فقال له مالك اذا كان الامر كذلك وأنت ما تفعل فأنا أكون
فى ركابك من جملة أصحابك ثم انهم قاموا وركبوا الى الحرس
حتى يذهب الليل وسواد الغاس هذا ما كان لهم من الامر والشان
وأما ما كان من مالك أبى عبلة القرنان والربيع بن زياد وأخيه
عمارة الكشحان فانهم الجميع كانوا يتمنون هلاك عنتر أبى
الفرسان وكان أشدهم مصيبه وضربه عمارة بن الافرنجيه وقد
ذاب جسده وانفطر ونحل جسمه ودمعه تحدر وهو لا يدرى
ما يفعل به ولا كيف يدبر فى أمره وأمر عنتر وكانوا اذا اختلوا
بأنفسهم يشتموه ويتمنوا أن يد المنية تصل اليه فقال مالك
أبو عبلة هذا أمر ما يشفى غليلى ولا ينفع هذا القال والقيل
وأنا قد حرت فى أمرى وخاننى جلدى وصبرى فى هذا العبد الولد
الزنا الذى فتت بفعاله أكبادنا وقد أخذنى من فعاله المغاص

ولا

86

ولا بقى لى من يديه خلاص وكل ما أدبر عليه تدبيرا عاد على وبالا وتدمير ولا يصيبنى منه الا التعيير ويزيد فى الفصاحة والشجاعة والقوة والبراعه فقال الامير عمارة أما شجاعته فهى عند الناس بينه وأما فصاحته ما هى عندى الاهينه ولا يلذ فى مايقوله من الكلام ولا سمعت له قافية مستقيمة تمام فقال عروة بن الورد كذبت فى هذا المقال أنت وجميع من يوافقك فى هذا السؤال وكلما ذكرته زور ومحال ولا يوافقك عليه أحد من الرجال وأنا أقسم وحق مكون الاكوان الذى خلق الانس والجان ما فى جميع قبائل العربان من قحطان وعدنان أفصح منه لسان ولا أشجع منه فى حومة الميدان على ان هذا الكلام ما هو فيه محبه ولا رغبة ولا دفع مسبه ولكن الحق أحق أن يعطا وعين الشمس ما تنغطا أيا عمارة الكلب هونت ما ذكره وهو عائد من مقام الحرب وهو يقول لولا الذى تعلوا الافلاك قدرته جعلت ظهر جوادى قبة الفلك وهذا مقال اذا أراد أحدنا أن يقول مثله وأى شىء له أن يقوله فلعن الله ديوثا من ظهره ورماه وبطنا وعاه ما أفصح لسانه وفى الحرب قواه (قال الراوى) لهذا الكلام هذا وقد قال مالك أبو عبلة والله يابنى عمى ما بقى لى عين تراه ولا بقى لى أن أعيش معاه وفى مرادى ومنيتى أن أمشى أنا وولدى وبنتى وأعيش عزيزا فى بلاد الغربا ولا أكون ذليلا بين الاصحاب والاحباب فعند ذلك قال له الربيع ابن زياد والله ما نوافقك على ذلك الاراد أنا أشير عليك برأى تبلغ به المراد ولا تبالى بعنتر ولا بأحد من العباد فقال مالك أخبرنى بذلك وأعلمنى بما خطر ببالك قال لما تصل الى الاطلال وتحل على الامير شاس المفضال

أمسك ذيلك واعلمه بذلك الامر والحال وسلمه ابنتك وقد بلغت قصدك ومنيتك وقل له أيها السيد الهمام والبطل الضرغام هذه بنتي أمتك وأنا وأخوها خدمك فزوجها لمن تريد ولا يأخذها ذلك الاسود العنيد لان شاسا الجواد يبغض ما عليه عنتر ابن شداد من يوم كبروا تشاوروكب الخيل الجياد واذا صارت بنتك في حماه أمنت عليها من جميع من سكن الفلاه ولا تبالي بجميع المخلوقات وتنتظر لهذا العبد العرضيات ولا تزال حتى تهلكه في بعض الجهات (قال الراوي) ومازال القوم على ذلك الحال حتى لاح الفجر بنوره المتلالا فرحلوا يطلبون الديار والاطلال وما زالوا سائرين في القفار الى أن تضاحا النهار واذاهم والوحش قد هج في سائر الاقطار ورأوا على العبد منهم غبار وقد انعقد وملأ جنبات الفلا والخيل وصار أسود من الليل فقالوا تلك خيول بني طي وقد أتت الينا من كل قبيلة وحي فدونكم وأخذ الاهبة للقاء الاعدا الذين ملؤا علينا البيدا وقاتلوا قتال من كره الحياه واختار الموت والفناه فقال عنتر الاسد الضرغام لا تخافوا يا بني الاعمام من كثرة هؤلاء القوم اللئام واعلموا أن صاحب الاجل المديد ما تعمل فيه الصوارم الحديد قال ثم ان عنترا عاد الى ورائه بالجواد وتبعه مالك بن زهير وأبوه شداد وتبعهم عشرة من بني قراد وأسرعوا في المسير الى كشف الاخبار واذا به قد انكشف وانجلا وبان للابصار واذا هو جيش جرار ملأ الروابي والقفار وقد انتشر في البطاح وسد الفلا بأسنة الرماح ومن تحته زعاق وصياح وهمهمة رجال أوقاح ونشرت راياته وبنوده وترلعقت أشباله واسوده وصهلت عند ذلك

87

خيوله وتدفقت الشجعان من عرضه وطوله قال وكان هذا الجيش القابل من بنى طى والمقدمين عليه ملوك ذلك الحى وهم سادات بنى قحطان العظا الملك ملجم بن حنضلة وأخيه يزيد الملقب بشارب الدما وكان السبب فى مجيئهم الى تلك الآكام الرسل الذين أرسلهم مفرج بن همام فأخبروهم بأسر بنى زياد ففرحوا بذلك الابراد وردوا الرسل بالخلع العظام وقالوا لهم قولوا لمفرج بن همام ان بنى عبس مالهم عندنا عهد ولا ذمام فما كان الايام قلائل حتى وصلت اليهم الاخبار بالكبسة التى جرت فى الديار وكيف أخلص عنتر الاسارة من الاعتقال وكيف أهلك الرجال وأباد الابطال فلما سمعوا هذا المقال أنفذوا العبيد الى جميع ظلام والاطلال فتسارعت وأعلمت الرجال فركبت عند ذلك الاقيال وقد كانت عدتهم ستة آلاف فارس وهم فى الحديد غواطس وساروا فى تلك الآكام حتى وصلوا الى حلة مفرج بن همام فأبصروا القتلا على الارض أكوام فزادهم الغضب وكثر بهم الكرب فتموا فى سيرهم مجد بن الى ثانى يوم التقوا بالمنهزمين الذين انهزموا من الوقعة الثانية الكثيرة الاخطار وهم طالبون الديار متقطعين فى البرارى والقفار فلما رآهم شارب الدما فسألهم عن حالهم فحدثوه بما حل بهم من الويل والعمى وأخبرهم المهاهل بما جرى لهم من عنتر الهمام وكيف انه قتل جابرا ومفرج بن همام وكيف أباد الشجعان وأهلك الاقران فقال لهم ملوك هذه الاقطار والله لقد ألبستمونا العار وتركتمونا فضيحة فى الاقطار قال ثم انهم نزلوا بالناس حتى وصل آخر المنهزمين وكانوا دون الالف فارس فأقاموا هناك حتى أخذوا

لهم راحة وتلاحق بهم باقي القبائل وقد صاروا ثمانية آلاف مقاتل وهم الكل بالسيوف النواصل والرماح العوامل وساروا من أول الليل وهم راكبون على ظهور الخيل وما زالوا على ذلك الحال حتى لحقوا بني عبس كما ذكرنا في نصف النهار وكانوا قد وصلوا الى مفرق الطرق ومرج الفصلان وهي أواخر ديار بني قحطان قال فلما رآهم صاحوا من كل ناحية ومكان وتفرقوا كراديس ومواكب وانتشروا حتى ملؤا السباسب وأبصرت بنو عبس كثرة العدد وزيادة المدد ولمعان البيض والزرد فحاروا في أمورهم وتقطعت ظهورهم وأيقنوا بهلاكهم ودمارهم فعند ذلك قال عمارة بن زياد لمالك أبي عبلة جاءك ما كنت تؤمله يا ابن قراد واليوم يقتل عنتر بن شداد وقد فرغ أجله في هذا البر والوهاد فقال عروة يا عمارة لا تفرح بقتل عنتر فوحق من أنار الشمس وأضاء القمر لأن قتل عنتر ما سلم منا بشر ولا من يخبر بخبر فقال مالك أبو عبلة ما في الرأي الا اننا نردرؤس الخيل ونطلب الهرب فمن نجا بجواده سلم ومن وقع شرب كأس الغضب فقال عروة بن الورد لأي شيء تتسبب بابنتك في البيدا وتذل وتهان وتملكها الاعدا فقال مالك دعهم يملكوها ويحل بها العنا ولا يأخذها هذا العبد الولد الزنا فقال الربيع ابن زياد يا بني عمي لولا مالك ابن زهير تقدم بكشف الخبر كنا فعلنا ذلك ونجونا في البر الاقفر قبل ما يحل بنا الهلاك والعبر ولكن نخاف من عتب الملك زهير الغضنفر أن يقول لنا تركتم ولدي في وسط الاعدا من بغضكم لعنتر وأنا الرأي عندي أننا نصبر على الشدائد والنوائب ونقاتل الى أن تدور بنا الاعداء من كل جانب ونصيح بالعبس الهرب

الحرب والاحل بكم الويل والعطب وندبر رؤس خيلنا ونطلب النجاه ونخلى هذا العبد يموت موت العتاه ومن تبعنا فله اسوة بنا ومن وقف يحل به الهلاك والفنا ونكون قد بذلنا المجهود مع هؤلاء القوم وقد برينا من العتب واللوم وأنا أعلم ان عنترا ما يهرب ويخلى عبله بل يقف حتى تضرب رقبته ونستريح نحن من هذه الدبله قال ثم انهم بنوا أمرهم على ذلك المقال ووقفوا حتى سار الغبار فوق رؤس الرجال ونظروا الى عنتر وقد حمل وارتمى على الاعداء كأنه الجبل وتبعه أبوه شداد وصديقه مالك وكل واحد منهم مثل الاسد الفاتك وصار الضرب والطعن بينهم متدارك وثار الغبار فوقهم مثل الليل الحالك وصارت الادمية كالسيل فى جميع المسالك وبكا السيف بعدما كان ضاحك فحمل الربيع هو وأصحابه بنيات ذميمه لانهم كما قدمنا معولين على الهرب والهزيمه مقدار ساعة وعادوا على الاعقاب وهم طالبون الهرب والذهاب وتبعهم من كان عارفا بهذه الامور والاسباب ووقف عنتر ومن معه من الاصحاب وقد بذلوا مجهودهم فى القتال وصاروا يطعنون بأسنة الرماح الطوال ويضربون بالسيوف الصقال وبقيت عبلة حائرة فى أمرها وهى ترتعد من شدة خوفها ودمعها منهمل على خدها وهى تنادى لعنتر بأعلا صوتها المعهود وهو فى قتاله كأنه أسد من الاسود ومالك بن زهير أرما نفسه فى وسط العساكر والجنود وقاتل أصحابه مثل الاسود قال وكان الربيع ابن زياد وأخوه عمارة القواد وعروة بن الورد وبنو زياد نحو امن المعمعة فى خمسين أوغاد وأخذ جميعهم فى الهرب والباقى شكتهم رماح العرب الا أنهم ما وسعوا من المجال وحصلوا فى وسيع

القفار حتى ظهر من بين أيديهم غبار وهو يدل على أنه جيش جرار وهو مقبل على عجل والوحش منه قد نفر وجل فقال عروة بن الورد هذا من جملة جيوش الاعدا وما أظنهم الا ملكوا علينا جميع البيدا والصواب اننا نرجع عن هذه الطريق والا عدمنا السعادة والتوفيق ثم انهم ألووا رؤس خيلهم وطلبوا الميمنة وهم لا يصدقون بالنجاه واذا هم بغبار آخر طلع من وسط الفلاه فقال عروة بن الورد ما هذا الا أمر منكر فوالله ما يسلم منا ولا بشر ولا من يوصل الى ديارنا الخبر ولا بد أن تسد في وجوهنا جميع المسالك ويصير كل منا في هذا البر هالك من أجل عداوتنا لعنتر صاحب الوجه الاغبر ثم انهم وقفوا حتى انكشف ذلك الغبار وانجلا وبان لجميع النظار واذا من تحته خيل مثل الغزلان وعلى ظهورهم رجال مثل العقبان وهي تنادي بالعبس يال عدنان والجميع قد أطلقوا الاعنا وقوموا الاسنة وانتشروا في المحاجر وطلبوا ذلك الغبار الثائر وسوق ذلك الحرب الدائر قال فلما نظر الى ذلك مالك بن قراد والربيع بن زياد والفرسان الهاربة من القتال والجلاد تعلقت بأذيال المطامع أرواحها وأيقنت بعد فسادها بصلاحها وأجابت نداء قومها وحلت عند ذلك عمائمها وطلب كل جماعة جيش من المقبلين وأعلموهم بما جرى لهم من ذلك الخبر المبين وقالوا لهم أدركوا مالك بن زهير الغضنفر ومن معه وابن شداد عنتر فما هذا وقت اعلامكم بالخبر قال فعند ذلك حلت الشجعان وتسابقت الى ناحية الحرب والطعان واقتحم جميعهم الغبار وقد تزاعقوا كأنهم أسود القفار وأوصلوا الطعن في صدور الفرسان وكشفوا بني طي عن

بنى عدنان قال وكان عنتر فى تلك الساعة قد أشرف على الهلاك وايقن بسوء الارتباك وعلم أنه ما بقى له من الموت فكاك لانه كان أثخن بالجراح وذلك من كثرة الضرب بالصفاح والطعن بأسنة الرماح (قال الراوى) فلقد أخبرت ان عنترا فى ذلك اليوم خلص عبلة من السبى ثلاث مرات وكشف الخيل عن مالك وأصحابه خمس مرات حتى اثخن بالجراح وسكر مثل شارب الراح وقد بذل فى مجاله وكان يحمل تارة عن يمينه وتارة عن شماله والابطال تترامى عليه مثل الرمال وهو يظهر الاهوال ويبتر الابطال حتى أشرف على الهلاك والوبال وجعل يهيج فى المعمعة مثل ما يهيج فحول الجمال ويحمى من معه مثل ما يحمى الاسد صقور الاشبال قال وكان فى تلك الساعة أشرفت عليه بنو عبس الاقيال وفرجت عنه تلك الاهوال قال وكان الواصل مع هذه النجدة اولاد الملك زهير وهم شاس وقيس المشاهير لانه اذ كرنا فيما قدمنا فى هذه العباره ان عنترا ومالكا لما صارا من الحى كان الملك زهير غائبا فى بنى فزاره وما عاد الا بعد ثلاثة أيام مضت من تلك الاشاره فلما ان علم بذلك الحال خاف على ولده مالك وعنتر من الهلاك والوبال فقال لشاس يا ولدى ان أخاك قد صار مع عنتر الى ديار بنى طى وأنا أخاف من رجال ذلك الحى ولاسيما ملجم بن حنضلة واخوه يزيد الملقب بشراب الدما وأيضا أخاف على حامى القبيلة عنتر بن شداد وعلى الربيع ومن معه من بنى زياد والجميع منا والينا ولا منهم أحد الا وهو ركن من الاركان وان فقد أحد منهم قطع ظهرنا فخذ أنت وأخوك قيس ألفين فارس غائصين فى الحديد غواطس والحقوا من لنا الجميع وانظروا ما جرى لهم من الامر الشنيع ففعل شاس

ما أمره به أبوه من ذلك الامر والشان وانقضب هو وأخوه ألف عين فارس من الشجعان ومن يومهم ساروا على ذلك الحال ومعهم الرجال والابطال وهم لابسون الدروع الثقال متقلدين بالسيوف الصقال معتقلين بالرماح الطوال قال ولما قاربوا ديار بني طي فقال قيس لأخيه شاس اعلم يا أخي ان قدامنا بني عمنا فرقتين وهما الربيع و بني زياد وعنتر وآل قراد ونخاف ان نسير على الطريق الواحده فيكونوا امامنا في الطريق الآخره فنختلف في الطريق وتعدم السعادة والتوفيق والصواب أن تسير أنت بألف فارس يمين وأسير أنا بالالف الآخر عن شمال يقين ونقطع ماقدامنا من المهامه والجبال ونسير على هذا الامر والشان ويكون ملتقانا امغرق الطرق ومرج القصلان لانه أول ديار بني قحطان وآخر ديار بني عدنان ومن هناك يتبين لنا الحال ونسمع ماجرى لهم من الاحوال فقال شاس افعل مابدالك نجح الله جميع أحوالك قال ثم انهم انقسموا قسمين وساروا فرقتين حتى أشرفوا كما ذكرنا على الربيع ابن زياد ومن معهم من الرجال الاجواد وحملوا كما وصفنا وخاضوا غبار الحرب والجلاد وكشفوا الشدة عن عنتر بن شداد وقد عملت بينهم السيوف الحداد وعاد بياض النهار من كثرة غبار الحرب يعطي الى سواد وصار الاصلاح فساد وامتلأت الارض ابراق وارعاد ونفذت الدروع من الاجساد واتسع المجال على عنتر بن شداد ونظر مابين يديه وعرف الاصلاح من الفساد فعند ذلك نزل عن جواده الأبجر لانه كان من كثرة الجراح التي أصابته قصر من تحت عنتر فسلمه الى أخيه شيبوب وركب غيره من الخيول

الشارده لانهباشي . كثيرمن غيرقله ورجع يكرعلى الخيل
فأنزل بركابها الذل والويل قال وكانت الملوك واقفين تحت الاعلام
في مواكب كبيرة من بني طي العظام وما فيهم من قاتل ولا ناصل
الى أن ابصروا الطوائف قد تضعضعت وبنو عبس فيها طمعت
فحمل في ذلك الوقت شارب الدما وأعاد عند ذلك وجود القوم
عدما وهو كأنه صاعقة نزلت من السما وزادت نيران الحرب
تضرما وقطرت السيوف دما وحجب الغبار ما بين الارض والسما
وصارت النعم نقما وملأ عنتر الارض جماجما وأخلا السروج من
الرجال وكانوا الهماما وكحل الاعين عراود العما حتى التقاعنتر
شارب الدما وكان ذلك في آخر النهار فصاح به صيحة أدوت لها
الاقطار وقال له ويلك يا قرنان هو أنت الذى تقدم على الفرسان
اما كفاك ما فعلت معي من زمان ثم طعنه طعنة فجاءت قصيرة
لكونه تعبان ولكن أهرق دمه وأشرف على هلاكه وعدمه
فعاد راجعا الى ورائه وطلب لنفسه النجاه وخلا أخاه مجماشرفا
على موته وفناه ولما أن رأوه بنو طي هرب فتبعه أخوه الآخر
في الطلب فتنكست عند ذلك الاعلام والرايات وهرب جميعهم
في وسيع الفلوات ونفرت خيلهم كفحول النعام الشاردات وما
زالت بنو عبس الكرام تطعن في بني طي اللئام حتى أقبل
الظلام ونشر أجنحة على الروابي والآكام وعادت بنو عبس
من خلف أعداها بعدما نالت مناها وبعد ذلك هنا بعضهم
بعضا بالسلامه وقد حصل لهم الخير والكرامه وافتقد عنتر
صديقه مالك فوجده مجروحا فصعب ذلك عليه وكبر لديه
فشجعه وسلاه وقبله بين عينيه ورجع بعد ذلك الى قيس وشاس

أخيه وقبل أيديهما وشكرهما على فعالهما ودعالهما ولأبيهما بالدوام مابقيت الليالى والايام فتبسم قيس من كلامه وشكره على حسن اهتمامه وأما شاس فانه قال له أهلا وسهلا يا ابن زبيبه وذلك من تكبره وتجبره وأموره الغوربه قال ثم انهم نزلوا الا كل الطعام وشرب المدام وقد دار بينهم الكلام عما جرى من تلك الامور والاحكام وسأل الربيع شاسا عن سبب قدومه وكيف كانت هذه الاشاره فحدثه بما جرى على قلب أبيه لما رجع من بنى فزاره وكيف أنفذه هو وأخاه قيسا بهذه العباره فقال الربيع والله يا مولاى ماضرهذا العبد الأسود فى هذه النوبه ولا فعل فعالا صعبه وقد أخذنا بنفسه من شر الاعدا وأنجدنا من الهلاك والفنا فقال شاس والله يا ربيع انه مافعل هذا الا جلنا وانما الا جل محبوبته عبلة حتى خلصها مما كانت فيه من هذه الدبلة وهى التى ترميه فى كل مصيبه وتحمله كل نوبة شديده وأنا ما أتيت فى هذه الديار والمسالك الا من أجل أخى مالك ولاجل سعادة عنتر الذى كان أخى معه والا كان شرب كاس الحمام وأصبح هالك ولا كان خلص من هذه الديار وكان حل به الفنا والدمار وأنا أعلم أن أخى مالكا لا يزال يتعصب له ويرمى روحه فى الردا حتى يقع فى مصيبة مايخلص منها أبدا فقال الربيع لقد صدقت يا مولاى فى هذا المقال وقلت ما هو الصدق فى المقال ولولا قدومكم فى هذا الجيش الجرار ما كان تخلص منا أحد من هذه الديار قال فلما بلغ هذا الحديث عنتر ابن شداد وكان عند صديقه مالك فأبدا ولا أعاد لانه يعلم أن شاسا من جملة المبغضين ولايشتهى أن ينظره بنظر العين وما رالوهم

على

على ذلك الايضاح الا أن أصبح الله بالصباح رحل فى المقدمة
شاس ومعه بنو زياد وعمر وأخوه عبلة ومالك بن قراد ورحل
عنتر بعد ذلك الارتاد هو ومالك بن زهير وأبوه شداد ومن بقى
عندهم من بنى قراد وساروا يجدون المسير طالبين الشربة والعلم
السعدى وتلك البلاد قال ولم يزالوا سائرين ثلاثة ايام وفى اليوم
الرابع وصلوا أول ديارهم وتلك الآكام فنزلوا للمبيت وأخذوا
الراحة فى تلك الارض الفياحة فسار مالك أبو عبلة الى خيمة
شاس وكان ولده عمرو بين يديه فدخل على شاس وسلم عليه
وقبل بعد ذلك يديه وقال له يا مولاى قد أوليتنى من الجميل
والاحسان ما يقصر عن وصفه اللسان لانك قد خاطرت
بنفسك من أجلنا وخاصتنا من وسط أعدائنا وأريد منك تمام
الاحسان والانعام وتعطيق الذمام وترجع عن ابنتى عنترا
ولد الحرام ولما تصل الى حلتنا والابيات تهتم لى فى تلك الحاجات
ولا تدعنى أتخضع فى ابنتى وتشيع بين الورى قصتى وان هذا
الولد الزنا ما فعل تلك الفعال الا من يوم ألحقناه بأنسابنا الاعوال
وقد عظم شانه وكثرت أصدقاؤه وأعوانه وشدمنه أخو
شداد وصار يدعوه كأنه عالاولاد ويجعله عديل ولدى عمرو
أنا والله يا مولاى ما أشتهى هذا الامر وأنا قد عجزت عن مداراته
ومل قلبى من مراعاته وغلبت منه باطنا وظاهرا ولا بقى لى معين
وناصرا الى أن أزوجه ابنتى وتشمت الاعداء بفضيحتى أيا مولاى
أى حال أوشم من حالى اذا زوجت ابنتى لراعى جمالى وها أنا قد
أرميت روحى عليك وفوضت أمرى الى الله واليك فان كنت
قادرا على نصرتى فاعلمنى واستر ابنتى وان كنت ما تقدر على هذا

السبب اعلمنى حتى أرحل الى بعض أحياء العرب الذين من أصحاب الحسب والنسب وآخذ منه الذمام وأعيش عنده عيشة الكرام بعيدا عن الديار وأنفى عنى الهم والعار فقال شاس يا مالك طب نفسا وقر عينا فهذا شىء ما أتركه يتم عليك أبدا ولو كانت أعداؤك عدد رمل البيدا وأنا والله ما بقيت أقر ولا أهدى حتى أقتل هذا العبد ابن الأمة السودا حتى لا تكون أولاد الملك زهير ابن جذيمه وتقرب الينا العبيد القليلون القدر والقيمه فلعن الله شدادا وعبده وحزبه وجنده ولا بد لى من قتل هذا العبد وأسقيه كأس فناه وأرغم أنفه وأنف من ولاه قال ثم ان شاسا طيب قلب مالك وصرفه من عنده بجميل وقد حمده مالك وشكره على هذا المقال والقيل قال ولما قر بشاس القرار أرسل خلف عنتر المغوار يحضر عنده فى ذلك النهار فأتى فى عاجل الحال بين يديه وقد حياه وسلم عليه فرد عليه شاس سلامه وجاوبه بعد ذلك باغلظ كلامه وقال له اعلم يا ابن زبيبة ان البغى له مصرع والعجب ما يجلب لصاحبه منتفع ومن طلب ما ليس له بحق فقد ظلم وتعدى والساعة قد كان عمك مالك عندى وشكا حاله الى من جورك عليه والتعدى وأنا أعطيه ذمامى وقد صار هو وابنه وبنته من جملة أزمامى وأوصيك من هذا اليوم ما بقيت له دار ولا تذكر ابنته فى شعرك والنشار والا أكون أنا خصمك والسلام لانك أنت ابن شداد سفاح وحرام ومن يوم ألحقك شداد بالنسب تبرأ الرجل منكم ورجع عن قرابتكم من كل سبب فكن أنت ومولاك شداد فى فريق والرجل وابنه وبنته فى فريق ولا تتعرض له فى طريق وأنت تعلم اننا أولاد الملك

زهير سيد بنى عبس وعدنان وهو ملك من ملوك الزمان ولو اننا مع جلالة قدرنا نخطب ابنة أضعف ما فى الحلة ويقول لنا انا ما أزوج بنتى لأحد فما يكون لنا من القدرة اننا نلزمه على ما لا يريد وهذا الرجل قد قال انه ما يريدك ولا يشتهى أن ينظر الى صورتك وأنت عنده بمنزلة العبيد وقد رعيت جماله فى القفر والبيدا فما يمكنه أن تكون لابنته بعلا وهى لك أهلا فدعه يمضى الى حال سبيله ويفعل بابنته ما يريد لانك قلت ألف مرة ان نفسك أبيه ونخوتك عربية لا تحمل حسره ولا تصبر على مضره وتزعم انها نفس كريمة حره فلا تذلها لاجل شهوة دنيه ولا ترغب فيمن زهدك بالكليه قال فلما سمع عنتر من شاس ذلك الكلام صار الضياء فى عينيه ظلام ودمعت منه عيناه وتقطعت منه أحشاه وقال يا مولاى أما قولك انى لا أذل لشهوة دنيه فحاشا وكلا وانما العشق والهيام يزيدان الانسان جوى وغرام والرجل هو الذى أطمعنى فى ابنته حتى اننى من الهلاك مرارا خلصته وقد أرمانى فى الهلاك كذا كذا مره وقد أرادلى ألف مضره يا شاس أين كنت نوبة بنى طى والجرش وكنده وقد أبلوكم بالويل والشده وقد سبوا نسوانكم وقتلوا رجالكم وشبانكم وأنتم بين أطراف الجبال حائرين وهاربين ومثل فحول الجمال شاردين وعمى مالك يقول لى هو وأخوه شداد قاتل وأنت مقنب حر فاضل وعمى مالك يقول لى يا ابن أخى خلص ابنتى وهى لك زوجة فخلصتها مع حريم بنى عبس جميعهم من غير من عليكم ولا كلام وفى هذا اليوم أنا الاسود الحمام ولكن سوف تعرفون عاقبة هذا الملام وبعد ذلك طالبنى بالنوق العصافير فأتيت بها

وهى محملة بمال كثير وفعلت فعالا تعجز عنها الفرسان المغاوير وبلغته كلما يريد من الآمال وأتيته بأموال الثلاث ملوك محملة على الجمال وأنت شاهد الى بتلك الفعال والى الآن مخاطر بروحى من ابنته ولاسيما فى هذه النوبة شاهد جميع مافعلته بعقلته وأظهرت فى الحرب فعالى وهذه جراحاتى تصديقا لمقالى وأنا أعلم انه مافعل ذلك الايراد وأكاد ذلك الكياد الا من تدبير الربيع ابن زياد حتى يأخذ عبلة لأخيه عمارة القواد لانه يرغب فى ملاحته و يزهدنى لسواد جلدى وسماجتى وأنا وحق ذمة العرب الكرام و زمزم والمقام لان تزوجها عمارة أوذكرها بكلام فأنا أقتله ولو انه من داخل البيت الحرام وأنا قد رضيت انى ما أتزوج بها الا أنا ولا أحد من الانام ولا أحظى بها الا أنا ولا أحد من الناس احتراما بكلامك يامولاى شاس والبقى كما زعمت مصرعة الرجال و يهد الاساس ثم انه قام من عنده وهو بادى الانفاس كثير الوسواس مضطرب الحواس ولم يزل سائرا وهو فى هم وضير حتى انه دخل على مالك بن زهير وأخبره بما حصل له من أخيه شاس من الهم والضير وأعلمه انه سبه عند ما أراد القيام وكان يريد أن يجذب على الحسام ويبقى بين الخاص والعام وجعلنى بن شداد حرام قال فصعب على مالك ذلك الكلام وقال يا أبا الفوارس لا تضيق صدرك ولا تغم نفسك ولا يفقدك اهتمام فأنا عالم بذلك الكلام ولكن اذا وصلنا الى ديارنا والطلل فأنا أريك ما عمل والله لارغمن أنف الجميع وأصنع بهم أشنع صنيع وأدبر على هلاك عمارة وأخيه الربيع ثم انه سكته من بكاه وطيب قلبه وتلقاه فعند ذلك دعا له الامير عنتر

93

وأثنى عليه وحمده وله شكر وقد صبر على هذا الغيظ والنكد الى أن جن عليه الليل بظلامه الاسود فعند ذلك أيقظ من النوم أخاه شيبوب الغضنفر وقال له قم سير جوادى الابجر مادام انه من التعب استراح لعله يخف عنه ألم الجراح ففعل شيبوب تلك الفعال وطلع بالابجر فى البر والرمال واذا قد أقبل من ورائه عنترة الرئبال وهو راكب على جنيب من جنائب مالك بن زهير المفضال وقد خرج عنتر يعرسهم على جرى الرجال ثم الحق بأخيه شيبوب الهمام وقال له يا ابن الام أبعد بنا عن هؤلاء القوم الاثام واقصد بنا الى ناحية بيت الله الحرام فما بقى لى عندهم مقام فقال له شيبوب وكيف تطيب على قلبك تلك الفعال فقال له عنتر أنا أعلم يا أخى ما يصير من المقال واننا ان وصلنا الى الحى يلج شاس فى معاندتى وأخوه مالك ما يصبر عن مساعدتى وأكون أنا سببا لاثارة الفتن وبتشتت بنو عبس عن الوطن وأنا ما أريد أن أتحمل من قبل أحد منن بل أداوى مرضتى بيدى فى الشدة والضيق وأقيم فى بيت الله الحرام متجنب العدو والصديق وأشكو حالى الى الملك العلام وانتظر الفرضيات من الليالى والايام ولا أزال هناك حتى يدركنى الحمام وتساعدنى الاقدار من عند من خلق الضياء والظلام وأبلغ ما أريد على رغم أعدائى الاثام فقال له شيبوب ويلك يا ابن الام وقلبك يطاوعك على بعد عبله ولك تجلد على هذه الفعله والاحكام المقضيه فقال له عنتر نعم أتجلد على ذلك العمل مادمت أسمع انها فى بيت أمها مخبيه واذا علمت ان اباها زوجها الى أحد من العباد أهلكت جميع بنى عبس وزياد وبنى قراد الاوغاد

ولو تعرض لهم كسرى أنوشروان زلزلت على رأسه الايوان
أو قيصر ملك عبدة لصلبان أهلكت جميع بطارقته مع الرهبان
قال ثم انهم بعد ذلك الكلام جدوا المسير في البر والاكام
وهم طالبون بيت الله الحرام هذا وشيبوب يغدوا كأنه ذكر
النعام والأمير عنتر قد اشتد به الغرام فجعل ينشد من الشعر
ويقول

اذا كنت في الاحزان يادمع بعدي * عني عسى يطفي لهيب توقدي
وياقلب ان لم تصطبر يوم بينهم * فمت كمدا موت الغريب المشردي
الى كم أرد الحادثات والتقى * صروف المنايا بالحسام المهندي
وأخدم أقواما تكن قلوبهم * خلاف الذي يبدونه من توددي
أنا عندهم في الحرب سيد قومهم
وفي السلم ما أسوى قلامة اسودي
عدمت هوى العشاق كيف أذابني
وهد قوى حيلي وأوهى تجلدي
سأطاب بيت الله أشكو ظلومتي * الى حكم في حكمه غير معتدي
واصبر حتى لا أخلي لعاشق * به الصبر ما يروي الهائم الصدي
وابكي دما ان كان دمعي يخونني * وأسعد نكلات الحمام المغردي
عليك سلام الله يابنت مالك * سلام محب موجع القلب مكمدي
رحلت وقلبي في هواك مقيد * فأسألك رفقا بالاسير المقيدي
سيذكرني قومي اذا الخيل أقبلت * يخب بها يوم اللقا كل سيدي
هناك يبان الفخر يابنت مالك * حقيقا اذا عض الجبان على اليدي

(قال الراوي) ولما فرغ عنتر من ذلك الشعر والنظام سار يجد
السير في البر والاكام مدة سبعة أيام في ابر والفدفد ودخل عليه

اليوم الثامن ولم يقع فى البرية بأحد وقد اتسعت عليه الطرقات والسباسب ولا التقاهم أحد من الاعارب الا كأن الارض خلت من سكانها ونفر منها انسها وجانها فقال له أخوه شيبوب فى آخر تلك الليالى وهم سائرون فى تلك الجبال الخوالى ما عجب قصتنا يا أخى بين اد نام لانا مسافرون فى هذه الايام ما لقانا شيخ ولا غلام فقال عنتر ما نريد أن يلقانا أحد فى طريقنا ولا من نعيقه ولا من يعيقنا حتى يكون أهدى وأريح لقلوبنا الا اننا ما نلتقى الا من نطرح شرنا عليه أو يطرح شره علينا وأنا والله قد ضجرت من ملاقات الحرب ومقاسات الطعن والضرب وقد ملى، قلبى من مقاسات الاضرار وأنا لا يقر لى قرار لا فى الليل ولا فى النهار ثم انه تمثل بهذه الابيات يقول

اخل بنفسك واستأنس بوحدتها * تلق الرشاد اذا ما كنت منفردا
ليث السباع لنا كانت مجاورة * وليتنا ما نرى ممن نرى أحدا
ان السباع لتهتدى فى دمائلها * والناس ليس يهاد شرهم أبدا

(قال الراوى) فعند ذلك تعجب شيبوب من مقاله وكيف يصبر على ناره وبلباله واعلم أن ذلك من شدة العشق والغرام والجوى والهيام فقال له يا أخى لما سرت الى أرض العراق تلك الآفاق وأقمت عند كسرى أنوشروان صاحب التاج والايوان وتشكو اليه حالك فكان يبلغك مالك فقال عنتر ويلك يا ابن السودة المنتنة الابطين الرطبة الاسنين وكأننى ما أبلغ آمالى بيدى وأهلك جميع أعدائى بشجاعتى وتجلدى ولكن أخاف على قلب بنت عمى عبلة أن يصيبها من ذلك دبله لاننى لو قتلت أباها أو عمرا أخاها اتكدرت مدة تهابة دمعاها وكذلك لو قتلت أحدا

من بني زياد ما يهون على الملك زهير ومن له من الاولاد وكان يتفرق شمل العشيرة في سائر الاقطار ولا كانت العرب تبقي منهم ديار ولا نافخ نار فقال والله لا أفعلت ذلك أبدا ولو شربت كأس الردى وأما مسيري الى من ذكرت من الملوك فكيف أتيت من عندهم مثل ملك كبير وأرجع اليهم وأنا فقير صعلوك والله ما فعلت تلك الفعال ولا أذل لأحد من الرجال فهذا نقص في العقل وزيادة في الجهل قال فبينما عنتر وشيبوب في ذلك الكلام واذا هم سمعوا منادي ينادي في حنادس الظلام وهو يقول يا للعرب الكرام هل ترى ما في هذا البرمن يسمع نداءنا ويخلصنا مما حل بنا واعترانا ويخلص تلك البنات الابكار من قبضة هؤلاء الاشرار وإذلاه وقلة ناصراه واسوء حالاه وعدم رجالاه فعند ذلك خنث شيبوب وعنترة الريبال الى ذلك المنادي الذي يقول ذلك المقال واذا بها امرأة ذات أعوال وقد زاد بها الهم والبلبال وهي تنشد وتقول

يا عين جودي واسبلي بدمعك المنهمل
على بنات ما لهم لا ناصر ولا ولي
مهتكات في الفلا فوق الجمال الذلل
يبكين من فرط الاسا على ربوع المنزل
والشيخ من جراحه في غاية التململ
وقد غدوا أولاده نهب الرماح الذبل
والمرأة من أحزانها أنفاسها كشعلي
ومن لهيب نارها تطلب لقرب الاجل

ياسائرين فى الدجاتحت الظلام المسبل

لعل فيكم بطل يرثى لما قد جرالى

محرب يوم اللقا عند غبار القسطل

يسعدنى على العدى قبل فوات الامل

مفرج الهم اذا خاب الرجا والأمل

ويزدع الشكر من الرب القديم الأزلى

(قال الراوى) فلما سمع عنتر ذلك المقال زاد به البلبال وكثرة لقه وأوقدت فى قلبه نار الاشتعال فقال لأخيه شيبوب هذه امرأة مظلومة وقد قتلوا الاعداء أولادها وسبوا بناتها وتركوها تلهب بحسراتها وأنا أريد من اليوم أن أعين كل من رأيته مظلوم لعل أن ينتقم من ظلمى خالق هذا النجوم فهو الله الواحد الحى القيوم ثم انه حرك جواده وسار الى تلك الصائحة ونادى ما حالك أيتها النائحة ومن هى بأحزان قلبها بائحة أخبرينى ان كان الزمان عليك قد اعتدى فأنا أكون لك عليه مساعدا فقالت المرأة وقد زاد بكاها فرحا بمن أجاب نداها والله يا مولاى اعتدى على الزمان ورمانى بسهام الاحزان وتمكنت منى الأعادى وافقدونى أولادى وسبيت بناتى وقتلت حماتى وقل معينى وجرح شيخى وقرينى ولى ثلاثة أيام وثلاثة ليالى وأنا فى ذلك الوهاد والقفر الخالى وأنا أنادى فلم يجبنى رائح ولا غادى ولا جابنى أحد بجواب الا أنت أيها الفتى المهاب فبالله عليك يا وجه العرب ان كان لك صبر وجلد فخلصنا مما نحن فيه من هذه الكرب وأنا لا أزال أحمدك وأشكرك على هذا السبب (قال الراوى) فقال عنتر لما سمع كلامها مع ما هى فيه من الشدة من أى الناس أنت يا حرة

العرب فقالت له يا مولاي من بني كندة وقد أقحطت علينا أرضنا في ذلك العام ونفذ جميع مالنا من الحطام فرحل بنا ذلك الشيخ الذي لنا وارث وهو طالب ديار بني الحارث لان لنا هناك بنت متزوجة وقلنا نقيم عندها ونقضي هذا العام في جوارها فعارضنا في طريقنا شيطان من شياطين العرب يقال له الصدام بن الملهب ومعه عشرة فوارس من فتاك العرب وهم غارقون في الحديد والزرد النضيد فقتلوا النسا ثلاثة أولاد وجرحوا شيخي الاسعث بن عباد وسبوا البنات وهن ثلاثة عواتق ورموا بنا تلك الآفات والبوائق وهم سائرون بنا الى جبال بني طي يفرقونا في كل قبيلة وحي فلما سمع عنتر من العجوز ذلك الكلام صار الضياء في عينيه ظلام من شدة غيرته على البنات وما فعل بهم الصدام فقال لأخيه شيبوب خذ أنت هؤلاء القوم وأنزلهم عن الجبال حتى أسير أنا وأبدد ما فعل هؤلاء الانذال ثم انه حرك جواده الابجر وتبعان في البر الاقفر وكان الفجر قد انفجر فغاب في عاجل الحال عن أخيه وغاص في البر وهو يجد في تلك الفلاة ويتعجب من هذه الاحكام فبينما هو كذلك واذا بالفرسان مقبلة وقدامهم الصدام وهو مثل قطعة غمام غائص في الحديد مسربل بالزرد النضيد وعلى عاتقه رمح مديد له سنان كأنه نار الوقيد يشعل مثل النار وتحته جواد قليل العثار صبور على قطع البراري والقفار وهو سائر قدام رفقته يترنم بهذه الاشعار ويقول

أنا الصدام صدام الرجالي * ولي قلب أشد من الجبالي
سباع البر من خوفي وشري * تحت بين غابات الدحالي
ولو أن الزمان يقوم شخصا * خضبت يمينه بدم الشمالي

(قال)

(قال الراوى) فلما سمع عنتر ذلك المقال وأبصر الى هذه الاحوال أطلق لجواده العنان وقوم بين آذانه السنان ونادى وقال أين تأخذون يا أوغاد غير انجاد وتبادرون للخنا والفساد وخلفكم عنتر بن شداد والله لقد خابت آمالكم ولقيتم سوء أعمالكم ثم انه صرخ فيهم وقد قدامهم وأنشد يقول

أيا صدام هذا قول محالى ✲ وحق الله ربى ذى الجلال
وفى ذا اليوم تأتيك الرزايا ✲ أمامك مع يمينك والشمال
وتضحى الطيور البيض زرقا ✲ على الغبراء من حد النصال
أنا عنتر واسمى شاع جهرا ✲ أبو الفرسان من حاز المعالى

(قال الراوى) فلما فرغ من مقاله وسمع الصدام أقواله جلبب وصاح وقال لقومه ما أبركه من صباح وحق اللات والعزى ان هذا رزق هنى قد ساقه الينا الواحد القهار وأنفذه الينا فى أول النهار هيا واحد منكم يخرج اليه ويسأله عن حسبه ونسبه ويقتله ويأتينا بسلبه وان رما سلاحه ونزل عن جواده يوهبه نفسه فاتم الصدام ذلك الكلام حتى برز الى عنتر فارس كأنه الاسد الضرغام يقال له الحجام وهو راكب على جواد يحاك الليل فى السواد وبيده رمح الهدام معتدل القوام فلما قارب عنترا قال له ويلك يا وجه العرب أنتسب لعل ينفعك النسب والا سلم جوادك والسلب قبل أن يحل بك الهلاك والعطب فوالله ما تم كلامه الا وعنتر ضربه بالحسام طير منه الهام نحو عشرة أذرع تمام فلما نظر القوم الى تلك الفعال زعقوا زعقة ارتجت لها الجبال وأطلقوا جميعهم الاعنه وقوموا الى عنتر الاسنه وكثرت منهم الضجة والرنه وانطبقوا عليه وأيقنوا أنهم يوصلوا الاذية اليه هذا والصدام صار

ينظر اليهم حتى انهم يحضروا عنتر ابين يديه لانه احتقره وكره نفسه
أن يحمل عليه فوقف ينظر أصحابه حتى يأتوا به أسيرا ويتركوه على
الثرى قتيلا هذا وقد طال بينهم الحرب والقتال والطعن والنزال
وانعقد عليهما الغبار وتسردق النقع الموار وغابوا جميعهم عن
الابصار وعنتر جعل يجول فيهم طولا وعرض فما كان غير ساعة
حتى بقى الجميع مجندلين على وجه الارض لانه قد صار يلتقطهم
واحدا واحدا فى القفار واذاهم كانهم عمد من قبل ما يتعالى النهار
وأدميتهم تسيل على التراب كانما نزل عليهم صواعق من صواعق
العذاب أورمى كل واحد بشهاب قال فلما نظر الصدام الى أصحابه
على الرمال صعب عليه ذلك الحال وخاف ان ترك نارهم عائرته
الرجال فهجم على عنتر هجمة الاسد الاغلب وقال له من أنت يا وجه
العرب انتسب ان كان يضيك النسب وأخبرنى من تكون
من الفرسان ومن أى قبائل العربان فانى وذمة العرب قد أعجبنى
قتالك وحربك ونزالك واشتهيت ان أصاحبك لاجل فعالك
وننهب من أموال العرب ونأخذ خيلهم والجمال ونسبى النساء ربات
الحجال اللاتى هن ذوات الحسن والجمال ونتمتع بالبنات الابكار
ونحمل الينا الغفارة من سائر الاقطار وأقاسمك فى هذه الغنيمة
التى هى سائرة فى ساحة القفار ولان فيها ثلاثة جوار نهد ابكار
كانهن الاقمار يخجلن بحسنهن شموس النهار لان الذين كانوا
شركاء فيهم أهلكتهم على يديك الاقدار ولا بقى من يشاركنى فيهم
فى تلك القفار قال فلما سمع عنتر منه ذلك الكلام الفشار فقال له
ويلك يا ابن الانذال أبطل هذا القول المحال ودونك والحرب
والقتال والطعن برؤس العوال وان كان ما يضيق النسب

أفحانى هذا الحسام المشطب وذلك الرمح المكعب وان كنت
ماتعرفنى أنا أعرفك بنفسى يا ابن الاوغاد اعلم أننى أنا الفارس
الجواد الطويل النجاد الضارب بالسيوف الحداد الطاعن
بالرماح المداد أنا حية بطن الواد أنا حامية عبس وآل قراد أنا
عنتر بن شداد فدع عنك هذا الهزيان ودونك والضرب
والطعان واقطع اياسك من الغنيمة والنسوان فقد أرسلنى اليهم
الرحيم الرحمن حتى أخلصهم من الاضرار وآخذ لهم بالثار
وأكشف عنهم العار ثم ان عنتر بعد ذلك حمل عليه حملة الليث
الكرار قال فلما رأى الصدام الى فعاله علم أن لا بد له من قتاله
وحربه ونزاله فتلقاه فى حومة الميدان وأخذا فى الضرب والطعان
فنظر عنتر الى خصمه فرآه منيع الجوانب خبيراً بحوادث المصايب
صبوراً فى ميدان الحرب على النوائب فأخذ عنتر معه فى الجولان
الى أن أتعبه وضايقه وأكربه وهجم عليه هجمة الليث
القسور وطعنه فى جانبه الأيمن فنفذ الرمح من الجانب الايسر
ووقع على الارض معفر فتركه عنتر وأراد أن يسير الى أخيه
شيبوب واذا به قد أقبل مثل ريح الهبوب بعد ما حل النسا
وبشرهم بأزالة الهم والأسا ورجع على عقبيه فى البر الاقفر
ومازال سائراً حتى انه التقى كما ذكرنا بأخيه عنتر ورأى ما فعل
من ذلك الامر والخبر فهناه بسلامته من الاعداء وفرح بما حصل
لأخيه من الظفر والنصر قال وبعد ذلك جمعوا اسلاب القتلا ولموا
الخيل الشارده فى الفلاة ورجعوا الى ناحية النسوان وعنتر بذلك
الامر فرحان فلما نظرت البنات اليه وثبن فى عاجل الحال وصرن
يقبلن يديه وهن فرحين بالنظر اليه وكل واحدة منهن كالبدر

اذا بدر في ليلة أربعة عشر وأخذن تبكي من شدة الفرح والسرور وتتعجب من تقلبات الايام والدهور وبقيت حائرة بماذا تجازى عنترا على فعاله وبأى شيء تكافئه على ما صنع معهم من أعماله فلم تجد غير جوهرة اللسان ليكون ذلك مكافأة على ما فعل معهم من الاحسان فأشارت تمدح عنترا بهذه الابيات

أعطاك ربك ما ترجوه من أمـــلى
وجاز أرضك صوب العارض المطلى
يا فارس الخيـــل يا من لا شبيه له
عند اختلاف القنا والطعن بالأسلى
أعداك كل صباح منك راجفة
تخاف أرواحها من سرعة الاجلى
وحاسديك لهم في كل جارحة ❋ قلب يقلب بين النار والشعلى
وأنت تزداد سعدا كلما حسدوا
وسيف حدك في الهامات والقللى
لو أنصف الناس في الامثـــال أوصدقوا
ما كان غيرك يدعا الفارس البطلى
وقد تفردت في الدنيا بلا مثل ❋ وصرت منفردا في السهل والجبلى

(قال الراوى) فلما فرغت العجوز من شعرها والنظام زاد بعنتر الفرح واتسع صدره وانشرح وتعجب من فصاحتها كل العجب وحصل له الطرب ثم أمرهم بالاستتار وان يغطوا تلك الوجوه التي مثل الاقمار فصرن يدعين له ويقبلن يديه ويشكرنه ويثنين عليه قال ولما استقر بعنتر المقام أتته العجوز بشيء من الطعام ووضعته بين يديه وصارت هي وبناتها يخدمن عليه وكان الشيخ

قد آفاق على نفسه بعد ان كان أيقن بشرب كأس الحمام وجعل يأكل مع عنتر ويحادثه فى الكلام وكان عنتر من حين فارق عبلة ماشبع بطعام ولاملأت أجفانه بمنام فأكل ذلك النهار حياء من الشيخ والعجوز وفرح بفعل الجميل وخف غرامه قليل قال ولما فرغوا من أكل الطعام قال لهم عنتر الى أين قصدكم والى أى الاماكن تطلبون حتى أسير معكم الى حيث تأمنون فقال له الشيخ يامولاى انا قاصدين بنى الحارث لان لنا هناك ابنة متزوجة فقصدنا اننا نقيم عندها وجميع ماجرى لنا بسببها فقال له عنتر ياشيخ أما من هلك فما بقى لى فيه حيله ومابقى الى رجائه وسيله وأما أنتم فما بقى عليكم خوف ولاباس ولكم الامان من جميع الناس وأنا أسير معكم الى قرب دياركم لاجل ما أكلت من زادكم واقله ناصركم ومعينكم ثم انه أمرهم بالعود الى طهور خيلهم ومطيهم وأمر شيبوب بالرفق بهم وكان معهم ثلاثة عبيد يتولون خدمتهم وصار الشيخ يسأل عنترا عن حاله ومن أى العرب هو وهو يحدثهم بماجرى له وبما قاسامن الشدائد ومالقى من الاوابد والعاشق قلبه مولع بذكر المحبوب فصار يحدثهم بحديث عبله ومالقى من أجلها وانه طلع من حلته حردان ويريد يجعل مقامه فى البيت الحرام ولايجاور بعدها أحدا من الانام فقال الشيخ والله يامولاى ان قصتك قد أحرقت قلبى وأكثرت همى وكربى وقد أنسيتنى ماجرى من فقد أولادى ولقد فعلت معى ومع أولادى من الجميل مالايفعله الخل مع الخليل واعلم يامولاى أنى ليس لى شىء أجازيك به غير هؤلاء البنات الابكار اللاتى خلصتهن من السبى فى ذلك النهار فان أردت أن تقنع باحداهن ويكون مقامك عندنا

فافعل ما تحب وتختار ونكون لك عبيدا وخدام مادام الليل والنهار قال فقال عنتر يا شيخ وكيف لى بذلك الشان وأنا والله أشتهى أن يساعدنى الزمان وتطاوعنى يد الحدثان ولكن قيدى برجلى ثقيل وسلطان الهوى قد تركنى عليل وبحره ذاخر عظيم التيار ولا له حد ولا قرار ثم انه بكا بدموع غزار وأنشد يقول

لو كان قلبى معى ما اخترت غيركوا

ولا أردت سواكم فى الهوى بدلا

لكنه راغب فيمن يعذبه * وليس يقبل من قول ولا عملا
أشكو الى الله من جور بليت به * من اللئام الذين أحكموا الذللا
مالى سواه معين أبتغى عوضا * لانه عادل ما يبتغى بدلا

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من شعره والنظام تعجب الشيخ من فصاحته وهام ثم انهم لم يزالوا سائرين يقطعون الارض والآكام حتى انهم قاربوا ديار بنى الحارث وامنوا على أنفسهم من كل شى حادث فعند ذلك ودعهم الامير عنتر بن شداد وطيب خاطرهم وأحسن معهم الوداد وعاد الى ناحية البيت الحرام والعجوز تقول يا مولاى خذ تلك الخيول والاسلاب التى ملكتها بحسامك القرضاب فقال عنتر لا وحق البيت الحرام وزمزم والمقام والمشاعر العظام لا فعلت ذلك أبدا ولا آخذ على فعل الجميل جزا وأنتم أحق بها تعينكم على فقركم ولاسيما وقد أخذ الزمان أولادكم وأفنى أبطالكم وقتل فرسانكم وأقيالكم ثم انه عاد بعد ذلك الكلام الى ناحية البيت الحرام وزمزم والمقام وهو تائه فى ميدان العشق والغرام زائد القلق

قليل

قليل المنام ويكون له معنا كلام اذا اتصلنا اليه نحدثكم
عليه العاشق فى جمال النبى يكثر من الصلاة عليه وأماما كان
من أولاد الملك زهير وماجرى لهم من الكلام فانه لافارقهم عنتر
بعد ذلك الخصام وكذلك بنو زياد اللئام فانهم عند الصباح
افتقدوا عنتر افما القوا له خبر ولاجلية أثر فجرى على قلب مالك
ابن زهير مالا يجرى على قلب بشر وكذلك شداد بن قراد الآخر
وأماما لك أبو عبلة والربيع بن زياد وأخوه عمارة القواد فانهم
فرحوا فرحا شديدا ماعليه من مزيد وقال شاس لعمارة هاقد
اتاك الامر كما تريد وقد أصبح عنتر عنك بعيد ولابقى لك فى عبله
معاند ولاحسود بل انك تتزوج بها وتبلغ المقصود وتنفطر
من بنى قراد المرائر والكبود والرأى عندى أنك تحمل
الى مالك مهرها وتدخل فى هذا الشهر بها ويكون فى ليلة
جيله وتنفصل هذه النوبة الطويله قال ثم ان شاسا دعا مالك
أبى عبلة اليه فحضر فى عاجل الحال الى بين يديه فأعاد ماقدمنا
من الكلام عليه وقال له أعط لعمارة بنتك وخلص فى مصاهرته
نيتك وشهدنا على ذلك بين الاعراب حتى تنقطع عنها جميع
الخطاب والطلاب فعند ذلك قال له مالك بن قراد والله يامولاى
ماار يد أن تكون بنتى عبله الا أمة فى بنى زياد ويكون معها منه
عشرة أولاد ثم انه مد يده الى عمارة القواد وصافحه وناكحه
وتم الاراد وقد اتفقوا على ذلك وصفا منهم الوداد وهدت منهم
الاسرار وساروا بعد ذلك طالبين الديار وعروة بن الورد يقول
لعمارة القواد مبارك ياأمير عمارة ياوهاب ولكن أرجو من الله
تكون العاقبه الى خير وسلامه ولايحدث فى عاقبتها ندامه

فقال الربيع مابقى يحصل لنا أبدا باس مادام تولى هذا الامر مولانا شاس فقال عروة بن الورد والله ما رأيت هذه الجارية الا وقد عم شرها على جميع الناس وكل من أراد أن يتزوج بها أصبح بدنا بلا راس قال فضحكوا جميعهم من ذلك الكلام وقد علموا انه صحيح ولا فيه شك ولا ملام هذا وقد بلغ الخبر الى مالك ابن زهير فحصل عنده من ذلك هم وضير وقال وحق الملك العلام وزمزم والمقام والمشاعر العظام ما تركت عمارة يتهنا ولا يوم من الايام الا اذا عدمت أنا من الدنيا ولا بقى لى فيها مقام وبعد هذا يا أمير شداد اذا وصلنا الى أطلالنا والبلاد خذ من أخيك مالك مال ولدك عنتر ولا نتركه يتم له هذا الامر اذا وجدته جد فى زواج بنته وأراد أن يعطيها العمارة بكيدته انقض أنت جميع بنايته وأنا أساعدك على ذلك الامر وأخلى أبى يأخذ مال كسرى منه وأموال قيصر وأيضا الملك المنذر ونأخذ منه النوق العصافير ونأمن منهم الكبير والصغير فقال شداد فوحق ذمة العرب وشهر رجب سوف يظهر ما يجرى لهم قدام أبيك المنتسب قال ثم انهم جدوا فى المسير والسكد والتشهير الى أن أشرفوا على أول ديارهم وغار بواديارهم واتوا على ماء يقال له غدير الظبا ورمال كثيرة وكان الامير شاس كما ذكرنا فى أول الناس وكان يقضى نهاره فى الصيد والقنص وانتهاب اللهو والفرص لانه كان أحب اخوته الى أبيه وأبوه وصى له بالملك من بعد موته فلما أشرفوا على تلك الربوات ورأوها مخضرة الجنبات مملوءة بالزهر والنبات وهى كاملة المعانى والصفات طيورها ناطقة وأغصانها باسقة والوحوش

فى جنبات انهارها تعمه وآمنة من الهم والشقا تسبح من له العزة والدوام والبقا قال فلما نظر شاس الى تلك الارض وحسنها ورأى الى كثرة غزلانها فقال لأخيه قيس سرأنت بالناس واعلم أنه ما بقى علينا خوف ولا باس وأنا أريد أن أصطاد فى هذه الارض الى المسا وأعود الى الاحيا ثم انه أخذ له عشرة فوارس من خواصه وعدل الى ذلك الوادى فرأى الوحش فيه ساكنا وهادى فجعلت الفرسان الذين هم فى صحبته يردون عليه الوحوش والغزلان فى حضرته وما زال على ذلك الأمر والشان الى أن غاب أخوه قيس عن الاعيان ووصل الى الديار والاوطان هذا وشاس قد تعب هو ومن معه من الفرسان من كثرة ما لقوا فى تلك الوديان لانهم اصطادوا شيأ كثيرا من الأرانب والغزلان ثم هموا انهم يعودوا الى الديار واذا هم بغبار قد ثار واقبل من ناحية ديار بنى فزاره وهؤلاء الفرسان المقبلون على خيول مثل الطيور الطياره وهم يزيدوا عن مائة فارس فرسان عوابس تفزع منهم الجن والأبالس قال فلما أقبلوا الى هذا المكان ورأوا شاسا ومن معه من الفرسان هجموا عليهم كأنهم العقبان وانتشروا عليهم كالغمام فقال شاس يا بنى عمى موتوا كرام ولا تعيشوا لئام وما بقى نجينا غير قوائم سيوفنا وأسنة رماحنا والرأى عندى اننا ننقسم فرقتين كل خمسة منا فرقة واحده واحملوا حملة بنية صادقه وهمة موافقه واياكم أن تميلوا الى الهرب فتصير وا بذلك معيرة عند جميع العرب من بعدنا ومن اقترب قال فما تم شاس كلامه واذا بالخيل قد صارت من خلفه ومن قدامه وما كانت الا ساعة واحده حتى انهم قتلوا العشرة فرسان

وخلوهم ملقحين على الارض والبطحان واخذوا شاسا أسير وقادوه ذليلا حقير وشدوه على جواده بالعرض وهو من كثرة ما فيه من الجراح لا يعلم ان كان فى سماء أو فى أرض وقد أيقن بالهلاك وسوء الارتباك ثم ان القوم ساروا طالبين أرضهم وديارهم وهم لا يعرفون من هذا الاسير قال وكان الذى أسر شاسا ابن الملك زهير يقال له ميسور بن زياد الجعبورى وكان السبب فى ذلك أنه كان من هذه النوبة التى نحن فى ذكرها أنه أتى من ديار بنى قحطان دخل الى أرض بنى عدنان فى طلب المعاش والمكسب من بعض أحياء العرب فما وقع له شىء من الحطام وكان له فى أرض بنى فزارة ثلاثة أيام يريد مالا ينهبه أو فارسا يقتله ويأخذ سلبه فما وقع له ما يريد فسار الى ديار بنى عبس وعدنان فوقع بشاس بن زهير فى هذا المكان وجرى ما جرى من ذلك الامر والشان فلما ساروا به فى البر والسبب استخبره ذلك الفارس عن حسبه ونسبه لانه رآه حسن الثياب نقى الاثواب ولا سيما ابن ملك مهاب فقال له ميسور من أنت ومن أى الناس تكون يا قرنان وابن الالف قرنان وتنسب الى من من العربان فقال له شاس اعلم يا فتى أننى ما أنا من أوباش العرب ولا دنى فى النسب أنا شاس بن زهير بن جذيمة بن الوضاح سيد بنى عبس وعدنان وفزارة وذبيان وأنا قتلت جماعة من بنى عمك وأكثرت عليهم همك وغمك وقتلت أيضا أخاك وها أنا وقعت فى يداك فافعل بى ما تريد واحكم فى حكم الموالى على العبيد والا فاقتلنى وأتخلص من العار والذل والشنار ان كنت من الرجال الذين يخافون من ذمة العرب الاخيار وان أردت

المال

١٥٢١

المال فعلى جميع ماتحب وتختار من النوق والجمال وان أردت القتل فافعل ما بدا لك من الاحوال فقال له ميسور والله يامشوم الناصية مابقيت تنظر الى أهلك أبدا ولو أنك أتيت بكل من فى الارض عددا ولابد أن أجرعك كاسات الردى جزاء ما أعدمتنى أخى شيبان وأهلكت العشرة الذين من بنى عمى وأكثرت همى وغمى ثم انه بعد ذلك المقال صار يطلب دياره والاطلال هذا وشاس بن زهير يتجرع غصص العذاب وأيقن بالفنا والذهاب فهذا ما كان من أمر هؤلاء وماجرى لهم من الامر والشان وأما ما كان من بنى عبس وقيس بن زهير فانهم ساروا الى أن وصلوا الى الاطلال ونزلوا الاحمال من على ظهور الجمال وقد جعلوها على وجه الارض وصارت قلوبهم تغلى بالاحقاد وكان أعظمهم حرقه وأشدهم مشقه مالك بن الملك زهير وذلك لفقد عنتر بن شداد وماجرى له من ذلك الابراد هذا وقد صاروا بعد ذلك الى الملك زهير وسلموا عليه وبما جرى لهم فى ديار بنى طى أعلموه فقال لهم وأين هو عنتر بن شداد وماله ماحضر بجملة من حضر من الرجال الاجواد فأخبروه بالقصة التى جرت فى سفرته وأعلموه بما جرى بين شاس وبينه بجليته وأخبروه كيف ان شاسا انفرد عنهم بعشرة فوارس وطلب الصيد والقنص من دون الناس وقال انه يرجع عند المسا وهذا الذى جرى وكان ولانعلم كيف ماحصل له من الاسا قال فلما سمع الملك زهير ذلك الكلام صار الضياء فى وجهه ظلام وعلم انهم تعدوا على عنتر وظلموه وأنه مافارقهم الا من الكلام الذى قالوه ثم ان الملك زهير نظر الى ولده مالك فوجده مجروح وقد بقى بدنا بلا روح وهو يريد

ان يشكام فلم يقدر من الغيظ الذى نزل عليه والدموع تحدر من أماقى عينيه فقال له ياولدى أماتدرى ماحل بى من أجلكم وما الذى أصابنى من بعدكم وانى أخشاء عليكم من غدرات الزمان وحوادث الايام أن تبليني بفقدكم وقد أشغلت قلبى بغيبة أخاك وشقيقك وفقد حامية القبيلة عنتر صديقك الذى دائماً يحمى حريمنا والاولاد ويتحمل عنا جميع المصايب التى تأتى من العباد فابدى مافى قلبك ولا تخفيه وأخبرنى به حتى أعلم معانيه وأكافى من ظلم على أعماله وأضع كل شىء فى مكانه بعون الله وسلطانه فقال مالك أى شىء أقول من المقال فلعن الله الظلم ومن يتبعه من الرجال ثم انه حدثه بما فعل عنتر مع بنى زياد وكيف انه بذل نفسه فى حقهم حتى خلصهم من القيود والاغلال وكيف انهم جازوه بعد هذا كله بالبعد والانكاد ثم ان مالكا اعلم أباه بالقضية التى جرت من أولها الى آخرها وشرح له باطنها وظاهرها حتى صار كأنه عالم بها وحاضرها قال فلما علم تلك العباره التفت من وقته وساعته الى المخنث عماره وقد صعب عليه ماجرى لفقد حامية العشيرة من كل غاره وقال له كل هذا من بنيك يامشوم الناصية يامن بلاه الله بألف علة وداهيه وهذا من قبيح فعالك التى فعلتها فى الايام الماضية فقال عمارة وأنا يامالك أى شىء لى من الذنب فوحق اللاة والعزى والهبل الاعلا لقد جرى على فى هذه الكره مالم يجر على ابن أمة ولا حره وقد سلمت من القتل غير مره وأيقنت بالموت والف كره فقال الملك زهير ياليتها كانت القاضيه وليت المنايا اليك متدانيه فوحق من دحا الارض ورفع السماء وعلم آدم الاسماء ان قتلك وعدمك من القبيلة

خير من حياتك ياويلك يامذلول السبال يابقية الرجال الانذال
هل سمعت بأن أحد سب ابنة عمه التي هي من لحمه ودمه وعارها
من عاره فيسبها ويبعدها عن دياره وامصاره ياويلك هذا جزاء
عنتر في نظير مروءته وهو قد خلصك من الاسر عند عودته وبذل
دونك نفسه ومهجته وبعد ذلك تفعل معه هذه الفعال ياوغد
ياديوث الرجال فلعن الله ساءك ومن المصايب لا قالك ثم انه
أمر أربعة من العبيد أن يشبحوه بين أربع شعاب من حديد ففعلوا
ما أمروا به في ساعة الحال وبطحوه على الارض وأنزلوا به الوبال
فقال الملك زهير للعبيد اضربوه الضرب النكير حتى يعتبر بذلك
الصغير والكبير ويبقى عبرة لجميع من يراه لانه فعل فعلا ما فعله
أحد سواه فعند ذلك فعلوا ما أمرهم به الملك زهير وقد صاروا
يضربوه الضرب النكير حتى كاد أن يهلك وصار يستغيث فلا يغاث
وجعل يصيح صياحا عاليا والدم من سائر جسده يسيح هذا وأخوه
الربيع لم يقدر يتكلم ولا يسأل فيه الملك زهير لانه علم ما في قلبه
عليه لاجل فقد عنتر بن شداد وقد زاد به على عمارة الامر المنكر
وقد تعجب من ذلك جميع من حضر قال وكان الامير عروة بن الورد
واقفا ينظر الى هذه الامور الشداد وهو يقول في نفسه هذه أول
بركات عبلة بنت مالك بن قراد فوالله لو قبل مني لما تعرض لها الاني
والله قد جربت شؤم طلعتها على كل من خطبها هذا ولم تزل العبيد
تضرب عمارة بن زياد حتى غشي عليه وأشرف على الهلاك
والنفاد ومن كثرة ما قاسى من العذاب لوث نفسه ونزع ما عليه
من الثياب فلما رأى الملك زهير الى تلك الامور القباح سد أنفه بيده
لما شم رائحة الخرى الذي عليه قد فاح وأمر بابطال الضرب عنه

لما رأى ما حصل له من التلاف فعند ذلك شدت العبيد كتافه ورفعوه من قدام الملك زهير ورموه فى بعض المطامير فصار يئن من شدة الآلام وقد فاضت دموعه على خدوده سجام وصار يتحسر مما نزل به من التلف وابدا اللوعة واللهف واجتمعت على صراخه جميع الامرا والخدام ولا أحد منهم رق لحاله ورحم ولا حام قال وبعد ذلك تقدم الامير شداد الى الملك زهير وقال له أيها السيد المفضال أريد من أخى مالك أن يرد علينا جميع ما أخذ من ولدى عنتر من الاموال ولاسيما وقد غدر به وزوج ابنته لغيره من الرجال وهو الامير شرف الدين عماره ووقعت أنا وولدى فى تلك الخساره هذا وعمارة يسمع وكبده من شدة الغيظ يتطلع فقال العاقبة لك ياشداد أن تتزوج مثل هذا الزواج الذى يعقبه ذلك العذاب واللجاج فعند ذلك تبسم الملك زهير المفضال لما سمع من عمارة ذلك المقال وكذلك ولده مالك وجميع من حضر من الرجال وبعد ذلك التفت الملك زهير الى مالك أبى عبلة وقال له وانت ياشيخ النحس والضلال فكيف انك تستحسن تلك الفعال ياكلب ياديوث ياشيخ المحال فلعن الله هذا القرال وتنف ذلك السبال وكيف انك تغير نيتك وتأخذ مال ابن أخيك وتغدر به وتزوج لعمارة ابنتك وقد أرميته فى المهالك وألقيته فى أضيق المسالك لما أرسلته فى طلب النوق العصافير وعلم بذلك الكبير والصغير وجازاك على قبيح فعالك بالجميل وعمل معك الخير الجزيل ولولاه كنت أنت وابنتك مع أوباش الرجال وأنتم متشتتون فى القفر والجبال فقال له مالك يامولاى وحق نعمتك التى لا تحصى وآلائك التى لا تستقصى انى ماغدرت به ولا يحسن لمثلى الغدر وانما غلب رأيى على بصيرتى

103

وعقلى وسلمت ابنتى لمولاى شاس وفوضت أمرى له من دون الناس وقلت له أنت ملكنا وابن ملكنا وتعرف فسادنا وصلاحنا وهذه ابنتى قد راج زواجها وأنا سلمت اليك أمرها فزوجها الى من تحب وتريد ولو كان عبدا من العبيد لانى قد مل قلبى من البعد والشتات وضجرت مما حل بى من النائبات فقال مولاى شاس حاشا أن يكون بنات السادات الاماجيد يتزوجن بالعبيد ولا تزوجها الا لرجل من الابطال الصناديد وهو لامير عمارة بن زياد لانه هو واخوته من مشايخ الحلة الامجاد ثم انه أمرنى أن أزوجه بها وقد انصلح ما أنتم فيه من الفساد فقلت له يا مولاى وكيف انى أفعل ذلك وابن أخى قد حمل الى مهرها والقى نفسه من أجلها فى المهالك وملكنا زهير شاهد علينا بذلك وكذلك أخوك الامير مالك فقال لى شاس لا تتحدث بذلك الامر الشنيع فأنا أكفيك مؤنة الجميع الرفيع منهم والوضيع كرامة لعمارة وأخيه الربيع ثم انه يا مولاى فى عاجل الحال أمر باحضار ابن أخى عنتر الى بين يديه فحضر فنهاه عن ذكر بنتى عبلة بين العباد ولا يبقى يذكرها فى أشعاره والانشاد وكلمه كلاما شنيعا فعرد من ذلك الايراد وغضب غضبا شديدا ما عليه من مزيد ولما سرنا فى وسيع الفضا فارقنا بالليل ومضى وأنا وحق اللات والعزى من أجله أتقلا على جمر اللظا لانه كما علمت عضو من أعضاه وسيفى الذى أجول به على الاعداء وادخره لشدتى ورخائى ولكن ما قدرت أرد كلام مولاى شاس ولا كان يوافقنى على ذلك أحد من الناس وبعد ذلك يا مولاى فابنتى عندى وهى فى خدرها ولا فرطت أبدا فى أمرها فتولها أنت أيها السيد الحميد وزوجها

لمن تحب وتريد وأحب انها من بعض امائك وأنا وأخوها لك
من العبيد قال فلما سمع الملك زهير هذا الكلام الذي تقرر فقال
هذه نوبة ما بقيت تنفصل الا اذا احضر عنتر ونسمع منه مقاله
ونقابل الظالم على فعاله ونجازيه على أعماله وكذلك اذا احضر
ولدي شاس وقد اعترف بما قلته عنه قدام الناس والا قابلتك
على فعالك واحسر عليك جميع عيالك ثم انهم لم يزالوا في قال
وقيل الى أن أدبر النهار وقارب دخول الليل فانصرف كل منهم الى
منزله بغير جميل وبقي الملك زهير زائد القلق وفؤاده على ولده شاس
كاد أن يحترق لانه أمسا عليه المساء ولم يرجع فارتبك لذلك
الناس أجمع وأقاموا على ذلك الايضاح الى أن أصبح الله بالصباح
وأضاء بنوره ولاح ولم يحضر شاس ولده فقل لذلك صبره وجلده
فاستدعا بجماعة من الفرسان وفرقهم في سائر النواحي والوديان
ففرقوا جميعهم في الجبال وعادوا عند المساء وما نالوا امنال ولا بلغوا
آمال وقالوا ما وقعنا له على خبر ولا جلية أثر ولا شاهدنا في تلك
الفلوات بشر فزاد بالملك زهير الهم والغم وفي أمره تحير لان شاسا
أكبر أولاده وهو الموصى له بالملك من بعده قال فلما أيس منه قال
هلك والله ولدي وتفتت عليه كبدي وانقطع خبره واندثر
وأهلكه بغيه على ابن عمه عنتر وحق اللات والعزى لان هلك
ولدي لأضرب رقبة عمارة بن زياد وأجعله معيرة بين العباد ثم انه
أنفذ العبيد والجواسيس الى أحياء العرب وأقام ينتظر ما يجري
من ذلك السبب وقد تكدر عليه عيشه وزاد همه وطيشه وقص
في عينيه ملكه وكذلك زوجته صارت تبكي الليل والنهار وكذلك
اخوته ملوا من كثرة الانتظار وفارقوا المسرات من أجل غيبته

104

وتعجبوا جميعهم من قصته ولا بقي يقرلهم قرار وصاروا يندبون الليل والنهار قال فهذا ما كان من أمر هؤلاء وما صار لهم من الاخبار وأما ما كان من أمر شاس وما حل به من الحوادث فانهم ساروا به الى ديار بني الحارث وقد جرعوه في الطريق الغصص وما بقي له منها مخلاص وصاروا يضربونه الضرب الوجيع وتوعدوه بالقتل والفعل الشنيع ولما وصلوا الى ديارهم وقر قرارهم فقال المقدم عليهم يا بني عمي أنتم تعلمون ان هذا العبسي قتل أخي وأركبني العار والذل والشنار وأنا لا بدلي من قتله وانزل به الدمار حتى لا يبقى علي عند العرب عار وأما أنتم فخذوا جواده وجميع سلبه وآلة حربه وعدته ويكون ذلك حق تعبكم في نوبته وأنا قنعت باتلاف مهجته واشفي غليل فؤادي باتلاف جثته قال ثم انه ضرب له أربع سكك من حديد وشبحه فيها مثل بعض العبيد وقال له وحق الواحد المجيد لا بقيت أفكك حتى أعذبك العذاب الشديد ولا بقي لك من يدي خلاص ولا ذهاب ولم تزل مربوطا مثل الكلاب وأجعلك موعظة لمن حضر وغاب وصار ان دخل لطمه وان خرج صدمه وان أكل لم يطعمه وقد شدد في عذابه وهو كل يوم يضربه على يديه وعلى رجليه وعلى أجنابه قال وكان حديثه قد شاع في كل مكان وأقبلت تتفرج عليه البنات والنسوان وهرعن اليه وصرن يدخلن له في كل أوان وقد رقوا اليه من شدة ما هو فيه من العذاب والهوان وبعد ذلك بلغ خبره الى سيد القبيلة والمقدم عليها وكان يقال له يزيد ابن مرهوب فأدعا مسورا اليه وقال له يا ابن العم أي شيء هذا الذي فعلته بغيرك وما الذي أبديته من أمورك فان الذي فعلته ما هو

صواب ولاسيما وهو ابن ملك مهاب وأنا ما أمكنك من قتله ولا تنزل به الحرمان حتى انك تمضى الى الملك عبد المدان الذى هو حاكم على هذه الديار والاوطان وتشاوره فى ذلك الامر والشان ولا تفعل شيأ من غير علمه فيحصل لك التعب ولا ينفعك بعد ذلك أحد من العرب لان قوم هذا الرجل ما يغفلون عنه ولا عن كشف خبره ولا بد لأبيه ما يقتفى أثره وان سمع أنه قتل فى هذا المكان يأتينا بنى عبس وعدنان وفزارة وذبيان وجميع أجناده والفرسان ويقلعون الحى قلعا ويتركون كل من فيه مرعا وان أنفذنا الى ملكنا عبد المدان وطلبنا منه معونة على بنى عبس وعدنان فيغضب علينا ويحرد ويقول أنتم قتلتم ابن الرجل ولا شاورتمونى فى شىء من ذلك الامر والشان فافعلوا أنتم ما تريدون ودبروا بأنفسكم ما تشتهون والصواب يا ابن العم أن تقل من عذاب هذا الرجل وتوليه الاحسان وترسل تشاور فى ذلك الملك عبد المدان والا انفتح علينا باب لا يسد بعمادات لنا لهذه العربان قال فلما سمع ميسور هذا الكلام عظم عليه وكبر لديه وزاد به البلبال بعد ما كان أيقن ببلوغ الامل وفض الاشغال الا أنه احتاج أن يفعل ما أمره به سيد القبيلة خوفا من الوبال وعزم على ذلك الحال ثم انه دخل على شاس وأطلقه مما كان فيه من رباطه وأزال عنه الباس وأوصى عليه عبيده وزوجته وركب الى ما عزم عليه من وقته وساعته وسار الى الملك عبد المدان هو ومن معه من الفرسان وقد قل عن شاس ما هو فيه من ذلك العذاب والهوان وتفرقت عنه جميع الفرسان والنسوان فلما خلا شاس بنفسه قال لزوجة ميسور وقد زاد عليه الحرج هل ترى يكون لى من ذلك

105

الضيق مخرج فقالت له لا والله يا وجه العرب الا ان كان لك في الاجل تأخير ويحدث لك أمر قد جرت به المقادير أوترزق بداعالية ما تكون على بال تخلصك مما انت فيه من العذاب والوبال أو تفدى نفسك بما تقدر عليه من المال لان يا وجه العرب المال للمقول ميال ويستملك قلوب النساء والرجال وتقضى به جميع الحوائج والاشغال كما قال من رتب هذا المقال

اشتر النفس بما يغنى فليس العز غال

والفتى من جعل الاموال أثمان الرجال

(قال الراوى) فلما فرغت زوجة ميسور من شعرها قال لها شاس والله يا حرة العرب أنا لى من المال اليد الباسطه والايسار ولكن من يوصل خبرى لأهلى على بعد الديار فقالت له لك رب لاينساك وهو كريم ستار قال وما فرغ شاس من كلامه مع زوجة ميسور وأتم المقال الا وقد دخل عليه جماعة من النساء الاحرار وهن يسحبن أذيال الجمال ويتمايلن كتمايل الاغصان اذا لعبت بها ريح الشمال الا انهم لابسات السوار وهن أزها من أهلة الاعياد كما قيل فيهم

سود العيون كما الغزلان تنظرهم

كأنهم من جنات الخلد قد خرجوا

وبين أيديهم امرأة كبيرة كأنها ناقة فعند ذلك سلمت على زوجة ميسور وقالت لها يا بنت العم من هو هذا الاسير الذى سمعنا خبره وقد هيناه عند نظره فقالت لها بعد أن سلمت عليها هذا ابن الملك زهير ملك بنى عبس وعدنان وفزارة وغطفان قال فلما سمعت المرأة ذلك الكلام أقبلت على شاس كأنها البدر

التمام وقالت له صحيح أنت ابن الملك زهير يا غلام فقال لها نعم يا خالة النساء فقالت وأنتم عشرة اخوة ذكور من أم واحدة وأب واحد قال نعم يا حرة العرب قالت له لله درأمك ما أنجبها هكذا سمعنا عنها وأى الاولاد أنت يا فتى فقال لها أنا الاكبر فقالت له وكيف وصلوا اليك هؤلاء القوم وقد رأوا عليك أشجاعة لاشحة بين عينيك فقال لها يا حرة العرب أتونى وأنا تعبان من الصيد والقنص وكان معى عشرة من الرجال وقد حل بهم مثل ما قد حل بى فقتلوهم وأخذونى وأنا كما ترين فى الاعتقال بعد ما قتلت منهم عشرة من رجالهم الابطال فقالت العجوز الله يسهل لك الفرج ويجعل لك من هذا الضيق مخرج لانكم قوم موصوفين بالشجاعة وفصاحة اللسان ولكن ما فيكم أحد فى الفصاحة مثل ما فى بنى قحطان فقال لها شاس وقد شق عليه كلامها ومن فيكم أنتم من بنى قحطان فصيح اللسان حتى انك تمارين به بنى عبس وعدنان فقالت فينا امرؤ القيس بن حجر الكندى الذى قصيدته معلقة على البيت الحرام وقد سجد لها كل فارس وهمام وكل من يدعى النثر والنظام ولد أيضا أيها الغلام ماهى أفصح من المعلقة فى الكلام وأبلغ معانى عند ذوى الاحتشام ولاسيما قصيدته التى من جملتها هذه الابيات

خليلى مرابى على أم جندب * لنقض لبانات الفؤاد المعذب
الى أن تريانى كلما جئت دارها * وجدت بها طيبا اذا لم تطيب

فقال شاس لما سمع هذا الكلام نحن لنا عبد نجيب لا يرام وقد أدخلناه فى أنسابنا وكان ذلك عزيزا علينا وهو يقول من الشعر والانشاد مالا يقدر عليه أحد من العباد ولو أننا

نعرف

106

نعرف قدره ونساعده على علو الشان لكان افتخر على سائر العربان فى فصاحة اللسان وفى الشجاعة والبراعة أوحد هذا الزمان فقالت له العجوز وقد أظهرت لتعجب من مقاله أما حفظت شيأ من مقاله وكلامه قال بلى بلى ياستاه فقالت هيا أنشدنى اياه حتى أقيسه على ماسواه فعندها أنشد شاس بعض قصائد عنتر يقول هذه الابيات

سقام الفتى كيما تعادوا لها * سوى فترة العينين سقم العائد
منعمة الاطراف خودا كأنها * هلال على غصن من البان مائد
من البيض ماتلقاك الا مصانة * وتمشى هوينا بين تلك الولائد
كالثريا حين لاحت عشية * على نحرها منظومة بالقلائد
حوى كل شئ من الملاحة حسنها * وليس ترى منها عيونا لحاسد

(قال الراوى) فلما فرغ شاس من ذلك الشعر والنظام
تمايلت الجوارى طربا وتبسما من ذلك الشعر عجبا
فقالت العجوز لايكون هذا شعر عنتر بن
شداد الذى يحب عبلة بنت مالك بن قراد
والليل قد أمسى وصارت الليلة غلسى
وسيأتى تمام هذا الكلام
فى أول الجزء الرابع وفى ليلة
غد تسمعون يا اخوان
ماجرى فى بقية هذا
الكلام وأصلى
وأسلم على
بدر التمام

107

الجزء الرابع من سيرة الامير حية
بطل الواد الهمام الضرغام
عنتر بن شداد أبى
الفوارس الصناديد
الشدادوهى
سيرته
الحجازيه

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين (قال الراوى) فلما فرغ شاس من ذلك الشعر والنظام تمايلت الجوار طربا وتبسما من ذلك الشعر عجبا فقال العجوز لا يكون هذا شعر عنتر ابن شداد الذى يحب عبلة بنت مالك ابن قراد فقال لها هواياه وأراكى عارفه به ياستاه فقالت له هو الذى يزيل عنك ما نزل بك من الشده لانى سمعت بحديثه وأنا عند قومى بنى كنده وترى هو الى الآن ما تزوج بعبله ولا زالت عنه ذلك البليه فقال شاس لا والله ياحرة العرب وأنا كنت السبب وأنا الذى منعته عن بلوغ الارب ولا أجل

ذلك وقمت فى العطب وأنا عاهدت الله عهدا اننى اذا سلمت من هذه النوبه أكون له عبدا على طول المدا ولا أفارق محبته ابدا فقالت العجوز قاتل الله الباغى فما أسرع مجازاته ولكن يا أميرما دام انك على هذه النيه فلا تيأس من الفرج ولو كنت فى بحر من العجج ثم ان العجوز خرجت من عنده وقد طيبت نفسه وطفت نيران كبده وأقام يعلل نفسه بعلل الى أن ولى النهار وأمسا المسا وقد أخذ فى البكا والتعدد وأيقن فى نفسه بالهلاك والنفاد وظن أنه قد انقطعت عنه حبال الرجا قال وكانت هذه العجوز الذى جرى لها مع شاس ماجرى من القيل والقال هى المرأة الكنديه الذى خاصها عنتر هى وبناتها وزوجها من الاسر والاعتقال والجوار التى أتوا مع بناتها وهم على ذلك الحال من لبس السواد وقد ذكرنا ماتم عليهم وعلى أباهم من الابراد وكيف خاصهم عنتر ابن شداد وكيف قتل الرجال التى أسروهم وأخذ اخيولهم وأموالهم وأخبارهم التى جرت لهم حتى انه أوصلهم الى ديارهم الى هؤلاء القوم الذى نحن فى ذكرهم قال ولما علمت العجوز به دبت شاس وحققت معرفته عادت من عنده وفى قلبها النار التى لا تطفى واللهيب الذى لا يخفى لانها سمعت من شاس كلما حدثها به عنتر فى الطريق وحققت ذلك غاية التحقيق فدخلت الى مضربها وأدعت بزوجها من وقتها وساعتها فلما انه أتى عندها وحضر فأعلمته بذلك الخبر وقالت له ها قد وجدنا جميلا نكافى به عنتر لان هذا الرجل اذا تخاص على أيدينا أعان عنتر على زواجه بعبله وكشف عنه ذلك الهم والغم فقال لها الاشعث ويلك يابنت العم وكيف التدبير فى ذلك الامر الخطير

فقالت له الرأى انك تركب ناقتك وتسير من وقتك وساعتك وتطلب مكه المشرفه وتعلم عنتر ابن شداد وهو يدبر بفعله ما أراد فقال لها الاشعث لقد أصبتى بذلك الرأى الذى أشرق ثم انه ركب ناقته وقد توجه الى مكه من وقته وساعته وصارت العجوز خائفه لا يعود ميسور وهو فرحان من عند الملك عبد الميدان ومعه الاذن فى قتل شاس ابن سيد بنى عبس وعدنان فما كانت الايام قلائل حتى قدم ميسور الى الاوطان ومعه عشر فرسان من خواص الملك عبد الميدان لانه لما وصل اليه وفى قتل شاس شاوره فقال له ارجع الى ديارك واقتله وخذ منه ثارك واكشف عنك عارك واذا قدمت بين الاشرار ارسل من عندك رسول يعلمنى بما تم من الاخبار حتى انى آتى اليك ولا أخلى منهم ديار ولا نافخ نار وأسير الى ديارهم أسبى نسائهم واقتل أولادهم وانهب أموالهم وأماهم فعاد عند ذلك ميسور وقد حصل له الفرح والسرور ومعه هذه العشرة فرسان يريدون الفرجه على قتل شاس ابن سيد بنى عبس وعدنان لان ما بينهم الا من له عليه دما وثار من قديم الزمان قال وان ميسور لما نزل فى أبياته واستقر به القرار أمر بذبح النوق والاغنام وترويج الطعام وان يروقون المدام وقد اكلو وشربوا ولذوا وطربوا هو وجميع أهله وناسه ومن اجتمع عنده من جلاسه قال ومن شدة فرحه أدعا بوهوب سيد العشيره ابن يزيد وقد شرب معه بعد ما شبع السادات والعبيد وغير منهم القريب والبعيد وقدم شاس الى بين يديه وصار يشرب ويقلب فضلة الكاس عليه ويهدده بالقتل وايصال الاذية اليه هذا وشاس يبكى ويتنهد من شدة الهوان لانه على كل حال ملك

وابن

وابن ملك من ملوك الزمان وكلما رآه ميسور على تلك الحالة يقول له ابكى دما فوحق اللات والعزى ما بقيت تجد لك مما أنت فيه مخرج مما كنت وحق أخى شيبان لما انك ضربته بحد السنان لكن وحق علام الغيوب لا تركت الصباح يصبح عليك الا وأنت مصلوب والاموات تصير لهم مجاور حتى يعتبر بك كل بادى وحاضر قال وكان فى تلك الساعة المرأة الكندية حاضره ولذلك معاينه وناظره فلما علمت بذلك الحال أيقنت لشاس بدنو الآجال وكانت واقفه تسمع وقلبها يتقطع ولكن ما بيدها شىء عنه تدفع وقد صارت عيونها تدمع وقلبها يتحسر وهى تقول آه على حضور أبوا الفوارس عنتر حتى انه كان يظهر فى هؤلاء القوم العبر وقد دام الامر على ذلك المرام الى أن أقبل الليل بالظلام وعملت فى رؤسهم نشوة المدام وتفرق أكثرهم بين المضارب والخيام وذهب موهوب سيد القبيلة يريد المنام وكذلك ميسور بعد ما امتلأ من المدام وانقلب هو ومن معه من الانام وقد نام جميع من فى الحلة وكذلك العبيد وبقى شاس فريد وحيد وقد قاسى فى تلك الليلة شىء ما عليه من مزيد وتجرع غصص العذاب الشديد وزاد فى النوح والتعديد لانه أيقن عند الصباح شرب كأس التلاف وانه انقضى أمره ولا بقى فيه خلاف فظل يرقب النجوم السائره ودموعه على خدوده منحدره ثم انه تحسر حسرات زائدات وجعل يتسلا بهذه الابيات

تری فی نجوم الليل هل من مخبرا * غريباً على أوطانه يتحسرا
وعند ضياء الصبح تنبه العدا * ببيض حداد ويقاد ويقهرا
فيا نسمات الريح بالله عرجى * على العلم السعدى عسى من مخبرا

يخبر قيسا والربيع ومالكا * بحالى فلى عهد مع القوم بذكرا
لعلى أرى منهم معينا وناصرا * يخلصنى ان كان قتلى يوخرا
ظلمت بجهلى ابن عمى فقادنى * الى الظلم جبار على الظلم أقدرا
فان كان لى عمر اغاث بأدمعى * أسافل قدميه ولا أتكبرا
ترى يا بنوا الاعمام اسمع فى الدجا * منادى ينادى أو بشيرا يخبرا
بأن غبار القوم قد ثار نقعه * عجاجا ومن تحته العجاجة عنترا
وتصبح أرض القوم ترجف خيفة * بهيبتـــه والجو اغتم أغبرا
عــلالة قلبى لا تصطح وانما * أعلل قلبى بالحال وأصــبرا

ثم ان شاس لما فرغ من ذلك الشعر والنظام وقد انسدل عليه الظلام وهو ينتظر الفرج من العرضيات وذلك الامور المقضيات واذا بشخص قد أقبل اليه وهو يحبى على يديه ورجليه وهو يمشى على اليدين والرجلين كأنه أبو الحصين ولم يزل الى أن وصل الى عند شاس وعليه لباس السواد وهو يقول ابشر ياشاس بالخلاص من ضيق الاقفاص ولا بقى عليك فزع ولا مخاف مادمت مضمر على ذلك الاوصاف ثم انه دنى اليه وحل القيد من رجليه وخلص الكتاف من يديه وسار قدامه وقال له اتبعنى ياعبس الى ذلك البيت فقد سلمت من القتل وبخيت قال وكان شاس غائب من الدنيا وهو يظن أنه فى منام أو اضغاث احلام ولكنه قد شدد نفسه وشجعها من حلاوة الروح وقام وقد مشى على الاقدام وصار يتبع ذلك الشخص الذى خلصه وقد ستره غيهب الظلام وما زالوا سائرين الى أن وصلوا الى أطراف الخيام فدخلوا الى بيت واسع الفضاء وقد أدخلته العجوز فيه وأجلسته فى صدر الخيام قال فلما

ان قرّ قراره وخمدت ناره فتأمل الى من فعل هذه افعال واذا
بها المرأة الكندية أم البنات الابكار التى دخلت عليه فى اليوم
الماضى وناشدته الاشعار فقال لها ياحرة العرب جوزيتى
خيرا ولا أصابك هما ولا ضيرا فوحق الملك المجيد لقد فعلت
فعل السادات الاماجيد وتقصر عن مثله الاحرار والعبيد
وما كنت أريد الا العوده الى أهلى قريب لاجازيك على فعالك
وما عملتى من أعمالك ولو عملت معك ماعملت ما أقدرا كافئك على
مثل ذلك الفعال لان الروح أفضل من المال فقالت العجوز
ياشاس ما بقى عليك من أحد باس وقد زال عنك الخوف
والوسواس والجميل الذى تعمله معى بجهرا عمله مع ابن عمك عنتر
ابن الامير شداد وساعده على بلوغ المراد واجتهد معه على
زواج عبلة بنت مالك ابن قراد حتى يزول عنه ذلك العناد
وهذا عهد الله منى اليك اذا حصل لك ماتقر به عينيك
وخلصت مما أنت فيه ووصلت اليه تقبل عنى صدره ويديه
وتحمل منى السلام اليه وتجازيه من الجميل بكما تقدر عليه لاننا
نحن فى نعامه وعتقا سيفه وسنانه وله علينا جميل واحسان
يعجز عنه وصف اللسان قال ثم انها أعلمته بما فعل معهم عنتر
وأخبرته ما جرى لهم من العبر وكيف نجاهم من الهلاك وخلصهم
من الاسر والارتباك وكيف انه صان الحريم وهم البنات الابكار
من الانهتاك وأيضا أخبرته ان زوجها سار الى مكه المشرفه
فى طلب عنتر ابن شداد يعلمه بذلك الايراد ويأمره بالسرعه
والحضور حتى انه يخلصك مما أنت فيه ولما رأيت هذا الشيطان
وقد عاد من عند الملك عبد الميدان وقد عوّل على قتلك بين

الفرسان ففعلت ذلك الفعال وخلصتك من الاسر والاعتقال وجسرت نفسى على ذلك السبب وقلت لعلى أبلغ من خلاصك الأرب والذى أعلمك به من الامر والشان ان هذا ميسور وأخيه شيبان الذى أنت قتلته وأنزلت به الهوان أولاد عمى من بنى الحارث وأولاد خالى من بنى كنده وها أنا قد أخترتك عليهم وخلصتك مما كنت من ذلك الشده قال هذا كله يجرى وشاس يسمع وعينه من شدة الفرح تدمع وقلبه مما فعل فى حق عنتر يتقطع ويقول فى نفسه هذا فعال عنتر معى ومع سائر الناس وهو ابن الام معنا فكيف تفعل أنت بضده يا شاس وأنت ابن حرة مكرمه وأنت صاحب حسب ونسب عند جميع سادات العرب فوحق من أمر الغيث فانهمل وسكب وعن عيون خلقه قد احتجب انى كما ولدتنى أمى ولادة جديدة وعنتر كان لها سبب قال ومن بعد ما فرغ شاس من كلامه وذلك الملام قدمت له العجوز شيأ من الطعام وطيبت قلبه بحسن الكلام حتى انه شبع من الزاد وقد صارت العجوز تحسن معه الوداد ثم انها بعد ذلك ألبسته من ثياب النساء الكبار وأجلسته مع بناتها الابكار وذلك خوفا عليه من الانكار وينظر اليه أحد فى ضوء النهار ومازال كذلك حتى انشق ذيل الدجا وطلع الصباح مبتلجا وأنتبه ميسور من شرب المدام وأيقظ سائر ندماه من المنام ودعى بالمولدات والاماء وأمرهم بدق الدفوف والمزاهر فأقبلت جميع الاكابر والاصاغر وجلسوا جميعهم فى ذلك المكان وأخذوا فى الفرح والسرور وصارت الكاسات عليهم تدور ورقصت الاماء والمولدات ووضعت لهم الاوقات فافتكر ميسور لشاس فأمر باحضاره

٨٨١

بين جميع الناس فعند ذلك انقبرت العبيد الموكلين بشاس وقد
طلبوه فلم يجدوه فصاحوا بالويل والثبور وعظائم الامور
ودخلوا فى عاجل الحال على سيدهم ميسور وقالوا له أيها
السيد المنصور هرب من بيننا العبسى المأسور ولم نجد له أخبار
ولا علمنا أين هو سار قال فلما سمع ميسور بذلك الاخبار نارة من
رأسه نشأت الخمار وأظلمت الدنيا عليه وتقلبت فى وجهه مقل
عينيه وكاد من الغيظ ان يغشى عليه وقال وحق اللات والعزى
لان هرب ونجا فى البيداء لا بقيت أجرعكم كاسات الردى ثم أنه ركب
فى عاجل الحال وأمران تركب جميع الابطال والرجال وأمرهم
أن يتفرقوا فى سائر الاطلال بعدما أعلمهم بسائر الاحوال فغابو
يفتشوا بطول ذلك النهار وعادوا الجميع بغير أخبار وقالوا
ماوجدنا له خبر ولا وقعنا له على أثر فلطم ميسور على رأسه حتى
تملخت جميع أدراسه وخافت منه جميع جلاسه وقد كثر همه
ووسواسه وقال والله راح دم أخى هدر وندم الذى فعل ذلك الامر
المنكر وبقى عاره علينا طول الدهر فعند ذلك قال له رجلا من جملة
الفرسان الذى أتوا معه من عند الملك عبد الميدان وكان شيطان
فى صورة انسان خبير بتصاريف الزمان وكان يقال له الشريد ابن
هامان قال له اعلم أيها الملك ان غريمك ماخرج من الحى ولا برح
من البيوت وهو الى الآن فى بعض المضارب وان لم تسمع منى
والافات الامر من يدك والصواب انك تستأذن الموهوب سيد
العشيرة وتفتش المضارب والخيام لعل ان تنال المرام ويكون
معك نساء يدخلون الابيات ويكشفن براقع النساء والبنات
وقد نلت ماتختار وتذكرنى بهذا الفعل فى سائر الاقطار قال

فلما سمع ميسور ذلك الكلام استحسن هذا الرأى واستصوبه وأرسل استأذن موهوب على ما عزم ان يفعله وقد داموا على الايضاح الى ان طلعت الشمس وعمت على البطاح وأضاء الكريم بنوره ولاح فوقع فى الخيام التفتيش بعلم سيد القبيلة وقد دارت الرجال بأطراف الحله وملكوا جميع الخيام وفعلوا ذلك بالقعود والقيام وقال الشريد لميسور فتش أنت جميع الابيات ودع النساء يفتشن النساء والبنات وكذلك العبيد والاماء وأنا آخذ أصحابى وأملك رؤس الربوات فعند ذلك شرعوا بالتفتيش من أول الخيام ولم يدعوا أحدا الا وفتشوه من القعود والقيام وكذلك النساء والاماء والعبيد والمولدات وأما الشريد فانه مسك أطراف الحله لمن يخرج من الابيات وقال لا تدعوا أحدا الا وتفتشوه ولا تتركوا بيتا الا وتفتشوه ولا تدعوا حرة ولا أمة ولا كريمة ولا محترمة حتى تبقى لنا هذه المكرمة لانى أخاف ان يبلغ القوم الذى هو عندهم هذه الفعال فيخرجونه من بين الرجال ويمضون به بين التلال والرمال ويفوت مقصودنا ولا نبلغ الآمال فقال ميسور للشريد افعل ما بدا لك وتمم أعمالك لعلك أن تبلغ آمالك ثم انهم صاروا يفتشون فى سائر الابيات وقد ظهر بذلك اشاعات فهذا ما كان من أمر هؤلاء وما فعلوا من تلك الارادات وأما ما كان من العجوز أم البنات الكندمات فانها لما رأت ذلك الاشارات التهب قلبها بالنيران الموقودات وكثر همها وهانت عليها المخاطرات فخافت عند ذلك من خيبة الآمال ودخلت على شاس وأعلمته بذلك الحال وما قد فعلوه من تلك الاحوال (قال الراوى) فلما سمع شاس منها ذلك

المقال

المقال رجفت أعضاؤه وأيقن بموته وفناه وقال لها يا حرة العرب
كيف يكون التدبير فى هذ الامر الخطير فقالت طب قلبا يا وجه
العرب ولا تخف من ذلك السبب وطمن خاطرك وانظر منى العجب
وانا أبذل فى خلاصك المجهود ولو أن فى طلبك قوم عاد وثمود
ولكن لا يكن اتكالك الا على الملك المعبود فهو الذى يبلغك
المقصود قال ثم انها صورت فى نفسها العمل وقامت مسرعة
وقدمت بين يديها مرجل من المراجل الكبار وملاته من الماء
ووضعته على النار والقت فيه حشايش لا تعرفها الا الحكماء
الكبار وأوقدت تحته مقدار ساعة من النهار ثم انها أقبلت
على شاس وأخذته وأتت به الى عند المرجل وأجلسته بين يديها
وهو مطيعها فى كل ما تفعل ولا يسألها عن ذلك العمل ثم ان العجوز
جردته من ثيابه وجعلت تصب عليه من ذلك الدواء الذى فى المرجل
ثم انها قلبته عليه من فوق رأسه الى أسفل وهى تقول له أدلك
نفسك يا فتى ومر به على سائر جسدك ففعل شاس مثل ما أمرته
وصبرت عليه قليلا ورجعت صبت على جثته ما بقى فى المرجل
وأمرته أن يدلك به نفسه مثل الاول فصار كأنه عبد ابن أمة
زنجيه اسود اللون كليلة حالكيه وصبرت عليه قليلا حتى نشف
فى الهواء ثم انها دهنته بدهان فصار جلده يلمع مثل الابنوس غالى
الاثمان وألبسته ثياب العبيد الرعيان وناولته العصا فى يده
وأومت عبيدها عليه وأمرتهم ان يسوقوا أموالها الى المرعا
فساقوها وشاس فى جملتهم يسعى وصار لا يعرفه انسان وهو سائر
يسوق مع العبيد النوق والفصلان وصارت العجوز توصيه على
المواشى والاموال وما زالت معهم على ذلك الاحوال حتى صاروا

فى الفضاء ونظر اليها الرجال الذين خرجوا الى ماذكرنا وتبادروا اليها وفى مقدمهم الشريد بن هامان فلما رأتهم عدلوا الى نحوها فى القيعان ابتدرتهم بالكلام وقالت لله درك أيها السيد الهمام والبطل الضرغام فوحق زمزم والمقام والمشاعر العظام لقد فعلت فعالا ماسبقك بمثلها أحد من الانام وأنا أرجو من المبل الاعلى أن ينولنى مافى نفسى ويوقع فى يدى هذا الرجل العبسى حتى أشفى منه غليل صدرى وأبرد نار قلبى لانه ما أفقدنى أولادى الا العبسيين ولاسيما هذا القرنان الذى أفجعنى فى ابن عمى شيبان وأحل بنا النوائب والاحزان قال ثم انها فرغت من هذا الهذيان تمت سائرة خلف العبيد والغلمان ولا يتعرض لها أحد من تلك الفرسان بل ان الشريد قال لها سوف يظهر الغريم ويبان وتركها وعاد وسارت هى فى أمان ومازالت سائرة مع العبيد الى أن وصلت الى المرعا وتحفظ شاساوله ترعا وقد ابعدت به عن الحلة ثم انها قالت له يا أمير انه مكان الخطر قد فتناه ومحل الامان دخلناه فسر فى البر والاكام واقصد بيت الله الحرام وتوكل على الملك العلام واذا اجتمعت بعنتر فأقريه منى السلام وقل له ان المرأة الكندية لك شاكرة أيها البطل الهمام فلما سمع منها ذلك الكلام ودعها وسار فى البر والاكام مدة ثلاثة أيام فلما كان فى اليوم الرابع لحقه التعب والعناء والنصب فما آل الى أن أمسى عليه المساء وقد هانت عليه نفسه مما قاسى من الاسى لانه ما جرى له بذلك عادة لاسيما وهو ملك وابن ملك من ملوك الزمان ولا هو معتاد على المشى والشقاء مدا الزمان فعند ذلك جلس على الارض من شدة التعب وقد أيقن فى نفسه انه فصلت

منه الركب وافتكر فى وحدته وما هو فيه من حالته من بعد
ما كان فيه من التقدم على الاعارب وصار وحيدا فريدا فى البر
والسباسب فعدل عن الطريق وأراد أن يأخذ من الليل هجعه
ويسير فوضع رأسه على الارض ونام كأنه قتيل الكلام وما زال
نائما الى أن مضى أكثر الظلام فقام من المنام ساعيا على الاقدام
وسار يجد المسير فى الاكام حتى ورمت منه الاقدام مما لحقه
من التعب والالام وظن فى نفسه انه خلص من المصايب ونجا
من جميع النوائب فبينما هو على تلك الاحوال واذا بعشرة
فرسان قد اعترضوه فى الطريق ومسكوا عليه رأس المضيق
وقد خرج اليه منهم فارس طويل القامة عظيم الهامة فلما ان قرب
منه نظر الى وجهه بعد ما وضع سنان الرمح على نحره ونادى وقال
بالعرب بلغت والله الارب يا بنى الاعمام هذا العبد السلال
الذى كل ليلة يدور حول أبياتنا ويدرج بين الخيام وهو الذى أتى
البارحة وسرق فرسى وأحرمنى عليها المنام (قال الراوى) وكان
هؤلاء القوم من بنى الريان ولهم مقدم يقال له حسان وكان
سبب ملتقاهم بشاس فى هذا المكان تفتيشهم على ذلك العبد
السلال الذى قد اعتاد على سرقة خيلهم وهو شيطان من شياطين
العربان وكان دائما يسل فى خيلهم انسان وكان قبل هذه
الليلة سل فرس هذا الفارس المقدم ذكره وكان له حبائب
وأصحاب فأخذ منهم هؤلاء التسعة وطلع بهم فى تلك الجبال لعله
ان يقع بالسلال الى أن رأوا شاسا وهو بذلك الصفة فظنوا انه هو
لانهم ما كان لهم بالسلال معرفة فجرى ما ذكرنا من المقال قال ثم ان
ذلك الفارس تقدم الى شاس وجعل فى رقبته حبلا طويلا وجعل

يسحبه ويجره وهو يقول له ويلك يا عبد السوء والله لاعذبنك العذاب الاليم ويلك يا عبد يا زنيم أما قنعت بما أخذت البارحه حتى انك راجع الى حينا تريد أن تأخذ شيأ آخر فوالله لاذبحنك كما تنحر الابل والآن أردت السلامه من المهالك قل لى اين ذهبت بفرسى البيضاء التى أخذتها فى الظلام الحالك وثمنها على بالدين وجئت أنت أخذتها وأحرمتنى منها قال فلما سمع شاس ذلك الكلام صار الضياء فى وجهه ظلام وقد كره الحياه وأيقن بالوفاه وقال والله يا وجه العرب ما انا سلال ولا حرامى ولا محتال فلا تعجل فتندم ويفوتك الخير والنعم واعلم انى أنا شاس ابن الملك زهير سيد بنى عبس وعدنان وقد حصل لى هذا الذل والهوان ولاقيت من الشدائد ما لا لاقاه قط انسان وهذا الذى أنا فيه كان سبب خلاصى مما كنت فيه من الهوان ثم انه حدثهم بقصته وأخبرهم بما جرى له من أوله الى آخره وقال فى آخر الكلام وها أنا صرت معكم فى هذه البيدا وما بقى يخلصنى منكم الا الفدا وأبذل لكم ما تريدون من الاموال وأتخلص من هذه الاحوال (قال الراوى) فاتم شاس مقاله من ذلك الكلام حتى تقدم اليه منهم غلام معتدل الطول والقوام وسل فى يده حساما وقال يا العرب الكرام قد بلغت المرام ثم انه ضرب شاسا بالسيف صفحا كاد أن يقضى عليه وزوده بين كتفيه ومازال يضربه حتى غشى عليه فقال له بنو عمه اخبرنا لاى شىء فعلت هذه الفعال فقال لهم يا بنى عمى هذا الذى ابوه قتل أبى وتركنى ربيت يتيما والان سهل الله لى أخذ الثار وكشف العار وها أنا قريب من ديارى فخذوا جميع ما تملكه يدى ودعونى أشف

منه غليل صدري ويكون لكم المنة علي يا بني عمي قال فبينما هم
على ذلك المرام وشاس بينهم وقد أيقن بشرب كاس
الحمام واذا بالوحوش من صدر البر قد جفلت ومن خلفها راجل
راكض على قدميه مقبل كأنه القضاء اذا انفلت بعد ساعة
ظهر من ورائه فارس كأنه قلة من القلل أو قطعة فصلت من
جبل أو قضاء الله اذا نزل وهو بالحديد مسربل وتحته جواد
أدهم اذا صهل وحمحم كاد ان يتكلم وهو يتدفق من تحت الفارس
كأنه الشهاب القابس والى جانب الفارس راجل آخر راكب على
مطيه تسبق الرياح الغربية قال فلما نظر القوم هذا الرجل
وهو مقبل مثل اقبال الغمام وقطر وارجليه لا تكاد أن تصل
الى الارض وهي تضرب شحمة أذنيه فصار جميعهم ينظرون اليه
متحيرين من أمره وقالوا ما هذا من البشر وما هو الا من عفاريت
نخ منقر لانه يسبق ريح الهبوب فتأمله شاس واذا به شيبوب
والفارس الذي وراءه الامير عنتر أسد الحروب فلما عرفهما
صاح صيحة منكرة وكاد قلبه أن ينشق من الفرح ونادا وقال
يا شيبوب ادركني وانجدني أنا شاس بن زهير وقد تناهى بي الامر
الى هذا الحد ولولا اني أراكم لانفطرت مرارتي ومت بحسرتي
من هؤلاء الانذال قال فلما سمع شيبوب ذلك النداء والمقال
صاح في القوم ورماهم بالنبال وقال لهم ويلكم يا بني اللئام
الارجاس خلوا عن مولاي الامير شاس من قبل ان يدور عليكم
ملك الموت بأعظم كأس ويقطع منكم الانفاس ولا يبقى منكم
ذنبا ولا رأس ثم ان شيبوبا نادى في عاجل الحال أخاه عنتر
الرئبال وقال له الفارس يا ابن الام الحقني فقد فزت بالظفر

وقرب الله عليك الطريق وأراك من العناء والتعويق قال وكان السبب في مجيء عنتر الى هذا المكان الشيخ أبو البنات الذى أنفذته العجوز كما قدمنا في العبارات وانه قد سار على ناقته وحد المسير من وقته وساعته ومازال سائرا يجد المسير الى ان وصل الى مكة المشرفة والبيت الحرام وقطع هذه المسافة في ستة أيام ولما صار في مكة اخذ أخبار عنتر من بعض الاقوام فأرشدوه اليه لان عنتر كان يعرفه سائر الانام ثم لما وصل الى ذلك المقام صار يتسلى بأخيه شيبوب في الضياء والظلام وبالصيد والقنص واغتنام اللهو والفرص ولازال منتظرا العرضيات حتى استوفى هذه الامور المقضيات الى أن وصل ذلك الشيخ اليه وصار بين يديه وأعلمه بقصة شاس وماتم عليه وانه قد أتى وتركه في حالة العدم وان لم تدركه والا يشرب كأس النقم فقال شيبوب الى حيث ألقت رحلها أم قشعم لانه لم يكن لاخي عدو غيره ولا ضد سواه فلا فرج الله عنه ما هو فيه وعاقبه بما يجازيه فقال عنتر لا تقل هذا المقال يا شيبوب وكن قريب الرجوع حتى تصير عند الناس محبوب واعلم انه لا ينال العلا الا من ليس عنده حقد ولا ظلم ولا اعتدا فان الظلم يا أخي عاقبته الندم ولا تؤمن عواقبه بين الامم فدعني أتحمل عن قومي المصايب ولا أشمت بهم الاعداء ولا الحبايب عسى أن يفرج عني الطالب الغالب ثم انه أنشد يقول

لا تحمل الحقد يا شيبوب واتركه * فلا ينال العلا في الناس من حقدا
فالبغي شؤم فلا تأمن عواقبه * واعلم بأن لا يفادي يومه بغدا
دعني أحمل نفسي كل نائبة * فان سلمت والا مت مجتهدا

وألقا جميع العدا فى كل معركة * وأموت موت كريم قد لقى رشدا
واعف عن الاهل لا أبغى لهم بدلا * واخدم القوم حتى أعدم الجلدا

(قال الراوى) ثم ان عنتر لما فرغ من ذلك الشعر والنظام أكرم الشيخ غاية الاكرام وشكره على ما فعل من ذلك الاهتمام وأقام باقى يومه وليلته حتى ان ذلك الشيخ استراح وقام عنتر وركب معه عند الصباح بعد ما لبس آلة الحرب والكفاح وقال للشيخ قم يا كريم النسب ودعنا نسير الى خلاص الامير شاس المنتسب من قبل أن يتم عليه الويل والنصب فقال الشيخ ان هذا الامر قد وجب وقد لحقه من حسن مروته العجب وساروا يجدون للسير فى المهامه والقفار ويوصلون بسير الليل سير النهار الى أن لحقوا شاسا وهو على ذلك الحال وقد أشرف على الهلاك والوبال وقد وقع مع بنى الريان فى ذلك المكان فلما ان رآهم شيبوب أرماهم بالنبال فلوا عليه بالرماح العوال والسيوف الصقال وقصدوه من اليمين والشمال فصاح فى أخيه عنتر فارس الرجال فهمز عند ذلك الحصان وقوم بين أذنيه السنان وحمل عليهم حملة الاسد الضيغم بعد ما همهم ودمدم وبربر وهدر وصرخ بصوته الجهر وهجم عليهم كأنه الاسد القسور ولما رأوا ما حل بهم من الضرر من فعل شيبوب وأخيه عنتر ضاق فى أعينهم البر الاقفر لان شيبوبا رمى منهم ثلاثة بالنبال وقتل عنتر منهم ستة وأسرع فيهم النكال ولم يسلم من تلك العشرة غير فارس واحد لانه كان تحته مهرة أسبق من ريح الشمال فصاح فيها وأطلق لها العنان وطلب أهله وسلم من القتل والهوان وقد اشتغل عنتر عنه بشاس لما رآه فى ذلك الخذلان وقد حل يديه من

كتافه وفك ذلك الحبل من أطرافه وفي عاجل الحال انكب
عليه وصار يقبل صدره ويديه ويهنيه بالسلامه مما هو فيه
وشاس من حياه طاطي الراس عادم الحواس من شدة الحيا
الاسد من عنتر الرياس ولم يدر هو في أرض أم في سما فقال له
عنتر يا مولاي أي شيء هذا الحال ومالك هكذا مشغول
السر والبال والله ما خاقت الرجال الا لملاقاة الاهوال ولا لاحد
حيله فيما قضاه وقدره الملك المتعال قال فلما سمع شاس من عنتر
تلك الاقوال قال له والله يا أبا الفوارس ما أنا حامل هم هذه الاهوال
وما أنا متفكر الا ما صنعت أنت معي من الجميل وكيف تفضلت
على غاية التفضيل وأنا أقسم بالبيت الحرام وزمزم والمقام ان
قتلي أهون من وقوفي بين يديك في المقام وأنا أقسم بمن له
البقاء والدوام وهو ذو الجلال والاكرام ان لم تمكني مما
أريد لاقتلن نفسي وأشرب كاس الحمام فقال له عنتر وما ارادتك
قل لي حتى انني اتبع اقوالك وابلغك المرام فقال له شاس اعلم
يا أبا الفوارس اني أريد أن أقبل يديك وأقدامك حتى أوفي بعهدي
الذي عاهدته الملك العلام ثم ان شاس انكب على أقدام عنتر
وجعل يقبلها وعنتر يقسم عليه بمن خلق الضياء والظلام وينهاه
عن تلك الاعمال هذا وشاس يقول اني لم أجد لجمائلك مكافأه
ولم يزل يقبل أقدامه ويديه الى أن شفي غليل قلبه وجواه وبعد
ذلك رفع راسه وقد اطمأنت بذلك انفاسه هذا وشيبوب
يقول له يا مولاي نحن ما نريدك تقبل يديه ولا تبوس قدميه بل
نريد ساعة وصولنا الى الحلة تسعى في زفاف عبلة بنت عمه عليه
حتى تقر بذلك عيناه فقال شاس لا كلام في ذلك اذا وصلت الحي

وأنا سالم كان لنا تدبيرا آخر يشتهر بين العالم قال ثم انه ابتدأ
يحدثهم بما فعلت معه العجوز الكندية أم البنات زوجة الشيخ
الذى سار الى عنتر وأعلمه بشاس وأخبره كيف انها أحسنت
معه الوداد وهذا كله يقوله شاس وعنتر قد تحير من تلك الفعال
وكيف وصلت به هذه الاهوال ثم انه بعد ذلك عدل به
لى الغدير وبادر الى نفسه بالتشمير وقام ثيابه وأزال ما عليه
من ذلك السواد وجعل يحميه و يعرك بدنه و يقبله و يضمه الى
صدره قال ولما فرغ من ذلك الشان أخرج له بدلة أخرى وأفرغها
عليه وأتى له شيبوب بجواد من الخيول الشاردة فى ذلك المكان
الذى قتل عنتر فرسانها وأنزل بهم الهوان وأتاه بعد ذلك بعدة
كاملة وآلة حرب شاملة وأقبل عنتر على الاشعث ابن عباد
الذى كان أخبره بخبر شاس ابن الاجواد وقال له خذ أنت هذه
الخيول والاسلاب تعينك على وقتك وعد من ههنا الى أهلك
وعشيرتك فجزاك الله عنا كل خير ولا لقيت هما ولا ضير
فشكره الاشعث على ذلك وأثنى عليه ثم انه من وقته وساعته سار
طالب دياره وحلته وقد بلغ أمنيته وزالت من قلبه حسرته
وكملت له مسرته هذا وعنتر وشاس سار طالبين بنى عبس
وعدنان وهما فرحان بما حصل لهما من ذلك الامر والشان وقد
صار عنتر يحدث شاسا بما جرى له وأعلمه بسائر أحواله وكذلك
شاس أعلمه بجميع أحواله هذا وهما سائران فى البر والفدفد
وشيبوب بين أيديهم كأنه الثعبان الارقط أو الذئب الامعط
وهو ينسف الارض نسفا ويعسفها عسفا ويهمز همزات الغزلان
وهو كأنه النمر الحردان قال ولم يزالا سائرين يقطعان الارض

والوديان قدر ساعتين من الزمان واذا هما بغبار من ورائهما قد ثار وسد جميع الاقطار قال وكان ذلك الغبار غبار بني الريان وقد تبعوهم من خلفهم مع مقدمهم حسان وكان السبب في وصولهم الى ذلك المكان الفارس الذي سلم من العشرة فرسان لانه لما نجا على جرته سار الى أن وصل الى عشيرته واعلمهم بما جرى على أصحابه من الامر والشان فصاح عند ذلك المقدم حسان وثار كأنه النمر الحردان أو الاسد الغضبان ونادى الخيل يا ارباب الخيل فأتاه بنو عمه كأنهم السيل وقالوا له ما الذي حل بك من الذل والويل فاخبرهم بما حل ببني عمهم من الاضرار وكيف أنهم أهلكوا في القفار فعند ذلك لبسوا آلة الحرب والكفاح وركبوا على الجرد الملاح وساروا يجدون السير في الصحصحان الى أن لحقوا عنتر في ذلك المكان وكانوا ألفا ومائتين عنان عند ذلك صاح حسان وقال يا بني عمي دونكم وهذا القرمان فتسابقت عند ذلك اليه الشجعان وتصايحت الفرسان فرحا بادراك الطلب وتلاحقوا بعنتر وشاس وجاؤهما من كل حدب وضاق عليهما البر والسبسب وعلا الغبار وطنب فتأمل شاس وحل به العطب وقال كم أهرب من الموت وهو لي في الطلب وكم اتخلص من الاسر ولم أدرك الارب وكم أحذر فلم ينفعني الحذر ولكن اذا نزل القضاء عمي البصر ثم ان شاسا تنهد وتحسر فتبسم عنتر من ذلك الفعل المنكر وقال له يا مولاي لأي شيء هذا الحال وكيف تخاف من هؤلاء الانذال أبشر بالسلامه واترك ما أنت فيه من الندامه واعلم يا مولاي أن كل من لحقنا من الناس لا يكونون أكثر من ألف ومائتين فارس

117

أرجاس وحق من يعلم عدد الانفاس لابقلي من ضرب رقابهم وأعجل لهم الانتقام ولا أدع يرجع منهم شيخ ولا غلام الا من كان في أجله تأخير ويوسع في البر والاكام فلا يأخذنك رعب ولا يرجف قلبك وأخل لعبدك سرك وانظر منه مايسرك ثم انه أنشد يقول

مولاى لا تستشعر الخوف والرعبا

فدونك عبدا أسود لا يعرف الهربا

وحقك لو كانوا الوفا لقيتهم * وبددتهم شرقا وفرقتهم غربا
أنا صورة الموت التي من تصورت * له فارق الاموال والام والابا
أنا عنتر العبسي فارس قومه * اذا برز الفرسان في حومة الحربا
تطيع سيوف الهند كفي لانني * اذا اشتد يوم الروع أشبعتهم ضربا
وسمر القنا عند العدا تشتكي الظما

وعندي تروى حين أعطش الورى شربا

على ما أقول السيف يشهد لي عاتقي * اذا لم أركب به على مركب صعبا
الا يابني عبس أنا اليوم منكموا * وفخري منسوب الى ذلك الابا
سأحميكموا حتى أموت ومن يمت * كريما فلا لوم عليه ولا عتبا

ولما فرغ عنتر من ذلك الشعر والنظام ووصف فرسيته على الحقايق استقبل الخيل بطعن أشد من الصواعق وجواده يتدفق من تحته مثل السيل وانصب عنتر على الفرسان انصباب الويل وكالهم بالكيل هذا والفرسان كلما رأته تشرد من بين يديه في جنبات الارض وعنتر يعددهم طولا وعرض وشيبوب يرمي خلفه بالنبال فيصيب بها مقاتل الرجال هذا وقد على عليهم الغبار حتى غشي منهم الابصار وعقد مثل الدخان

وحارة العقول والاذهان وصارت الموالى وبين يديه مثل الغلمان
وذهلت منهم العقول ورؤا الهول المهول وقع عنتر بالمقدام
حسان بن صفوان سيد بنى الريان وهو يصيح فى الفرسان
وينخى الابطال والشجعان ويقول لهم ياويلكم ما هذه المحنة التى
طرقتكم والامور التى دهمتكم والمصائب التى عمتكم من
فارس واحد لخصم تم وغلبتم وهو قد اهلككم وفرق شملكم
وبدد كم ياويلكم اقصدوه بالرماح من كل جانب وشيلوه على
رؤس الاسنة والقواضب والاصر ثم معيرة عند جميع الاعارب
ياويلكم ما انتم فرسان ولا فلوبكم قلوب شجعان اذلكم
الله بين العربان ونديتكم النوادب وأتتكم المصايب ياويلكم
خابت منكم المقاصد وخرجت من رؤسكم نخوة الاقران وأرى
فارسا واحدا قد أفنا كم أقصاكم وأدنا كم وكأنى به وقد
خرج من أرضكم سلما وتلبسوا العار عند كل قاعد وقائم
دائما فبينماهو يقول ذلك المقال واذاهو بعنتر وقد طبق عليه
مثل الاسد الريبال وكان عرف أنه مقدم تلك الفرسان فزعق
عليه زعقة ارتجت لها القيعان وجميع الفلوات والجبال فلحقه
من ذلك الزعقة الخبال والانذهال ثم ان عنتر مال عليه مثل الاسد
وضايقه مضايقة الغيظ والحرد وطعنه بين شدقيه أخرج نصف
الرمح من بين كتفيه وجذب الرمح منه فوقع الى الارض وصار
يختبط بدمه طولا وعرض وكان تحته جواد من الخيل العتاق
يصلح ليوم السباق ويوافق البرق فى اللحاق فقال لاخيه شيبوب
أمسك هذا الجواد الى مولاى شاس وسلمه اليه وبشره بالسلامة
والنصر و يقلل الخوف والغيظ ويتمثل بالفخر وكان جواد شاس

قتل

قتل وفرغت مدته لان فارسا من فرسان بني الريان ضرب شاسا
بسيفه المهندوان فجاءت الضربة على عنق جواده أبرته وأراد أن
يثنى على شاس حين وقع الى الارض والصمصمين فضربه عنتر
بحسامه قسمه هو وجواده نصفين وأخرج شاسا بعيدا عن المعمعة
الى أن قتل عنتر سيد بني الريان فأمره كما ذكرنا أن يسلم لشاس
الحصان فأخذه شيبوب وخرج من المعمعة وانطبقت على
عنتر الفرسان وقصدوه من كل جانب ومكان ودارت به عن
اليمين والشمال وتطابقت عليه في حومة المجال هذا وعنتر قد
زعق فيهم وصاح وأبرى بسيفه عوامل الرماح وجود الضرب
بالبيض الصفاح الى أن أجرى دماهم على الربا والبطاح من
شدة الصياح هذا كله يجرى وشاس ينظر الى فعاله ويتعجب
من أعماله ومازال كذلك حتى وصل اليه شيبوب بذلك الجواد
المفتخر وقال له يا مولاى نهنيك بالنصر والظفر ثم انه سلم اليه الجواد
وآلة الحرب والجلاد فهدى منه الحواس وقال لشيبوب
لاعدمتك من دون الناس قال ولما رأى روحه راكبا على ظهر
الجواد وقد ذكرنا فيما تقدم من المقال انه كان فارسا بطال فما رأى
على نفسه أن يقعد عن الحرب والقتال فحمل حملة الاسد
الاغلب وقد قوى قلبه بذلك الجواد المنتسب واقتحم الغبار
والقسطل وأبرى بحسامه القلل وأوقعها الى الارض مثل الحنظل
وأما عنتر فضرب بشجاعته المثل وتبطل عند فروسيته جميع
الخيل فأقام على ساق وقدم وأعاد وجود القوم الى عدم وحكم
عليهم بذلك منشى جميع الامم ومازالوا على ذلك المرام حتى
أقبل الليل بالظلام وولى النهار بالابتسام وعاد عنتر من الميدان

بعدما قتل سيد بنى الريان وأجرى دماه فرسانه كالغدران
ومن كان فى أجله تأخير تشتت فى السهل والجبل وخاب رجاهم
والامل والبلاء عليهم قد نزل فساروا وهم يقولون ما أشد قوتك
وما أنفذ طعنتك وما اقوى ضربتك هذا وقد التقا عنتر بشاس
فعمده واثنى عليه وقبل صدره ويديه وقال له يا مولاى والله
ما كان هنا أمر يحتاج الى تعبك وعناك فعبدك الكفاية لمن عاداك
ولكل من يطلب أذاك فلو طال عليهم النهار ما تركت منهم
ديارا ولا نافخ نار ولا من يوصل الى قومهم الاخبار فشكره
شاس على فعاله وزاد تبسمه من مقاله ثم أنهم عولوا على النزول
فى تلك الارض والطلول حتى يأخذوا لهم راحة مع الخيول مما
حصل لهم من ذلك التعب وما جرى عليهم من الويل والنصب
ويسيرون فى غداة غد ويأمنوا من الويل والعطب فقال لهم
شيبوب اسمعوا منى يا بنى الاجواد ولا تنزلوا فى هذه الارض والمهاد
فانا أخبر بها من جميع العباد وما فيها منهل ولا ماء الا وأعرفه
وأصفه واعلموا أن أمامنا شعب مضيق ونخاف من فرسان بنى
الريان الذين انهزموا منا اذا طلبوا ديارهم والاوطان ان يجمعوا
علينا من القبائل جميع الفرسان ويمسكوا علينا الطرق والوديان
ولاسيما ان مسكوا علينا راس المضيق فيحصل لنا من جهتهم
النكال والتعويق فالرأى عندى أتتبعونى تجدون المسير حتى
أقطع بكم بلاد اليمن واعدل بكم الى زبيد وعدن واكمنكم
فى جبالها ونقطع الليل فى شعابها ونسير بعد ذلك حتى نخرج من
أرض الدماية وبنى غيلم ومن هناك نركب على الطريق الاعظم
ونسير بعد ذلك فى جبال خشاخش والتناصب وتلك الوديان

ومن

ومن هناك الى أرض بنى عبس وعدنان ونكون قد أرحنا
نفوسنا من التعب واللوم ولانهلك أرواحنا بقتال هؤلاء القوم
قال فلما سمع عنتر من أخيه شيبوب ذلك الخطاب رآه عين الصواب
فقال له يا ابن الام افعل ما بدا لك نجح الله أفعالك فسر أمامنا ونحن
نسير خلفك ونمتثل أمرك وكانت الخيل معهم كثيرة فصاروا
يتنقلون عليها خوفا على خيلهم الجياد من أن يتعبوها فربما انهم
يحتاجونها هذا وشيبوب قد جد السير بهم وعنتر وشاس يتحدثان
بما جرى لهما وما زالا على تلك الحال وهم سائرون فى البر والاطلال
مدة خمسة أيام وفى اليوم السادس جازوا بنى الريان ولاح لهم
وجه الامان وما زال شيبوب يقطع بهم البر على غير الطريق
حتى نزلوا على ديار قضاعه ورأس المضيق وكان ذلك فى سابع
يوم من مدة السير حتى أدركهم الطريق الكبير وعنتر يتعجب
من شيبوب ومن معرفته بتلك البلاد وخبرته بتلك الارض والوهاد
وسيره كأنه ذكر النعام يشق الارض والآكام وهم سائرون
خلفه على الآثار يقطعون تلك البرارى والقفار فلما كان
فى الليلة الثامنة نزلوا على أمياه بنى غيلم وتلك الديار فأقاموا فيها
للراحة حتى قربهم القرار وقدموا بين أيديهم شيئا يأكلونه
من الزاد والطعام فلما اكتفوا طلبت العين حظها من المنام
وكانوا فى الليالى التى مضت كثيرون السهر والسهاد خوفا من
أمر يأتى من الرجال الاوغاد فعند ذلك نام الامير عنتر الى وقت
السحر فلحقه عند ذلك الضجر وزادت به الفكر فاستوى
جالسا وقد انذعر وفاض دمعه على خده وانحدر وتنهد وتحسر
لانه رأى عبلة فى المنام فزاد به الوجد والهيام وقد طار من

عينيه النعاس فتجاذب الشعر خاطره فباح بما كنت عليه ضمائره وأنشد يقول

زاد الخيال خيال عبلة فى الكرى * لمتيم نشوان من ألم السرى
فنهضت أشكو ما ألاقى من الهوى * والدمع من عينى قد بل الثرى
فضممتها حتى أقبـــل ثغرها * فتبسمت مسكا يخالط عنبرا
وكشفت لبرقعها فأشرق وجهها * حتى أعاد الليـــل صبحا مسفرا
ثم انثنت فعجبت كيف تبسمت * بوجه تراه العين بدرا مقمرا
عربيـــة يهـــتز لين قوامها * فتخاله العشاق رمحا أسمرا
أعجوبة بصوارم وذوابـــل * بيض ودون خيامها أسد الشرى
يا عبـــل حبك فى عظامى مع دمى * لما جرت روحى بجسمانى جرى
والشوق ساكن فى الفؤاد وفى الحشا
وأنا المعنى فيـــك من دون الورى
يا رب جرنى من غـــرام قاتلى * دوما يزيد به غـــراما آخرا
يا شـــاس لولا أن سلطان الهوى * ماض العزيمة ما تملك عنترا

(قال الراوى) وكان شاس ذلك الوقت كأنه قد استيقظ من المنام فألم قلبه ذلك الكلام وجرح فؤاده من شكواه وتعجب بما أنشده وأبداه فقام اليه وسأله عن حاله فأعلمه عنتر بما رآه فأوعده شاس بما يريده ويتمناه وقال له طب نفسا وقر عينا فما بقى هناك ضير ولا يحصل الا كل خير فوحق الكعبة الغرى وموجد الاشياء بلا امترى لآخذن لك عبلة ان ما رضى أبوها قهرا ثم انه جعل يسليه ويطمن قلبه ويخفف همه وكربه قال وما زالا على مثل ذلك الكلام حتى ولى الظلام وأقبل الصبح بالابتسام وطلعت الشمس على رؤس الروابى والآكام فركبا

وساروا يعسفان فى البر تمام العشرة أيام وبعد ذلك وقعوا فى أرض يقال لها ذات الاعلام وكان وصولهم الى ذلك الوادى عندما ولى الظلام فبينما هم سائرون فى تلك الاكام واذا قد ظهر من بين أيديهم ستة هوادج على ستة جمال وعلى رأس كل هودج هلال وعلى الهودج ثياب من الديباج مصفحة بصفائح الذهب الوهاج وعليها شراريف من الحرير الابريسم الاصفر والاحمر والاخضر محبوكة أطرافه بالقصب المفتخر يأخذ ضياء لونه بالبصر وحولهم جملة من العبيد الاجواد وكل واحد منهم كأنه طود من الاطواد وكلهم بالدرق والحراب النافذات والعمائم الكوفيات ومتقلدون بالسيوف المشرفيات وقد ملؤا الوادى بالصياح والضجات وهم يلعبون فى تلك الفلوات ومن خلفهم جملة من الجوار والمولدات وعليهن حلل ملونات وقد داروا بتلك الهوادج السائرات وتقدم على الجميع فارس فى الحديد غاطس وهو طويل من الرجال عريض الاكتاف والاوصال مضيق الاتام كثير الاحتشام مليح القوام صلب العظام له وجه كأنه البدر التمام اذا ظهر من تحت الغمام وعلى جسده درع عليه معصد وفوقه ثوب ديباج مزرد وعلى رأسه بيضة عاديه لامعه تتوقد متقلد بسيف عريض مهند محلا بالذهب المنضد وعلى كتفه رمح طويل مكعب وعلى رأسه سنان يتلهب كأنه جمرة عقرب أو قبس على مرقب أو انما ر ذات اللهب يعمل فى الصحيح والمريض كما تعمل النار فى الحطب وتحته جواد كأنه ملهب كثير الخبب طويل الذنب قليل التعب يدرك اذا طلب ينجى صاحبه من العطب اذا أراد الهرب تربية ملوك العرب

أصحاب الحسب والنسب أهل المعالى والرتب وعليه سرج مذهب وذلك الفارس سائر قدام الهوادج والجمال غير مكترث بلقاء الابطال فقال شاس لعنتر وقد أعجبته تلك الهوادج والاجمال وذلك الفارس الموصوف بالجمال ان هذا الفارس لا يخلو من احدى الحالتين فاما أن يكون عالى النسب أو مقدما من مقدمين العرب حتى انه سائر وحده فى هذا البر والسبسب وما ذلك منه الا احتقار بالفرسان أو ثقة من نفسه بملاقاة الرجال والشجعان والصواب أن تتقدم أخوك شيبوب اليه ويسأله عن أحواله ويأمره بترك ظعائنه وأمواله ويسمع ما يبديه من مقاله فلما سمع عنتر من شاس ذلك الكلام وما تكلم به فى حق ذلك الغلام فقال له يا مولاى أبشر بما يسرك وادفع ما يهمك ويضرك ولو أنه من أبطال البيدا ومن بنى معد بن عدنان لابد أن أذله بين يديك فى هذا المكان ثم قال لاخيه شيبوب ويلك يا ابن الام تقدم الى هذا الغلام وأنذره وحذره من شرب كأس الحمام وقل له أن ينجو بنفسه قبل أن يحل به الانتقام فعند ذلك أطلق شيبوب قدميه كالريح وطلب البر الفسيح فهذا ما كان من شيبوب وكلامه وأما ما كان من الغلام وأحواله فانه لما نظر الى شاس وعنتر أنكر سيرهم فى ذلك البر الاقفر وذلك المهمه الاغبر ورأى شيبوبا قد انفرد من دونهما فى طلبه وعلم أنه قد أتى فى سببه حتى يعرفه وينظر فى نسبه فقال لبعض عبيده انطلق الى هذا الرجل القادم علينا وأعلمه من انا وخوفه لعل أن يحل به العنا ولا تتركه يدنو الى الهلاك والفنا واستخبره ان كانت أصحابه من فقراء العرب دعهم يدنوا حتى أنعم عليهم

واعطى

121

وأعطى كل واحد ما طلب وأخلع عليهم بعض الملبوس وأزيل عنهم الفقر والبؤس وان كانوا من أهل الشر والطمع فردهم والاحل بهم سوء المصرع وقل لهم يعودون ولا يتعرضون للهلاك وسوء الارتباك وقطع الاجل والموت المعجل قال فلما سمع العبد من مولاه ذلك الكلام أجابه الى ما طلب من المرام وانطلق مثل المحبوب وغدا على قدميه حتى انه التقا مع شيبوب وصاح به الى أين أيها الساعى الى حتفه برجليه الطامع فيما لا يصل اليه فقال له شيبوب ما أتيت الا لآخذ ما حوته يد صاحبك من الاموال والنوق والجمال فارجع اليه وقل له يسلم ما فى يديه من قبل أن تتمكن الحسام من وريديه وترى سهام المنيه واصلة اليه وغربان الفلا حائمة عليه فلما سمع العبد من شيبوب ما بداه اليه انقلب فى أم رأسه مقل عينيه وقال له يا عبد الحرام وابن الأمة وتربية اللئام وحق البيت الحرام لقد أسأت الأدب فى الكلام وتكلمت بكلام الجهل والمحال أتدرى من هو هذا الفارس المقبل عليك هذا الذى تضرب به الامثال وترتعد من ذكره صناديد الرجال والابطال هذا صاحب الجود والافضال فقال له شيبوب وقد تعجب من ذلك الكلام ويلك يا ولد الحرام لمن نسب هذا الغلام الذى وصفته بهذه الصفات وفضلته على جميع المخلوقات ومن يقال له من الفرسان والى أين أنتم سائرون بهذه الاموال والنسوان فأخبرنى بالصحيح ودع عنك الزور والتوبيخ فقال له العبد أما نسب صاحبى فانه رفيع وجنابه منيع وجماله بديع واسمه روضة بن منيع وأما سيرنا فهو الى بنى عبس الاجواد لنخطب عبلة بنت مالك بن

قراد ومحارب قومها فى الجبال وتنظران كانت كما قيل فيها من الحسن والجمال يأخذها من أبيها على أى حال وكان هذا الفارس المقدم ذكره من قبيلة يقال لها بنى سعد وقد حوى الشجاعة والكرم والحسن والجمال وقد حوى أكمل الخصال وأبوه مات وهو طفل صغير وترك له من الاموال شيأ كثيرا فربى فيه الى أن بلغ مبلغ الرجال وضيع أكثر أمواله على الرجال والابطال حتى انهم علموه خدائع الحرب والقتال واشتد قوامه على ملاقاة الابطال وكان اذا غزى مع بنى عمه الاحياء والحلل يقتل كل فارس بطل ويرجع بالمال الكثير بالغ الامل ويريد بنو عمه اعطاءه شطر المال فيقول لهم يابنى عمى لا آخذ لنفسى منها عقال فانى غنى عن هذه الاحوال وربما يزيدهم من ماله وكان لا يبخل على من قصده ولا يرد من أتى له ولا زال معهم على تلك الاحوال حتى احتوى على عقولهم بالاحسان والنوال ومن شدة محبتهم له ورغبتهم فيه أرادوا أن يجعلوه مقدما عليهم ويعطوه الامارة عليهم مثل ما كان أبوه مقدما على العشيره لما رؤا فيه من الصلاح والبصيره لانه لما مات أبوه تركه كما ذكرنا طفلا صغيرا فأخذ عمه الامارة ولما كبر روضة وبلغ مبلغ الرجال وصار يعد من الابطال الثقال تحدث معه بنو عمه فى منصب أبيه وذكروا له ما كان عليه من الحال فقال لهم يابنى عمى ان الامارة لها شروط تؤدى الى حمل الاثقال وأنا قصدى مصادمة الرجال فى حومة المجال وحق البيت الحرام وزمزم والمقام أشتهى أن أقع بمن يقهرنى فى حومة الميدان وأنا أنفق عليه مالى وأصاحبه طول الزمان (قال

122

الراوى) لهذا الايقاع انه كان لروضة ابن عم يقال له الاسبوع
ابن دراع وكان فارسا شجاعا وقرما مناعا وكان يبغض روضة
بغضة شديده وذلك من أمور عديده أحدها أنه كان يخاف
أن يموت أبوه وترجع الامارة اليه ولا ينال ماهو عازم عليه
والثانى كلما رأى روضة علا قدره وارتفع ذكره وزاد نهيه
وأمره يحسده ويتمنى هلاكه وعطبه وكانا اذا حضرا
على الطعام والشراب لاتسمع روضة بذكر الا الطعان
والضراب فيقول له يا روضة لم تطلب شيئا ماله نهايه وتريد
أمرا لاتريد به غايه أرأيت أحدا بلغ فى زمانه النهايه ثم أنه صار
يحدثه بحديث فرسان العرب أصحاب الحسب والنسب
ويكثر له من ذلك الايراد حتى وصل الى حديث عنتر بن شداد
وكيف انه حضر قدام الملك كسرى أنوشروان وكيف قتل
بطريق قيصر ملك عبدة الصلبان وكيف عاد من عنده بكثير
من الاموال الحسان والممالك والجوار والغلمان وأخبره بما
قاله فى حق عبلة من الشعر والنظام وما وصف فيها من الحسن
والجمال الفتان هذا وروضة يسمع ذلك المقال وقلبه يكاد
أن ينقطع وقد علم مراده وعرف وتحقق أنه يريد بذلك ابعاده
لاجل أن يقتل ويبلغ هو رشاده ومازال الامر كذلك حتى تواترت
الاخبار وتناشدت فرسان بنو سعد بما قاله عنتر فى حق عبله
من الاشعار وتحدثوا فيما ظهر من عنتر من قوة الجنان وثباته
فى موقف الضرب والطعان وفصاحة اللسان وما أعطى من
الشجاعة فى حومة الميدان فقال روضة فى نفسه هذا هو أوحد
العصر والاوان والذى يبارزه ويقهره تذل له الفرسان وتحمل

اليه الخفارة من جميع العربان ولاشك أن بنت عمه عبلة بديعة في الحسن والجمال والالماشاع لها هذا الاسم على ألسنة النساء والرجال وقد أعطاني الله الشجاعة والفصاحة وكثيرا من المال وأريد أن أجتهد في بلوغ الآمال ولا أدع أحدا من العرب يذكر بفضله الاأنا وأنال العز وبلوغ المنا ثم انه حدثته نفسه أن يسير الى بني عبس وعدنان ويبارز جميع الشجعان وبعد ذلك يخطب عبلة من أبيها ويملك جمالها ويحتويها ويقول لابن عمه هذا غاية الشرف الذى كنت تعاير في به بين الفرسان قال ولما تصور ذلك في نفسه دخل في عاجل الحال الى أمه وشاورها في أمره وقال لها يا أماه ادعولي لعلي أبلغ بدعائك الآمال فقالت له أمه افعل ما بدالك نجح الله أعمالك ولاتترك أحدا يضاهي فعالك لان نسبك رفيع وجمالك بديع وحيلك شديد منيع ورأيك موفق سديد وحلمك ماعليه مزيد فلما سمع روضة كلام أمه قوى على ذلك قلبه واطمأن في عزمه وأخذ معه هدايا وأموالا وعول على الارتحال قال وكان له خمسة أخوات بنات مخدرات مخبئات وهن كالنجوم الزاهرات والظباء النافرات فأخذهن معه حتى اذا تزوج بعبلة وعاد الى حلته تكون بينهن فأظهر لقومه أنه سائر الى أخواله بني كنانه أصحاب الوفاء والامانه وقد أكثر من الاموال وأمر العبيد أن يشدوا الهوادج فوق الجمال ورفع أمه واخواته اليهم في عاجل الحال وسار يطلب ديار بني عبس وعدنان وبين أياديه الاماء والعبيد والغلمان ومازال سائرا الى أن التقا بشاس وعنتر وشيبوب في ذلك المكان وجرى لشيبوب

كماذ كرنا مع عبده فى بداية الكلام ماجرى فتعجب شيبوب من ذلك الحال وعاد الى أخيه عنتر وهو متبسم وأعلمه بذلك المقال فقال عنتر وما يقال لهذا الفارس بين الفرسان والى أين سائر بهذه الخيرات الحسان فاخبره شيبوب بالخبر وأعلمه بالامر الذى جرى وتدبر فقال عنتر يا للعرب وحق الكعبة الغرا وأبى قبيس وحرى ان هذه قصة لابد أن تكتب وتكون عبرة للورى فقال شاس صدقت يا أبا الفوارس وان لكل منية سببا وسبب منية هذا الغلام الطمع وهو الذى قاده الى الهلاك وسوء المصرع فوالله انى ما رأيت أحسن من ركبته ولا أزين من طلعته فقال عنتر عجبه بنفسه هو الذى ساقه الى منيته ورمسه وأتى به الى حتى أعدمه حسه ثم انه افتقد جواده الابجر بعد ما اعتقل برمحه الاسمر وتقلد بسيفه الضامى الابتر ونزل الى حومة الميدان ونادى دونك يا غلام وحرب من جئت له طالب ولبنت عمه خاطب وفى وصالها راغب حتى ترى بعينك ما سمعت عنه من العجائب قال فلما سمع الغلام من الامير عنتر ذلك الكلام تبسم وسار اليه وفى عاجل الحال تقدم بين يديه وكان تقدمه تقدم المعجب بنفسه المحتقر بابناء جنسه الذى لا يخاف ولا يكترث بمن يسكنه رمسه ولما صار قدام عنتر وهو لا يخاف ولا يدعر ولما قدم اليه وبقى بين يديه رأى الشجاعة لائحة بين عينيه والفروسيه تشهد له لا عليه هذا وروضة قال لعنتر أيها الفارس والقرم المداعس من تكون من فرسان عدنان والى من تعرف فى حومة الميدان فانى أرى الشجاعة لائحة عليك والنجابة تشهد لك لا عليك فقال له عنتر لما سمع كلامه يا ويلك ما أعمى بصيرتك بين الفرسان وما أقل خبرتك

بمعرفة الشجعان واعلم انني أنا الطويل النجاد الرفيع العماد
أنا صاحب الثبات والاقدام أنا صاحب الحرب يوم الطراد أنا حية
بطن الواد أنا حامية عبس الاجواد أنا عنتر بن شداد أنا ابن
عم تلك العروس الذي جئت من أرضك في طلبها وتريد انك
تخطبها أنا بعل العبسية الذي أنت تعشقها قال فلما سمع الغلام
من عنتر ذلك الكلام تبسم تبسم العجب ونادى وقال يا للعرب
من هذا الامر الذي يجب أن يؤرخ ويكتب بماء الذهب لما فيه
من العجب ثم انه عاد من قدام عنتر الى نحو الهودج الذي فيه والدته
ونادى يا اماه اعلمي انني بدعاك قد بلغت الارب وتيسر على يدي
المسالك ونلت الطلب واعلمي أن هذا الفارس الذي ترينه هو عنتر
ابن شداد فارس الحرب والجلاد وقد بلغت من مقابلته المراد
وهو الذي كان يصفه لي ابن عمي الاسبوع ومن أجله هجرت
الاطلال والربوع أين عينيه حتى تنظر ما يجري من النصر
والظفر وما ألقى من الحظ في هذا البر الاقفر وان هذا يا أماه
ما نلته الا ببركة دعاك حتى تنظري ما تقر به عيناك قال فلما تم
الكلام وما أبداه من المرام حتى ارتفع سجاف الهودج وأشرفت
امه براسها وبدت له حواسها وكان لها وجه مدور وعيون
كعيون الغزال الاحور وقالت له يا ولدي بارك الله فيك
وإبانك جميع امانيك فاذا كان هذا عنتر فلاي شيء عدت من
قدامه بلا فائده ولا مقصود حتى أشمت بعودتك الحسود أما أنت
له طالب وفي زواج بنت عمه راغب فعد اليه وسر بين يديه
وافعل كما فعل أبوك من تشييد المناصب والمناقب فلاي شيء
أتيت تبشرني ارجع على خصمك في عاجل الحال ولا تعد من

قدامه الا بالانفصال وبلوغ الامال قال فلما سمع روضة كلام امه وما ابدته اليه من ذلك العتب والملام ثارت فى راسه النخوة العربيه والحمية الجاهليه ورجع الى عنتر بغير العزيمه الاوليه واطلق لجواده العنان وقوم بين آذانه السنان وقد جرد السيف فى يده واظهر من الفروسيه ما عنده واوسع قدام عنتر فى الميدان وجال وصال حتى هدى شعث الحصان وفعل كما تفعل الشجعان اذا التقت مع الاقران وانشد وجعل يقول

لما عرفـــني زمانى لان جانبه * وذل وانصرفت عنى نوائبه
ومن يعاند فى عيت مفرقه * بمرهف الحد لا تنبو مضاربه
انا الذى سجدت سمر الرماح له * وسابقتنى الى جيش احاربه
انا الهمام الذى شاعت فعائله * كم جحفل نزق سيفى مواكبه
وكم قتيل تركت الطير عاكفة * على دماه ووحش البر طالبه
يا عبل مجدك عال فابشرى بفتى * يفنى الزمان ولا تفنى مناقبه
يا عبل عبدك قد حانت منيته * على يدى وقد قامت نوادبه
فليهن قلب ابيك اليوم يا املى * ويرقد الليل ما سارت كواكبه
يا طامع فى هلاك عبد بلا طمع * ولا ترد كاس حتف انت شاربه

(قال الراوى) فلما سمع عنتر مقاله وخطابه ونظر ادلاله واعجابه فقال له قاتلك الله وقتلك ما اجهلك وما اشد املك فلعن الله بطنا حملك وكلبا نسلك ثم انه صار ينظر اليه وقد قامت فى راسه مقل عينيه وصار فى هذه العجائب وما لاقاه من اجل عبلة يتفكر من المصائب فاشار الى روضة واجابه على شعره يقول

كم يبعد الدهر من ارجو اقاربه * ويبعث لى شيطانا احاربه
فياله من زمان كلما انصرفت * صروفه فتكت فينا نوائبه

دهري يرى الغدر من احدى طبائعه
فكيف يهنى بعيش من يصاحبه

جربته وأنا غر فهذبني * من بعد ما شيبت رأسي تجاربه
وكيف أخشى من الايام نائبة * والدهر أهون ما عندي نوائبه
كم ليلة بت في البيداء منفردا * والليل للغرب قد مالت كواكبه
سيفي أنيسي ورمحي كلما نهمت * أسد الدحال له قد مال جانبه
وكم غدير تركت الماء فيه دما * عند الصباح وراح الوحش طالبه
ياطامعا في هلاك عد بلا طمع * لا ترد كأس حتف أنت شاربه

(قال الراوى) ان عنتر ما فرغ من ذلك الكلام والشعر والنظام حتى صدمه الغلام وطلبه مثل الاسد الهجام فاستقبله عنتر أحسن استقبال وأخذ معه في معاناة الحرب والنزال عند ذلك وقع بينهما الضرب وزاد بينهما الكرب فذاق عنتر من الغلام طعنا أمر من الصبر وضربا أشد من حرارات الجمر فاحترز عنتر لنفسه من حلول المصايب لانه رآه يلعب برمحه كما يلعب بقلمه الكاتب فقال عنتر في نفسه هذه نائبة من جملة النوائب وأعجوبة أغرب من جميع الغرائب وقد كمل هذا الغلام الفصاحه والشجاعة والسماحه والرجاحه ثم انه اخذ معه في الجولان تحت الغبار حتى قرب نصف النهار ثم وقف وأظهر الكسل والفشل فلما رأى روضة ذلك ظن انه اختبل فقوم سنان رمحه الى صدره وعليه حمل وقال له انزل يا عبد السوء عن ظهر الجواد وترجل من قبل أن تشرب شراب الاجل هذا وعنتر قد وقف حتى قاربه وصار معه وناشبه لما رأى طمعه فيه فرمى الرمح من يده وسل سيفه من غمده وضرب رمح روضة ابراه من تحت السنان وأمهله

حتى

125

حتى صار الحصان مع الحصان وصاح فيه صيحة الاسد الغضبان ولطمه على صدره بيده رماه على وجه الارض كاد أن يرض عظامه رض وما لحق أن يثور واذا بشيبوب عليه قد انقض وجلس على صدره وكتفه وجعل فى رقبته حبلا طويلا وأنزل به الويل والتنكيلا وساقه الى أخيه حقيرا ذليلا فأوقفه على سوء فعاله وقبح مقاله وهم أن يضرب عنقه ويأخذ جميع ما معه واذا بأمه واخوته قد رموا أنفسهم من الهوادج الى وجه الارض عن الجمال وصرن يمرغن خدودهن على الحصى والرمال وكشفن الرؤس وأرخين الشعور ورمين البراقع عن وجوه مثل البدور وأقبلن على عنتر وأجرين الدموع وأيقن بالذل والقطوع وصاحوا يا فارس الزمان ووحيد الفرسان ارحم بكاءنا وذلنا وغربتنا وقلة رجالنا ان أردت أن تقتل أخانا فاقتلنا قبله ولا تورثنا فقده فانه بقية ما بقى لنا الزمان من الرجال والفرسان ثم ان الاخت الواحدة تقدمت الى عنتر وجعلت تقبل قدميه وأنشدت تقول هذه الابيات

يا فارس الخيل حقا مثل ما ذكروا * أعف ففى قلبنا النيران تستعر

هذا الغلام الذى فى الاسر فهو أخى * من بعده ليس لى روح فتنفطر

أطلقه واعف وجيرنا وا كتسب كرما * منا فانا اليك اليوم نعتبر

أنت الهمام وجمع القوم خاضعة * الى علاك ونار الحرب تستعر

فارحمه واطلقه يا مولاى مكرمة * فهو الرجا لنا والسمع والبصر

قال فعند ذلك تعجب عنتر من فصاحتها واذا قد تقدمت اليه أختها وقبلت يديه وقدميه وأشارت تمدحه بهذه الابيات

يا فارس الخيل دمعي فاض من بصري
فارحم لضعفي فاني قل مصطبر
أطلق فديتك هذا الطفل وارث لنا * فنحن نفديه بالاموال والدرر
ان كان لونك هذا أسواد فحما * فان فعلك يحكي بهجة القمر
فجد على نسوة قد قل ناصرهم * وليس ترجو سوى الرحمن منتصر
الله يعطيك ما ترجوه من أمل * بحرمة البيت والاركان والحجر
قال ثم تقدمت الاخت الثالثة وقد زادت بها الحسرات وأشارت الى عنتر تمدحه بهذه الابيات
يا فارس الخيل والابطال في السبق
والخيل تصهل والفرسان في قلق
قد فقت في الجد كل الخلق قاطبة
والث ثناءى يحاكي العنبرى العبق
فخذ مديحي وجار بني بمكرمة * وارحم بنات حيارى صرن في حرق
أطلق فديتك هذا الطفل وارث لنا
فانه السمع وهو النور للحدق
قال ثم تقدمت الاخت الرابعة وهي كأنها الشمس الطالعه وتعلقت بركاب عنتر وأشارت اليه تقول

ليس لي صبر ولا جلد * وقد براني الشوق والكمد
وقد أصاب الهوى كبدي * فارحم ذل من له كبد
لم أنس يوماً كان بينكما * ونار قلبي الآن تتقد
يا خلاء خذوا بيدي * لانني خانني الجلد
وكحلوا طرفي بروثته * فعسى أن يذهب الرمد
فقد تلفت روحي لفقد همو * وفقدت لذيذ العيش والرغد

126

أيها الليث الذى خضعت * له الابطال والاسود
جد علينا بالخلاص فقد * صارت النار فى الاحشاء تتوقد
فأنت منبع الفضل ذوا كرم * بهذا جميع الناس قد شهدوا

قال ثم تقدمت الاخت الخامسة وكانت أصغرهن سنا وأوفرهن عقلا وأجلهن وجها وأشارت الى عنتر تقول

يا فارس الخيل جرنا وارحم الغربا * وردعنا أمورا تبتغى الحربا
هذا الغلام الذى فى الاسر فهو أخى * فارحم صباه ولا تشمت به العربا
ان كان قد جاء مغرورا ومعتديا * فان حلمك يطفى الحقد والغضبا
أنت الذى أزمة الابطال فى يده * فمن ذا الذى يلقاك منتدبا
أنت الهمام الذى جلت مناقبه * وتملأ الارض من خيراتها ذهبا
ان كان لونك هذا اسودا فلقد * حزت الشجاعة والاحسان والادبا
ولو تفاخر أهل الارض كلهمو * كانوا جميعهمو أبنا وأنت أبا

قال ثم تقدمت العجوز أم البنات ودموعها جاريات الى أن وصلت الى عنتر وأشارت تنشد الاشعار

يا فارس الخيل يوم الطعن بالسمر * وفالق الهام بالهندية البتر
يا من اذا قلت هذا القول تشهد لى * كل البرية من عرب ومن حضر
ان كنت تطلب يا مولاى قتلته * فارحم لذلى فانى زادنى كبرى
فقد هتكت لوجه طال ما حجبت * عنه الفوارس بالخطية السمر
حاشاك مغجمة فى فارس فخرت * به البرية من سعد الى مضر
وما لنا ناصر نرجوه يرحمنا * لاننا حرم نأبى من الضرر
وقد تفطر قلبى خيفة وغدا * دمعى يسيل على خدى كالمطر

أطلق فد تبك شخصا قل ناصر * عند المضيق أبا سمعى ويا بصر
لازال سيفك من أعداك مغمدة * ونور سعدك فوق الشمس والقمر

قال ولما فرغت العجوز من شعرها وسمع كلامها وما قالته البنات من ذلك الشعر والفصاحات وكيف أنهم مدحوه بهذه الابيات فاستحى منهن وكان شديد الغيرة على النساء فقال لاخيه شيبوب ويلك أطلقه فقد أكرمته لاجل أمه وأخوته ثم انه أمر البنات بالاستتار وان يرجعن الى المرادج والجمال فعند ذلك رجعن الى ورائهن وقد فرحن بخلاص اخيهن هذا وشيبوب قد فعل ما امره به أخوه وأطلق روضة من أسره وبلاه وأما شاس فانه كان ينظر ذلك ويرى وهو يقول هذا لا يفعله أحد من سائر الورى وقد استحسن مروءة عنتر فحمده الآخر وشكر وقال لقد وضع الصنيعة في مكانها وأودعها عند من يعرف قدرها هذا وروضة قد تقدم الى عنتر وقبل يديه وشكره وأثنى عليه واعتذر له من فعله اليه وقال له اعلم يا أبا الفوارس ان الزمان يعلم الانسان كل يوم عقلا جديدا وأنا كنت من جهلى سائرا أخطب بنت عمك عبلة وقلت معرفتى بك والآن قد أتضح البرهان وبان الصبح لمن له عيان وقد عرفت انى كنت جاهلا با بالفرسان وقد عولت انى أعود الى الاوطان وأبث مكارمك فى كل مكان وأريد أن أعرض عليك أمرا من الامور وأرجو أن لا تردنى فيما أقول وتبلغنى المأمول فقال عنتر وما الذى تريد فقال له يا أبا الفوارس أشتهى أن تقبل منى الهديه التى كنت أتيت بها على اسم عبلى فأنت أحق بها وأولى ومن على بقبولها ثم انه عمد الى بعض الجمال وأخرج من الحقيبة ثلاثة ثياب ملونات فى كل ثوب عقد من الجوهر يساوى ثلاثة

بدر وسلم الجميع الى عنتر وباس الارض واعتذر فقال عنتر يا روضة وذمة العرب لقد صار لك على الفضل والاحسان وما بقيت أقدر أجازيك طول الزمان ثم انه قبله بين عينيه وشكره وأثنى عليه وودعه ورجع كل منهما الى دياره ومنازله واطلاله وعنتر يقول لشاس يا مولاى أما ترى ما صار لعبدك من الاخبار وقد شاعت فى سائر النواحى والاقطار وما قاسيت من أجلها من الشدائد والاخطار ولا بلغت منها غرض ولا شفيت منها المرض فقال له شاس أبشر يا أبا الفوارس بذهاب الاوجاع وقرب الاجتماع ونيل المراد وقلة العناد لانه قد ذهب عنك العنا وحصل لك المنا ولا تعرف اجتماعك بعبلة الامنى أنا فقبل عنتر يديه وشكره وأثنى عليه ثم سار واذلك اليوم وتلك الليلة الى أن أصبح الصباح فأشرفوا على ديار بنى عبس عند طلوع الشمس فقال شاس لعنتر يا أبا الفوارس الصواب اننا نرسل أخاك شيبوبا يعلم قومنا بقدومنا ويخبرهم برجوعنا حتى يركب ابى الى لقائنا فى سائر اخوتى وجميع أهلى وعشيرتى وربما نثروا عليك من الاموال اذا علموا أن خلاصى على يديك يا زين الرجال وتقر بذلك عيناك ويعلو قدرك على حسادك واعداك فقال له عنتر يا مولاى افعل ما تشتهى وتريد لانك أنت المولا ونحن العبيد فلا زال طالعك سعيد ونجمك فى علوه مزيد ثم انه أمر أخاه شيبوبا أن يسير الى الديار ويبشرهم بتلك الاخبار فسار شيبوب وألقى ساقيه للريح وطلب البر الفسيح فما كانت الا ساعة حتى أشرف على الديار ونظرته العبيد والاحرار فوقع فى الناس الهرج والمرج وانقلب الحى لقدومه

وارتج وأقبلوا الى شيبوب من كل ناحية وفج وهو لا يعن عليهم ولا يلتفت اليهم بل يقول دعونى حتى أصل الى الملك زهير وأبشره بخلاص ولده شاس من الاسر والضير قال وكان الملك زهير قد لحقه على فقد ولده الهم العظيم وحرم على نفسه اللذات والنعيم وحزن عليه الغائب والمقيم لانه كان كالقد منا لما فقده أرسل الجواسيس فى طلبه فعاد كلهم بلا خبر فانذهل الملك زهير لذلك وتحير وامتزج صفو عيشه بالكدر وأقام حزنا عليه وعلى عنتر وقد جرى على قلب ولده مالك ما لم يجر على قلب بشر وكان اذا خلا يبكى على أخيه وعلى عنتر قال وكان الربيع بن زياد سأل الملك فى أخيه عمارة القواد وتردد اليه مرارا حتى انه خلصه مما هو فيه من الاضرار هذا وعمارة يقول لولا فقد شاس والا كنت بلغت من عبلة غرض وزال عنى الوسواس وما بقيت أقدر أتكلم فى حقها ولا أطلبها ما دام قلب الملك غير مستريح وما زال الامر كذلك على هذا الحال الذى تدبر حتى قدم شيبوب يبشرهم بقدوم شاس وعنتر ثم انه جعل يعدو بين الناس ويقول يا قوم ذهب العنا والباس فقد وصل أخى عنتر ومولاى شاس قال فلما سمع الملك زهير بوصول شيبوب أستدعابه اليه وأحضره بين يديه وسأله عن حاله وهل هو صادق فى مقاله وقال له أحق هذا يا شيبوب قال نعم وحق علام الغيوب لقد وصل ولدك سالما بعد ما أشرف على موته وفناه فسيروا أنتم الجميع الى لقاه واشكروا الرب القديم على بقاه ثم انه أعاد عليه جميع ما جرى له ولعنتر وأعلمه بحكاية الخبر فطار قلبه من شدة الفرح واتسع صدره وانشرح وركب من وقته

وساعته

128

وساعته وقد زال عنه كدره وحسرته وأنعم على شيبوب بجبته وعمامته وسار وهو يقول وحق الكعبة الغرى وأبى قبيس وحرى كل من خرج من غير ثار قابلته بالاحتقار وكسفته بين العبيد والاحرار وأدبت به الكبار والصغار يا ويلكم قد عاد ملك بنى عبس جديدا وزال الهم والتنكيد وقرت قلوب السادات والعبيد وكذلك عاد عنتر بن شداد الذى صان حريمنا والاولاد وبنى لنا من المجد بيتا رفيع العماد انى أخشى على هيبة الملك تحط عند الناس لكنت خرجت اليهما أمشى على الاقدام بلا عناد الى ملاقاة هذه الرجال قال هذا وقد وقع الخبر فى الخيام والمضارب وانقلب الحى من كل جانب وخرجت البنات المخدرات والنساء المخبآت وضجت أبيات بنى قراد وفرحت بذلك النساء والاولاد ووقعت الجمدة فى بيوت بنى زياد هذا وقد ركب مالك أبو عبلة وأخوه الامير شداد وكذلك زخمة الجواد وأما عمارة القواد فقد زادت به البلايا والامراض وقال لا مرحبا بالقادمين ولا أهلا ولا سهلا بالواردين وقد عاد العبد الزنيم سالما فلا سلمه الله من العظائم ولا كان يوم أسمع فيه خبره ولا أحدا من القبيلة يذكره وما قنع الملك زهير بعودته الى الديار حتى يأمرنا اننا ننثر عليه النثار وامصيبتاه وادهوتاه انه ركب بعد ذلك مع اخوته وقد زادت بقدوم عنتر نيران حسرته واشتدت عليه بليات مصيبته وجرت دموعه من مقلته وخاف من الملك زهير أن يعاقبه على خلاف ما به أشار وخرجت المولدات وأزعجن بصياحهن الاقطار وما أبعد القوم عن الديار حتى أقبل شاس وعنتر القهار وصح الخبر واتضح البرهان وفرح جميعهم بذلك الامر والشان وكان

أول من تقدم اليهما مالك بن زهير وقد أيقن بالفرح بعد الضير
ثم انه جعل يصيح من قلب قريح والدمع من كثرة فرحه على
خده يسيح ويقول ياقوم هنوني بهذا اليوم الذي زال فيه تعويقي
وحسن توفيقي ورد فيه أخي وصديقي ثم انه أعتنق أخاه شاسا
وفرح به واستبشر ثم تركه وعاد الى عنتر وهو يقول لا أعادالله
يا أبا الفوارس على بني عبس فقدك فما أمر وأصعب علينا بعدك
هذا وعنتر يقبل صدره ويديه ويشكره ويثني عليه وبعد ذلك
ازدحمت الناس على شاس ونثرت عليه الدراهم من الاكياس
ووقع الفرح والاستبشار بين العبيد والاحرار وفرحت بقدوم
عنتر الكبار والصغار وأشتغل في قلوب بني زياد لهيب النار
وحلت بهم الحيرة والانذهال وكان عمارة كاذ كرنا راكب ومعه
كيس ملآن من الذهب وقلبه ملآن من الهم والترح ولما قارب
عنتر أظهر السرور والفرح وامتثل أمر الملك زهير وفي قلبه أعظم
الهم والضير وأوصى العبيد أن يكونوا بين يديه ويحملوا بالهم اليه
وقال لهم اذا رأيتموني نثرت ذلك المال فاسبقوا أنتم اليه وخذوه
واحتفظوا عليه فامتثلوا أمره وأجابوه ولما أن التقت الناس بشاس
وسلموا عليه تقدم عمارة اليه وهناه بالسلامه وقبل صدره
ويديه ثم انه بعد ذلك أقبل على عنتر وقد زادت به الوساوس
والفكر وقال له هنيت يا أبا الفوارس بالسلامه وحرمك الله
من الندامه ثم انه نثر ما في كمه من الذهب على رأس شاس وعنتر
بالسواء فتلقى ذلك القيم شيبوب كله من الهواء ونط كأنه النمر
اذا انذعر ونهره فنزل الجميع مثل المطر ولا نزل منها الى
الارض درهم لا أصغر ولا أكبر وحار من فعله كل مملوك وأمير

ممن حضر ثم أنه صاح لله درك يا وهاب مثلك من يبذل المال
على الاصحاب فقال عمارة وقد زادت به الحراره جزيت
يا شيبوب كل خير وكفيت كل هم وضير وأنتما اللذان تستحقان
الاموال والارواح لانكما جددتما علينا بقدومكما الافراح
وتركتم فى قلوب الاعادى الاتراح وقد بنى أخوك لهذه القبيلة
حصنا رفيعا ومجدا منيعا ولا سيما هذه المره التى كان فيها
خلاص مولاى شاس من المضره وقد أزال عنه ما كان فيه من
الباس والفكره وكان عمارة يقول ذلك نفاقا وبغضه لعنتر
لايطفى له جمره وجعل يقول فى نفسه مهما فعلناه مع هؤلاء
العبيد فنحن به خاسرون وهم الرابحون ثم بعد ذلك تقدم مالك
أبو عبلة الى شاس وعانقه وهناه بسلامته وباس صدره ويده
فحول شاس وجهه عن مالك وقال له دع عنك هذا المحال يا شيخ
السوء والضلال فان كنت فرحان بخلاصى كما ذكرت فى المقال
فزف ابنتك عبلة على ابن أخيك عنتر فى هذه الايام والا وحياة
رأس أبى زهير علوت رأسك بهذا الحسام وفضحتك بين جميع
الانام فعند ذلك تبسم مالك تبسم الخجل وخفق فؤاده من شدة
الوجل وقال لشاس يا مولاى لاتفعل ولا تدخل فى قلبك أدنى
الخلل أيها الامير ولم يبق لعنتر فى قلبى من البغضاء قليل ولا كثير
ولا ما يحتمل وانقلبت تلك البغضة والعناد بمحبة ووداد ومذ
فارقنا ما لذ لنا زاد ولا تهنينا برقاد ولا أحد رفع لنا عماد ولا
حسبنا ناسا بين الصعاليك والامجاد الا بقدوم ابن أخى الامير عنتر
ابن شداد اعلم أيها الملك ان ابنتى له أمه وأنا له من بعض العبيد
وأنت على بذلك شهيد وان أراد زفافها فى هذه الليله زففتها

عليه وأناوابني وابنتي بين يديه ومن تكن هذه الفعال فعاله وهذه الاعمال أعماله كيف انى لا أحبه ونيتي لا تصفاله فاشهد على اليوم انى غلامه وابنتي له أمة وعمرو خادمه ويامولاى مازادنى فى محبته الا لما علمت أن كل من فى القبيلة يتمنى أن يكون زوج ابنته مما ظهر من شجاعته لان بنى عبس يامولاى لهما ركنان يحميانها من طوارق الحدثان فالركن الواحد أبوك الملك زهير دامت سعادته وحفظه من جميع أعدائه هو وذريته وعشيرته وأما الركن الآخر فهو ابن أخى عنتر الذى هو حاميتنا من كل بؤس وضرر ومن كل انسان شيطان ثم لما فرغ من كلامه سعى نحو أبى الفوارس عنتر وقبل قدميه وشكره وأثنى عليه وكان ذلك من خبثه ومحاله ومكره وضلاله فلما نظر الامير عنتر الى فعاله انطلا عليه خبثه ومحاله فنزل عن ظهر جواده اليه وقبل وجهه وعارضيه وقال له ياعماه لا تحملنى مالا أطيق فأنا عبدك وراعى غنمك وانك صديق فورب السماء الذى سير السحاب وأجرى الماء وعلم آدم الاسماء لو قطعتنى اربا اربا ماازددت فيك الا حبا فقال مالك أنت صادق ياأبا الفوارس ويازين المجالس وأنت سيفنا الصقيل ورمحنا الطويل وماتمت معك هذه الفعال الا لتنال المنازل العوال وتبلغ هذه الرتبة والاجلال ولتنال ابنتى هذه المنزلة الفاخره وتضاهى بنات الملوك الاكاسره ثم انهم عادوا الى ظهور الخيل وقد حصل لهم الخير والنيل وصفت القلوب من الاحقاد وبقى فى قلوب الحساد نار الايقاد هذا والامير شداد لم تسعه الدنيه وزبيبة أم عنتر حصل لها الاستبشار والفرح الاكبر وهى

تعدو بين يدى عنتر الاسد الرئبال تزغرت وتقول يا ولدى أتمنى لو تكن معى ترعا النوق والجمال لكان أحسن لى من هذا الحال وهذه السعادة والاقبال ولا تقاسى هذه الاهوال الثقال هذا وعنتر يتبسم من قولها ويضحك على فعلها ولما صار الجميع فى الخيام أمر الملك زهير بنحر النوق والاغنام والتعجيل فى ترويج الطعام وترويق المدام وعمل وليمة عظيمة لها عند الناس قدر وقيمه ما عمل مثلها فى جميع الانام على مدا السنين والاعوام وفرح الملك زهير بولده شاس بعد الفراق والبعاد وفرح بسلامة عنتر أبوه شداد ولم يبق فى بنى عبس كبير ولا صغير الا وعزمه الملك زهير ليأ كل من ذلك الخير ودامت الناس على هذه الاحوال ثلاثة أيام وثلاثة ليال والقدور تفور والكاسات تدور فى غاية الغبطة والحبور وما فيهم ليلة تمضى ولا ينصرف عنتر من حضرة الملك زهير الا بالخيل والخلع والخير الكثير والاماء والعبيد وشىء ما عليه من مزيد وكل ذلك يسوقه الى بيت عمه مالك بن قراد وعنتر يطلب رضاه من دون كل العباد فلما كان فى الليلة الرابعة كانت الدعوة عند شاس فقام على أعلى قدميه عند انصراف الناس وحط يده فى يد عنتر وقال اعلموا يا من فى هذه الوليمة قد حضر أننا فى غداة غد نريد أننا نشرع ونهتم فى عرس ابن عمنا عنتر ونتهايا أمره الذى له زمان متعسر فمن أراد أن يجازيه على جميله فليفعل لان ما فى هذه القبيلة الا من حما حريمه . وصان عياله وقتل غريمه ولا تقولوا يا بنى العم ان شاسا ما تكلم بهذا الكلام الا من غلبة شرب المدام فانا أقسم بمن ركب الارواح فى الاجسام وتعالى عن الاغراض والاوهام

انني أنا عتيق سيفه ورمحه الهدام وانه قد غمرني بالاحسان والاكرام وحق البيت الحرام وزمزم والمقام لا أترك شيئا مخبأ ولا مدخورا الا وأقدمه بين يديه فورا ولا أمن به عليه بل هوله المنة على وقد أوصل احسانه الى وأريد أن أبذل روحي ومالي في هواه ولا أتخذ لي من الدنيا خلا سواه (قال الراوي) فلما سمع اخوته بمقاله أجابوه على سؤاله وفعلوا مثل فعاله فعند ذلك قال لهم عنتر بعد ما خدم وباس الارض وتقدم وقال يا مولاي ان هذا شيء لا يسرني واعلم أن هذا يضرني وعار على أن تكون أموال العرب كلها في قبضتي وأتلف أموال سادتي وعشيرتي وأضيعها في وليمتي ولكن الصواب أن تصبروا على عشرة أيام حتى أسير الى بني قحطان وأسوق جميع نوقها والفصلان وأعود بما يكفي وليمتي شهرا من الزمان ولا أخلي الولائم تنقضي حتى تفرغ أيام الربيع ويشبع منها الرفيع والوضيع وتفرح جميع الرجال والنساء ليكون يوما ما عمل مثله في سائر الازمان فقال مالك ابن زهير والله يا أبا الفوارس ما بقينا ندعك تفرط في نفسك وتتبع يومك بأمسك حتى نعمل الولائم وينقضي عرسك وتدخل على زوجتك وتتم فرحتك وان ما سرت بعد ذلك نكون في صحبتك وبين يديك ولا نبخل بأرواحنا عليك لاننا نعلم انك تخلف علينا أضعاف ما نخسر وتسوق الينا قدر أموالنا وأكثر واذا رجعنا الى الانصاف كانت أموال بني عبس لك من غير خلاف لانك خلصتها من الاعداء بسيفك والسنان ورددت عنا شياطين العربان قال فلما سمع عنتر ذلك المقال بقي في قلبه منه أثر وحصل له الحياء ولا أمكنه يخالف من حضر ودعا لاولاد الملك زهير وشرب

131

معهم المدام حتى انقضت الوليمه على التمام وعاد بعد ذلك مع أبيه وعمومته وقد أخلع عليه شاس خلعة تصلح لحضرته وتفرقت الناس الى المضارب والخيام وكل منهم قد هان عليه بذل مافى يده من الحطام ويشتق على عنتر جميع مايملكه من المال حتى انه يبلغ الامال قال وأما عمارة القواد وأخيه الربيع بن زياد فانهم قد ذابت منهم الاكباد وأضرمت فى قلوبهم نار الايقاد ومن شدة ماحل بالامير عماره من الذل والخساره انطرح على الارض والمهاد وصار يهدس بعبله الليل والنهار ولا يأخذه هدو ولا قرار وكان اذا دخل أخوه الربيع ليفتقده فيشكو له ماعنده من حب عبلة ومايجده ويسأله فى معاونته والا خرجت روحه من جثته وتلفت من أجل هواها مهجته فيقول الربيع والله يارقيع مالى قدره على عنتر وأنصاره ولا أقدر أفعل به شيئا نكيرا الا ان كان فى الباطن بحسن التدبير والا ان فعلنا شيأ جهرا حل بنا التدمير ولكن لك على انى لا أتخلى عنه واجتهد فى هلاكه بشىء لابد منه وأحرص فى انقضاء أجله ولا أدعه يبلغ مايريد من أمله قال ولما كان عند الصباح ركب الملك زهير فى جميع أولاده كما جرت به العاده وأوسعوا فى البطاح لانه كان كل يوم يركب فى بنى عبس وعدنان ويشرف بهم على المناهل والغدران ويفتقد الاموال والعبيد والغلمان قال ولما سار الملك زهير ومن معه خارج الخيام وا تسعوا فى الفلاة والاكام هو ومن معه من الفرسان الشجعان افتقدوا الامير عنترفما وجدوه فقال ربما أن يكون أسرف فى شرب العقار فاعقبه من ذلك تكاسل وخمار قال ثم انهم ساروا الى أن

حمى عليهم الحر واوهج ذلك البر فعاد الملك زهير الى المضارب والخيام وتفرقت الناس لاجل الراحه وأكل الطعام وفى قلب شاس وأخيه مالك على غياب عنتر نار الاضطرام فانفذوا بعض العبيد لينظر الاخبار فغاب العبد ساعة وعاد مسرعا على الاثار وقال يامولاى ماله فى القبيله أخبار وانى قد سألت عنه من عمه مالك أبو عبله فذكر لى انه لما عاد من الوليمه هو وابوه وأعمامه بالجمله فارقهم ودخل بيت أمه زبيبه والسكر طافح منه ومن تلك الساعة ما بان ولما أصبح الصباح طلبناه فما وجدناه ولاجل ذلك بطل الركوب هو وابوه قال العبد ثم انى سألت من أمه زبيبه فقالت انه أتى الى عندى ولكن ما غمضت له أجفان بل انه صبر حتى نام كل من فى الحى وخمدت النيران وقام ركب جواده وسار فى البر والوديان ومعه أخوه شيبوب المصان فقالت له أمه الى أين أنت سائر فى هذا الظلام العاكر فلم يخبرنى بشىء من ذلك الامر والشان ولا علمت أين مضى والسلام فلما سمع شاس من عبده ذلك الكلام صار الضيا فى عينيه ظلام وقال قاتل الله مالك بن قراد من دون الانام ومن المصائب لا قاله ما أكثر مكره ومحاله فلا بلغه الله ما يريد من أعماله هذا وقد قال له أخوه مالك ما تقول أنت يا أخى فى ذلك فقال شاس وما الذى أقول فى ذلك الامر المنكر وذلك ان مالكا أظهر لنا خلاف ما أضمر وقد مكر بابن أخيه عنتر وأركبه مراكب الخطر وأنفذه الى بعض الاقطار وطلب بذلك بعده عن الديار فقال مالك ما أظن الامر كذلك وما مضى الا ليأتى بما تقوا به على الوليمه لانى رأيت منه أن نفسه قد صارت عظيمه وانه ما يحتاج الى أحد غيره واذا أتى بشىء

بضعه

يضعه فى عرسه لانه ذكر ذلك لنا مرارا وذلك بحضرة جميع الامره وقال ان أموال العرب جميعها فى حكمه ان شاء أخذها وان شاء عفا عنها برسمه فقال شاس أما الذى أعرفه أن عمه لا يخفى على عماله ومكره واحتياله والصواب أننا نعلم أبينا بقصته ونطلعه على حاله وقضيته حتى أنه يدبر هذا الامر بمعرفته قال الاصمعى عفى الله عنه وعن جميع المسلمين هذا وقد شاع ذلك الخبر فى الحله وتحدثت به الناس جمله وقد سمعت به سائر المحبين والمبغضين والحساد واشتغفت بذلك قلوب بنى زياد وقد قام عماره من مرضه وسأل أخاه الربيع عن ذلك الايراد فقال له اعلم يا أمير عماره انى أنا السبب فى هذه العباره وقد ألقيت عنتر بتدبيرى فى المهالك وانه قد صار يا اخى هالك وعمرك ما بقيت تنظره ولا تراه الا ان كان رب السماء يحفظه ويرعاه قال وكان السبب فى ما جرى وتدبر من ذلك الامر المذكور ان مالكا أبا عبله من يوم رأى عنتر وقد قدم مع شاس ورأى أهل الحله قد مالت اليه فضاقت منه الانفاس لانه رأى الناس قد صارت معه ويحبونه وهم كلهم قد مالوا اليه فما أمكنه يخالف أمر الملك زهير وأولاده وقد التزم بأمر عنتر وأحسن معه وداده وقد أظهر له الفرح والسرور حتى انه صار بعد المذمة مشكور وقال لابنته عبله خذى من بعض الحلل وتزينى بالتفاصيل الذى قد أتى بها ابن عمك عنتر وتقلدى بهذه القلائد والعقود الجوهر ولا بقيت من هذا اليوم تعصى له أمرا لاننا عزمنا أننا نزفك عليه فى هذا الشهر وننجز أمرك فى هذه الايام وقد انبرمت الامور والاحكام وان الامر قد بلغ منتهاه وصار لنا

بذلك عزا وجاها فعند ذلك فعلت عبلة ما أمرها به أبوها فعل السامع المطيع ولا عصيت له مرام لان فى قلبها لابن عمها المكان الرفيع فعند ذلك تزينت وتبهرجت كتبهرج الاراضى فى أيام الربيع وكانت فى نفسها مستغنية عن المخانق والعقود لانها كانت ولدت فى طالع مسعود ونظر اليها عند ولادتها كواكب السعود والبسها خالقها من الجمال خلعة البهاء والكمال فهى غنية بحسن صورتها عن الملبوس الفاخر والحلل والجواهر وهى بارعة فى الحسن والجمال والقد والاعتدال وبقطف الورد من خدودها بأكف الحيا والخجل وتريد أن تقوم فيقعدها ما أعطاها الله تعالى من ثقل الكفل ولها كلام أحلى من العسل وشعرها مثل الليل اذا انسدل قال فصارت كلما دخل عليها ابن عمها عنتر تقوم اليه وتبتسم فى وجهه كلما حضر وتلاعبه بنية صادقة لانها تحبه رامقه وفى زواجه بها واثقه وكانت تفعل ذلك وقلبها صافى من الكدر لانه مافى قلبها مثل مافى قلب أبيها من الشر والضرر وكانت كلما فعلت معه تلك الفعال الملاح تزيده من حديثها وغنج عيونها أفراح فما يرجع من عندها الا وهو يتمايل سكرا ويشكو قلقا وفكرا الى ان كانت ليلة من بعض الليالى وهى الليلة التى عاد فيها من عند شاس ابن الكرام وسمع منه ومن أخيه مالك ذلك الكلام الذى قالوه بحضرة بنى الاعمام فبقى فى قلبه أثر مما لحقه من الوجد والغرام وقد عاد مع أبيه واعمامه ودخل الى مضرب عبلة وقد زاد عشقه وغرامه فقامت اليه واستقبلته ورحبت به غاية الترحيب وانثنت فى وجهه مثل ما يفعل المحبوب مع الحبيب

قال

قال ولما ان قربه القرار أمر مالك ابنته أن تأتيهم بالخمر والعقار وعقدها بين أيديهم يمينا ويسار وتصب لهم في الطاسات وتديرها عليهم من الاباريق والكاسات فأحضرت عبلة جميع ما أمرها أبوها وكان ذلك بحضرة أعمامها وعمرو أخيها ثم انها تقدمت واسقتهم من رائق مدامها وقد سكر الجميع مما نظروا من بديع جمالها وما زالوا على ذلك الحال الى أن أخذت الخمرة مأخذها فعند ذلك انصرف أعمامها ولم يبق الا عنتر وأبوها وأمها وعمرو شقيقها عند ذلك شرعوا يتحدثون في أمر عرسها ومتى يكون على عنتر زفافها فقال مالك أبو عبلة يا أبا الفوارس ويا زين المجالس لقد بلغت بك المنزلة العاليه ولا بقيت أكتم عنك سرا ولا علانيه وصار دمي بدمك ممزوجا وما بقي حاجز يمنعك عن الدخول والخروج لكن يا ابن أخي وحق من يعلم عدد الانفاس لقد حصل لي غيظ من كلام الامير شاس وقوله نعمل الوليمة من أموالنا وتصرف فيها من نوقنا وجمالنا وأنا ما أريد هذه الحنيه ولا أشتهي أن يكون لاحد علينا فضل ولا منه وأنا أنحر من مالي ومال اخوتي ما يكفي وليمتنا وزياده وأفرح بك وبابنتي وتزول عني كربتي ولا نريد منهم معينا ولا نصيرا في مثل هذا الامر الخطير وان عزنا شيئا ذبحنا من الفصلان والنوق العصافير ولا نترك لاحد علينا ملام ولا أحد يتكلم في عرضنا بكلام مع انني أعلم أنهم ان فعلوا شيئا من ذلك انك تجازيهم باعظم منه على فعالهم ولكن تسمع العرب أنك عملت عرسك شحاتة من أموالهم ولولاهم ما قدرت على شيء من ذلك وهذا شيء لا اريده في حقك ولا في حق ابنتي قال فلما سمع عنتر

من عمه هذا الكلام التفت اليه وقال له ياعماه أتظن أن كلام
أولاد الملك زهير دخل فى آذانى أو خطر على بالى لا وحق الملك
المتعال الذى ارسى شوامخ الجبال ويعلم وزنها كم مثقال
وحيات عينيك العزيزه لآتينك بأموال تعجز عنها صناديد الرجال
لان أموال العربان كلها فى قبضة يدى وتحت حكمى آخذ منها
ما أريد واترك ما أحيد ولكن قلبى يحدثنى بأنك ماتدوم على
قولك بما سبق منك من المكر والغدر قبل الآن وأنا من ذلك
الامر حيران ولكن عند الصباح تدبر ذلك الشان وترى
ما يسرك بمعونة الملك الديان قال ولما دار بينهم ذلك الكلام
قالت عبله لما كانت جالسه الى جانب أبيها ومن الناحية الاخرى
عمرو أخوها يا ابن العم وذمة العرب الكرام لادخلت
عليك حتى تقضى لى حاجتى وتبلغنى منك ارادتى فقال عنتر
وما الذى تريدين يا ابنت العم اعلمينى به حتى أفرج عن قلبك كل هم
وغم فقالت له عبله اعلم اننى اريد منك شيئا هو عليك يسير وأنا
أعلم انما هو أمر عسير والا لو علمت أنه يشق عليك ماكنت
أخبرتك به وحق بارىء النسم فأريد منك ان تفعل معى
كما فعل خالد بن محارب الاسد الكاسر مع ابنة عمه الجيده
ابنة زاهر فقال لها أبوها بمكر ودهاء ماهذا الهذيان
يا ابنة الشيطان ومن أوصل اليك حديث العربان ومن
أخبرك بفعال الابطال والشجعان فقالت له انى سمعت هذا
الحديث من النسوان لما أتون يهنونى بقدوم ابن عمى عنترة
الفرسان فقال عنتر وقد تبسم وما الذى سمعت يا قرة العين
والروح التى هى بين الجنبين فعندذلك قالت له عبله ماهو الا ما

حضرت النسوان عندى لاهنا وبلوغ المنا جرى بينهن ذكر
الولائم والاعراس ومايجتمع فيهم من الناس فقالت احداهن
ما احد عمل وليمة وافتخر بها على الاباعد والاقارب الافارس
بنى زبيد خالد بن محارب لما ان زفت عليه بنت عمه الجيده ابنة
زاهر لانه نحر فى عرسها المازفت عليه ألف ناقه وجمل وعشرين
سبع ولبوه وقد اصطادها بيده من الآجام ودعا فى الوليمه
فرسان بنى زبيد وبنى خثعم ومراد وأقامت الوليمه سبعة أيام وقد
غمرهم بالطعام والمدام ومافيهم من قدامه من لحم الجزور الا
وبينهم هبره من لحم السباع امامشوى واما مسلوق وجميع
الذى نحره فى الوليمه من الجمال والنوق كلها من أموال
خثعم بن مالك الملقب بملاعب الاسنه ورداد الاعنه فارس بنى
عامر ولما ان زفت الجيده على ابن عمها كان القائد بزمامها ليلة
عرسها أميمه بنت معاوية بن النزال صاحب أرض اليمن وتلك
الاطلال والدمن (قال الراوى) فلما سمع عنتر من عبله ذلك
الكلام صار الضيا فى وجهه ظلام وصعب عليه ذلك
الكلام وقال هذا الامر الذى ترونه صعب المرام وحق الملك
العلام الذى خلق جميع الانام لاأجعل القائد بزمام ناقتك
ليلة عرسك اذا كان جملك دائرا الا الجيدة ابنة زاهر بكمال
عقلها ورأس خالد ابن عمها معلق فى حلقها حتى لايبق أحد
يضاهيك ولايفتخر عليك فقال أبوها بكره ودهاه
والله ياأبا الفوارس لاتطاوعها على مقالها ولاتحرك ساكنا
بحال من الاحوال حتى يريد الله بما يريد وينجبر أمرك ويتم
عرسك وينشرح صدرك ويرضى خاطرك لاننى كما تعلم

مابقى لى طاقة بالملك زهير ولا بأولاده واذا غبت أنت ساعه من الزمان بطالبونى بك لان كلا منهم يزعم أنه يحسن ملك وداده قال ثم ان مالكا من خبثه ومكره حط على عنتر بالمدام وأسقاه فوق طاقته حتى انقضى أكثر الظلام ورقد كل من فى الحى ونام ومازالوا على ذلك الايضاح الى أن اصبح الصباح فقام عنتر وعزم على الرواح ومضى الى بيت أمه زبيبه فما قرله قرار ولا حصل له اصطبار لان كلام بنت عمه أطلق فى فؤاده لهيب النار فعند ذلك أيقظ أخاه شيبوبا الغضنفر وأمره أن يشد له على جواده الابجر ويقدمه بين يديه ففعل شيبوب مثلما أمره أخوه عنتر ولا خالفه فيما به أمر وهو لا يعلم ماقصده ولا الى أين هو سائر فعند ذلك ركب الامير عنتر على ظهر جواده الابجر وسار وتبطنا فى ذلك البر الاقفر والمهامه الاغبر قال ولما تمادى بهم المسير وبعدوا بعيدا من الخيام طار من رأس عنتر المدام فقال لاخيه شيبوب يا أبا رياح أنا ما أقصدك الا فى المهمات الملاح اقصد بنا جبال طويلع ومنازل بنى زبيد وتلك الاماكن والبيد ولا تطلب الا أقرب الطرقات ولو أنها تكون أصعب الفلوات فقال شيبوب يا ابن الام فما الذى تجدد من الاحوال المشكلات حتى خرجت من الحى فى مثل هذه الاوقات وفعلت هذه الفعال أخبرنى بذلك الاحوال حتى أعرف ما الذى خطر لك فى البال فقال له أتعرف خالد بن محارب وزوجته الجيدة ابنة زاهر فقال شيبوب وما الذى تريد منهم ولاى شىء أنت اليهم سائر فوالله يا أخى انك بروحك فى هذا الامر مخاطر اعلم ان الجيدة امرأة ذات بأس شديد وأمر عنيد

وشجاعة ابن عمها وفروسيته ما عليها مزيد وعجزت عنهم جميع الابطال وخافتهم جميع الاقيال ولا أحد نال منهم منال وقد ضربت بشجاعتهم الامثال اما تعلم يا أخى ان خالد بن محارب هو الاسد الواثب وهو الذى أذل الفرسان وأخذ الغفارة من سائر الوديان فالذى أنت تريد اخبرنى بهذا الامر والشان فعند ذلك حدثه عنتر بالقصة من أولها الى آخرها وقال له ان بنت عمى عبلة طلبت منى الجيدا ابنة زاهر تقود بزمامها ليلة زفافها اذا كان جملها سائر وأنا ضمنت لها جميع ما طلبت لان النساء من بنات عمها دخلوا عليها وقصدوا تواعدها وجرى من القصة ما قد جرى وأنا ضمنت لها ذلك الضمان وها أنا سائر الى قضاء حاجتها وأريد أن أهجم على حى بنى زبيد وآخذ الجيدى لتفعل بها ما تريد فانى أوعدتها الا يكون القائد لزمام ناقتها الا هى بين الاماء والعبيد فقال له شيبوب يا أخى وتأتى بها وهى طائعه والا تأخذها غصبا مسبيه فقال له عنتر بل مسبيه وأسوقها بين يدى غصبا وأنهبها نهبا فقال شيبوب تريد أن تكون من هذا الامر الذميم على خطر عظيم وان صاحب الخطر لا يأمن القضاء والقدر لانك تريد أن تأخذ الجيدى الذى أذلت جميع الفرسان وخافتها جميع الاقران ودخل تحت طاعتها جميع الشجعان وهى لبوة الاسد الرئبال الذى قهر الابطال فى حومة المجال وان من دونها رجالا واى رجال وهم ليوث الغاب غلاظ الرقاب يذلون بكل حسام قرضاب وتخافهم جميع ملوك العرب والسادات من ذوى الرتب وفيهم يقول الشاعر المنتسب

قوم تعالوا من الاجداد والاصل * من دونهن حداد البيض والاسل

نيهن كل طويل الباع مجتهدا * يلقى العداعاجلا في ساعة الاجل
لايعجزوا اذا ما الحرب نارلهم * لايسأموا البذل في جود وفي محل
اسود غاب تحمى مدون أجمتها * ويبذلون العطا الاضيق في النزل
قال ثم ان شيبوبا قال يا ابن الام تريد ان تسير اليهم فهذا الاطمع
عظيم وجنون جسيم فبالله يا أخي ارجع عن هذا الحال واسمع
مني ولا تعلل نفسك بالمحال فقال عنتر دابك يا ابن الام تكثر
الهذيان وتردني عن أغراضي يا ذليل يا جبان فقال شيبوب الله
ينتقم من عمك القرنان فانه والله يريد قتلك ويرميك في المهالك
والامن أين لعبلة معرفة بذلك وما دبرها على تلك الاحوال
الا عمك مالك المحتال وقد زخرف لها هذه الامور حتى انه يرميك
في المحذور ويبتليك بالطرد والبعاد ويزوجها لمن أراد من العباد
ورعبما أن يكون هذا تدبير الربيع بن زياد حتى انه يزوجها
لاخيه عمارة القواد وأنا ما أقول هذا المقال الا شفقة عليك
مني وحق ذي الجلال لاني عارف بما أنت قادم عليه من الاحوال
(قال الراوى) لهذا المقال فلما سمع عنتر من شيبوب ذلك المقال
قال له لا تطيل الفضول في ذلك يا ابن الانذال ولا تكثر القيل
والقال فأنا لابد لي من المسير وأتوكل على اللطيف الخبير فوالله
لا تأخرت عن هذا الامر ابدا ولو شربت كأس الردى ولا أخلى
محبوبتي عبلة تنظر في بعين النقص على طول المدا ولا أكون
عندها قليل الجهد عند ملاقاة العدا قال ثم ان عنترا بعد ذلك سار
هو وأخوه شيبوب وسلم أمرهما الى علام الغيوب وقطعوا فيافي
الفلا وتستروا بأذيال الدجا قال وكانت هذه الحيلة من مالك بن
قراد والربيع بن زياد وقد دبراها على هلاك عنتر بن شداد

وما لك

ومالك هو الذى علم عبلة أن تقول لابن عمها هذا المقال وقد أظهر لها أن ذلك شرف لقدره بمكره والمحال فأخذته عبلة من أبيها بقبول وجرى ما جرى من ذلك الامر المهول وقد أبعد عنتر عن الديار والطول ولما ان تمادى به المسير أنشد وجعل يقول

أفدى فيافى الفلا والليل معتكر * واقطع البيد والرمضاء تستعر
ولا أريد أنيسا غير الحسام وان * قلوا الاعادى عداة الروع تنتدر
عاندى باسباع البر عن رجل * اذا انضاسيفه ما ينفع الحذر
ورافقنى ترى القتلاء مطرحة * والطير عاكفة تغدو وتبتكر
ما خالد بعد ما قد سرت أطلبه * بخالد لا ولا الجيداء تفتخر
ولا ديارهم وابالاهل آنسة * الا القليل و يأوى ربعها التمر
ياعبلة يهنيك ما يؤتيك من نعم * وما يصير على أعداك من قدر
يامن رمت مهجتى من لحظ مقلتها * باسهم قاتلات رميها عسر
نعيم وصلك جنات مزخرفة * ونار هجرك لا تبقى ولا تذر
حقاك يا علم السعدى غادية * من السحاب ويروى ربعك المطر
كم من ليالى قضينا مؤانسة * مضيئة ما شانها كدر
مع فتية تنقل الاقداح بينهموا * مدامة مزجت رواقها عطر
ان عشت فهى التى مادمت أسكرها
أومت فهى ليالى آخر العمر

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من شعره والنظام تبطن فى البرارى والآكام فما أصبح عليه الصباح الا وهو فى بلاد بعيدة وهو طالب انه يأتى بالجيداء ابنت زاهر فهذا ما كان من عنتر ومسيره وأما ما كان من خالد بن محارب وتفسير ذكره وما تم له هو وابنة عمه الجيداء وما كان سبب حديثهم بين العرب العربا لانه شاع شرقا وغربا

قال الاصمعى فلقد سألت من مشايخ العرب عن خالد بن محارب وابنة عمه الجيدا وما سار لهم من الشان وكيف نشوا بين العربان وبماذا نالوا هذه المنزله العليا النامية الزائدة الساميه فأردت أن أعرف مبتدأ أمرهم وكيف كان بدو حديثهم من صغرهم حتى يأتى الحديث على صحته والترتيب حتى يتعجب منه كل عاقل لبيب فعندها حققت ذلك وأردت كشف هذا الامر حتى تنشرح من سماعه الصدور ويعرف السامع مبتدأ هذه الامور وذلك أن خالد بن محارب لم يكن له فى هذا الزمان مقايس لا فى الشجاعة ولا فى البراعة وسائر الامور والنفائس وكان من أكبر بيت فى بنى زبيد وكان أبوه محارب بن جياش يقرب الى معدى كرب فارس بنى زبيد أبو سيدنا عمرو صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان هذا معدى فارس الحرب وأشد من كل فارس فى الشرق والغرب وكانت تنعقد عليه العشائر ويقوى العساكر ويهدم الدساكر ويفرد الامصار والبلاد الى أن ذلت له رقاب العباد وصار يوصف بين الجحافل ويذكر فى سائر القبائل وكان الى شجاعته الغايه والى براعته النهايه وكانت خلقته عظيمه هائلة جسيمه كأنه طود من الاطواد أو من بقايا قوم عاد وكان اذا جلس جنبه انسان قائم وكان مع هذا كله يشهد الى خالد بن محارب بالفروسية ويقول أنا ما تعلمت هذه الفروسية الا من ابن عمى خالد ابن محارب وكان ولده عمرو رضى الله عنه بعد اسلامه اذا جلس فى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون له أصحابه يا عمرو ومن علمك هذه الفروسية فيقول هذه توارثناها من ابن عمنا خالد بن محارب (قال الراوى) وكان لخالد عم اسمه زاهر ابن

137

جياش وكان أسد المواش وهماما بطاش لا يهاب الرجال
ولا يكترث بالابطال وكان حديث هؤلا الاخوين حديثا عجيبا
أن يؤرخ ويكتب ولو بماء الذهب حتى يتعجب منه كل من له عقل
وأدب لان محاربا وزاهرا كانا اخوين وفارسين بطلين ومما وقع
من الاتفاق الذى يكتب ويسطر فى الاوراق أن اليوم
الذى ولد فيه خالد ولدت فيه الجيدا ابنة زاهر وكان أبوها
لم يرزق غيرها وكان قال لامها من قبل أن تضعها ان جاءنا ولد ذكر
فاهلا به وسهلا وان جاءت ابنة فقولى انا رزقنا ولدا ذكرا حتى
لا يقول أخى أنتم رزقتم بنتا ويشمت بنا فجرا ذلك واتفق ما ذكرناه
وأشاعوا بذلك الخبر هذا وقد أظهر بعدها الفرح والسرور وأذكر
على باب بيته علما ووقف الى جانبه حصانا وعلق فيه سيفا وعمل
وليمة عظيمه أعظم من الوليمه التى عملها أخوه وجمع فيها سائر
خلفائه فأكلوا وشربوا ولذوا وأطربوا وقال جميع الناس يا أمير
زاهر ان أخاك محاربا قد سما ولده خالدا فما الذى سميت أنت ولدك فقال
لهم سميته جودر فقالوا له اسم حسن وهو بين الاسما موقر (قال
الراوى) هذا وقد رزقها الله تعالى من امها وأبيها من المحبة الحظ
الاوفر وما علم أحد انها بنت بل انها ذكر (قال الاصمعى) وانى
سمعت عن هؤلاء الاخوين انهما كانا من الجبابرة العتاة الذين هم
من بقايا بنى حمير وكان فى بنى زبيد بطن يقال لهم بنو منبه ابن سعد
وهم بطن من زبيد الكبرا وكان بنو زبيد بطنين زبيد الكبرا وزبيد
الصغرا وكان زاهر وأخوه محارب من زبيد الكبرا وكانوا من أكبر
بيت فى القبيلتين وكان بين زاهر وأخيه محارب بغضة عظيمة
وعداوة قديمة وهما أخوان من أم واحدة وأب واحد بحيث أن

الواحد منهم لايشتهي أن يرى الآخر وكانا يتظاهران بين الناس بالمحبه وفي الباطن بينهما العداوة والبغضه (قال الاصمعي) ولما كان في بعض الايام خرج محارب على أخيه زاهر بالكلام وتجبر عليه واستخف به وكان محارب هو الكبير وهو شيخ الحلة ولما استخف محارب بأخيه زاهر فتغلب عليه وقهره وأراد قتله فردة الناس عنه وقالوا له ايها الامير ما هذا البغي والغضب على أخيك وهو عضو من أعضائك وانه من أمك وأبيك أترجو أن يعود حيا من المقابر ويأتي من أمك بأخ آخر فقال لهم تعسا ونكسا لهذا الذميم والشيطان الرجيم هذا وقد فصلوا بينهم بعد المباغضة ولما انفصلوا دخل زاهر على زوجته وأعاد عليها ماقد جرا بينهم فقالت له زوجته ولم ترضى النفس لك بالذل والهوان وأنت سيد من سادات العربان فقال لها يازاهر وكيف الامر وأي شيء أعمل وقد أذلني من لا أقدر عليه ولا أمد يدي اليه بسوء لانه ضجيعي في الاحشاء ورضيعي في دار الدنيا فقالت له زوجته ارحل من حوله ومن جواره وابعد في البعض دياره وكن كما كان من تقدم من العرب وقالت هذه الابيات

وتفعل فرزها ان صبت ضيما * وخلي الدار تبعي من بناها
فانك واجد أرضا بأرض * ونفسك لم تجد نفسا سواها
وماغلظت رقاب الاسد حتى * بأنفسها تولت ماعناها
ولا ترسل رسولك في مهم * فما للنفس ناصحة سواها
ومن كانت منيته بأرض * فليس يموت في أرض سواها
وان جاروا عليك الاهل فارحل * فأرض الله واسعة فلاها

(قال الراوي) وان زاهر لما سمع من زوجته ذلك الشعر والنظام

قال لها ولذلك استشرتك حتى لا يبقى على عتب ولا ملام ثم انه
رحل من جوار أخيه وسار من قبيلته واستتم فى ذلك من وقته
وساعته ومازال سائرا الى أن نزل على قوم يقال لهم بنوا سعد ومن
هذه القبيلة عبدالله ابن أنس ساعى رسول الله صلى الله عليه وسلم
هذا ولما ان سار عند القوم فرحوا به وأكرموه وعن حاله سألوه
فعند ذلك حدثهم زاهر بحديث أخيه محارب وما حصل بينهم من
الاهوال والعجائب فقالوا له لا يضيق صدرك فالدار دارك ونحن
فيها من جملة جوارك (قال الراوى) فعندها أقام زاهر عند هؤلاء
القوم جملة أيام وقد طاب له عندهم المقام وتمادت الشهور
والايام الى أن كبرت البنت والغلام وكان زاهر سميا ابنته
الجيدا فى الباطن وجودر فى الظاهر وصار يركب هو واياها ويفرسها
ويعلمها الكر والفر فى النهار والليل ويذكر للناس انها ذكر
هذا وقد علمها الطعن والضرب بالبيض الثقال ولما ان تفرست
ورآها أبوها ماهرة فى ذلك الحال وتمم لها قطالبها بالاشتغال
فأحضر اليها رجلا عارفا من مشايخ العرب فعلمها الخط والشعر
والادب وقد نطقت وناظرت فأسكتت وقهرت وصارت فريدة
أهل زمانها فى الخطاب وسرعة الجواب فلما ان صار لها من العمر
خمسة عشر سنة نظر اليها أبوها فرآها عظيمة الخبر مليحة المنظر كأنها
فلقة قمر صار ينفرد بها فى الصحراء لما ان رآها شديدة الباس فى كل
ماترى وسار يركبها الخيل ويخوض بها البر والقفار الليل والنهار
فأدامت على ركوبها وكان ذلك غاية مطلوبها (قال الراوى) عفا الله
عنه ولم يزل بها أبوها كذلك الى أن كملت الشجاعة والبراعه وبقى
له تحت يدها من يذعن لها بالسمع والطاعه لانها صارت تحضر

في الميدان ومقامات الفرسان ولا ينادونها الا بالاميرجودر لانها صارت لا تظهر شعرها وتخفيه فيه وتلون الرجال هنيئا لمن له هذا الهمام لذكر فوالله ما ولدت النسوان مثله آخر ولا له في المعامع نظير (قال الراوي) لهذا الخبر بعد الصلاة والسلام على فخر ربيعة ومضر هذا وان الجيدا لم تزل على ذلك الحال والشان مدا الدهر والزمان وهي على ما هي عليه من ذلك الامر والشان الى ان كان في بعض الايام مرض أبوها زاهر مرضا شديدا أشرف منه على الهلاك فلما علم بحلول أجله وأيس من روحه وعلم أنه قرب من الدنيا مرتحله فأحضر أم الجيدا اليه فلما أتت وجلست بين يديه فقال لها يا بنت العم بالله عليك لا تتزوجي بأحد من بعدي فتقع الفرقة بينك وبين ابنتك الجيدا واكتمي أمرها ولا تكشفي لاحد سرها وان تغير عليكم أهل هذا الحي فعودوا الى عند أخي محارب فربما أن يكون لكم بخلاف ما كان يفعل معي من الواجب واحفظي ما في أيديكم من المال فانه يزين النساء والرجال واعلمي أن قيمة الرجل ما حاز من المال الكثير والرجل الفقير بين الناس حقير وأكرموا الناس يكرموكم وقد عرفتم كيف عشت بينكم (قال الراوي) ثم انه بعد الوصية أقام أياما قليلة وهو مريض ولكن فتح الله عليه بالعافية وعافاه وبما كان فيه قد أشفاه وسارت ابنته الجيدا تشن الغارات وتغالب الاقران بالفروسية في كل مكان هذا وقد ظهر اسمها وعظم رسمها وكان اذا أراد أحد أن يغير على القوم الذين هي عندهم فيقولون له الحذر ثم الحذر ان تقرب قبيلة جودر (قال الراوي) فهذا ما كان من الجيدا ونشئتها واما ما كان من خالد

139

ابن عمها وقصته التى قدمناها فان اباه كما ذكرنا كانت له خيول وجنائب وأبيات ومضارب يأوى فيها الضيفان وميدان تقصد اليه الفرسان من كل جانب ومكان وفى كل صباح تأتى الشجعان ويقيموا سوق الحرب والطعان ويعودوا بعد ذلك الى الحلة ويأكلون الطعام ويشربون الرائق من المدام هذا وخالد نشأ بينهم الى أن كبر وصار له من العمر خمسة عشر سنه تمام وقد صارت شجاعته فى كل يوم تزيد حتى قرت له الفرسان الصناديد بالنصر والتأسيد (قال الراوى) هذا وقد سمع خالد بحديث ابنة عمه الجيدا المسمى بجودر وما فيها من الشجاعة والبراعه وذكرها الذى قد ظهر واشتهر فاشتهى أنه يمضى اليها وينظر الى فعالها فى الميدان ويجرب طعانها وضرابها فى الجولان مع الفرسان فلم يقدر على ذلك الشان لاجل قلب أبيه لما يعلم من العداوة التى واقعة بينهم من اختلاف الزمان ومازال كذلك الى أن مات أبوه وملك مكانه واحتوى على أمواله وأخذ سلطانه وصار يفعل مثل فعال أبيه ويعمل فى قومه مثل أعماله يقرى الضيفان ويؤمن الخائف والفزعان ويكسى العريان ويركب فى الابطال الى الميدان ويحكم بين الفرسان بالزيادة والنقصان وصارت هذه آدابه بين الفرسان (قال الراوى) فلما ان قوى عزمه وصارت القبيلة له وتحت أمره ونهيه هابته الفرسان وخافته جميع الشجعان فعند ذلك عزل من أمواله وذخائره هدية سنيه وجواد من خيار الخيول العربيه ثم أخذ فى صحبته أمه وسار من حلته قاصدا زيارة عمه ولم يزل يجد المسير فى الفيافى والقفار ويقطع الصحارى والاوعار حتى قدم على

عمه في تلك الديار ففرح به فرحة عظيمة وكذلك جميع من في الحلة من الكبار والصغار وأنزله في منزلة من الديار لانه كان يسمع بأخباره المتواترة من السفار والخطار الواردة عليه قال المؤلف رحمه الله ثم ان عمه أكرمه وعظمه ورفع قدره هذا وقد أبصر خالد ابنة عمه المسمى بجودر فاعتنقها وباسها وضمها الى صدره وهو يظن أنها غلام ذكر لما قد بان له منها وظهر لانه رأى لها خلقة بهيه وهيئة مرضيه وهي مضيقة اللثام فقدم لها ما صحبه من الهديه والانعام فأخذته منه وقد أكرمته غاية الاكرام هذا وقد أقام خالد عند القوم عشرة أيام وهو في كل يوم يخرج الى الميدان ويطاعن الفرسان والشجعان ويعلم من لهم من الاقران (قال الراوى) لهذا الديوان فلما ان رأت ابنة عمه منه ذلك الحال وعاينت الى ما أعطاه الله من الحسن والجمال وعلو قدره على الفرسان والابطال فتعلق قلبها به وبمحبته قد هامت وبقيت ليالي من غرامها ما نامت بل انها هجرت المدام وبقيت تكثر عنده من القعود والقيام وكل ذلك مما حصل في قلبها من نيران الهوى والغرام وقد ملك حبه قلبها وغرامها واستولى سلطان الهوى على فؤادها فلما قل صبرها شكت الى أمها حالها وقد استحيت من ذلك الكلام ولكن حكم عليها بذلك الهوى والعشق والهيام وقالت لامها ان هذا ابن عمي وحق الواحد الاحد وما أنا في محبته متكد ويشمت بما حل بي كل أحد فرق قلب أمها لها ولا عاتبتها على فعلها ولا لامتها على ما بدا من قولها بل انها تبسمت من قولها لانها علمت ان العذل لا ينفع فيها وقالت لها يا ابنتي لا تضيقي صدرك ولا تشغلي

سرك ولا تكابدى صبرك لانك ماقلتى قبيح ولا علقتى عنى الا المليح ولا أحببتى الا ابن عمك لانه من تحلك ودمك وهو وحق البيت الحرام وزمزم والمقام انه شئ عجيب بين الانام وانه مليح الوجه حسن القوام والكلام وهو ما يصلح الا لك ولا تصلحى الا اليه والسلام لانك تضاهيه فى حسنه وجماله وبهائه وكماله فاصبرى اذا كان فى غداة غدا وأتت أمه الى زيارتنا أطلعناها على حالتنا وقصتنا ونزوجناك به ورجعنا كلنا الى قومنا وحلتنا قال نجد ثم انها صبرت الى ان كان من الغد وأتى الوقت الذى تأتى فيه أم خالد الى زيارتها فادعت بابنتها وقدمتها الى بين يديها وكشفت رأسها وخلعت أثوابها وجعلت تسرح رأسها وتغسل اعكانها وتمشط شعرها وتقلبه وتطرحه على اكتافها (قال الراوى) لهذا الديوان فبينما هم على ذلك الامر والشان واذا بام خالد قد دخلت عليهم من باب الدرب فرأت ما هم فيه فلما ان نظرت الى ذلك انبهرت واندهشت من ذلك الجمال والحسن والكمال فانسلب عقلها وحار لبها فعند ذلك قالت ويلك يا بنت العم ما هذا ولدك جودر فقالت لها لا بل هى ابنتى الجيدا وجه القمر ثم انها حدثتها بجلية الخبر وقد قصت عليها ما كان من ذلك الامر المنكر وما جرى لها من بعلها حتى انه رباها وكتم أمرها خوفا من عاقبتها فلما ان سمعت أم خالد ذلك تعجبت كل العجب وقالت والله ما فى بنات العرب أجمل من هذه الصورة ولا أغرب فما اسمها يا بنت العم سلمها الله تعالى من الردا فقالت لها يا بنت العم اسمها الجيدا وانى ما فعلت بها هذه الفعال الا حتى انى أعرض عليك ما كساها الله من الحسن والجمال والقد والاعتدال

وأوردتلك المحاسن عليك لتنظرى حالها مع ولدك فى الزواج
وترجعى الى ديارنا وأوطاننا من غير احتجاج فقالت لها أم خالد
السمع والطاعه وان أراد الله يكون الامر فى هذه الساعه وقد
سعد ولدى فى هذه البضاعه فيا فوز من تكون له قرينه لانها
الدرة اليتيمه واللؤلؤة المكنونه والخزنة المصونه (قال الراوى)
ثم ان أم خالد قامت فى عاجل الحال وسارت من عند أم الجيدا
حتى بقيت عند ابنها خالد ابن محارب وأعلمته بما أبصرت وبما
شاهدت وعاينت وقد تحسرت وتبهرت وقالت لولدها وحق من
يعلم السر والعلانيه لم يكن أحسن منها فبادر يا ولدى الى عند
أبيها واخطبها منه لعله أن ينولك بها ويجمع بين جمالك وجمالها
فانها ما تصلح الا اليك ولا تصلح الا اليها قال المؤلف فلما ان سمع خالد
ابن محارب من أمه هذا الخبر أطرق الى الارض رأسه ساعة
وفى نفسه تفكر كيف وان أمه قابلته بذلك القول عن ابن عمه
جودر فقال لها يا أماه وحق الركن والحجر وذمة العرب من
ربيعة ومضر ما كان فى نيتى ان ارجع واقاربها لو كانت كما زعموا
انها ذكر والا آن ما بقى لى فى محبتها من حاجه بعد ما ظهر لى انها
امرأه فلا تكثرى الحجاجه لانها ذات ضلع أعوج ولسان متلجلج
وجنان أهوج وانها الى غيرى فى ذلك أحوج لاننى ما اشتغل الا
بملاقاة الابطال واقتناص الاقيال وكسب الثناء وبذل المال
وطلب المنازل العوال فهو عندى أفضل من مضاجعة النساء
ذات الحجال وبعد ما بلغنى عنها هذا الكلام ما بقيت أقيم
عند هؤلاء القوم ولا أسمع لهم كلام ولابد لى من الرحيل والسلام
قال محمد بن هشام فلما ان سمعت أمه منه هذا الكلام عدلته

عما

عماذ كرمن ذلك الكلام والملام فتركها وقام من عندها ثم انه قام وركب من وقته وساعته على ظهر جواده واعتد بعدة جلاده وودع عمه وعول على المسير وسرعة الجد والتشمير فقال له عمه زاهر يابنى ماهذه العجلة والارتحال ولم تقم عندنا برهة من الزمان حتى اننا نشبع منك بالنظر ونقضى من معاشرتك وطر فقال له خالد ياعماه ما اقدر اقيم اكثر من هذه الايام لان بيوتنا خالية ولا فيها احد من الرجال الكرام والطارق علينا كثير والوافد الينا غزير (قال الراوى) ثم ان خالدا ودع عمه بعد ذلك وقد ودعت أمه أم الجيدا واقرتها السلام وأخبرتها بما حصل بينها وبين ابنها من الكلام وأعلمتها بما نطق به ابنها من الملام ثم انها ركبت ناقتها وسارت مع ولدها طالبة أهلها وعشيرتها قال الاصمعى فلما ان رأت الجيدا الى تلك الفعال من ابن عمها وانه ماقبلها ولا التفت اليها ولاحن عليها هانت نفسها عندها وقد تلهبت نيران وجدها وهجرت رقادها وزاد تنهدها وقل رقادها حيث انها لم تبلغ مرادها وبقيت من ذلك حائرة فى أمرها وقد اشتغل سرها ولم تزل على ذلك الحال الى ان كان فى يوم من بعض الايام وقد طلب أبوها الكسب والغارة وقد سار هو ومن يلوذ به وأوسع فى البر وكان له بالعادة أن يأخذها معه كما ذكرنا قبل هذا الكلام فنظر اليها عند مسيره فرآها قليلة النشاط والاقتدار فما أعرض عليها المسير بل انه سار وتركها عند أمها فى الديار وقد ظن أنها تكون وجع فى جسمها فتركها لاجل ذلك وسار وانه لما ابعد عنها فى سفرته وأمنت هى على نفسها من غيبته وقد رأت أنها الروح ما مالكه وأحوالها

متداركه ولا رأت أنها تهدبر على ذلك قالت لامها يا أماه أموت وهذا ابن عمى ابن الزانية فى دار الدنيا الا كان ذلك أبدا ولا تشمت بى الاعدا فوحق من خلق الخلق من تراب لاجرعن ابن عمى غصص العذاب ولاذيقنه مرارة الحجر والا كتئاب ان أسعدنى الزمان ووافقتنى المقادير والاسباب على ما أريد من الفعال (قال الراوى) ثم انها بعد ذلك ركبت جوادها واعتدت بعدة جلادها وأظهرت لامها أنها طالبة الصيد والقنص حتى أنها تشتغل عما هى فيه من تجرع كاسات الغصص وسارت وقد أضمرت فى قلبها خلاف ما أظهرت لامها ولم تزل سائرة الى أن وصلت الى حلة ابن عمها ثم انها تنكرت ونزلت فى أبيات ضيافته وأرادت المقام وهى فى زى أهل الجبا زمتعممة مضيقة اللثام وهى بذلك اللباس فخدموها الخدام واكرموها غاية الاكرام وقد فعلوا معها مثل ما يفعلون فى حق الفرسان فلما ان كان من الغد حضرت الى الميدان فبلبلت عقول الشجعان ممن كان حاضرا فى ذلك المكان وسعدوا لانفسهم بالرماح الطوال والضرب بالسيوف الصقال وقد تزلزل الميدان وتعبت الخيل فى المجال هذا وقد أبصرها ابن عمها الاهوال من غير معرفة له بها وهى على ذلك الحال وما زالوا كذلك حتى تنصف النهار وكان قد برز اليها ابن عمها فرأى منها فروسية ما عليها عيار فعادوا بعد ذلك من الميدان وقد تحيرت من فعالها الفرسان وليس فيهما من رجع على صاحبه ولا قدر عليه فى طعنه ومضاربه هذا وقد افترقوا عن بعضهما البعض وقد عظمت الجيدا فى أعين الناس وحيرت جميع الفرسان الاتراس وقد أسكنت فى قلوبهم الرعب

والوسواس

والوسواس وكان ذلك مما يعرفون من شجاعة خالد وما كان تبين لهم من براعته على طول الابد (قال الراوى) هذا وقد أوصى خالد بها العبيد وقال لهم أكرموا هذا البطل الصنديد وزيدوا فى حباه كل المزيد لانه فارس شديد وبطل عنيد وله الفروسية التى ما عليها مزيد ثم ان خالدا عاد الى أبياته وفى قلبه منها ألم كبير وشىء أشد من نيران السعير هذا وقد أقامت الجيدا فى ضيافة خالد ابن عمها ثلاثة أيام وهو فى كل يوم يأمر بالزيادة فى اكرامه بما يقدر عليه من الانعام وهى فى كل يوم تخرج الى الميدان ثم انها تطاعنه ويطاعنها بين الفرسان ولم يزالوا على ذلك الحال فى كل يوم الى آخر النهار وتولى الشمس بالاصفرار وتعود الجيدا وهى زائدة النشاط كثيرة الانبساط وهى مع ذلك لا تعرفه بنفسها والآخر يكرمها ولا يعرفها وما تسمح نفسه أن يسألها عن حالها لما ينظر من شجاعتها وبراعتها هذا ولم يزالوا كذلك على ما هم عليه الى أن كان فى اليوم الرابع فركب على ما جرت به العادة هو ومن معه من أكابر القوم وعبر على أبيات ضيافته بمن صحبته من الفرسان فرأى الجيدا قد ركبت وطلبت الميدان فسلم عليها فردت عليه السلام وحيته بأحسن التحية والاكرام فقال لها خالد يا أخت العرب اعلمى أنى أريد أن أسألك عن حالك وأسمى بمعك الادب بحق من ألبسك ثياب الجمال ورزقك الصبر والجلد عند لقاء الفرسان فى الحرب والقتال أخبرينى من تكونى أنت من الابطال والى من تنسبى من الملوك والفرسان أصحاب المنازل العوال لانك قد أشغلت خاطرى وبلبلت سرائرى وحيرتينى فى أمرى (قال الراوى) فلما ان سمعت الجيدا

من خالد ذلك المقال ورأت الى ماصار فيه من ذلك الحال تبسمت عن ثغر ملان باللؤلؤ المنظوم وقد كشفت عن وجه أحسن من القمر بين النجوم وقالت له ياخالد اعلم انني أنا من جملة البنات ربات الجمال وما أنا من الفرسان ولا من الاقران بل أنا بنت عمك الجيدا التي أعرضت روحها عليك بعد ان طال المداقلت عنها ولا أردتها وقد فوضت أمرها اليك فملت أنا عندي ملاقات الابطال ومعالجة الاقبال أحب الي من معانقة النسوان ربات الجمال وانني الى ها هنا قد جئت لاعرفك قدر الجال واجرعك كؤس الوبال وأعرفك أن كلما جئت فيه زور وضلال قال محمد ثم انها ردت على وجهها اللثام بعد ما فرغت من ذلك الكلام وحركت عنان جوادها ورجعت الى ناحية بلادها وقومت بين أذان حصانها سنانها وقد بلغت بذلك ما أملته من شأنها هذا وقد صار ابن عمها في أمر مخل وقد سارت وتركته حيران في أمره لا يدري ما يفعل ولا يطيق دفع ما به نزل ونسي ما كان عليه من الفروسية وملاقات الشجعان هذا وقد انقلبت بغضة النسوان بمحبة وعشق وهيام وأخذه الزمع والرجفان وقد جرت دموعه على خديه وحس بأن الدنيا قد انطبقت عليه وسار لا يعرف ما بين يديه وقد غشي عليه (قال الاصمعي) ولما ان أفاقت غشوته ورأى نفسه انه قد تغيرت حالته فعاد راجعا الى حلته ودخل الى بيته وأعلم والدته وقد جرت دمعته وأخبرها بما تم عليه من نوبته فقالت له أمه لما سمعت ذلك المقال ياولدي انك تستحق أكثر من ذلك المقال ويجب لها انها تفعل في حقك أكثر من تلك الفعال لانه قد قيل في الامثال من لم يسمع لمن أكبر منه خصوصا أمه كثر همه

وعمه فقال لها يا أماه أنا أخطأت بما بدا مني من المقال وأريد منك اصلاح الحال والامت من الشوق والبلبال فطيبت أمه قلبه واوعدته بقضاء الاشغال ثم انها تجهزت من وقتها وساعتها وركبت على ظهر ناقتها وسارت وهى تقطع القيعان والفضا وخلفت ولدها على جمر الغضا (قال الراوى) وكانت الجيدا وصلت الى الاحياء وأخبرت أمها بما جرى بينها وبين خالد ابن عمها فاستعظمت أعمالها وبعد يومين وصلت أم خالد ودخلت على أم الجيدا بعد أن قطعت الفدافد واخبرتها بما حل بولدها وانها تلبيه قد زال نكالها وطلبت من أم الجيدا الاتصال بينهما ورفقتها وطلبت خطبتها من أبيها اذا قدم من سفرته وكان الامير زاهر أبوا الجيدا طالت غيبته فعند ذلك أحضرت أم الجيدا ابنتها وأخبرتها بخبر ابن عمها وعرفتها بما قدمت فيه أم خالد وقالت لابنتها يا بنتي بلغ به منك المنا فقالت الجيدا لا وحق من أوسع البيدا لا كان ذلك أبدا ولو سقيت كؤس الردا ولا كان ابنك لى بعلا ولا كنت له أهلا وأنا ما فعلت تلك الفعال الا حتى شفيت غليلى وأطفيت نار قلبي وهان على المطلوب وانفرجت عنى الهموم والكروب وأنا فى الاصل ما تعديت عليه ولا اوصلت شرى اليه بل أنا رغبت فيه وطلبت زواجه وقربه فما رضى بذلك فخالفته بقاسى وحده ومابقى لى حاجة بقربه (قال الراوى) فلما أن سمعت أم الامير خالد من الجيدا هذا المقال ارتجعت فى الحال خائبة مما املته ولم تزل سائرة الى أن وصلت الى حيها فدخلت على ابنها خالد واخبرته بما سمعت من الجيدا فتجددت أحزانه وتجدد دمعه ورأته أمه

وهو على نيران الحريق كثير الوجد والقلق فقالت له ياولدى
مابقى لك من حملك فرج ولا من هذا الضيق مخرج الا ان كنت
تجمع فرسان العرب وكل من يريدك وبينك وبينه صداقة ونسب
وترصد عمك حتى يرجع من غارته ويقدم من سفرته وسرانت
ومن معك اليه واخطب منه ابنته الجيدا وان انكرها عنك
واخفاها منك أطلعه على أمرها واصدقه فى المقال وعرّفه بما
جرالك ولها بين الفرسان والابطال ومافعلت معك فى الميدان
بين الفرسان والشجعان وقد اتضح الحال وانقضت جميع
الاشغال فقبل خالد ماقالته امه وخمدت نيرانه وحرقته لما سمع
ذلك المقال الذى قالته والتدبير الذى دبرته وصبر الامير خالد حتى
بلغه الخبر أن عمه الامير زاهر قد رجع من سفرته وعاد الى أرضه
وحلته فعند ذلك جمع الامير خالد اكابر عربه الامجاد ومشايخ
القبيلة الاجواد وهم من بنى خثعم وزبيد ومراد وكانت هذه
الثلاث قبائل كلها فى أرض واحده ولكنهم على المناهل متبدده
وهم أولاد عم بعضهم البعض وكلهم نازل فى تلك الارض
(قال الراوى) ولما اجتمعوا اليه وحضروا بين يديه أخبرهم
الامير خالد بقصته وسألهم فى معونته فتعجبوا مما جرى له
فى نوبته فقال معدى كرب الزبيدى وهو قد تعجب كل العجب
وكان من جملة رجال خالد فى الحرب وكان يشاكله فى الطعن
والضرب وقال والله ياخالد ان هذا الحديث أعجب من كل العجب
ولا سمع بمثله فى العجم ولا فى العرب لاننا ما كنا نسمع الا لعمك
ولد ذكر واسمه جودر والآن قد انكشف الامر وظهر
وبان المكتوم واشتهر وانت أحق بابنة عمك من سائر البشر

ومن الصواب أننا نسير اليه ونرده الى عشيرته ولا نتركه يغرب ابنته ويضيع حرمته ثم انهم ساروا اليه وكانوا مائة فارس الأكابر ومعهم عشرة من مشايخ العشائر الذين هم من أقران الامير زاهر أبو الجيد او محارب أبو خالد ممن كان تربا معهم فى زمن الصبا وكان الامير خالد أخذ معه هدية سنية مليحة بهية أحسن من الهدية الاوليه ولم يزالوا سائرين وهم يقطعون البر والغدافد حتى قدموا على الامير زاهر عم الامير خالد فتعجب عمه زاهر من سرعة عودته ورأى مشايخ العشيرة فى صحبته فحار الامير زاهر فى قصته لانه ما كان به لم يحال ابنته وظن ان القوم أتوا يترضوه والى عشيرته يردوه فتلقاهم أحسن ملتقى بالتعظيم والاكرام ونحر لهم النوق والاغنام وروج لهم الطعام وقدم لهم المدام وأقاموا فى ضيافته ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع نهض الامير خالد على قدميه وقد شكر عمه وأثنى عليه وخطب منه ابنته الجيداو وطلب منه العودة الى أرضه ودياره فأنكر عمه الامير زاهر ان ماله ابنة أبدا الا ان كان ولده جودر وقد عرف به كل من غاب وحضر (قال الراوى) فلما سمع الامير خالد من عمه ذلك الكلام شرع يحكى له أمر قصته وما جرا له من ابنته فطرق رأسه فى الارض متحيرا وصار متفكرا فى أمره متغيرا وبعد ذلك رفع رأسه وقال يابنى الاعمام وحق البيت الحرام والركن والمقام ما ظننت بأن هذا الكلام يظهر ولا يعرفه أحد من البشر ولكن ما بقى الا زواجها الا ابن عمها لانه من جميع الناس أحق بها ان شاءت أو ان أبت ثم انه أعطاه يده على ذلك وزوجه بها وشهدت عليهم بذلك الفرسان وقد قطع المهر خمسمائة ناقة حمر الوبر

وخمسمائة جمل محملة من ظرائف اليمن وقد شهد الناس على ذلك واستقر المهر على هذا الامر فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من بنى سعد الذين كان نازلا عندهم الامير زاهر فصاروا يتعجبون من ذلك الامر لانهم ما كانوا يظنون للامير زاهر الاولاد كر كما أنبئهم من الخبر فعند ذلك حار والمابان أمرها واشتهر سرها وأما الامير زاهر فقد استأذن ابنته فى ذلك فاستحيت أن ترد كلمته وعلمت ان أباها ما بقى يتركها بلا أزواج بعداز قالت له يا أبتاه أنا ما أدخل على ابن عمى حتى ينحر لى ألف جمل ليلة عرسى وألف ناقة فوا تك وتكون كلها من أموال ملاعب الاسنة غشم بن مالك فارس بنى عامر فخرج الامير زاهر وأعلم ابن أخيه بذلك الخطاب فسمع وأجاب ورضى بتلك الاسباب ومازال المشايخ بالامير زاهر وأصحابه حتى رحل معهم بأموالهم وجميع متاعهم (قال الراوى) ولما حلوا فى الاوطان تجهز الامير خالد الى الغزو وأخذ معه ألف فارس مثل الاسود العوابس وقصد بهم الى ديار بنى عامر ولما وصل اليهم قتل أبطالهم وجرح قيالهم وأخذ من جمال ملاعب الاسنة ما سد البيدا وعاد وهو منصور على الاعدا مؤيدا بعد ما التقى بملاعب الاسنه وسطا عليه سطوة الجبابره الذين لا يبالون بالعواقب وجرحه فى ثلاثة مواضع وعاد بأمواله ونوقه وجماله راجع وأخذ أكثر مما طلبت الجيدا منه وقد زال ما به من همه وغمه وبلغ قصده ومراده ولما وصلوا الى الحى خرجوا الى ملتقاه الكبار والصغار وما قرّله قرار حتى انه طالب عمه بالزفاف فأعلم ابنته فجاءت الى خالد تقول يا ابن العم ان أردتنى لك أهلا وأنت تكون لى بعلا أريد منك حرة من حرائر العرب

ممن كان لهم حسب ونسب وتكون مكرمة من بنات أهل الرتب ذات عقل وأدب ويكون أبوها من الفرسان المشهوره أصحاب الغارات المذكوره حتى تقود بزمام جملي ليلة زفافي وجلوتي لأفتخر بذلك على بنات عشيرتي ويكون لي بذلك فخر على بنات العرب الاحرار (قال الراوي) فعند ذلك أجابها بالسمع والطاعه وكان ذلك من غير شناعه ثم انه تجهز من يومه وأخذ ألف فارس من قومه ولم يزل يقطع الاودية والجبال حتى نزل على حلة معاوية بن النزال سيد هذه الاطلال فغار على حلته وقتل الابطال وسبا أميمة ابنته ورجع عاجلا الى حلته واستقر في المنازل وافتخر على أهل سائر القبائل قال ولما بقي في الاحياء أوهب الى الايتام والارامل وأقام الفرح الكامل ودعا كل من كان له من الاصدقة والعشائر وجمع في عرسه الثلاثة قبائل الخاص والعام واصطفت المولدات بالدفوف والمزاهر ووقعت البشائر في الحال والعشائر ولما قربا الامير خالد القرار دعا من له من الاهل والخلان والمعارف من جميع الآفاق وكل من له من الرفاق ونحر لهم الجمال والنياق وشاورهم في الزفاف فقال له ما بقي خلاف فأعلم الامير زاهر بذلك زوجته وأمرها بأن تجهز ابنته فأرسلت الجيدا الى ابن عمها تقول له يا ابن العم أريد منك أن تصيد لي عشرين سبعا ولبوة من الجبال والدحال وتذبحهم وتصنعهم في جملة الطعام ليكون لك بهذا افتخار على الخاص والعام وأفتخر أنا بك على سائر بنات العربان فلما سمع الامير خالد هذا الكلام أجاب بالسمع والطاعة ونهض من وقته وساعته وترك القوم مشتغلين بأكل الطعام وشرب

المدام وصار يهجم على الدحال والآجام ويأخذ الاسود اقتناصا ويعودبها الى الخيام ويجعلها فى مكان حتى صار خمسة عشر سبعا وابوه وبقى عليه خمسة فعلمت ابنة عمه بذلك فغيرت زيها وخرجت للبر والآكام وركبت جوادا يسبق طير النعام وكان قدبقى لزفافها ثلاثة أيام ثم انها كمنت لخالد فى بعض الدحال الذى تصيد منها السباع والاشبال ولم تزل له فى الانتظار حتى أتاها خالد لتلك القفار فعند ذلك خرجت الجيداعليه وصوبت سنان رمحها اليه وغيرت صوتها وصاحت عليه وقالت انزل يا ابن الخنا عن جوادك والا وضعت هذا الرمح فى فؤادك وأسقيتك كاس العطب وجعلتك مثلا بين العرب فعند ذلك حمل عليها خالد فتلقته الجيدا وهجموا على بعضهم فى تلك الآفاق وهم على الخيول العتاق وتطاعنوا بالرماح الدقاق وتضاربوا بالسيوف الرقاق وجرا بينهم فى الحرب ما يحير عقول الحذاق فرأى خالد أنه عن ولهته انعاق وأن خصمه فارس لا يطاق فقال له يالك من شيطان وأسد غضبان ما أشد بأسك وما أقوى رأسك قطع الله عقبك ودق صلبك كما عوقتنى عن مرادى وكدرت على عيشى ويلك أخبرنى من أنت لا كنت ياشيطان يا ابن الالف شيطان ولا عمرت بك أوطان (قال الراوى) فلما سمعت الجيدا كلام ابن عمها كشفت عن وجهها لثامها وقالت له يا خالد من يكن مثلك يهجم على السباع فى الآجام ويتكلم بمثل هذا الكلام ويقوم مع طفلة هذا المقام فما هذه صفة فارس همام فقال خالد وقداستحيا من بنت عمه لما سمع هذا الكلام وصار من الحياء كأنه الجم بلجام وقال والله يا ابنة العم

ماقدر أحد ان يثبت قدامي في الميدان الا أنت ياسيدة النسوان ومع ذلك فاى شيء الذى أخرجك من خدرك أو ما تعرفين قدرى وتما ربني بذلك عند الخلوة والاجتماع فقالت الجيداء وحق ذمة العرب ما خرجت الا لاعينك على صيد السباع فتعجب خالد من ذلك الايقاع وتبسم من كلامها وتعجب من شدة بأسها ثم انهم دخلوا الى غابة كثيرة السباع فاصطادت الجيدا سبعا ولبوتين وفعلت ما يعجز عنه أهل المشرقين والمغربين ورجعت سالمة من خالد فهنأها بالسلامة وبلوغ المقاصد وقد زادت محبتهم لبعضهم بعض وسادوا على أهل الارض في طولها والعرض (قال الراوى) ولما سلمت الجيدا لخالد السباع قال له أيها البطل الشجاع والقرم المناع فلا تعد بعد هذا اليوم تخرج من الحى الابعد زفافى عليك فأجابها بالسمع والطاعه ثم انها فارقته من تلك الساعه ودخلت الى بيت أمها وخدرها ولا أحد يعلم بحالها قال ولما أتا خالد ونظرت الفرسان الى فعاله فزادت هيبته وارتفعت رتبته وعلت على جميع العربان كلمته ولما كان من الغد عمل خالد الولائم وذبح الف ناقة وجمل وعشرين سبعا ولبوة وافتخر بهم في السهل والجبل وعزم العزائم وأشبع كل قاعد وقائم وحركت المولدات الدفوف والمزاهر واجتمعت القبائل والعشائر وخرجت البنات الابكار ورقصت جميع الجوار وظهر الاستبشار فلم يزالوا الى أن أمسا المساء وأظلم الليل بالاعتكار وزفت الجيدا على الامير خالد وكملت له جميع المحامد ونال الفخر بين الرجال وكان له سعد واقبال وضربت بهم الامثال وتحدثوا بأمرهم الابطال ومامضى عليهم غير ذلك

العام حتى مات أبو الجيدا وشرب كاس الحمام وارتفع قدر الامير خالد والجيدا بين الانام وعلا ذكرهم فى سائر البقاع وخافتهم الملوك وكل فارس شجاع وصارت تحمل اليهم الهدايا وخلافها من البلاد وفزع من هيبتهم كل جبار وارتاع وأمنت بهم كل البقاع وتحدث بحديثهم كل أحد وشاع ذكرهم فى البر والفدفد وقصدتهم الشعراء والقصاد من كل مقصد فهذا ما كان من خالد والجيداء (قال الراوى) وأما ما كان من عنتر ابن شداد فانه كما قدمنا سار قاصد أرض بنى زبيد وتلك الديار وشيبوب بين يديه يقطع القفار وعنتر يسلى نفسه بنشيد الاشعار ومازال سائر ايجد المدا الى ان قطع الارض والبيدا وتمكن فى بعض الاودية وأرسل أخاه شيبوب عند المساء حتى يأتيه بالاخبار فسار شيبوب المكنى بابى رياح يكشف الاخبار ويبين الفساد من الصلاح فمضى الى الاطلال والديار وتحدث مع العبيد والاحرار وفهم منهم جميع الاخبار وصبر الى وقت الصباح وعاد الى أخيه مثل هبوب الرياح ومازال يقطع البطاح حتى صار قدام عنتر البطل الجراح وصار يقول أبشر يا ابن الام فسعادتك غلبت على كل شىء فقال عنتر وكيف ذلك يا أخى فقال شيبوب ان خالد بن محارب عن الاوطان غائب فى جميع فرسانه وتلك العشاير وما فى الحى متخلف أكثر من مائة فارس مع الجيدا ابنة زاهر فقال عنتر ويلك يا شيبوب وبها أنال المطلوب ومع ذلك ما سألت اين سار خالد بن محارب فقال شيبوب نعم يا ابن الام سألت عنه بعض العبيد فقال لى انه سار بعشرة الف فارس وطلب بهم الى حى بنى عامر ومعه معدى كرب الزبيدى وقيس ابن المكشوح المرادى وقد

147

ترك خالد ونت عمه الجيدا فى الحى مع مائة فارس لحماية الحريم والاولاد وأن الجيدا ياأخى من كثرة شوقها الى خالد ابن عمها الاشام الهليل بل انها تركب كل ليلة فى عشرين فارس من الابطال الاشاوس وتفتقد المذاهب والطرقات وتعتسف البر والفلوات وما تعود الا عند الصباح خوفا منها على الحلة والنسوان أن يطرقهم بعض شياطين العربان أو تخونهم نوائب الزمان (قال الراوى) ولما سمع عنتر كلام أخيه شيبوب انجلت عن قلبه الهموم والكروب وقال عنتر وحق علام الغيوب يا بنى قد بلغت المطلوب وفى هذه الليلة أأخذ الجيدا وتصير فى يدى صيدا ولكن أريد منك يا ابن الام اذا وقعت بها ورأيتنى حملت عليها سرأنت وامسك لى رأس الطريق على من معها من الفرسان حتى لا تهرب ويهرب معها انسان ويعود الى الحى ويقيم علينا الصياح فاذا جازك منهم فارس فبادر بضربه بنبلة فى فؤاده اقتله والا افعل ماذ كر بجواده وان فاتك أحد منهم من الابطال ومضى الى الحى ونفر علينا الرجال قطعت يمينك بعد الشمال لانك أنت يا أخى لى مساعد ومعين فقال شيبوب أى وأبيك سوف ترى ما تقربه عينيك ثم انهم لم يزالوا فى ذلك الكمين والى جهة ديار بنى زبيد ناظرين حتى مضى النهار بالانوار وأقبل الليل بالاعتكار الا وركض خيل الجماعة قد أقلب الشرق والغرب وملأ الارض السفلا والجيدا قدامهم كالغمامة السودا وهى كأنها قلة من القلل أو قطعة فصلت من جبل وهى تمدح نفسها وتنشد وتقول هذه الابيات

غبار الخيل فى البيداء منعى ✽ وطعن صدورها فى الحرب شغلى
وصيد الاسد فى الغابات فخرا ✽ وتعظيما لغيرى لا لمثلى

لانى كل يوم فى فلاها * أروع ليوثها بفراق بشبلى
وما التأنيث عيب فى فتاة * ألا فى الكريهة ألف فحلى
فمن يقدم على اذا رآنى * أخوض الخيل فى وعر وسهلى
وقد شهدت رماح الخط انى * أريد أنا على من كان قبلى
حويت الفخر دون الناس وحدى * باقدامى وأقوالى وفعلى

(قال الراوى) فلما سمع عنتر شعرها ونظامها وفهم كلامها قال لاخيه شيبوب هذا وقتك يا ابن السودا خذ أنت على القوم جانب البيدا حتى اهجم أنا على الجيدا وآخذها وتصير فى يدى صيدا فعند ذلك أطلق شيبوب قدميه وسعى على الارض برجليه فجاز الفرسان كلهم وصار من جانب أرضهم وسد عليهم الطريق فى مكان مضيق هذا وعنتر قد أطلق العنان وقوم السنان حتى قارب الفرسان وزعق زعقة الاسد الغضبان وحمل على الجيدا ومد لى نحوها السنان وكانت لما سمعت صوته ونظرت صورته فسارت اليه على حس زعقته فطلبها عنتر ودهمها وفاجأها حسام انه طعن جوادها قتله فوقعت من أعلاه فتركها عنتر مشغولة بنفسها فى تلك الفلاه وقد سل سيفه المضى فى سواد الليل وأنزل بهم الذل والويل ومال عليهم كل الميل وفى دون ساعة أنزل بهم الوساوس وقتل منهم اثنى عشر فارس وعولت الثمانية الاخرى على الهرب فتلقاهم شيبوب بنبال العطب وناداهم الى أين يا أنذال العرب ثم انه ضرب الاول فشك النبلة فى فؤاده وضرب الثانى شكها فى فخذه مع جنب جواده والثالث أعدمه أهله وأولاده والرابع قطع عنه مراده وحرك عنتر على الاربعة الاخر قتلهم مثل لمح البصر وترك رؤسهم تتطاير

وما

وما أملت من القوم نفر (قال الراوى) فهذا ما جرى لهؤلاء وما تم عليهم من الردا وأما ما كان من الجيدا فانها لما وقعت الى الارض غشى عليها ساعة زمانية فلما افاقت نظرت يمينا وشمالا فما رأت حولها أحدا من الرجال فعند ذلك جردت حسامها وهرولت طالبة الهرب وهى من هول الوقعة مدهيه ولا تعرف من فعل بها هذه القضيه قال وما بعدت فى البر حتى نظرت خيل أصحابها وهى خالية من ركابها فعلمت بأنه حصل لقومها سبب من الاسباب فمضت وركبت بعض الخيل وأطلقت العنان تطلب الحى فى سواد الليل ولم تزل سائرة فى الليل المعتكر حتى انها وقعت ثانى مرة بعنتر لاننا كما ذكرنا كان عنتر وشيبوب قد مسكا الطريق وكان عنتر فى ذلك الوقت يحدث اخاه شيبوب بسبب الجيدا ويقول له أدركها قبل ما تهرب وتوسع فى البيدا وتركب من بعض الخيول الشارده وتعود معها فى القتال والمعانده (قال الراوى) وكانت الجيدا سمعت من عنتر هذا الكلام فحققت أنه هو الذى فعل معها هذه الفعال وأهلك من معها من الابطال فعند ذلك زعقت عليه وقالت له هيهات هيهات والندم على ما فات يا كلب العرب والباديه وأخس الرجال الطاغيه فدخاب والله أملك من الجيدا وقد عادت اليك تسقيك كأس الردا وتجعلك فى هذا البر بددا ولولا هجمتك على حين غفلة يا نسل الاوغاد وطعنتك للجواد لكان طال عليك ان ترانى ممددة على المهاد ولكن هذا كله بقضاء رب العباد ثم انها أظهرت له العزم وقوة اليد وصرخت له صرخة الاسد وقد هجمت على عنتر فى الظلام وطلبته بالحسام وتصادما أشد صدام وقد اشتد

وزاد بينهما القتال وتزلزلت الارض بالزلزال وقد تملت منهما
الاوصال وخذلت المناكب والاكتاف وأيقن كل واحد
بالتلاف هذا كله يجرى وشيبوب يرقب الفلاه وهو حافظ
أخاه ومن ناحية الحله يرعاه ويدور حوله من كل جانب
ويرقب البر فى ظلمة الغياهب خوفا عليه ان تدركه الخيل على حين
غفله وتأتى اليه الفرسان من اهله هذا والجيداء قد كلت
من الكفاح وتدخدخت من الصياح وانخنت بالجراح مما كان
حل بها من تلك الوقعه وهى بحالة الفجعه ولكنها صارت
تظهر الصبر والجلد وتخفى العجز والكمد وتريد ان تقتل ولا تسلم
نفسها من شدة عزيمتها وقوة همتها الى أن أشرق ضوء الصباح
وكان عنتر يريد أسرها وذلها وقهرها وبعد ذلك هجم عليها
هجمة القضاء والقدر حتى حلك لركاب بالركاب وقبض على أطواق
درعها وعصر بيده على خناقها فكادت ان تطلع احداقها
ثم انه رجلها عن ظهر الجواد ونال منها المراد ثم انه ضربها بالسيف
صفحا على رأسها فكادت ان تخمد انفاسها وأيقنت بالتلاف
وقد أدار يديها الى الاكتاف وقد شد منها الاطراف وما فرغ
الحرب والكفاح حتى انفجر الصباح فعند ذلك قال له أخوه
شيبوب اعزم بنا يا ابن الام على المسير قبل ما يتعالى النهار ودعنا
نبعد فى البر والقفار فقال عنتر وكيف هذا العمل نرجع ولا معنا
ناقة ولا جمل ونترك أموال هذه الحله ونجعل لنا فرة ثانية
لعرس عبله ولكن اصبر حتى تسرح الاموال ونأخذ منها حاجتنا
ونعود ونكون قد بلغنا المقصود ثم انه صبر حتى انبسطت الشمس
فى الصحرى وخرجت المواشى تسعى طالبة المرعى فدخل فيها عنتر

149

بعد ان أبعدت عن الاحياء وساق منها ثلاثة ألف ناقة وجمل برعاتها وترك الضرب فى اقفية العبيد حماتها وأمر أخاه شيبوب ان يسوقها ويرعها وأوقف عنتر حامية لها يرد من يتبع أثرها (قال الراوى) وكان انهزم باقى العبيد وقد عادت الى الحى وألقوا فيه الصياح ونادوا بالويل والاتراح وقالوا أموالكم ساقها فارس وراجل فعند ذلك ركبت الفرسان على ظهور الخيل الصواهل وقالوا للعبيد أين الجيدا لبوة البيدا فقالوا أما الجيدا فقد ساقها فارس اسود أغبر كانه الموت اذا تصور وبعد ما قتل الفرسان وأباد جميع الشجعان وقتل جماعة من العبيد الرعيان بحسام هندوان وهو واقف ينتظر من يسير اليه يحاربه ويقاتله ونقول انه هو الذى قتل الجيدا وتركها طريحة فى البيدا فقال لهم فارس بنى زبيد الاكابر وكان يقال له الامير جابر يا ولد الزنا ونسل الانذال فما هذا الحديث واى شىء هذا المقال ومن يقدر يقاوم الجيدا فوحق ذمة العرب الاماجد لو وقعت الجيدا بجيش متزايد لما تركت يصل اليها منهم واحد وما هى الا وسعت فى البرية تطاب الصيد والقنص وتريد ان تنتهب الفرص ولكن من اين واين انا اركب وانكفيها هذا الامر ونعافى هذا الشر ثم انهم أطلقوا الاعنه وقوموا الاسنه متتابعين لبعضهم البعض وساروا فى تلك الارض طولا وعرض وهم طالبون لعنتر اسد العرين وما زالوا سائرين حتى أشرفوا عليه وهم منقطعين فى البر من عشرة وعشرين فرأوا عنتر وهو واقف بجواده مشتملا بألت جلاده متكئا على رمحه يحدق اليهم بالنظر ويشتاق لحربهم كما تشتاق الارض الى أوائل المطر (قال الراوى) ولما وصلوا اليه صاحوا عليه

وقالوا له من أنت أيها الساعي الى هلاكه برجليه والقائد بزمام المنية اليه فلم يرد عليهم جواب ولا أبدالهم خطاب بل قلع رمحه من التراب وتلقاهم بصدورهم وأجرى الدماء من نحورهم وكان الكل كما ذكرنا ثمانين فارس صنديد ومعهم طائفة من العبيد ولكن أين الثريا من الثرى وأين المدر من القوى وأين الثعالب من أسد الثرى لان عنتر الاسد الرئبال كان وحده يلقي الوفا وصفوف ويسقيهم كأس الحتوف ويجندل الابطال ويفرقهم يمينا وشمال ولا يبالي بهم في القتال فكيف يثبت بين يديه ثمانون فارس قشم ومالهم رئيس ولا مقدم فمال عليهم أبو الفوارس عنتر في تلك الهمة فما تعالى النهار حتى مدد أكثرهم على الرمال وأنزل بهم الويل والبوار وولى الباقون من هيبته وطلبوا الفرار فتركهم وعاد على أثر أخيه شيبوب خوفا عليه والدماء تسيل من منكبيه فهو كذلك وهو يقطع الارض والقفار واذا بغبار من قدامه قد ثار وسد جميع الاقطار وعلى كانه البحر العجاج وارتفع في الجو وماج وكثرت فيه الامواج فقال عنتر في نفسه جاءت عساكر القوم واليوم بطل العتب واللوم (قال الراوي) ثم ان عنترا أطلق العنان وقوم السنان حتى يكشف الخبر واذا بأخيه شيبوب راجع على الاثر حتى بقي بين يدي أخيه عنتر فلما رآه عنتر زعق عليه وقال له ويلك يا شيبوب ما هذا الحال ومالك تركت الجيدا والمال وأتيت الى نحوي هاربا يا ابن الانذال فقال شيبوب يا ابن الام أشغلني عنهم هذا الغبار الذي من امامنا قد ثار واعلم ان الرعيان الذين كانوا معي لما رأوا هذا الغبار طلبوني وحملوا علي وأرادوا ان يقتلوني وما روايه ولون أين

150

تدعون يا نسل الكواذب وقد أتتكم فرساننا الانجاب ومعهم
الامير خالد بن محارب ودارت العبيد من كل جانب وتقدموا
الى وارادوا القبض على فتباعدت عنهم وصرت بالنبال أرميهم
حتى قتلت منهم ثلاثه وقد أنزلت بهم الشماته ولكن خفت
ان أشتغل بالباقين فتهلك أجمعين لان هذا الغبار يدل على
عسكر جرار وانت فى هذه البلاد فارس واحد فقال عنتر ويلك
يا ابن الملعونه أتيت من فزعك من الحرب والقتال وتركت الجيدا
والاموال وهربت الى نحوى يا ابن الانذال فوحق رب البشر
لا رينك اليوم حربا يحير الفكر (قال الراوى) ثم ان عنترا أطلق
عنان جواده الابجر وقوم فى يده الرديني الاسمر حتى أشرف على
المال وعاين النوق والجمال فنظر العبيد قد حلوا أميرتهم الجيدا
وهم متفرقون فى أقطار البيدا وهم ينادون يا آل زبيد يا آل مراد
أدركونا وخلصونا من هؤلاء الاوغاد قال هذا والجيدا على ظهر
الجواد وقد عظم عليها الامر وزاد وهى لا تأمر ولا تنهى لانها
خالية من السلاح موثقة بالجراح فلما نظر عنتر اليها والى ذلك
الخبر صاح على العبيد وقال يا اولاد اللئام مالكم أنتم بكثرة
الكلام اتركوا الفضول وسوقوا هذه الجمال والخيول
والا تركت كلا منكم مقتول ثم انه طعن عبدا من العبيد أطلع
أمعاه وزعق فيهم وطعن ثانيا أعدمه الحياه والثالث لمن جده
وأباه والرابع ألحقه برفقاه والخامس غرقه فى دماه
والسادس ونه القناه فلما رأوا العبيد الى ذلك الحال أعجلوا
وساقوا المال وهم ينادون الامان الامان يا سيد الفرسان
من سيفك والسنان وأما الجيدا فانها لما رأت تلك الفعال هربت

وساقت الجواد الى نحو هذا الغبار تطلب منه معرفة وأنصار فتبعها عنتر الاسد القرار والبطل الكرار وعول انه يخوض ذلك الغبار والعسكر الجرار الذى مثل البحر العباب وهو كانه العقاب هذا والجيداقد قربت من ذلك الغبار ودنت منهم بالاخبار واذا بذلك العسكر فرسان وأى فرسان وهم ينادون بفرد لسان يالعبس يالعدنان دونك يا أبا الفوارس خصمك فمن أحل حاجتك أتينا الى هذا المكان (قال الراوى) وكان هذا الجيش والفرسان من بنى عبس وعدنان والمقدم عليهم الملك زهير وأولاده وفرسانه وأجناده وكان السبب فى مجيئهم الامير شاس وأخاه مالك لانهم لما افتقد واعنتر فما وجدوه كما ذكرنا فى مبدء الكلام تنغص عيشهم لفقد عنتر وتكدروا وسألوا أباعبلة مالك فما أعطاهم خبر فضاقت صدورهم غاية الضيق ووجدوا فى قلوبهم لفراق عنتر نار الحريق فدخلوا على أبيهم الملك زهير وأخبروه بماجرى فضاق صدر الملك زهير لذلك غاية الضيق واحترق على عنتر وغيابه بتحقيق (قال الراوى) ثم ان الملك زهيرا طلب شداد أباعنتر وسأله عنه فما أنبأه بخبر بل انه قال له يامولاى اعلم ان ولدى عنتر ماعاد يطلعنى على خبر ولاجلية أثر وانما تملكه أخى مالك دونى لاجل محبته الى عبلة ابنته وأنا أعلم انه لم يزل عليه حتى انه يهلكه وقد تحيرت فى أمرى وسلبت ولدى فقال الملك زهير وحق ذمة العرب لان قتل عنتر أوتم عليه أمر من الامور لاصلبن مالكا وولده عمرو واشويهم فوق الجمر ولكن ياامير شداد مرادى منك انك تكشف عن خبر ولدك أنت بنفسك حتى نعلم أين سار ونسير كلنا خلفه ونقتفى منه الآثار ونجده

بالعساكر والابطال ولا يشتفي فيه أبو عبلة والربيع ابنا الانذال فعند ذلك أجاب الاميرشداد بالسمع والطاعة وارتجع من عند الملك زهير ورصد أخاه مالك حتى خلت منه الديار فعند ذلك أنفذ زبيبة أم عنتر الى عبلة تكشف لهم الخبر فسارت زبيبة وسألت عبلة عن ولدها عنتر فأعادت عبلة عليها الخبر وكيف سار فى طلب الجيدا والنوق والجمال لاجل الوليمة (قال الراوى) وما كانت عبلة تكتم شيأ عن زبيبة من الاسرار فلما سمعت زبيبة من عبلة ذلك الكلام السداد رجعت الى مولاها الامير شداد واعلمته بما جرى من الحديث والايراد فقام من وقته وساعته ودخل على الملك زهير وقد أنبأه بالامر الذى قد تم على عنتر وما عليه مالك دبر وقد أعلمتنا عبلة أنه قد سار فى طلب الجيدا ابنت زاهر وابن عمها خالد ابن محارب الاسد الكاسر وان عبلة يا ملك قد طلبت منه الجيدا تقود بزمام ناقتها ليلة زفافها وجلوتها وعنتر قد حلف لها أنه يأتى بالجيدا بتمام خلقتها وام خالد بن محارب معلقة فى راس ناقتها وينهب بنى خثعم وزبيد ومراد ويأتى بأموالهم ويجعله فى عرسه وأنا أقسم بحق الكعبة الغرا وأبى قبيس وحرا وحق شهر رجب وذمة العرب أنا أعلم وأتحقق ان كل ذلك من تدبير الربيع ابن زياد ومكر أخى مالك ابن قراد فقال الملك زهير قاتل الله أخاك مالك لانه أرمى عنترا فى المهالك طال ما كشف عنا النوائب والتنكيد فقاتل الله أخاك مالك كما أرماه فى بنى زبيد فقال شاس ابن زهير وحق ذمة العرب لا فصل هذا الامر غيرى ولا بد ما أسير فى طلب عنتر وأساعده بكل ما عليه أقدر وآخذ معى رجالا لا يفوتها الفوت ولا تخاف من الموت وان رأيته قتل فى مقام الحرب أو جندل

أخذت ثاره وكشفت عاره وقتلت قاتله وأنزلت به ذله وما يعطيه وأجازى عمه بما يستحقه واطلب ابنه عمرا الى جانبه وان كان عنتر سالما من الاذا كنت له الفدا فقال الملك زهير تسير وحدك باولادى فقال شاس نعم أسير في بعض رجالى الذين هم أهل الكرم فقال الملك زهير وأنا أسير معك بكل من هنا من عسكرى وجندى ونسير كلنا في طلب عنتر الذى يصبر من أجلنا على الشدائد (قال الراوى) ثم ان الملك زهير أمر عبيده تعلم الفرسان بالركوب وأن يأخذوا أهبتهم بالمسير الى ديار بنى زبيد الشجعان ففعلت العبيد مثل ما قال وأعلموا الفرسان والابطال فتجهزوا وقضوا مالهم من الاشغال ولما كان من الغد ركب الملك زهير وركبت أولاده واعتدت فرسانه وأجناده ونشرت على رأسه راية الحرب وملأ بنو عبس الشرق والغرب وتأهبوا للطعن والضرب وهم غائصين في الحديد والزرد النضيد (قال الراوى) وهو الاصمعى كان بنو عبس أربعة ألف فارس ما بين مدرع ولابس فأخذ الملك زهير منهم في هذه الركبة ثلاثة ألف من الاقيال وترك في الحى ألف فارس من الابطال لحفظ المال والعيال وترك عندهم ورقة وقرواش بن بقى معهم قال ولما هم الملك زهير بالمسير تقدم اليه مالك أبو عبلة وقال له أيها الملك ما هذا الانزعاج وهذه الهمه والى أين عزمت هذه العزمه فقال له الملك زهير سائر الى هذه العقدة التى عقدتها حتى نحلها ونكرم حرمتك ونحلها وهذا كله من أجلك يا كلب يا شيخ الضلال يا مشوم الناصية والخصال كم تكذب في المقال وتشهد على نفسك بنفسك بالزور والمحال وتحمل عنتر من النوائب أحوال

واحمالا

152

وأحمالا لاتحملها الجبال وترميه الى المصايب والاهوال
ثم انه أخبره بالحال فقال مالك أبوعبلة أيها السيد هذا الامر
ماكان مني ولاسمعت به الافي هذه الايام وعزمت من أجل
ذلك أن أضرب رقبة ابنتي بالحسام لان النسوان لعبن بعقلها
حتى قالت ذلك المقال وأحوجت ابن عمها عنترا أن يفعل تلك
الفعال وارمته الى المصايب والاهوال فقال الاميرشاس
وحق ذمة العرب الكرام لقد كذبت يامالك في هذا الكلام
وان ابنتك عبلة لاتهتدى الى ذلك المرام وأنا أقسم بالله العظيم
رب زمزم والحطيم لولاهيبة والدى وخاطر عنتر اضربت رقبتك
بهذا الحسام الذكر ولكن وحق البيت العتيق والركن
الوثيق لان تبعتنا فى طريق لاذيقنك كؤس الحمام لانك
عدو وما أنت صديق ثم ان الاميرشاس رفع يده وصفع مالكا
بالسوط على اكتافه حتى ألهب قلبه وأشرف على اتلافه
وكذلك الملك زهير ردالربيع ابن زياد وما ترك معه منهم بشر
لعلمه أنهم يبغضون عنتر وقال الملك زهير الى بنى زياد أقيموا أنتم عند
ولدى ورفقة فى الحى من أجل حفظ المال والحريم والاولاد لاننا
لانأمن الحلة من الاعداء والحساد (قال الراوى) و بعد ذلك سار
الملك زهير بمن معه يقطعون الارض والبيد طالبين ديار بنى زبيد
وارتجع الربيع وأخوه عمارة ومالك أبوعبلة ابن قراد وعادوا
الى الاحياء وتلك البلاد وفى قلوبهم الحرارة والاحقاد ولكن
أكثرهم أبوعبلة مالك ابن قراد ورجع وهوضيق الانفاس
لاجل ماجرى عليه وماقاسى من الاميرشاس وكيف بهدله
وهتك حرمته بين الناس فصار مالك أبوعبلة يقول للربيع ابن

زياد والله يا ابن الاعمام ما بقي لي في هذه الديار قعاد ولا بد لي من الرحيل الى بلاد الشام وأعبد الاصنام مع الازلام ولا أكون عند أقوام أهان عندهم وأضام وكل هذا الذي جرا من العناد والخنا من أجل هذا عنتر بن الزنا فقال عمارة ابن زياد ابن الانذال وحق الكعبة الغرا وأبي قبيس وحرا ان صنعنا بجلود الجمال عند أقل الرجال أحسن من تلك الفعال فقال الربيع والله يا اخي ان الملك زهير ما فعل معنا تلك الفعال الا لاجل عنتر ابن الانذال ولكن نحن نرحل عنه وعن حيه ونبعد في البر الاقفر ونترك أرض الشربة وتلك البلدان ونسكن لاجل الملك زهير وعنتر في بعض الوديان وننظر كيف الملك زهير وعنتر يندم اذا زلت به القدم وأصبح غارقا في بحر العدم قال جهينة اليمني ثم ان الربيع وعمارة وطائفة بني زياد وعمرا الخاعبلة وأبا مالك بن قراد جمعوا رأيهم على الرحيل من أرض الشربة والعناد وان يسيروا وينزلوا في بعض البلاد ثم انهم في الوقت والحال هدوا خيامهم وقوي على الرحيل اهتمامهم وأمروا عبيدهم أن يشدوا الرحال ويسوقوا الجمال وركبوا الحريم والعيال على الهوادج العوال وساقت العبيد بين أيديهم الاموال (قال الراوي) وما أمسى المساء الا والقوم على ظاهر الخيام وقد رحل معهم سبعمائة بيت من الحلة بأموالهم وحريمهم وعيالهم لان الربيع كانت كلمته مسموعة وهو شيخ من مشايخ بني عبس واخوته سبعة أماره يقارنون الملك زهير في النسب لا في الفعل والادب وكان لهم الشورة ورحل مالك ابن قراد بعيلة ابنته وأمواله ونعمته وكل من يلوذ به وصحبته ورحل معهم

153

الامير عروة ابن الورد برجاله المائة فارس الذين من بني عبس الاشاوس وهم فرسان بني عبس وصناديدها وأبطالها وأماجيدها لانهم كانوا فرسانا عظاما وهم الذين كان يتقوى بهم الملك زهير على بلوغ المرام ولكن كان ذلك من قبل أن يظهر عنتر البطل الضرغام فلما ظهر عنتر ما بقي لهم ذكر بذكره ثم ان الكل تبعوا رأي الربيع ابن زياد وهو قد سار ذلك اليوم وقد تبعوه الاجناد (قال الراوي) فلما ساروا في البراري والقفر والمهامه الاغبر أخذ الربيع في المشوره هو وكل من عنده بخبره فقال مالك أبو عبلة مالنا أطيب من ديار بني عامر وننزل على الامير خالد ابن جعفر وغشم بن مالك الملقب بملاعب الاسنه ورداد الاعنه ونكون في جوارهم لان القوم كثيرون العدد زائدون المدد مثل موج البحر اذا أزبد ونقيم عندهم في عز الى الابد فقال الربيع المرتاب هذا الرأي ما هو صواب ولا هو الا معاب عند جميع الاعراب والرأي الصواب أننا ما ننزل على أحد من العشائر لا بني كلاب ولا عامر ولا غيرهم من الاكابر لاننا سبعمائة بيت يخرج منهم سبعمائة فارس من الابطال القناعس وهيبتنا عظيمه وسطوتنا جسيمه فالمراد أننا ننزل على بعض الاحياء والمناهل ونقيم في تلك الارض والفلاة حتى نسمع خبر عنتر وما يتم له مع الجيدا من العبر وما يكون له مع الامير خالد بن محارب ونعلم ان كان سالما أم عاطب فان كان يسلم ويعود الى أرض بني عبس ويقدم فقبائل العرب بين أيدينا كثيرة فعند ذلك نرحل لاي قبيلة أردنا ونقيم عندهم ونكون قد بلغنا المنا وان كان عنتر قتل وشرب كؤس المصايب وصار لروحه ذاهب فأنا أعلم بأن الملك زهير

لابد أن يركب بقومه ويجيء الينا ويصالحنا بعد أن يقبل أيادينا وزجلينا حتى نعود الى أوطاننا وحمانا ويبقى دائما يتلقانا ويطلب رضانا حتى نعود معه ونحفظ مراعيه وموضعه وأكثر ظني أن عنترا ما يبقى يسلم بل انه يقتل ويعدم فقال عمارة الصقيع بشرت بالخير يا أخي يا ربيع فوحق ذمة العرب ان صابت عنتر مصيبة أو بلي ببلية لادفعن نصف مالي الى الكعبة العلية وكل من بشرني بموته أوهبته ناقة رباعية (قال الراوي) فلما سمع القوم ذلك الكلام جمعوا رأيهم على ما قال الربيع من الرأي السديد والتدبير الحميد ثم انهم ساروا مجدين حتى انهم وصلوا الى منزلة بين جبلين تسميهما العرب ذات الخليتين وكان واديا مليح ومكانا طيبا فسيح فنزلوا هنالك ونزل الربيع ومن معه فيه وسرحوا جمالهم وخيولهم في نواحيه وأقاموا على ذلك الحال وقد أمنوا من غدرات الزمان والايام والليال وقر بهم القرار وفرحوا ببعدهم عن الديار (قال الراوي) فهذا ما جرا لهؤلاء من الامور والاحوال وأما ما كان من الملك زهير ومن معه من الرجال فانه لم يزل سائرا بمن معه من الرجال والابطال في ذلك الجيش الجرار حتى أشرف على عنتر وهو والجيدا وشيبوب وهو في ذلك القفر والبيدا والقفار والجيدا كما ذكرنا قد هربت قدامه وطلبت الغبار تطلب منه حمية وانصار فما رأت العسكر وهم مقبلون من ناحية بني عبس وذلك البر الاقفر فعلمت وتحققت انهم نجدة لعنتر فعند ذلك سلمت روحها اليه وطلبت منه الذمام بأنه لا يقتلها ولا يسقيها كأس الحمام فأعطاها الذمام على نفسها ولكن أوثق كتافها وقوى شدادها وبعد ذلك سعى الى خدمة

154

الملك زهير وأولاده وقد سر بقدومهم قلبه وفؤاده وقبل
الأرض قدامهم وبادر الى اكرامهم وقال له أيها الملك السعيد
ما سبب انزعاجك والتعب فلا أعدمني الله همتك وبارك الرب
القديم فيك ورعى مروءتك وسلمت أنت وذريتك فقال الملك زهير
سبب قدومنا يا هذا الفارس الغضنفر والبطل الممارس القصور
مسيرك الى هذه الديار وحدك ولا معك أحد من جندك وأيضا
مثلك ما يفرط فيه ولا يضيع حقه ولولا انك قبل مسيرك أعلمتنا
وعلى هذه الأحوال أطلعتنا فما كنا أحوجناك الى هذا الحال
ولا تركناك تفعل تلك الفعال وكنا أعناك على عمل حيلته
وتدبيره وعملنا نحن رأي غيره وأوصلنا المسرة اليك وزفينا
بنت عمك عليك وكان من الواجب يا أبا الفوارس أن تشاورنا
وعلى أحوالك وفعالك تطلعنا ولا تشغل بغيبتك خاطرنا فقال
عنتر أيها الملك وحق نعمتك التي ما أجد لها مكافاه ولا أقدر
لها على مجازاه لانني ما ألقي روحي للأمور الثقال الا حتى
لا أترك لعمي علي مقال ولا ملام لأن قيدي في رجلي ثقيل شديد
ولا أقدر أفعل الا ما يريد وكل أحد يأتي بغيه قريبا كان أو بعيد
فابنته طلبت مني أمرا هينا ما فيه تنكيد وها أنا قد قضيته بهمتي
ونلت ما أريد وأخذت الجيدا على رغم الأعداء والحساد وأشفيت
الغليل والفؤاد ثم انه عاد الى شاس ومالك وخدمهما وشكرهما
على ذلك ثم انه عاد الى أبيه شداد وقبل يد عمه زخمة الجواد فعند
ذلك هنوه بالسلامه وحدثوه بحديث عمه مالك وكيف أدركه ذلك
الفعل ندامه وبعد ذلك سألوه عن حاله وما لاقى في أرض بني زبيد
وما جرى له في ذلك السفر البعيد فقال لهم يا مولاي ما كانت الا سفرة

محمودة العاقبة بسعادتكما وسعادة الملك زهير والاصل انى لما
أتيت الى هذه الديار فرأيتها خالية من الفرسان والاجناد ففعلت
مافعلت وبلغت المراد وملكت الجيدا التى هى غاية الآمال ولو
كان معى خمسون فارسا كنت سقت أموال الثلاث قبائل والآن قد
تيسر الامر بقدومكم وماضاع تعبكم وسوف تجازون خيرا فى يومكم
فانزلوا بنا حتى نستريح ويستريح مولاى الملك زهير جزاه الرب
القديم كل خير ونسير نحن الى هذه القبائل ونسوق أموالهم
ونأتى بنوقهم وجمالهم لان مقدمهم خالد بن محارب سار هو
وفرسانه الى بنى عامر واتكل بعد مسيره على الجيدا ابنة زاهر
وما علم انها ستقع فى مخاليب الاسد الكاسر الذى له كل يوم
فى الحرب رحاة دائر تتلاطم بشفار السيوف البواتر (قال
الراوى) فعند ذلك نزل الملك زهير وقد ضربت له الخيام واركزت له
الاعلام وسارت خيله وأجناده وغابوا تلك الليلة وعادوا
ومعهم أموال ونياق قد سدت الآفاق وعبيد قد ملأت
الصحرى ماتكاد ان تساق وكان الملك زهيرا وصاهم ان لا يسبوا
الحريم ولا البنات وأن لا يسوقوا العبيد والاموات كما أمره
عنتر صاحب العزمات فلما رأى الملك زهير الى ذلك المال وكثرة
الايثار لحقه من ذلك الفرح والاستبشار وقال والله ما عنتر الا
رجل مسعود ومايقاومه أحد الا ومات مكمود (قال الراوى)
ثم انه أقام فى ذلك المكان ثلاثة أيام وهم ينحروا النحور والاغنام
وفى اليوم الرابع رحلوا يطلبون الديار والى جانب الملك زهير عنتر
يحادثه ويناشده الاشعار هذا والجيدا معهم فى الهودج على بعض
الجمال وزمام البعير فى يد عنتر وأولاد الملك زهير مستبشرون

بتلك الفعال ومازالوا سائرين على هذا الحال حتى بقي بينهم وبين أرضهم مقدار يومين أو ثلاث ليال فأشرفوا على مرج واسع وقفر شاسع وهو كثير الغدران والمنابع يصلح للحرب والقتال والطعن والنزال فقال الملك زهير هذا المكان يصلح للاكل والشرب في جانبه فقال عنتر لا والله يا ملك الزمان ما يصلح لاكل ولا لشرب ولا لصيد غزلان هذا ما يصلح الا للحرب والطعان وملاقات الفرسان لان من حب شيأ أكثر من ذكراه ولا يعشق الا اياه لانه قد هان عندي هذا الحال وبقي عندي مثل شرب الماء الزلال ثم أنشد وقال هذه الابيات

سمعاني تحمم الصافنات * ومحالي بموقف السادات
وبحوري من العجاج وطبي * بحدوق الدروع والمرهفات
وأنا عنتر الفوارس حقا * وعزماتي ترجف الكائنات
انما بغيتي حسامي ورمحي * ثم خوض العجاج بالهمات
وا كذا الشجاع من غير ضرب * أي ولا أنثنى عن المفضلات
لا يغرنك لبس الشجاع حديدا * ثم من تحتها قلوب البنات
فوحق الحطيم والبيت جمعا * وضجيج الحجاج في عرفات
وحق المقام والركن جمعا * وصفا ومن حج من سادات
وحق الذي أمات وأحيى * خالق الخلق غافر الزلات
لست أبرح من موقف الحرب
حتى يعزلوني الا كفان قبل الممات
وأبيدن كل ليث كميت * عند خوض العجاج في الحملات
ثم أفرى كل نذل بصامي * بادر الحد كامل الصفات
هناك الفخار يا بنت مالك * فدعيني من عزل يوم الوشات

ما افتخار الفتى بكاسات خمر * دائرات في مجلس السادات
انما الفخر في الثبات لحرب * يوم جذب الصوارم المرهفات
ذاك يوم اذا افتخرت بقومي * كان فعلي موافق الصفات
وكل من قال جدي فلان * وأبي سيد من السادات
ذاك بين الانام شخص ذليل * وجبان لا يلتقي المعضلات
أنا رمحي أبي وجدي حسامي * وخليلي مهري يخوض الفلات
انني عنتر وقومي بنو عبس * وأبي شداد صاحب الوقعات
همتي همت الليوث واعلا * أي ولا أنثني عن المكرمات
لست أترك الحروب دواما * لا وحق الذي يغفر الزلات

(قال الراوي) فلما سمع الملك زهير من عنتر هذه الابيات انذهل من كلامه ونثره ونظامه وقال لله درك يا فارس الخيل وشديد العزم والحيل ثم انهم نزلوا في ذلك المكان ساعة من ساعات الزمان وبعد ذلك ركبوا وساروا يقطعون الارض والقفار فبينما هم كذلك واذا هم بغبار وقد ثار وعلا حتى سد الاقطار والارض قد تدكدكت وتكدرت انوارها وتعلقت وبانت أسنة رماح ولمعات سلاح واذا تحت الغبار نداء وصياح وبكا ونواح قد أقلب الارض والبطاح فقال الملك زهير يا أبا الفوارس ما هذا الامر وقد أتى الحرب كما قد طلبت من المحارب ولا شك أن هذا جيش خالد ابن محارب والسبي الذي معهم لا شك أنه من بني عامر وما بقي لنا غير الصبر والضرب بالسيوف البواتر والهجوم على هذه الاسود الكواسر التي قد أهلكت فرسان بني عامر وبني كلاب وبني مراد وفيهم ملاعب الاسنه غشم بن مالك والاحوص بن جعفر والربيع بن عقيل ومن لهم من الفرسان

الاجواد ومابقى لناغير أننا نشد منازل الافتخار ومابقى من الليل والنهار (قال الراوى) فلما سمع عنتر من الملك زهير ذلك الكلام تبسم وقال أيها الملك الهمام والبطل الضرغام لا يضيق صدرك ولا يهتم فكرك فكأنك بالفرسان تساق بين يديك وهم فى الذل والوثاق فقال له أولاد الملك زهير ومن حوله من الابطال ونحن ما فينا من يتأخر عن القتال ولو مالت علينا الجبال فى صور الرجال قال ثم انهم ردوا الخيل الى ناحية الغبار وقد كتفوا العبيد الغربا الذين سبوهم من تلك الديار ووكلوا بهم عشرة من الرجال الاخيار حتى لا يشغلوا قلوبهم وقت الحرب والقتال ثم انهم صفوا الرجال يمينا وشمال وقد تقدم عنتر بين الفرسان لينتظر الضرب والطعان وقد تأهب سائر الشجعان قال مجد وكان هذا الجيش الذى أقبل من بنى زبيد والمقدم عليهم خالد بن محارب الاسد الواثب وهو فى خلق كثير وجمع غزير والسبب فى ذلك انه كان طلب ديار بنى عامر وهو فى خمسة ألف فارس من بنى مراد وزبيد وخثعم وكلهم أبطال صناديد مسربلين بالحديد متقمعين بالزرد النضيد يقدمهم خالد بن محارب الزبيدى وقيس ابن مكوشح المرادى ومعدى كرب فارس الخيل وخائض الليل وانهم لم يزالوا سائرين وفى سيرهم مجدين الى أن وصلوا الى ديار بنى عامر وكلاب فوجدوهم قد سمعوا بأخبارهم وقدومهم عليهم فتحصنوا فى الشعاب وكل هذا من تدبير ملاعب الاسنة غنم بن مالك لانه كان قد وقع فى قلبه أمر متدارك من خالد بن محارب وذلك من نوبة كان جرحه وأخذ من أمواله فجعل عليه العيون والارصاد من بعض رجاله وكانوا أيضا يرسلون العبيد جواسيسهم

الى أرضه وبلاده يقتفوا ما كان لهم من الاخبار وجعل يحذرهم
الليل والنهار فلما ان طرق خالد في هذه النوبة ديارهم بهذه القبائل
فرآهم محترزين لا تنقسم فما نال منهم نائل وما أمكنه المقام مع
من معه من تلك الجحافل بل انه استشار فيما يفعل رجل شيخ من
الكبار وكان كثير المعرفة ورأيه كله مسدد يقال له الليث بن معد
فقال له يا خالد ان أردت انك تبطل هذا الهذيان وتطلب الخيرات
الحسان عليك بني عبس وعدنان فانك ان قصدتها فقد أغنيت
قومك مدى الازمان لانهم أكثر العرب مال وأحسنهم حال
(قال الراوي) فلما سمع خالد منه ذلك الكلام فرجع من تلك
الارض حتى وصل الى ذات الخليجين وهو الموضع الذي نزل فيه
الربيع بن زياد وعمارة القواد وعروة ابن الورد ورجاله الاجواد
فلما قاربوا ذلك المكان فتعجب خالد من ذلك الامر والشان وقال
لمعدي كرب يا ابن العم هذا الموضع طرقته مرار ما كنت أرى فيه
ديار ولا نافخ نار وأنا اشتهي وأريد أن أعرف من سكنه الآن
من السكان ومن هم الذين نازلين في هذا المكان من فرسان
الانام قال فبينما خالد ومعدي كرب في الكلام واذا بنوا عبس
قد ركبت والخيل طلبت وهي تريد القتال والحرب والنزال
وهي تنادي يا العبس يا العدنان وفي أوائلهم الربيع ابن زياد ومالك
ابن قراد وعمارة القواد وعروة بن الورد ومن معه من الرجال
الاجواد (قال الراوي) فلما سمع ذلك النداء زعق على الفرسان
والشجعان فحملت على بني عبس وعدنان فلقوا بعضهم
الطائفتين ووقع بينهم الضرب والطعان وبنوا عبس قد بذلوا
الجهود وكانهم أمكافحة الاسود وجددوا القتال والطعان

157

والنزال ووقع بينهم طعن يقرب الاجال الا أن العدد عليهم كثير والجمع غزير وما زالوا على ذلك الحال الى أن ولى النهار بالارتحال ودخل الليل الغالس حتى هلك من بنى عبس مائة فارس وقد أخذوا الباقى فى الاسر والاعتقال ونهبوا الاموال وسبوا العيال وقد علا منهم البكا والانين والاشتكا وكان أكثرهم النحيب والتعداد ثم تعدد عبلة ابنة مالك بن قراد لانها قد بان لها فى ذلك الوقت والحال ان جميع ما فعله أبوها كله محال وما فعل تلك الفعال الا مراده هلاك عنتر والوبال وقد وقعت فى أشراك النكال (قال الراوى) وكان القوم من حين نزلوا فى ذلك المكان ما شبعت عبلة بطعام ولا التذت بمنام وذلك انها لما سمعت ان أبيها أراد يزوجها بعمارة ابن الاوغاد فصارت تكثر من البكا والتعداد فلما حصلت هذه الواقعة وقد أسر أبوها وعمرو أخوها والربيع ابن زياد وعمارة القواد فوجدت بذلك راحة عظيمة بطول ما هم سائرين فى البر الاقفر ولا تذكر احدا من أهلها فازداد غيظهم عليها وكان خالد نظر اليها لما أركبوها على الجمل وقد قلعوا الخيام والمضارب وهى أعظم النساحرقة وأكثرهم مشقة فسأل خالد بعض الرجال المأسورين عن أحوالها وقال لهم من تكون هذه النائحة فاخبره عن ذلك بعض المأسورين وكان ذلك الرجل لعنتر من المبغضين فأخبر خالد عن حالها وكيف سار عنتر فى طلب الجيدا يأتيها بها لتقدمها ليلة عرسها ثم ان ذلك الرجل قال ومن أجلها وقعنا فى المصايب وكان السبب يا مولاى فى ذلك ان الملك زهير حرد علينا وعلى أبيها وسار على أثر ابن عمها عنتر فزعا عليه من بأسك أنت وفرسانك فاختلفت العشيرة لاجل ذلك وسار بنا هذا الرجل

الربيع الى هنا فوقعت أنت بنا وهذا ما جرالنا ثم انه أخبره بالقصة من أولها الى آخرها حتى كأنه كان حاضرها (قال الراوى) فلما سمع خالد من الرجل العبسى ذلك الكلام قامت عيناه فى أم رأسه ولم يبق يعرف ما بين يديه فقال لذلك الرجل يا ويلك والساعة الملك زهير فى ديارنا فقال له نعم وأخبرك أيضا ان أموال بنى عبس سائبة فى الديار وما فيها غير ورقة بن الملك زهير فى ثلاث مائة لا غير والجميع من الشباب (قال الراوى) فلما سمع خالد من الرجل ذلك الكلام تعجب ونادى يا للعرب وحق من فى علم غيبه قد احتجب ان هذا الحديث يجب أن يؤرخ ويكتب لما فيه من العجب ثم انه تقرب الى عند عبلة وقال لها يا الخنا كل هذا من تحت رأسك ثم انه لطمها على رأسها وعلى وجهها وقال لها والله ما تركتك الا خادمه لبنت عمى كما تركت غيرك وأفرج بذلك غمى وهمى فلما سمعت عبلة ذلك القول ورأت نفسها قد اهينت قالت واويلاه هكذا تفعل بالحرائر يا خالد والله يا ولد الزنا لو أن عنتر رآك لقطع يمينك وأطال تعذيبك ولكن ستعلم اذا جمعتك المقادير أنت واياه فى الميدان ففى ذلك الوقت ترى ما يحل بك من الهوان وأما قولك انك تجعلنى خادمة لبنت عمك فسوف ترى من تخدم صاحبتها وترى ذلك عيان قال ولما رأت فى نفسها الاهانة صارت تبكى وتنتحب وتعدد كما جرت عادة النساء بالشعر والندب وهى تنشد وتقول

الدهر للشخص دولاب يدور * وما نجا فيه انسان من الوصب
الدهر فيه حلاوة تسر بها * و بعد ذلك مرارات من العطب
وما صفا لامرء يوما بمشربة * الا وجرعه الاحزان بالحرب

فليت شعري ترى أحبابنا علموا * بما دهانا من الكربات والنوب
ياليت عنترة الفرسان ينظرني * وما أقاسيه من هم ومن صعب
فكان يكشف ما بي ثم ينجدني * بصارم كضرام النار تلتهب
حتى ترى عبلة تلك الخيل شاردة
يردي فوارسها بالسمر والعضب
لا بد من ساعة ترجى فوائدها * والصبر عند البلا من خير مكتسب

(قال الراوي) ولما فرغت عبلة من شعرها وسمع خالد ما نطقت به من نظمها قال لها يا لخناء ان جمعنا الله أنا واياه بلغت المنا من هذا الولد الزنا وأقطع رأسه وأخذ انفاسه وأعلقها في رقبة بعيرك وأزيد في حملك وتعييرك وأما أنت فقد وقعتي في يدي فآخذك واجعلك من قسمي وتكوني خادمة الجيدا ابنة عمي كما جعلت سواك لها خادمة ولا بد أن تنظري ذلك عيان اذا حل بك حملك وغلك فقالت له عبلة يا خالد اعلم ان ابن عمي ما مضى الا في هذه الحاجة التي قلتها وتبصر من منا تكون خادمة للاخرى وأي رأس تعلق في بعيرها قال فلما سمع خالد مقالها أعرض عنها ثم انه أقبل على ابن عمه معدي كرب وقال له يا ابن العم اعلم ان الملك زهير قد سار الى ديارنا وما في حلته الا ولده ورقة في نفر قليل والجميع ما يدفعون عن أنفسهم فسر أنت اليهم ببعض هذا الجيش الى ديار بني عبس واسب كل من فيها وانزل بهم التعس والنكس ولا تدع أحدا من السادات ولا من العبيد والحقني حين أسيرا أنا الى الملك زهير وأفصل هذه النوبة وأقوده هو ومن معه قود البعير وأتركه في أبياتي يطحن الحنطة والشعير وان قاتلني قطعت رأسه بهذا الحسام فقبل معدي كرب مقاله وأخذ معه ألف فارس وسار يقطع الفيافي ويجد السير

ولا يأخذه هدو ولا قرار مما فى قلبه من شعل النار لاجل ما سمع من تلك الاخبار وقد جد فى سيره الليل والنهار (قال الراوى) هذا ما كان من معدى كرب واما ما كان من امر خالد بن محارب وخبره فانه بعد سفر معدى كرب سار طالبا الملك زهير وكلما تذكر قول مالك لابن اخيه عنتر ما ازف ابنتى عليك الا والجيدا فائدة يرما مهافيته قدم الى مالك ويصفعه بالسوط على اكتافه واجنابه وكذلك ولده عمرو وهما موثقان اكتافه وعمارة يرا ذلك الامر المذموم ويحسب لهم كل امر مشوم وكان الربيع قد جرح ثلاث جراحات فى ظهره وهو مشغول بنفسه عن غيره لانه قاتل قتالا عظيما حتى انه يقيم بناصر من تبعه ويكون امره معهم مستقيما وما سلم نفسه حتى انه اشرف على التلاف وكذلك عروة بن الورد تخضب بدمائه وقد نوى فى نفسه انه فى بقية عمره ما بقى يتبع بنى زياد وكان كلما سمع صياح مالك ابن قراد وخالد يزيد عليه بالضرب والتهديد فيقول هذا جزاء من يزوج ابنته كل يوم بزوج جديد فيكفيه ما حل به من العذاب الشديد ولم يزل خالد يضرب مالكا اياما عدة حتى انزل جلده واشغله وبعد ذلك سار يطلب ارضه ودياره خوفا على بنت عمه الجيدا لئلا يعتريها عنتر ويذيقها اسباب الردا وسار يقطع عرض البيدا وكلما طال عليه المدا يتسلا بنشد الاشعار وهو سائر فى البرارى والقفار وهو ينشد ويقول

جلبت الخيل شعثا كالسعالى * عليها المدرعون من الرجال
عليها كل جبار عنيد * شديد البطش فى يوم القتال
فدست بها بلاد بنى كلاب * وعامر ثم ارض بنى هلال
فولوا عند اقبالى وفروا * فرار الوحش من اسد الدحالى

وباتوا

159

وباتوا فى الظلام يرون شخصى * فيختفون منى فى الجبالى
وعبس قد أتيناهم نهارا * رددناهم باطراف العوالى
أسرت سراتهم وتركت منهم * على الخلجان أجسادبوالى
فكم من كاعب خود أراحت * تسيل الدمع من أعين غزالى
تنادى من شجاها ياالعبس * أجيرونى وعبس فى خبالى
وقد أخبرت ان زهيرا سرى * الينا فى العبيد وفى الموالى
وساقته المنية نحو أرضى * نساءهم واتفوق على الرجالى
فان كان الذى أخبرت حقا * فقد باع الحقيقة بالمحالى
وسوف يبان فى يوم التلاقى * من المغبون فى كسب المعالى
بكفيه ضحك البيض المواضى * وتبكى بالدما سمر العوالى
ملأت مسامع الابطال خوفا * فضل الناس فى قيل وقالى
وبات الخصم عند سماع ذكرى * يرانى النوم طيفا من خيالى
فان طال الزمان وعدت يوما * أخذت هجين عبس فى الجبال
ولولا الخوف والعدوان حقا * من الله المهيمن ذى الجلال
لقلت أنا بان الارض جمعا * تقلها يمينى أو شمالى

(قال الراوى) فلما فرغ من هذه الأبيات سار يقطع البرارى والآكام ومازال يجد السير حتى التقى بفرسان بنى عبس كما ذكرنا وضجت الطائفتان عند الملتقى حتى اهتزت الجبال قلقا وهربت الوحوش من الخوف فرقا وكان أشدهم صياح وأعظمهم نواح طائفة بنى عبس المسبية لانها كانت أشرفت على الهلاك والافتضاح فسمعت أبطال بنى عبس ذلك فعلا منهم الصياح وقالوا والله ان هذه الاصوات أصوات عبسيه ولاهى عامريه فقال عنتر صدقتم يابنى الاعمام وهذا صوت عبلة وسبايا لعبسيات

وضجيج البنات والمولدات فقال الملك زهير لعنتر أنفذ لنا شيبوبا يكشف الخبر فقال عنتر تقدم يا أبا رماح الى هؤلاء القوم واسألهم عن أحوالهم ومن أين يكون هذا السبي الذى وصل اليهم فعند ذلك انطلق شيبوب كأنه الريح الهبوب فأبصر خالدا بانفراده عن قومه فقال لبني عمه الملك زهير أنفذ رجلا من أصحابه يطلب مني الأمان والذمام ويسألني فى ترك الحريم والنسوان وأنا وحق ذمة العرب ما أسمع منه كلاما ولا أجيبه الى ما يريد ولا بد لى من قلع أثر هذه القبيلة قريبا او بعيدا وكل من أسرته منهم جعلته لى من جملة العبيد ولكن قلبي مشغول على ابنة عمي الجيدا الانى ما سمعت لها خبر ولا جلية أثر ولا أدرى كيف تمكن عنتر من الاموال والعيال وهى حاضرة فى الاطلال وما أقول الا انها كانت مشغولة بصيد السباع فى الدحال ثم انه قال لبعض فرسانه تقدم الى هذا الرجل واسمع منه ما يقول فانى أرى الشر من بين عينيه يلوح وهو كأنه الذئب المجروح واسأله عن الجيدا ان كان عندهم منها خبر فانى خائف عليها من غدرات الزمان وأخشى أن تكون أسيرة أو قتيلة لان هؤلاء ما أخذوا هذه الاموال والنعم الا وبنت عمي الجيدا فى حالة العدم واحرص على نفسك لا يعدمنك هذا العبسي روحك ويسكنك رمسك ويرمي رأسك وتبقى أسيرا وقتيلا وتصير عندهم رهينا وأنا أعلمك هذا الذى خطر ببالى لاضربن رقاب الاسارى وبعد ذلك التقي بني عبس وأبليهم بالتعس والنكس وأقرضهم قرض وأتركهم مطروحين على وجه الارض (قال الراوى) فلما سمع الرجل الزبيدى ذلك الكلام خرج وسار الى أن التقى مع شيبوب فى نصف الطريق وقد بدأه بالكلام

160

وقال له من أين أنت أيها الساعي الى الهلاك بنفسه الطالب لفراق
الفه القائد بزمام عدم التوفيق ثم قطع الطريق قل ما بدا لك
واخبرني بحالك قبل أن أقطع أوصالك فقال له شيبوب انزل
عن حصانك والزم عنانك وامسك لسانك والا أعدمك
أهلك وخلانك وتأدب في كلامك يا وجه بني زبيد لان مالك
حاجة بهذا التهديد لان هذا الفعل لابد لنا منه وهو بين أيدينا ولابد
أن نصل اليكم وتصلوا الينا أوضح لي من أنتم من الناس ومن أين
هذا السبي الذي معكم ومن هو المقدم عليكم بأفصح خطاب
وأسرع برد الجواب فقال له الفارس الزبيدي يا نسل الانذال
اعلم بأننا بنو زبيد الابطال والمقدم علينا الفارس الغالب
والبطل المضارب المشهور بالامير خالد بن محارب فقال شيبوب
الصنديد أهلا وسهلا بكم يا بني زبيد الكرام والله معي أعظم
البشارات وما أتيت اليكم الا مبشر ومحذر ومستخبر فقال الزبيدي
يا ولد الزنا بماذا أتيت تبشرنا ومن أي شيء تحذرنا وعن ماذا
تستخبرنا فقال له شيبوب والله يا ابن الانذال ان لم تحسن المقال
وتكن مؤدبا في السؤال والا أسقيك كؤس الوبال بفرد نبلة من
هذه النبال و يلك اسمع أما بشارتي فبأننا غزونا حلالكم
واطلالكم وخربنا دياركم ونهبنا عبيدكم وأموالكم
ولكن عفونا عن نسائكم وعيالكم وصغاركم وأطفالكم وأما
تحذيري فمن هؤلاء الابطال العبسيه والفرسان العدنانيه الذين
رماحهم أنفذ من رسل المنية والحمام وسيوفهم أقطع من حوادث
الليالي والايام وأما استخباري عن هذا السبي والحريم الذين معكم
من أين وصل اليكم وقد كنتم في ديار بني عامر وكلاب وها أنا قد

أوضحت لك الخطاب وأسألك عن ردّ الجواب فقال الزبيدي أما استخبارك عن السبي الذي أتانا بلا تعب وذلك اتصالنا من الزمان لسيدنا خالد بن محارب مالك رقاب العربان وسيد سادات بني قحطان وأوحد العصر والاوان ثم انه حدثه بما اتفق لهم من الاحوال وكيف تحصنت بنو عامر في الجبال وكيف أشار عليهم ذلك الرجل القرنان بأن يغيروا على ديار بني عبس وعدنان وكيف وقع اتفاق الربيع بن زياد ومالك بن قراد وهم نازلين بأرض ذات الحليمين وكيف أسروهم وسبوا النسوان وعبلة معهم وخالد أنفذ معدي كرب الزبيدي الى دياركم ومعه ألف فارس وحلف أنه ما عاد يبقي على وجه الارض عبسي تطلع عليه الشمس وبعد ذلك أريد أن أسألك عن الجيدا بنت زاهر هل هي معكم في هذه العساكر فقال شيبوب اعلم بأنها معنا أسيره وفي بدنها جراحات كثيره فقال الزبيدي ويلك ومن أسرها في المجال فقال شيبوب أسرها الاسد الرئبال الذي لا يبالي بلقاء الفرسان والابطال ولا يخاف من الشجعان وهو الحامي لنا في كل مكان ومن تخضع له في الحرب الابطال والفرسان وهو الذي يكشف عنا الشدائد ومضرم نار حرب الاوابد فارس الجلاد ومبيد الابطال الشداد وحية بطن الواد الامير عنتر ابن شداد وما طرق دياركم الا وحده ومعه أخوه شيبوب يخدمه حتى انه يجعل الجيدا خادمة لبنت عمه ثم ان شيبوب أعلمه بما جرى من الاخبار في تلك الارض والديار (قال الراوي) فلما سمع الرجل الزبيدي من شيبوب هذا الكلام حلت به السقام ورجع طالبا أصحابه وقد ساق جواده وارتجع شيبوب الى بني عبس يخبرهم وقد زاد ارتيابه وعاد كل منهم طالبا

161

قومه وأصحابه يحكى لهم بما تم على قومهم من ذلك الكرب فكان السابق شيبوبا وهو باكى العين حزين القلب حتى بقى قدام بنى عبس وهو بحالة التعس والنكس وهو يصيح العجل العجل البدار البدار لاخذ الثار وكشف العار فقد دهيتم يابنى عبس الاجواد فى الحريم والنساء والاولاد فاطلبوا الحرب والجلاد ثم انه تقدم بين أيادى الملك زهير واولاده وعنتر وأجناده وأنشد وقال

دهيتم يابنى عبس فثوروا * فان ربوعكم أضحت خلاء
تجر العاصفات بها ذيولا * فلم تلقا بها الا الثراء
وفيها الغول يعوى ثم يسرى * بترحال وارام ضياء
وماتخشى بها من سهم رام * ولا غادسوى جن الفلاء
وساقوا المال والاولاد جمعا * وحل البؤس اذ نزل القضاء
أباحوا أهلكم قتلا ونهبا * وقد هتكوا بجورهم النساء
زبيد قد دهوكم فى رجال * كأسد الغاب لاتخشى اللقاء
وقد نهبوا الديار وقد أتوكم * وبعد الاهل قد طاب الفناء
بارماح مقومة عوالى * واشطان يدب بها البلاء
فلو عاينتم النسوان حقا * أسارى لايجاب لهم نداء
وهاهن فى الفلات لهم ضجيج * وقد بلغوا الاعادى مايشاؤا
فدونكموا لاخذ الثار منهم * وزيلوا عنكموا هذا البلاء
أعنتر لو رأت عيناك عبله * بتكثر فى النداء مع النساء
وقد دار النساء بها حيارى * وأكثرن البكاء والاشتكاء
فلو عاينتها والدمع يجرى * يبل الثوب منها والرداء
وعبلة بينهم كالشمس تجلا * محاسنها كما بدر السماء

فدونكم القتال وكافحوهم ✵ فقد طاب الممات فلا حياه
دهاكم ذا العدو كما فعلتم ✵ فواحدة بواحدة جزاء

(قال الراوى) ثم ان شيبوبا أعاد عليهم جميع ما وصل اليهم فلما سمع بنو عبس وعدنان ما أخبرهم به شيبوب بكوا وأنوا واشتكوا ودقوا على صدورهم وندبوا وقد عظمت أمورهم وأما عنتر كاد أن يقع من على ظهر جواده الابجر ولكنه فرح بما قد تم على بنى زياد وعمه مالك بن قراد وعلم أن بغيهم هو الذى أرماهم وان الزمان بسهمه الصايب قد أرداهم وفاجاهم الا انه صعب عليه سبى عبله وحقق ان من أجها كانت هذه الغله وقد غدر به عمه ومكر فحل به القضاء والقدر ولكن لاجل عبلة يكون المصطبر وأحمل الضيم ولو كان عظيم الخطر قال الاصمعى فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من الفارس الزبيدى فانه لما وصل الى أهله وناسه فشق أثوابه وحث التراب على رأسه وصار يدعو بالويل والثبور وعظائم الامور قال ولما وصل الى قدام الامير خالد بن محارب وأبطال بنى زبيد فسألوه عن حاله وما سمع من الفارس الذى كان فى أمامه فجعل يخبرهم بما جرى على قومهم بالشعر وهو يقول

الا يال مذحج قد دهيتم ✵ وعبس قد أتوكم بالعوالى
على خيل مضمرة كرام ✵ تطير بهم وتحمل كالشعالى
وساقوا المال جمعا لم يخلوا ✵ برسم الدار الا شيخ بالى
ولبس بهاسوا الارباح تسعا ✵ وايثار الاشاعة والرمالى
واهلكموا بنادو هل مجير ✵ لمن أرمى بطارقة الليالى
سبوا أهليكم يا قوم جمعا ✵ وقد خلوا النساء بسوء حالى

فهل من راحم يرحم اقوم * أصيبوا فى النساء مع الرجال
فثوروا آل مذحج واستدبروا * فانى صادق فى ذا المقال
فهل عيش يطيب وهل رقاد * وقد أضحت منازلكم خوالى
أخالد لو رأت عيناك جيدا * وأدمعها تحادركاللآلى
تنادى يا ابن عمى ما ترانى * أقاد مع الاعادى فى الحبالى
فبادر أيها الضرغام واشفى * حدود البيض منهم والنصالى
فان الموت أطيب من حياة * تنال بها المذمة فى الرجالى

(قال الراوى) فلما سمع خالد وبنو زبيد تلك الابيات زادت بهم البليات وثارت فى رؤسهم النخوات وعاد خالد وهو غائب عن الموجودات وخرجت من مناخيره الدما وحل به الويل والعمى لما سمع من الرجل هذا المقال على ما حل بقومه وابنت عمه من تلك الفعال فأمر بنى زبيد بالتاهب للحرب والقتال فعند ذلك ركبوا الخيول وتقلدوا بالنصول واعتقلوا بالرماح الدبول وهدروا كما تهدر السباع فى الآجام وسلت السيوف فى أيديهم وتقدم كل فارس همام وتأخر الجبان وعول على الانهزام هذا ونساء بنى عبس صائحات وزعقت الاماء والمولدات وتصارخت الصبيان والبنات هذا وقد فعلت بنو عبس مثل ما فعلوا وعولوا على خلاص الاموال والنوق والجمال والاماء والعبيد ثم انهم طلبوا الكفاح ولا يخلوا مالهم وعيالهم للعرب تباح وطلعت القساطل وهربت الوحوش من عظم الزلازل فعند ذلك التقت الطائفتان وتقابلت الفئتان فالتفت الملك زهير لعنتر وقال له يا أبا الفوارس ما هذا الايوم عبوس أغبر مما يصير فيه من الهم والفكر فقال له عنتر وعز بز حياتك يا مولاى الآجال لا تنقص ولا تزيد وأنا لمثل هذا كنت أشتهى

وأريد وإذا كان أجل الانسان مديد ما تقطع فيه السيوف الحديد والايا سيدى أى شى ينفع سيف أقلده عاتق ولا أضرب به عدوى أو رمح أطعن به ولا أقتل به الرجال أو حصان أركبه ولا أحمل به على الابطال وهؤلاء القوم يا مولاى أخذوا أموالنا وسبوا عيالنا وأنا أعلم انها هى عارية عندهم وتردلنا ولابد ما أستردها منهم بضرب السيف وطعن السنان ولو أن معهم كسرى أنو شروان أو قيصر ملك عبدة الصلبان ما خليت أحدا منهم ينفذ من هذا المكان ثم انه أنشد وجعل يقول هذه الابيات

اذا قنع الفتى بذميم عيش * وكان له سجاف كالبنات
ولم يهجم على الاسد الضوارى * ولم يطعن صدور الصافنات
ولم يقر الضيوف اذا أتوه * ويحمى قومه بالمرهفات
ولم يكسب بضرب السيف مجدا * ولم يك صائلا فى النائبات
ويحمى من حما الجيران جهدا * ويروى الرمح من دم السرات
فقل للناعيات اذا نعوه * الا فاقصرن يا ذا الناعيات
ولا تندبن الا ليث غاب * همام فى الحروب الثائرات
دعونى فى الحروب اذا الاقى * جميع الحاسدين من العدات
واضرب بالحسام اذا اتدانت * رجال الحرب تصرخ بالسكات
لعمرى ما الفتى فى كسب مال * ولا يدعا الغنى من السرات
بلا من كان يقرى الضيف يوما * ويطعن بالرماح الذابلات
ويهجم فى الحروب ولا يبالى * ويضرب بالسيوف القاطعات
فهذا الذكر باقى ليس يفنى * مدا الايام من ماض وآت
ويذكر فى المجامع كل وقت * على طول الحياة الى الممات
وانى سوف أحمى اليوم جهدى * لقومى من خطوب هائلات

واطلق

163

واطلق مالنامنهم بعزم * تقر له الجبال الراسيات
ولا اترك عبلة في جاهم * تنادي عنترا انظر صفات
واطلق سيفنا منهم بسيف * يقد البيض من فوق الرمات
انا عنتر وذكري شاع جهرا * بضرب السيف ثم المكرمات
وصلى الله ربي كل وقت * على طه المشفع في العصات

(قال الراوي) فلما سمع الملك زهير من عنتر ذلك الكلام قال له لا فض فوك ولا عاش من يجفوك فهذا ما كان من بني عبس واحوالهم وأما ما كان من بني زبيد وماجرالهم فان خالدا لما نظر الى بني عبس وقد غاصوا في الحديد وتدرعوا في الزرد النضيد هنالك صرخ في بني زبيد وقال لهم دونكم يابني عمي والقتال والطعن والنزال وكونوا ثابتين ولا تعطوا الامهال واي من وقع منكم بعبسي يقتله وكل من كسب شيأ فهوله ثم انه اكب راسه في قربوص سرجه وحمل وحملت بنو زبيد مثل ما حمل هنالك التقتهم بنو عبس وقد غاصوا في الحديد والتقى الجيشان واصطدم العسكران وفي عاجل الحال اتصل بينهم القتال وجالت النصال وطعنت الرجال بالرماح الطوال وفي دون ساعة صار الغبار ضبابا واقتام سحابا واختلطت المواكب اختلاط البحر اذا كان عبابا وعلا الضجيج حتى صمت الاسماع ولا بقي احد يرد جوابا وهاجت الوحوش في الاقطار وملأت الارض والقفار ووقعت ضربات السيوف خطاوصوابا وقطعت جماجما ورقابا ونهبت الارواح وسلبت النفوس استلابا وامطرت السماء عليهم عجائبا وعذابا وعجلت لهم مصايب الايام عقابا وشابت الرجال بعدما كانت شبابا وسقاهم كأس الموت من

المنايا شرابا وحكم عليهم القضاء والقدر فما أخطأ بل أصابا (قال الراوى) ولم يزالوا على ذلك الحال وهم فى حرب وقتال وطعن ونزال يهتز له الراسيات الطوال وترعد من زلزاله تلك الارض والجبال وبقى الجميع فى أسوء حال وأقبح بال وسوء الاحوال هذا والشباب شابت والخيل فى الدماء خاضت والرقاب طارت والسيوف جارت والرماح فى الاجساد غارت والدنيا أظلمت والغبار خيمت والقيامة قامت والرجال الى الحرب هامت وأجساد القتلى فى الدماء عامت هذا وعنتر هائج فى المعمعه وكل من لقاه بضعه حتى خافت منه جميع الابطال وتجنبته الرجال وهو هائج كأنه جمل الجمال ولم يزالوا على ذلك الحال الى أن عول النهار على الارتحال وأقبل الليل بالانسدال وما أمسى المساء حتى قتل عنتر منهم ثلاثمائة فارس من فرسان بنى زبيد ومراد ومددهم على الارض والمهاد وكان قتاله فى ذلك اليوم فى الناحيه التى فيها عبله لاجل ما فى قلبه من الدبله وقد ظن بذلك أنه يصل الى خلاصها فما وصل ولا قدر فى ذلك اليوم على ذلك العمل لان من دونها رجال وأى رجال برماح طوال وسيوف صقال فما نال من خلاصها منال ولا أشفى غليل الفؤاد ولا بلغ مراد وأما خالد بن محارب كان أشد وأقوى مضارب أدهش بفعاله النواظر وحير الخواطر وكان قتال خالد كما كان قتال عنتر من ناحية السبى ليخلص ابنة عمه الجيدا من أسر الاعدا وكان يقول فى نفسه انه اذا حمل ما يقدر يقف قدامه بطل ويظن أن أهل الارض كلهم فى قبضته والجبال تهتز من هيبته فرأى فرسان بنى عبس خلاف ما كان فى نفسه وما كان يقتل فارس من بنى

عبس حتى كان يتعب معه ويرى منه ما يروعه وعند المساء وقع خالد فى الموكب الكبير الذى فيه الملك زهير ففرقه ومزقه وجرح الامير شاس بن الملك زهير وأخيه مالك وجرع الفرسان كأس المهالك فنظر الملك زهير الى هذه الاقدار فحل به الاضرار من جهة أولاده الاخيار ورأى من خالد ما حير النظار فخاف لا يفرق الابطال و ينزل بهم الدمار ولم يأخذه على ذلك قرار ولم يبق له اصطبار فحمل على خالد بن محارب حملة مثل النار وطلبه تحت الغبار لان الملك زهير كان مغوار وفارس جبار لا يصطلى له بنار ومازال معه حتى تصرم النهار ولبست الشمس حلة الاصفرار وهجمت على غياهب الدجا جيوش الاعتكار فعند ذلك عاد الجيشان عن القتال وافترقت يمينا وشمال والدم قد جرى وسال وقد امتلأت بالقتلا عرصات المجال (قال الراوى) ولما استقر بهم القرار حدث الملك زهير لعنتر بما شاهد ونظر وأخبره بخبر خالد بن محارب وما كان له معه من الاحوال والعجائب وكيف جرح الامير شاس ومالك أخيه فصعب على عنتر ذلك الحال فقال وحق مالك الممالك لا بد أن أسقى خالدا كؤس المهالك وما أشغلنى عنه الا طلبى لخلاص عبلة ابنة مالك لاننى قد اشتغل قلبى بها عن القتال والا كان طال عليه المطال ان يفعل تلك الفعال وفى غداة غد أول ما أبرز الى القتال أدعوه الى المجال وأجعله يوم الانفصال واذا قتلته أو أسرته قدام الابطال تفرق جيشه ووقع فيه الانخذال وخلصنا جميع الاسارى من الذل والاعتقال و بلغنا غاية الآمال على انهم كانوا يقولون ما ثبت قدامهم ساعة واحده

اذا رموا الحرب والمعانده لاسيما خالد بن محارب الذى بانت له الاهوال والعجائب فقال الملك زهير أنا ماخوفى ياأبا الفوارس من ذلك السبب لانى أعلم لابد ان نكسرهم وننزل بهم العطب ونبددهم ولو كانوا أضعافهم فى العدد ولكن قلبى خائف من معدى كرب الزبيدى وسيره الى حلتنا بمن معه من العرب ومافيها سوى ولدى ورقة وهو فى نفر قليل من الفرسان وكانت تسبى النساء والعيال وان لم ننصر غدا فى الحرب والقتال والاحل بنا الوبال (قال الراوى) ثم انهم بعد ذلك أكلوا الطعام وأخذوا الراحة حتى اعتكر الظلام وبعد ذلك ركب عنتر بعض الجنائب وخرج يحرس قومه من النوائب وبعد ذلك شق عليه كلام الملك زهير وخوفه على الحلة وهو يعلم كل ذلك من أجله ومابلغ مراده فشكا حاله الى أخيه شيبوب وقد أوسعوا فى الصحرى وقد حكى له بكل ماجرى وقال له والله ياشيبوب أنا ما أسير وحدى وقضاء حوائجى وأرمى روحى فى البلا حتى لا يكون لأحد على منة أبدا وبعد ذلك فما أسلم من هذه الاشياء فوالله لقد فعلت اليوم فعال تعجز عنه صناديد الرجال ولا بلغت به آمال ولا خلصت عبلة من الاسر والاعتقال وأنا أعلم أنها فى غاية الذل والوبال لاجل الاسر وبعد الوطن وما عاد قلبها من فعال أبيها الان هذه الامور ما كانت تريدها ولا تشتهيها وندمنى والله ماهى فيه وماجرى عليها فقال شيبوب والله صدقت ياأخى لانى اليوم لما رأيتها فاعتبرتها لاجل ماهى فيه وماجرى عليها من الشقاء والاضرار وهى تنادى يا سمك الليل والنهار فقال عنتر ويلك ياشيبوب ورأيتها فى هذا اليوم فقال شيبوب نعم وحق بارئ

النسم فقال عنتر وكيف قدرت عليها حتى وصلت اليها فقال شيبوب لما رأيت الحرب بينكما قد اتصل والقتال قد عمل وكل أحد بنفسه اشتغل فأوسعت أنا فى البر والبيد وأتيت من جانب الجيش الذى لبنى زبيد فرأيت الربيع بن زياد واخوته وهم فى القيود والاغلال وعمك مالك وولده عمرو وعروة بن الورد ورجاله وهم فى الذل والاذلال والبنات ضارعات باكيات وعبلة بينهم تسيل على خدودها سوابك العبرات وتشير الى نحوك بالبنان وهى تنادى يا لعبس يا لعدنان أما فيكم من يسمع صراخى ويبلغ ابن عمى ما أنا فيه من السبى والشكوى لعله أن يعجل خلاصى من هذا البلا ورأيت من حولهم مائة فارس موكلين بهم من بنى خثعم وهم كلما انتشروا فى البر والاكم فيجمعهم مثل الغنم فوالله يا ابن الام لما رأيت ذلك زاد غمى ولعنت عمك مالك دبرت من حولهم يمينا وشمال وأنا أرمى الموكلين بالنبال غير ما جرحت من الخيل وكانوا كلما طلبونى أوسعت قدامهم مثل ريح الشمال وكلما عادوا الى الحريم والمال أعود اليهم مثل الغزال وأنا وشهم فى القتال وأرميهم بالنبال حتى انفصل القتال (قال الراوى) فلما سمع عنتر من شيبوب هذا الكلام حلت به الآلام واعتراه السقام وسالت دموعه من عينيه وهانت المنية عليه وضاقت آفاقه ودعا على عمه بكثرة محاقه (قال الراوى) فهذا ما كان من عنتر وأخيه وأما ما كان من العساكر فانهما باتت فى هموم واتراح الى أن أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح فعند ذلك هجمت العسكران يطلبون الحرب والكفاح وحضر الجد وذهب المزاح وقد اصطفت الصفوف وتعدلت الالوف وبنو

عبس فی مقابلة عسكر خالد بن محارب فانتظر الملك زهير لعنتر أن يخرج الميدان فما رأى له خبر ولا جلية أثر فقلق لذلك وتحير وشاع ذلك الخبر فی جميع العسكر فقل عزم الفرسان وانكسر وقالوا اليوم يقتل فينا خالد بن محارب وتشتت المواكب وتفرق الكتائب وتظهر العجائب فيا ترى أين عنتر عن هذا غائب هذا وقد عول الملك زهير على أن يبرز الى الميدان ومقام الحرب والطعان ويلتقی بنفسه الكرب ويباشر الطعن والضرب واذا بغبار قد ثار وعلا وسد الاقطار وقد زاد علوا وارتفاع حتى ملأ جميع البقاع ولم يكن الا ساعة على ذلك العمل حتى انكشف الغبار وظهر كالشمس بالنهار وانجلا وضربته الرياح فبان بعد ما ارتفع عن خيل سائره على عجل ومعها رجال أسرع من الاجل فاحدقت بها الطائفتان بالنظار والمقل واذا هم ألف بطل وهم مقبلون كالغيث اذا هطل وما فيهم الا من هو بالحديد مسربل وللحرب احتفل وفی أوائلهم فارس مثل الجبل أو كالقضاء اذا نزل ورجلاه تخط الارض من عزم الطول والعرض ومعهم رجال مأسورين وهم على النجب مصفدين وخيول الاسارى مجنوبين وهم بها عتاطين وقد أقلبوا البر والمهاد وهم ينادون يا لزبيد يا لمراد نحن الفرسان الجياد (قال الراوی) وكان ذلك الفارس الذی هو عظيم الخلقه وجميل الصورة والهيئه معدی كرب الذی أرسله خالد بن محارب من أرض ذات الخليجين فی هذه الالف فارس الشجعان العوابس وأمره بنهب بنی عبس وعدنان فوجدها خالية من الفرسان وما فيها سوی الامير ورقة بن الملك زهير وعنده ثلاثمائة بطل من الابطال فقال

معدى كرب لاصحابه يا بنى عمى لاتسوقوا سوى الخيل والمال واقتلوا من قدرتم عليه من الرجال وقللوا من سوق الجمال وسبي النساء والعيال ليكون حظا لنا واعجل لبلوغ الآمال وسيروا بنا من هذه الارض والاطلال لاننا في قبضة من الرجال وهذه ديار بنى عبس وعدنان ولا نأمن أن يكون أحد امكن لنا في هذه المكان وربما يصل الخبر الى بنى فزاره فيأتوا الينا لانهم أصحاب نخوة وشطاره فنقع بعد الربح والخساره وتأتينا الخيل من كل جانب ومكان ويكون طلبنا الزيادة يوقع في النقصان ثم انه بعد ذلك الكلام هجم الحى عند اقبال النهار وساق الخيل والامهار وأخذوا ما قدروا عليه من المال مع البنات الابكار وأخذوا قطعة من النوق العصافير التى اذا جرت كادت أن تطير وساق الجميع بنو زبيد وساروا يقطعون الارض والبيد هذا وقد وقع الصوت في بنى عبس الابطال بأن الاعداء نهبوا الخيل والجمال فركب الامير ورقه فيمن عنده من الفرسان والاقيال وتبع القوم على الاثر فأدركوهم في البر الاقفر وقد بان الضوء وظهر وطلع الصباح وأسفر (قال الراوى) فلما نظر معدى كرب اليهم فرجع طالبا بنى عبس بمن معه وحمل بتسعمائة فارس من الابطال فطال عليهم معدى كرب واستطال وما أتى آخر النهار حتى ملك من بنى عبس مائة فارس كرار وقد أسر الامير ورقة وجرح خمسين وقتل ثلاثين وانهزم من بقى وقد ولوا هاربين والنجاة طالبين وقد حل بهم الاساء والغبون وتيقنوا بشرب كأس المنون وأما معدى كرب فانه لما قتل من قتل وأسر من أسر أخذ الاسارى وعاد على أثره حتى وصل الى الغنيمة التى

تركهما مع بنى عمه ثم انه ضم المال للمال وساق الخيل وشد الرحال وسار فى ظلام الليل ولم يزل سائرا وهو لا يقر ولا يهدى وهو يقطع القيعان والبيدا حتى أشرف على قومه فى ذلك الوقت كما ذكرنا والجمعان قد اصطدما كما قدمنا ونظر الملك زهير الى ذلك فضاقت عليه المسالك وقال هذا الذى كنت منه خائف وقلبى عليه راجف ولا بقى الا الموت بشفار الصفاح والطعن بأسنة الرماح هذا ومعدى كرب قد وصل الى بنى زبيد وهو فى عزم شديد ففرحوا بقدومه من سفرته وهنوه بالسلامة فطلب خالدا فما رآه فى عشيرته فسألهم عن سبب غيبته فقالوا له أما خالد فما عندنا منه خبر من حين انفصل الحرب لانتا لما رجعنا من القتال أقسم انه لا ينزل عن جواده الى الخيام ولا رضى يستطعم بطعام من غيظه على الاعدا وشغل قلبه على ابنة عمه الجيدا فحلف أنه لا ينام على وساد ولا يأكل زاد حتى يقتل عنتر بن شداد ويطفى بقتله نار الفؤاد ويبدد عشيرته ويخلص الاسارى من قبضته وابنة عمه لانه سمع أنها أثخنت بالجراح والعقد منها راح ثم انه يا مولاى غير جواده وركب جوادا سواه وأخذ معه عبده داحس أبا السلال وخرج من الخيام على عادته والى الآن ما عاد ولا بان له خبر ولا ظهر له أثر فقال معدى كرب والله ما سار فى الليل الا حتى يمسك على بنى عبس الطريق حتى لا ينفلت منهم أحد والساعة ترونه وقد ظهر من وراء الاعداء لانى أعرف همته وشجاعته فاحملوا أنتم حملة واحدة وقد بلغتم المراد واهلكتم الاعداء والحساد وربما قتلتم عنتر بن شداد فى حملتكم بعزائمكم الشداد فقالوا له أيها السيد هذا كنا عليه معولين ولكن

167

خائفين من عنتر بن الاوغاد لانه بالامس فتك فينا وقتل الابطال وفرق المواكب يمينا وشمال وكان سيدنا خالد اراد ان يحمله ويكفينا شره فأصبح وقد فقدناه وما طلع له خبر ولا عثرنا له على أثر فقال معدى كرب فها أنا أقوم مقامه وأكون مكانه وأكفيكم شر عنتر وأسقيه كأس حمامه وأجعل هذا اليوم آخر ايامه

ثم انه صاح فى الرجال الذين وصلوا معه وحمل وحملت بعده الصفوف وتتابعت الالوف وعلى منها الصياح وهزت فى سواعدها الرماح ومدتها لقبض الارواح وقد صاحت أشد صياح هذا وبنو عبس التقت الاسنه بالصدور وقد هانت عليهم الامور ونزل عليهم البلاء والمقدور وكرهوا الحياة عند نزول النوائب وعظم المصايب وطاب لهم الموت عند فقد الحبائب وقد زلزلت الارض بالزلزال وجد الموت فى جميع الابطال وجر الدماء كالسيل السيال هذا وطويل الحياة قد صار هازل وبان الكسلان من البازل وعثرت بالجماجم حوافر الخيل الصواهل وما ارتفع النهار حتى تضعضعت بنو عبس وعمل فيهم الحسام الفاصل وصار الملك زهير يدافع عن نفسه ويقاتل وحوله أولاده وطائفة من الشجعان والقبائل وبان لهم من الموت علائم ودلائل وصارت الاولاد يتامى والنساء أرامل وترك بنو عبس الاموال التى كانت فى أيديهم من شدة الهول الهائل واتسعوا فى القفار وصار الملك زهير ينادى ولا يسمعون ويصيح فيهم فلا يرجعون لان طعم الموت مر لا يصبر عليه عبد ولا حر وعلى الحقيقة بانت المهالك وضاقت المسالك ودارت بهم المواكب وعمل السيف من كل جانب وانسدت فى وجوههم المذاهب وعول الملك زهير

فى ذلك اليوم ان يترجل الى الارض ويقاتل عن نفسه الى أن
يقبض فهو كذلك واذا بالصياح من خلف الاعداء قد بان ولاح
وظهر موكب كبيرا وفا من ألف فارس من كل بطل مداعس
ورجال منادية أحرار وعبيد والكل ينادون بفرد لسان
يالعبس يالعدنان وعنتر كانه الاسد اذا عدم أكله أوليث
غاب شبله وشيبوب فى جوانبه يصيح ياويلكم يابنى زبيد جاء كم
البلاء من كل جانب فاقطعوا الآمال الكواذب واطلبوا
الهروب من أقرب الطرقات والمذاهب من قبل ان تمطر عليكم
سحائب المصائب وتصبح أرواحكم ذواهب وفتزل بكم
المعاطب وان كنتم تسمعون من نصح الناصح وخطاب المخاطب
فهذه رأس سيدكم خالد بن محارب (قال الراوى) ثم ان شيبوبا
رفع يده برمح طويل وهزه فى يده هزا جميل وعلى رأس السنان
رأس كانها رأس شيطان وبعد ذلك حمل عنتر على الفرسان
وأوصل الى بنى زبيد الضرب والطعان وطلع من بعده موكب
كبير كله نسوان وخدم وغلمان وأمه ومولدات قد
رفعوا كلهم الاصوات هذا وعنتر يطعن طعنات نافذات
وينثر بنى زبيد من على ظهر الصافنات وقد عاشت أرواح بنى
عبس بعد الممات ونادالملك زهير يابنى عمى فى مثل هذه الاوقات
يكون الثبات والصبر على الشدائد النازلات فابشروا
بالنصر والجمع بعد الشتات واعلموا ان هذا فارسكم عنتر قد
وصل والى خالد بن محارب قد قتل ورأسه اليكم قد حمل (قال
الراوى) واعجب ما جرى وما سمعنا من الكلام العجيب والقصة
والحديث الغريب اننا كنا ذكرنا ان عنترا تولى حرس القوم

كما

كما قد وصفنا وجرى بينه وبين أخيه شيبوب حديث عبلة كما قدمنا وسمع عنتر انها الليل ونهارا تنادى به وباسمه وتذكره فى أشعارها ولا يغيب عن أحساسها فغاب رشد عنتر وقال لاخيه شيبوب ويلك يا ابن الام أوسع وجد بنا فى البر الاقفر فى هذا الليل المعتكر واقصد بنا مكان السبايا العلنا نقدر لهم على فرج قبل الصباح لانى من وقت ماوقعت عينى على عبلة ماسمعت لها خبرا ولا اطلعت لها على أثرا (قال الراوى) فلما سمع أبوها ذلك فعل ما أمره عنتر وسار بين يديه وولج فى البر الاقفر حتى أبعدوا عن العسكر وطلب شيبوب جيش بنى زبيد وهو كأنه الثعبان الاغبر وقد ذكرنا ماجرى على خالد بن محارب لما سمع حديث الجيدا وقد أخبرنا أنه عند انفصال الحرب غير جواده وتولى حرس بنى عمه ولم يأخذ معه غير عبده دامس أبو السلال قال وكان هذا العبد دامس من أعز الناس اليه وأحظاهم لديه لانه يقوم بأمثاله فى القبائل وحادثة من النوازل لانه ساعى محتال لص سلال واذا جرى يسبق الغزال واذا ركب جوادا يلبل عقول الابطال واذا سار فى زى جاسوس تكلم بكل لسان فهو كامل المعانى فى هذا الميدان وكان فى ذلك اليوم غير زيه وسار الى بنى عبس واختلط بهم وأتى للجيدا وتحدث معها فشكت اليه حالها وأخبرته أنها كانت حاملا من خالد وقد رمت ما فى بطنها وقد قاست مصايب وشدائد ونظر العبد دامس الى جراحها وهى بالغه فصعب عليه ذلك وأراد ان يدبر على خلاصها فى النهار وماقدر على الاستتار فعاد العبد دامس وفى قلبه لهيب النار فصبر حتى انفصل القتال وعاد خالد من الجبال

فعند ذلك أخبره دامس بهذا الحديث وما جرى له مع الجيدا من المقال وقال له يا مولاى وما قصد الليلة أخلصها الا اذا كنت أنت خلفى وهى ترعانى وتردعنى من يتبعنى ويلقانى (قال الراوى) فلما سمع منه ذلك الكلام خرج وقد فرح بقوله وتبعه لما يعرف من جسارته ومروءته وكان حديث الجيدا قد قطع قلبه وسلب خاطره ولبه وأشعل نيران قلبه فلما خرجا الى البر وأوسعا وأولجا وقد انسلا تحت الدجا وعرجا نحو قوم بنى عبس وخالد يقول لعبده ويلك يا دامس ما كنت أريد الليلة الا اقع بعنتر ابن شداد حتى أشرب من دمه كما أشرب الماء القراح لاجل مافعل بابنة عمى الجيدا من الفعال القباح ولكنه ردى الحسب والنسب وماهو ولد حلال فلاجل ذلك فعل معها تلك الفعال (قال الراوى) وما تم خالد هذا المقال حتى ظهر له من بين يديه شبح وخيال وهو مقبل اليه ومائل عليه وكان هذا الشبح الذى على خالد قد ظهر فى هذا الليل المعتكر كان أبو الفوارس الامير عنتر وقد زعق عليه وقال له ويلك من أنت يا ندل الرجال ومن أى العرب والى اين أنت سائر فى هذا الليل العاكر قال المجد فلما سمع العبد دامس كلام عنتر أقبل على سيده خالد وقال له يا مولاى ها قد قضى الرب القديم حاجتك وبلغك ما تريد من أملك وأرادتك لانه ساق عنتر اليك وحيدا فريدا فدونك واياه (قال الراوى) فعند ذلك صاح خالد فى عنتر وقال له يا ولد الزنا أنا سائر اليك افنى عمرك وأعرفك قدرك وآخذ روحك من بين جنبيك وان كان مالك لاقدر ولا شان ولكن هذا حكم الزمان ثم انه انحط على عنتر بضرب كأنه الحمام وشيبوب استقبل العبد دامس والتقى كل أحد

بصاحبه وأقبل عليه يخادعه ويحاربه فكانوا اذا تحاربوا وتقاربوا يتضاربون بالخناجر تحت غسق الظلام وهم على الحس والكلام هذا وعنتر وخالد فى العراك والصدام وطعن يسبق رسيل الحمام وقتال تتعوذ منه الجن تحت الغموم وتتنهت له فى الافلاك النجوم ولهم دمدمه وضجة مؤلمه وكانت ليلة مظلمه سوداء معتمه فجرا لهذين الفارسين كل عجب عجيب وظهر لهم كل أمر غريب حتى ارتفعت أذيال الدجا وبدا ضوء الصباح وتقصفت فى أيديهم الرماح وملوا من الحرب والكفاح وسلوا بواتر الصفاح وطلب الاثنان نهب الارواح ورأى عنتر من خالد شجاعة وبراعه ونظر منه صناعة وأى صناعه ونظر خالد من عنتر أعظم ما رأى لانه رأى من عنتر شيأ ما كان له فى حساب فعند ذلك زادت نيرانه وقوى التهابه وجد خالد مع عنتر فى الضراب وبان له الخطا من الصواب وكذلك شيبوب والعبد دامس قد كلا وملا وتعبا واضمحلا وتبعت سيقانهم من الوثبات وقد فرغت نبال الاثنين من الكنانى وعادوا الى القتال بالخناجر وتباعدوا وتقاربوا وتلاصقا وافترقا ورفع كل واحد منهما يده بخنجره وعول ان يضرب صاحبه واذا بصرخة هائله وقائل يقول يا العبس يا العدنان لا اشفيتم أبدا أنا متيم عبلة وحبيبها على طول المدا (قال الراوى) وكان الصائح الامير عنتر بن شداد لانه رأى خصمه قد كل وظهر منه التقصير فعرف منه ذلك معرفة خبير فعند ذلك هجم عليه عنتر هجمة الليث القصور وضربه بالسيف الظامى الابتر طير رأسه مع زرد المغفر فنظر العبد الى ذلك فاندعر وعول على الهزيمة والهرب فأدركه شيبوب مثل السلهب وضربه عاجلا بخنجر

بين صدريه أخرجه يلمع من بين كتفيه وبعد ذلك شاله وجلد به الارض ورض عظامه رض وأخلط طوله فى العرض وجلس على صدره ونحره من أذنه الى أذنه وعاد الى أخيه عنتر وهناه بالسلامه وسأله عن حاله وما جرى له فقال له عنتر ويلك ياشيبوب لماذا لم تحضر قتالى مع هذا الشيطان الذى كانه من مردة الجان فقال شيبوب فالذى فعلته أنت من الامر الزائد وما أنت الا قتلت واحد وأنا قتلت واحد فقال عنتر وحياة عيون عبله انى ما لقيت أفرس من خالد بن محارب ولا أصبر منه على الشدائد (قال الراوى) ثم ان عنترا ركب جواد خالد بن محارب لان الجواد الذى كان تحته قصر عن المآرب وأما أخوه شيبوب فانه أخذ رأس خالد وعاد الى خلاص عبلة طالب فرأى حولهم أكثر من مائة فارس أنذال فحمل عنتر عليهم وفرقهم يمينا وشمال وصاح شيبوب على العبيد فحلت مواليها وانطلقت جميع النساء والرجال وركبوا على الخيول العوال ورجعوا يطلبون الحرب والقتال بعدما شكروا عنترا على هذا الحال فوجدوا بنى عبس قد انكسرت وبنى زبيد قد انتصرت (قال الراوى) فلما نظر عنتر الى هذا الحال زعق على الابطال وفرقهم يمينا وشمال فسمع الملك زهير صوت عنتر بن شداد فانه لحت أحوالهم بعد الفساد وصار شيبوب يجرى بين تلك الخيول الجياد وهو يصيح ويقول يابنى زبيد عمن تقاتلون وهذه رأس فارسكم خالد بن محارب وقد قتله الاسد الواثب وفارس الطراد الامير عنتر بن شداد نسل الاطائب الاجواد ثم ان شيبوب صار يعدو بين الخيل يمينا وشمال عيان ورأس خالد بن محارب على رأس السنان وهو يلوح به الى قومه

وعشيرته لاجل الخذلان (قال الراوى) فلما نظر بنو زبيد الى رأس خالد وهى على السنان علموا انه شرب كأس الهوان فعند ذلك رموا ما كانوا أخذوه من الغنائم وأخذوا فى الهزيمة والهرب والندائم فتبعهم بنو عبس الى آخر النهار ورجعوا عنهم وهم فى غاية ونهاية من الاستبشار بعدما أمروا عبيدهم بلم جميع الاسلاب والنهاب هذا وقد رجع عنتر يطلب الملك زهير وهو تحت راية العقاب فترجل على جواده وسعى اليه وقبل رجله فى الركاب وأنشد يقول

لقد وجدنا زبيدا غير صابرة * يوم القتال وخيل الموت تستبق
اذا دبروا وحملنا فى ظهورهم وا * ماتعمل النار فى الحلفا فتحترق
وخالد عليه الطير عاكفة * على ثراه ومافى جسمه رمق
للعرب نحن خلقنا والفخار لنا * عـــلى الذين من قبلنا خلق
والتقى الطعن تحت النقع مبتسما * والخيل عابسة قد بلها العرق
لو سابقتنى المنايا وهى طالبة * قبض النفوس لجانى قبلها السبق
ولى جواد فى الهيجاء ذو ثقة * لو سابق الطير يوما لديس يلتحق
ولى حسام اذا ما سل فى ملل * يفرى لهام الاعادى كلما امتشق
أنا الهزبر اذا خيل العدا اختلفت * يوم الهياج وظل الدم يندفق
ماخفت فى وقعة الهيجاء وجه فتى * الا وكانت اليها خير مستبق

(قال الراوى) فلما فرغ الامير عنتر من شعره شكره الملك زهير على مقاله وفعاله وجميل أعماله فحدثه عنتر بما جرى له مع خالد بن محارب من القتال والعجائب وكيف كان شيبوب مع عبده دامس تحت الظلام العابس فتعجب الملك زهير من ذلك وقال والله يا ابن العم ما كنا الا أشرفنا على المهالك وهذا

كان من عمك مالك ولكن من أجلك تحمل ذلك فدعا له عنتر بطول البقاء وقال والله يا ملك هذا تفضل منك على عبدك الذي ما يساوي تراب أقدامك ولا يقدر على بعض انعامك (قال الراوى) وكان فرسه الابجر قد استراح ونزلت الناس للرواح وأمسى المساء فعند ذلك أمر عنتر باحضار الجيد فما رأى لهما خبر ولا أحد اوقع لهما على أثر وسأل عن عمه مالك وولده عمرو فقالوا والله ما عندنا منهم خبر فقلق عنتر لذلك وتحير وحس أن ظهره قد انقطع ووكف طرفه ودمع واخبر الملك زهير بذلك الخبر فجرى على قلبه ما لم يجر على قلب بشر وقال والله لقد تركنا هذا الرجل مثلا يضرب فى قبائل العرب ويتعجب منه وأمره مستغرب ثم سأل عن من كان بقى فى المنزل وقت الحملة الكبرى ممن لا حمل ولا قاتل ولا جرى فقالوا والله يا ملك الزمان وفريد العصر والاوان ما تخلف عن القتال الا الربيع وأخوه عمارة وعروة ابن الورد فلا أحد منهم لساحة الحرب ورد لانهم كانوا متخنين بالجراح ولا فيهم من يقدر على النهوض والرواح بل حولهم النساء يعتدوا عليهم المساء والصباح ومعهم جماعة كثيرون من الصغار والكبار وهم يكونون جميعا أبرار وفجار (قال الراوى) فلما سمع الملك زهير هذا الكلام أنفذ فى الوقت والحال خلف الربيع ابن زياد فحضر وحوله جماعة من العبيد وهم يسندونه لانه موثق بالجراح فلما صار قدام الملك زهير فقال له لم قصرت يا ربيع فيما أوصيناك به لاجرم ان الله جزاك لانا تركناك تحفظ الاحياء والحلل فرحلت عنها وتركتها نهبا للعدا والملل وتبعت غرض أخيك عماره وأوقعت بنا الخساره

171

فقال الربيع وقد اظهر الانين وتماوت أيها الملك ان اتهمتني فتكون قد ظلمتني وان عتبت علي فانك تكون قد أنصفتني لانك عند رحيلك من الديار أردتني ووضعت قدري وأهنتني وفي قصة عنتر وعمه مالك أشركتني وأنا فأعاتبك على ذلك لانك ما علمت حقيقة الامر والحال ولا علمت الصدق من المحال وبعد رحيلك عول أبو عبلة على الرحيل الى بلاد الشام ويسير من عندنا لتلك الارض والآكام وقال انه يريد يقيم هناك ويعبد الصلبان ويترك الاوثان والاصنام فعففت أنا عليه يا ملك الزمان ومن سيره لاجل ما سمعت من الاقسام لا أقامه الله بعد ذلك الكلام فرحت معه ونزلت في أرض ذات الخلصين وطيبت قلبه بالكلام وقلت له يا ابن العم ما دعاك تبعد أكثر من ذلك فأقم هاهنا حتى يعود الملك زهير من سفرته ويعود ابن أخيك عنتر اليك ويكون قد قضى حاجته ويرسل خلفك الملك زهير أحدا من أولاده وتعود الى أرضك ولا تأخذ على خاطرك من شاس ولا تغضب واعلم أن الملوك ما زالت على رعيتهم ترضى وتغضب ثم انا يا ملك الزمان أقمنا في ذلك المنزل يومين وفي الثالث طلعت علينا بنو زبيد وجرى ما جرى وتجرعنا العذاب الشديد وساقونا سوق العبيد حتى خلصنا على يد حمايتنا الفارس الشديد فقال الملك زهير والله ان قولك كله زور ومحال ولكن عندي عن رد الجواب اشتغال وهذا ما هو وقت قيل ولا قال ولكن أخبرنا عن مالك بن قراد وما كان من حالته وأي مكان طلب هو وابنته فقال الربيع وحق اللات والعزى يا ملك ما عندي منه خبر ولم أعلم له اثر من وقت ما خلصنا العبيد من

الكتناف لانني كنت أشرفت على الاتلاف وكنت مطروحا
على وجه الارض لا أعرف الطول من العرض وبعد ذلك يا مالك
وحق مالك الممالك لا أعرف له مكانا لانني كنت هالك فقال
الملك زهير لا بد ما أقابل مالك على ذلك الفعل المتدارك وأورثه
من يكون الى الشر سالك فقال عروة بن الورد لما سمع هذا
الكلام يا ملك ما في العرب من له بنت وقال ما أزوجها الا أبا
عبله حتى يلحقه كل هذا الهم والمذله فقال شاس اسكت أنت
يا عروة ولا تتكلم بهذا الحديث الباطل فانك تتكلم بكلام
ماله برهان ولا دلائل وكثير من العرب قد فعل مثل هذه الفعال
وقطع الاياس من الاعمال الا هذا مالك القرنان الذي كل يوم
يزوج ابنته بشيطان ويسوق الينا النكد والخسران والحرب
والطعان وأنت تعلم أنه زوج ابنته لعنتر وقبض المهر غير مرة
وهو مال كثير ومن جملتها النياق القصافير وكم أرمى بن أخيه
في كل بليه وفي الآخر فعل تلك الفعال الرديه (قال الراوي)
ثم انهم أقاموا في تلك المنزل الى الصباح وقد خف عن كل واحد
التعب واستراح الا عنتر بن شداد فانه بطول تلك الليلة ما نام
ولا ذاق شرابا ولا طعام بل بات عند الملك زهير وأولاده مالك
وشاس وهو يتضجر ويتقلقل مما حل به من الوسواس وقد
اشتد به الشوق والغرام وأخذه الوجد والهيام وما فيهم من
يسليه ويشاغله بالكلام ويقول له شاس مالك بحياتنا عليك
يا أبا الفوارس لا تشمت بنا الاعداء والحساد ولا سيما بنو زياد
والرأي أن تصبر صبر الرجال الاجواد حتى تسمع خبر عمك نزل على
أي عرب من الاوغاد ونسير اليه ونأخذ روحه من بين جنبيه قال

وكان

وكان عنتر اذا خلا بنفسه بكى وزادت به الاشواق ويأخذه الوجد والاحتراق فيأتى من نار الفراق ثم ينشد هذه الابيات

اذا كان دمعى شاهدا كيف أجحد
ونار اشتياقى فى الحشا تتوقد

ومن أين يخفى ما أقاسى من الهوى * وثوب سقامى كل يوم يجدد

أقابل أشواقى بصبر تجلدى
وشوقى شديد واصطبارى مبدد

الى الله أشكو جور عمى وظلمه
اذا لم أر خلاصى على الصبر يسعد

خليلى أمسى حب عبلة قاتلى * وبأسى شديد والحسام مجرد

حرام على النوم يا ابنة مالك
ومن فرشه جمر الغضا كيف يرقد

سأندب حتى يعلم الطير اننى * حزين ويرثى لى الحمام المغرد

وألثم أرضا كنتى فيها مقيمة * لعل لهيبى من جوا الدار يبرد

رحلتى وقلبى يا ابنة العم تائه * على أثر الاظعان للركب ينشد

فرقى لضعفى ان ودك دائم * وعهدك باق مثل ما كنت أعهد

بنا اشمت الاعداء يا بنت مالك * وجسمى بلى والرقاد مشرد

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من هذه الابيات قاموا على حسه أولاد الملك زهير وصاروا يحادثوه ويسلوه ويوعدوه ويعدوه بنيل المراد وعن ذكر عبلة يشغلوه بذكر ما تحدث به الليالى والايام وأى شىء يكون ويحصل فى الانام (قال الراوى) هذا ما كان من عنتر وأولاد الملك لم يكن لهم معنى كلام وأما ما كان من الربيع ابن زياد وأخيه عمارة القواد فانه كان هذا الامر

عندهم عيدا من الاعياد لاجل حسدهم وشماتتهم بعنتر ابن شداد واعدام عبلة بنت مالك ابن قراد هذا ولم يزالوا في بسط وانشراح الى أن أصبح الله بالصباح رحلوا القوم من ذلك المكان طالبين المنازل والاوطان ولم يزالوا سائرين الى أن أمسى المساء فنزلوا على بعض الغدران ذكر الناقل لهذا الديوان أنهم لما نزلوا على الارض والكثبان وجلسوا في المضارب والخيام فبان جلس الملك زهير لعنتر على اليمين لما سبق له من شدة تفرس وتمكين وحبه الملك لما رأى ما بان منه في الحرب والطعان ولما أتى بأموال الملك كسرى انوشروان ورأى اقتداره على الفرسان فقربه اليه وصار يجلسه على اليمين عوضا عن بني زياد لانهم كانوا في سابق الازمان لا يجلسون الا عن يمين الملك زهير الى أن ظهر عنتر وبانت نجابته فأخر بني زياد وقدم عنتر بن شداد فلما كان في هذا النهار الذي نحن في ذكره نزلوا في موضع ومكان وجلس الملك زهير في هذا المكان كماله بالعادة فعارض عمارة لعنتر عند النزول لما رآه في حالة العدم وقال له وقد أظهر له الشماتة وتبسم ما حالك يا اسود الجلد أراك قد بان عليك ظلام الغرام والهم والسقام وركن صبرك قد انهزم وما زلت بجاهلك حتى أحرمتني وأحرمت نفسك فلما سمع عنتر هذا الكلام من عمارة القواد زادت همومه والاحزان وعظمت عليه الهموم والاغبان وزادت نيرانه اشتعال والتفت الى عمارة بن زياد وقال له ويلك يا مالك تواجهني بهذا الكلام يا ابن زياد أنت ما تتكلم الا من جهلك والانكاد وان كنت تعايرني بالسواد القاهر الذي خلقه رب السرائر القادر القاهر فان كان لوني

اسود حائل فمرادك أن تكون كل انثى فى بيتك وبيت اخوتك منى
حامل لان العرب تشهد لى فى جميع القبائل بانى أبذل لقاصدى
العطاء وأجلى غياهب الظلماء وأخفى السراء والضراء وأما
قولك انى حرمت اجتماعك بابنة عمى فوحق ذمة العرب لآخذها
رغما عن أنفك وأنف الاعداء ولو كانت فى آخر السند الاقصى
أو صعدت الى السماء وان كنت تعارضنى فى محبوبتى عبلة ذات
الدلال دونك وحومة الحرب والجدال أنت واخوتك وجميع
من لك من الابطال وأنا لما ألقاكم وحياة هذا الملك المفضال
الا بالعصا التى كنت أرعى بها الجمال فى البرارى والتلال وكل
من قهرمنا صاحبه كانت له ذات الدلال ثم انه أنشد وقال

يهددنى عمارة وهو دونى * ضعيف لا يقرله قرار
وسيفى صارم عضب صقيل * اذا ما اهتز طار له شرار
واسمر من رماح الخط لدن * يحاكى سنه فى الليل نار
واضرب ضرب ذى كبد قريح * اذا ولى الضيا وأتى الغبار
وبعد أين الاذلال يدنو * ومن يبقى طريحا فى القفار

(قال الراوى) ثم انه همّ بركب جواده ويبرز الى الميدان فعندها
زادت بالملك زهير الاحزان والاغبان فالتفت الى عمارة القرنان
وناداه ويلك يا عمارة يا ابن زياد اما كفاك ما هو فيه ابن شداد
حتى تزيده هما على الذى هو فيه وأنت لا تقدر عليه ولا تصل
يدك اليه وأيضا تفضل عليك وخلصك من القتل شفقة عليك
ولا أنت من رجاله ولا تعد من أشكاله حتى انك بهذا الكلام
تخاطبه وأنت ما تبلغ مراتبه (قال الراوى) ثم تكلم شاس
ومالك وكل محبين لعنتر وأعانوا الملك زهير على عمارة ابن زياد (قال

الراوى) كل هذا يجرى بين الملك زهير وعمارة وعنتر يهدهم ويدمدم وأراد أن يشهر حسامه المخدم واذا بالربيع قام على الاقدام لما رأى القضية مشكلة والجميع بقوا على عمارة تجعل كلامه له من دون الجميع وقال له ويلك يا مذلول السبال هذا جزاء ابن عمنا الذى فدانا بنفسه وخلصنا مما كنا فيه مع بنى زبيد ولولاه ما تخلصنا من هذه الارض والبيد ثم انه بعد كلامه التفت الى عنتر بن شداد ومدح أمارافه بلين الكلام وقال له العفو منك البق يافارس الزمان ولا عليك من كلام أخى عمارة المرقوع فنحن كلنا عتقاء سيفك وآمنا خوفك ولا يصعب ذلك عليك فكلنا بين يديك (قال الراوى) فعند ذلك لان جنب عنتر لما سمع ذلك الكلام لانه مع كونه اسود لكن صافى النية والفؤاد قال فعندها أصلح بينهم الملك زهير وصار يقول لهم يابنى الاعمام لا تجعلونا مثلا فى قبائل العربان ونحن فى أرض مالنا فيها صاحب ولا أهالى ولا اخوان والرأى انكم تأخذوا الراحة فى المنام حتى يرحل الظلام ونطلب ديارنا والاوطان قال وبعد هذا الكلام باتوا على أحسن حال حتى أقبل النهار بالاشتهال وقاموا وشدوا على الاصول من الخيل وحملوا ما معهم من المال على ظهور الجمال وساروا قاصدين أرضهم وتلك التلال هذا وأولاد الملك زهير يسألوا عنترا بطيب الكلام وأحسن الخطاب حتى انهم وصلوا الى أرضهم وتلك الهضاب والتقوهم المقيمين وفرحوا بلقاء القادمين هذا وقد سار كل أحد الى منزله المعهود ومقامه وضرب مضاربه وخيامه (قال الراوى) اما عنتر بن شداد فانه لما بقى فى منازله فالتقى منازل عبلة خالية فزادت بلابله وجرت دموعه على وجنته وتنهد وزادت

بلوته فعندها أشارت منى منازلها وتلال الكثبان وجعل يخاطبها بهذه الاوزان وهى أوّل قصيدته الميمية التى فى البيت الحرام وأنشد وقال

هل غادر الشعراء من متردم * فى حسن عبلة واصغاء متكلم
قلى فديتك هل مررت بخدرها * أم هل عرفت الدار بعد توهم
اعياك رسم الدار لم تتكلم * حتى يكلمك الاصم الاعجم
يادار عبلة بالجواء تكلمى * نعمت صباحا دار عبلة تسلم
دار منعمة غضيض طرفها * طوع العناق لذيذة المتبسم
فوقفت فيها ناقتى فكأنها * فدن لاقضى حاجة المتلوم
وأقول لما ان عرفت ديارها * والعين تذرف بالدموع السجم
حييت من طلل تقادم عهده * أقوى وأقفر بعد أم الهيثم
وتحل عبلة بالجواء واهلها * فى الحزن والظما ن كالمتبسم
حلت بأرض الزائرين فأصبحت * عسرا على طلابها ابنة مخرم
كيف المزار وقد ترتع أهلها * بعنيزتين وأهلنا بالغيلم
ولقد نزلت فلا تظنى غيره * منى بمنزلة المحب المكرم

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من هذه الابيات أمر عبيده بنصب المضارب والخيام ويسرحوا الاموال فى البر والآكام ففعلت العبيد ما أمرهم به فى الوقت والحين وأما عنتر فانه بقى قاعدا حزين واذا بأولاد الملك زهير عليه مقبلين وقد عجبوا من مقالته وطربوا من فصاحته لانهم قد بلغهم ما أنشد من الشعر والنظام فعلموا أن هذا من شدة الغرام فأتوا يسلوه بالكلام فلما جاؤا عنده فى الخيام قالوا والله والله يا أبا الفوارس ما أحد سبقك بهذا المقال فى هذا الزمان وأنت وحق الكعبة الغرى وأبى قبيس وحرى

فصيح بني عبس وعدنان وفزارة وغطفان ومن يكن هذا المقال مقاله وتلك الاعمال أعماله كيف يذل للهوى ويخضع للصبابة والجوى فأزل هذا الهم عن قلبك واشرح خاطرك وصدرك فان عمك هو الخاسر في تدبيره وأين ما مضى فاليك مصيره فقال عنتر والله ما دخل الهوى باختياري ولا بارادتي حتى أزيله بقوتي ثم أن واشتكى وأنشد يقول

ياعاذلي كف العنا * قد زاد غرامي والكمد
لم يبق لي صبر على * حث الركاب ولا جلد
وحس عبلة قد برى * عظمي وأوهاني الجسد
وما جفاني ذا الضنا * والهم عندي والنكد
يادار يكفيك الذي * تفعلي بي من الكمد
ورميتني في جمرها * أحرقت قلبي والكبد
وأبعدتني عبلة بالجفا * مني وهجران وصد
فالله يجمع شملنا * لانه فرد صمد

(قال الراوي) فلما فرغ عنتر من هذه الابيات طربت أولاد الملك زهير ومن حوله من السادات وشكروه على هذه المقالات هذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من الملك زهير فانه لما قربه القرار اصطنع وليمة عظيمة لما قدر وقيمة فخر اله ولاولاده الذين عادوا سالمين ثم انه أرسل خلف عنتر يحضر عنده ليسليه من همه وغمه فأتاه هو ومن كان عنده وجلس كل أحد في مجلسه فعند ذلك أخبر وأبيهم بما قال عنتر وما أنشد وما نثر (قال الراوي) فلما سمع الملك زهير ذلك الكلام التفت الى أخيه أسيد وقال له أريدك يا أخي أن تتفرغ لنا وتكتب جميع ما يقول أبو الفوارس

175

عنتر من المقال ومايفعل من الفعال حتى نباهى به سائر القبائل
ونفتخر به على جميع الشعراء الاوائل وبعد ذلك نأخذ فى أكل
الطعام وشرب المدام والاماء عندهم تضرب بالدفوف والمزاهر
وهم فى أهنأ مايكون واذا هم بحذيفة بن بدر قد أقبل يهنى الملك
زهير بالعودة والسلامة فتلقاه القوم وأجلسوه بين الكرام
ثم قدموا قدامه هو وأصحابه الطعام وبعدها أسقوهم المدام
وبعد ذلك جعلوا يتحادثون بما جرى لهم فى ديار خالد بن محارب
وماجرى لهم من الامور والعجائب وكيف ان عنترا أسكنه
اللحائد وصار ملقى على الارض والفدافد فشكر الجميع لعنتر بن
شداد لاجل مافعله من السداد (قال الراوى) هذا وحذيفة
يقول للملك زهير لا تعتب على فيما جرى من أمر معدى كرب الزبيدى
ولا تلمنى فيما حصل لانى كنت موهنا من الجرح المتقدم ذكره
والا كنت أنا قعدت عنه حتى تلعب الخيل برأسى فى السباسب
ولا أنا فى هذا الكلام كاذب وحق رب المشارق والمغارب (قال
الراوى) فشكره الملك زهير على ذلك وقال له ما كان الاخير يا ابن
الكرام (قال الراوى) ولم يزالوا على ذلك الحال الى أن انقضى
النهار وارادوا الانصراف فالتفت حذيفة الى الملك زهير وقال له
غدا تحضر الى عندنا أنت وابن عمنا عنتر حتى نتهنا برؤيته
ونسليه عن همه وبلوته الى أن نسمع بخبر عمه مالك وعبلة بنته
ونسير اليه ونخلصها من بين يديه حتى تقر بذلك عينيه
فشكره القوم على ذلك وأوعدوه بسيرهم اليه غداة غد بالنهار
(قال الراوى) ثم انه ودعهم وسار وأما كان من الملك زهير وعنتر
ابن شداد فانهم باتوا على ماهم عليه من المرام حتى أصبح الله

بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح فعندها ركبوا الخيول الجرد القداح وتقلدوا بالسلاح وقد سار الملك زهير وعنتر بن شداد وساروا الى بنى فزارة الاجواد هذا ولم يزالوا سائرين حتى قدموا على المضارب والابيات فطلعوا لى لقائهم جميع الامرا والسادات ودخلوا بهم الى المضارب والخيام فالتقوا الاوانى والجفان قد صفوا وفيهم الطعام من كل لون فاخر فجلسوا أكلوا الى أن شبعوا ورفعت الزبادى وغسلوا الايادى وقدموا آنية المدام فنهلوا وطربوا هذا والاماء تضرب بالدفوف والمزاهر وهم فى قصور وغرف وفى أهنأ مايكون من الحالات والظرف (قال الراوى) هذا كله يجرى بينهم من الهنا والمسره وعنتر بن شداد غائب فى دنيا أخرى وهو لا يلتفت الى ماهم فيه بل هو مشغول بحب عبله وما حصل لها من الدبله (قال الراوى) فعندها التفت الامير حذيفة اليه فالتقاه ساهى وعما هو فيه لا يبدى كلام ولا يتكلم مع غلام ولا يشرب بينهم شراب الا وهو غائب عن منادمة الأصحاب فقال له يا أبا الفوارس أى شى هذه الحالات المهمات لم لا تصرف عنك هذه الاوهام وتقال من ذكر عبلة والهيام حتى يقل عنك هذا الوجد والغرام فبالله عليك يا ابن العم تشرب هذا القدح الشراب وأزح عنك الهموم والاوصاب واسمعنا شيأ من أشعارك الحسان لعل أن تنصرف عنا آفات الزمان وكل منا ينشرح منه الخاطر والعينان ولعل الزمان ينصرنا على عمك مالك القرنان ونريك ماتقربه عينيك (قال الراوى) فعند ذلك تنهد وتحسر وأن واشتكا وقال

فؤادى لا يسليه المدام * وعينى دمعها فى انسجام

176

على زمن تقضى فى المصايب * وعين الدهر لم ترزق منام
بكل خريدة خود أراحت * كأن جبينها بدر التمام
بقد كالقضيب وحسن طرف * وألحاظ أحد من الحسام
وألفاظ كأن الشهد فيها * وقد مزجت حقيقا بالمدام
وقلبى فارح والدهر صافى * أنا والعيش مشبع ذو اغتنام
وأيام التشبب والتصابى * لذيذات برائحة الخدام
ألا يا عبل لو أبصرتى ما قد * جرى لى كنتى تبكى بالسجام
وأجرينى المدا مع مثل بحر * وسالت مثل سيل من غمام
فصبرا للقضاء وحكم رب * له بطش شديد فى الانام
عليك سلام ربى يا عبيلا * بطول الدهر ما هتف الحمام

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من هذه الابيات طرب لها جميع السادات وقالوا له لا فض الله فاك ولا كان من يشناك وربح الله سرك وبلغك الله مناك كما ربحت قلوبنا يا ابن السادات هذا ولم يزالوا على شرب الراح وهم فى هنا وأفراح وهدو وانشراح حتى أسقوا عنتر شيأ من المدام فاستراح (قال الراوى) وبعد ذلك التفت عنتر الى شيبوب وقال له ما وقوفك يا ابن الاوغاد سر واكشف خبر محبوبة قلبى والفؤاد فأنا مالى غيرك يا ليث الطراد سر واكشف خبر ابنة عمى وانى عابس قلبى والجسمان حتى ينكمد جميع الاعادى والحساد فقال له شيبوب حبا وكرامه ها أنا سائر من تلك الساعه ولا آتيك الا بما يشفيك من الاعراض والامراض (قال الراوى) ثم انه تحزم وتشمر وألقى رجليه للريح وطلب البر الفسيح وأما عنتر فانه قام على حيله وسار وتمشى الى ناحية الغدير بابريق الماء وأراد بذلك أن يفرج

مابه مما جرى عليه فهو كذلك واذا هو بسرب حمام قد تساقط عن يمينه وشماله ونزلوا على أغصان الاشجار الباسقات وصاروا يغردون بأصوات حسان فلما رآهم عنتر زاد به العشق والغرام فانشد وقال

يا طائر البان قد هيجت أشجانى * وزدتنى حزنا يا طائر البانى
ان كنت تندب الفاقد فجمعت به * فقد شجاك الذى يا طير اشجانى
زدنى من النوح والتعديد واسعفنى
حتى ترى عجبا من فيض اجفانى
وابك الفرط الذى بى لا تكن جهلا
واحذر على الروح من تنفاس نيرانى
ولا تفارقنى حتى أموت جوى * قتيل شوق وابعاد وهجرانى
وطر لعلك فى أرض الحجاز ترى * ركبا على عالج من سفح نعمانى
يسرى بحادية تهل أدمعها * شوقا الى وطن يأوى وجيرانى
ياذا الغراب الذى نادى بفرقتنا
فجعك رب السما فى فلكه الدانى
وبات ينظر فرخا حين يخطفه * كواسر من شواهين وعقبانى
مازال ينعق حتى سار ركبهموا * مشتتا فى الفيافى سير عجلانى
ناشدتك الله يا طير الاراك اذا * رأيت حقا حمول القوم فانعانى
وقد طر بحائر كناه وقد فنيت * دموعه وهو يبكى بالدما القانى
ويسأل الريح من أى الجهات أتت
عنكم سؤال سليب العقل حيرانى

(قال الراوى) ومازال على ذلك الحال حتى برد ما بقلبه من النيران والاشتعال واذا بأولاد الملك زهير قد أتوا على حسن ترفه

وعلو

177

وعلو صوته فأرادوا أن يدخلوه معهم فقال يا موالى وحق ذمة العرب ما أسير من ههنا الا الى العلم السعدى فرجعوا أخبروا أبيهم بذلك فاستأذن أولاده بالعودة وعادوا طالبين الديار والاوطان وأمر الملك زهير الى عمه أسيد أن يكتب القصائد التى قالها عنتر فى بنى فزارة ثم ان الملك زهير عمل وليمة ودعا عنترا اليها فقال له يا مولاى حضور الولائم على حرام ما دامت عبلة غائبة لا أتهنى بشراب ولا بطعام (قال الراوى) فبينما الملك زهير مع عنتر فى الخطاب الا وقد قدم عليه نجاب من الكوفة ومعه كتاب من عند الملك النعمان فأخذ الملك زهير الكتاب وتأمله واذا به يخبر بموت الملك المنذر قال وكان الملك المنذر قد توفى وبلغ خبره الى الملك كسرى انوشروان فأرسل الى ولده النعمان كتابا ومع الكتاب جواد وخلقه وولاه موضع أبيه وهو يخبره فى الكتاب أنك تكاتب العرب وتنظر من يطيعك ومن يخالفك واعلمنى بهم ولا تخل أحدا من قبائل العرب حتى تنفذ لهم الكتب (قال الراوى) فلما وصلت الرسالة الى النعمان فرح وصار فى العز والمقام وترك ما كان به من الحزن والآلام وأنفذ الكتب الى جميع العربان ومن جملتهم بنو عبس وعدنان فأجاب الملك زهير بالسمع والطاعة ورد الجواب بأحسن خطاب قال وأما الملك كسرى فانه أدعا بالوزير عمرو بن نفيلة العدوى وقال له سر أنت بنفسك الى الملك النعمان ودبر قواعد مملكته فأجاب الوزير بالسمع والطاعه وسار من وقته وساعته الى أن وصل الى الحيرة ودخل على الملك النعمان فقام له ناهضا على الاقدام وأدناه وجعله من أجل ندماه وعظم قدره ومثواه قال فهذا ما كان من

هؤلاء وأما ما كان من عنتر بن شداد فانه بقى فى انتظار أخيه
شيبوب مدة اربعين يوما فزاد به القلق واعتراه الارق وأراد أن
يركب ويسير فى طلبه واذا به قد قدم عليه وهو كأنه ذكر النعام
وكان الليل قد أرخا ستور الظلام فلما رآه عنتر ما كاد أن يعرفه من
شعث السفر وغيبته فى البر الاقفر فلما ان حقق فيه النظر قال له
ويلك يا أخى يا شيبوب قتلتنى بطول هذه الغيبة فعسا أن يكون معك
من بنت عمى خبر ووقعت لها على جلية أثر فقال شيبوب ائتنى قبل
كل شىء بما آكله من الطعام لانى جائع يا ابن الكرام فأتواله
بكثير من الطعام فأكل حتى اكتفا وشرب المدام حتى ارتوى
وبعد ذلك قال له عنتر أخبرنى عن عبلة فقال شيبوب اعلم يا ابن الام
بأن عمك الكذاب الخوان قد استجار ببنى شيبان وبالملك قيس بن
مسعود وولده بسطام وقد استجار منك وشكى اليه حاله وحدثه بما
جرى له والرجل قد أجاره وخلاه فى دياره وزوج عبلة لولده
الامير بسطام واختار هناك المقام (قال الراوى) فلما سمع
عنتر ذلك الكلام قلق قلبه وهام ولم يترك شيبوبا يتم الكلام
حتى حس أن روحه تنسل من بين العظام من شدة الوجد
والغرام فقال له عنتر ويلك ودخل بها ذلك الكلب الخوان لا يا ابن
اللئام فقال شيبوب اسمع بقية الكلام والقصه وأزل عن قلبك
الهم والغصه اعلم اننى لما فارقتك سرت الى ديار بنى قحطان
ودرت حلل كثيرة من حلل العربان حتى سمعت بأن عمك الاثيم
القرنان نزل على بنى شيبان فرأيت من الصواب أنى أسير اليهم
وآتيك بالخبر اليقين وقد أخفيت حالى عن المشاهده بالعيان ثم انى
سرت الى القوم وقد أخفيت حالى وضيقت لثامى وغيرت زيى

وهندامى

وعند ذلك رأيت الملك قيس بن مسعود قد ركب وهو طالب الصيد والقنص واغتنام الهوى والغرض وعملت أبا عبلة الى جانبه وولده عمرو وهم أقرب الناس اليه من أهله وأحبابه وقد خلع عليهم وأحسن اليهم فلما رأيت أنا ذلك حققت الخبر عند المشاهدة بالنظر وأخفيت روحي وسرت على مهلي ورصدت مضرب عبلة حين تخلى من أمها وأبيها ومن عمر وأخيها فعند ذلك هجمت عليها فرأيتها تشكي من شدة الشوق والبلبال الى محو الديار والاطلال وقد تغير منها ذلك الحسن والجمال فلما نظرتني زادها البكا والكدر وقالت ويلك يا شيبوب وأين أخوك عنتر فقلت لها في بني عبس يقاسي الويل والسهر وقد جرى عليه من أجلك ما لا يجري على قلب بشر وأما أنا فقد سلكت البر الاقفر حتى أعود اليه منك بالخبر فقالت عبلة والله اني كنت خائفة عليه من نوائب الدهر والعبر وما كان عندي من أرسله اليه حتى أعلمه بما أنا فيه لان أبي زوجني ببسطام بن الملك قيس وطلب منه مهري ابن عمي عنتر والقوم أمرهم قد قيس وما بقي الا أن ينصبوا الاخيك عنتر أشراك الموت والضرر فارجع يا شيبوب أنت الساعة وأعلمه بالخبر وقل له أن يكون من أمره على حذر وعرفه عني انني ان رأيت رأسه أتانا بها بسطام وشرع أبي في عرسي قتلت نفسي ثم انها يا أخي ودعتني وقد زاد بكاها وقالت لي يا شيبوب بحق من خلق النطفة وأنشاها احفظ مني هذه الابيات ولا تنساها ثم انها أشارت الى تقول

أيا ابن العم قد زاد انتحابي * وذبت لفرط وجدي وانتزاحي
فلو أني قدرت أطير شوقا * الى تلك الديار مع الرياح
ولكن حول أبياتي رجال * تهز بكفها سمر الرماح

وقد أصبحت شبه الطير لكن * يد الايام قد قصت جناحي
وزوّجني أبي ظلما وغدرا * وموتى دون هتكي وافتضاحي
لحاه الله كيف يبيع مثلي * رخيصا للعبيد بيع السماح
ويرغب في غريب أجنبي * ويزهد فيك ياليث البطاح
وحقك لانقض العهد يوما * ولو قطعت بالبيض الصفاح
فدبر ما ترى فيه صلاحا * فانك أنت أخبر بالصلاح
وسل أرياح نجد عن سلامي * اذا جاءت وهبت في الصباح

(قال الراوى) ثم انه قال يا أخي وأنا ما أتيت في مثل هذا الوقت الا حتى لا يدري بي أحد لا أبيض ولا أسود فان شئت أن تظهر هذا الحديث وان شئت أن تكتمه فقال عنتر وقد غاب رشده والله ياشيبوب كتمانه أصوب ومعاناته بروحي أوجب فوحق ذمة العرب وشهر رجب لاجعلن بسطاما وسائر بني شيبان أحدوثة للانام وأجازي عمي على تلك الفعال بما يستحقه من الاعمال لانه قد بالغ في عداوتي وطلب مهر ابنته اتلاف مهجتي ولكن ياشيبوب في أين القوم نازلين قال له في الدهنا وأرض العنيزتين وما هم الا في نفر قليل من الفرسان لانهم متفرقين في سائر الوديان على المروج والغدران ولكن هيبة الملك قيس بن مسعود وولده بسطام سيد بني شيبان تحرسهم من طوارق الحدثان (قال الراوى) وكان السبب في مسير أبي عبلة الى ذلك المكان وكيف استجار بالملك قيس بن مسعود وولده بسطام وكان سببا غريب وأمرا معار با عجيب نحب أن نسوقه على الترتيب بعد الصلاة والسلام على سيدنا محمد المختار الحبيب وذلك أن أبا عبلة مالك لما خلصه عنتر من قبضة خالد بن محارب وارتجع يطلب

خدمة الملك زهير كما ذكرنا وخلى لابي عبلة المكان من الرجال والنسوان فقال مالك للربيع بن زياد ما أعظم سعادة هذا العبد الاسود الذى طغى وتمرد وكلما رميناه فى بلا يسلم وينجو ونحن نقع فى يد الاعدا ويحوجنا الدهر اليه ويكون خلاصنا على يديه فوالله ان القتل أهون علينا من هذه المصايب فياليتنى هلكت فى وسط المواكب ولا يكون خلاصى على يد هذا العبد الحقير وانا اعلم انه ما بقى لى خلاص ولا بد ما يأخذ ابنتى اقتناص فقال له الربيع يا ابن العم فلا تبلغه أمنيته وتلبس العار ما دمت فى الحياة فقال له مالك أشر على وكيف ذلك دبرنى عسى أن تخلص ابنتى من يد هذا العبد الذى فتنت مهجتى فقال الربيع اعلم بأن القوم فى هذه الساعه فى الحرب والكفاح والناس مشغولون بضرب الصفاح وطعن الرماح فاركب أنت وزوجتك وعبلة ومن يتعلق بك من أهلك وعشيرتك واركبوا من هذه النجب والمهار واقطعوا البر والقفار واطلبوا أرض بنى شيبان فأنا اعلم أن الحرب ما تنفصل بين الطائفتين الا وأنت سرت فى أبعد مكان واذا نزلت على الملك قيس بن مسعود اشك اليه حالك فهو يبلغك آمالك لانه سيد مطاع وله ولد يسمى بسطام تفزع منه الجن الذين فى سائر الآكام فأقم هناك تحت ظله ولا يركبك العار الاكبر ولا يأخذ ابنتك أقل البشر (قال الراوى) فلما سمع مالك ذلك الجواب رآه صواب فركب هو وولده عمرو من تلك النجب التى أتاه بها معدى كرب وأخذ زوجته وابنته ومن يتعلق به من قرابته وقد أخذ من الجواهر والحبوب شيئاً كثيراً من ماله ومال غيره ما قدرت عليه عبيده ثم انه أمر العبيد والرجال أن يسوقوا

الخيل والجمال ثم انه سار من أول النهار وغاصوا فى البرارى والقفار الى أن وصلوا الى حلة بنى شيبان ودخل أبوعبلة على تلك الخيام فالتقتهم العبيد والخدام وسألوهم عن أحوالهم وماهم طالبين من أمورهم فعند ذلك أخبرهم مالك انه طالب الملك قيس بن مسعود فى المكريم الآباء والجدود فقالت له العبيد على الرحب والسعة والكرامه غيران الملك فى الصيد والقنص وقد قرب وقت قدومه وهاهنا من يقوم مقامه انزل يا ابن الاجواد فقد حصلت فى ذمامه قال فنزل الامير مالك هو وولده وكل من معه من عبيده وجنده ثم ان العبيد أدخلوا عبلة وأمها الى عند حريم الملك وبناته وأجلسوا اماالكا وولده وأخذوا خيولهم سيروها وبعد ذلك على المذاود ربطوها وقعدوا فى انتظار الملك حتى يقدم من هنئه ومسرته بمن معه من أهله وعشيرته (قال الراوى) فلما استقر بهم القرار حتى أقبل الملك قيس من البرارى والقفار ومن خلفه سائر الامراء أوالشجعان وهم لابسون الابراد اليمنيه متقلدون بالسيوف الهنديه ومن تحتهم الخيول العربيه وهم فى حية وأى حيه صلوا ياحاضرين على سيدنا محمد خير البريه قال ولما أقبل الملك على قومه تلقوه عبيده وأخذوا مامعه من الصيد الذى حصله وجلس الملك فى محله ودارت به فرسانه وأجناده فعندها قام الامير مالك على حيله وولده عمرو يتبعه وتقدم وقبل من الملك يده وقد اذلته الغربه وبعده عن الاقربه فعندها ترحب به الملك قيس وأكرمه وبجله وعظمه وأخذ فى الحديث معه وجعل يسأله عن حاله وما السبب الذى أتى به الى هذه الديار وبعده عن حلته فعندها حكى له

مالك

180

مالك ابن قراد عن حكايته وعن عنتر بن اخيه وعبلة ابنته
وكيف أراد ان يأخذها غصبا عنه وعن قرابته وفى آخر الكلام
قال له ياملك الزمان ولما أعيانى منه الامر قصدت الى جنابك العظيم
مستجيرا من هذا اللئيم وها أنا فى جيرتك والذمام أيها الملك الهمام
(قال الراوى) فعند ذلك تعجب الملك قيس وأخذه الطرب من قصة
ذلك الرجل من دون العرب وقال له ياشيخ أما كان فى حلتك
من يرجع هذا العبد عنك وعن ابنتك (قال الراوى) مالك
أبو عبلة أنا أعلمك ياملك الزمان ان هذا العبد ولد حرام وقد تفرس
ما بين الشجعان ولا قدر أحد يرد له عنان وكل من تحرش به
أسكنه فى الارض والكثبان وها أنا حكيت لك حكايتى وقصيت
عليك قصتى وقد استقربتك عن أهلى وقرابتى فأخبر خاطرى
وأكرم شيبتى (قال الراوى) فلما سمع الملك قيس هذا الكلام علم
أنه على فعله لا يلام فعند ذلك قال له مرحبا بك من قادم علينا قدوم
خير كفيت على الرحب والسعه والكرامه والضير وقد أجرتك
من كل العربان ولو كان خصمك الملك النعمان أو كسرى أنوشروان
فعندها قبل مالك يديه وشكره وأثنى عليه (قال الراوى) وعلى
الحقيقة طابت لمالك أبى عبلة المعيشه وصار الملك قيس لا يفعل أمرا
الا بحضوره ومشورته لما رأى فيه من تدبيره وخبرته ونسى
مالك أرضه وقراشه ودياره ومرتعه ولم تخطر أرض الشربة على
مهجته (قال الراوى) وكان هذا بسطام بن الملك قيس انتشا فى بنى
شيبان وربى مع النسوان وصار يحب الجلوس معهم والحديث
بينهم حتى كبر وصار فى عداد الرجال ولكنه ضعيف الحال
فعايرت أباه جميع العربان وقالوا الملك قيس سيد بنى شيبان

أنى له ولد طخير جبان فاغتاظ الملك قيس من سماع هذا الكلام وخاف من شماتة العربان فدخل على زوجته وجرد فى يده الحسام ودمدم دمدمة الاسد الضرغام فعندها خافت منه زوجته لما رأت هذه الحالة حالته فقالت له ما حالك يا ابن الكرام فقال لها لا بد لى من قتلك وأسيل فى هذه الساعة دمك ان لم تمكنينى من قتل ولدك من أجل الكلام الذى سمعته من العربان وهم يقولون الملك قيس له ولد جبان ويحب الجلوس مع البنات والنسوان وأنا يا لخنا كلما أهم بقتله تمنعينى عنه وتقولين ولدى لا يهون على قتله والاعدام وأنا قد انفقعت مرارتى من كثرة الكلام والمراد ان تمكنينى من قتله حتى يطمأن قلبى من جهته فقالت له قتله على رؤس الاشهاد ما هو بصواب وان كان مرادك ذلك أنا اغيبه من عينك وأرسله الى اخواله السادات فهم يأخذوه عندهم ويأخذوه فى الغزوات الى ان يتفرس ويصير من الفرسان أو انه يموت ولا يعلم به انسان ولا تفعل أنت شيأ يلومك عليه ملوك الزمان (قال الراوى) ولم تزل به زوجته حتى انها عما يرى همته وطلع من عندها كان الذى كان به ما كان ثم انها استممت فى ذلك الشان وأرسلت ولدها الى عند اخوتها بنى تميم الشجعان فعندها استقبلوه وفى ارضهم أنزلوه وأكرموه وبجلوه ثم انهم صاروا يأخذوه معهم فى الغزوات ويقدموه قدام السادات جملة أيام وليال حتى انتقل من حال الى حال وصار يهجم على السباع ويصطادها من كل البقاع ويجيبها من الغابات فى الوديان حتى انتهت عزيمته وسموه أبا اليقظان قال وفى بعض الايام طلع الملك قيس الى الصيد والقنص وانتهاب اللهو والفرص

١٨١

فعند ذلك اشتاقت زوجته الى ولدها فأرسلت الى اخوتها أن يرسلوا
لها ولدها في غيبة بعلها فعندها أرسلوه اليها فتلقته وقبلته
بين عينيه وفي جبهته وقالت له ياولدي ما آن لك ان تخلع ثياب
النسوان وتلبس لباس الشجعان وتعد من أصحاب الحرب
والطعان فعندها قال لها نعم يا أماه وقد سميت أبا اليقظان وأنا
أسأل الرب الكريم الحنان ان يطرق أرضكم عند الصباح
فرسان تطلب الحرب والطعان وتبقى تنظرين ما يقع معهم
في الميدان وأنا قد آليت على نفسي اني ما اضاجع نسوان وما
بقيت أجالس الا الابطال والفرسان فقالت له أمه ياولدي دعنا
من هذا القيل والقال فاننا ما نريد حربا ولا قتال ولا طعنا ولا نزال
ثم انها باتت تلك الليلة وهي فرحانة بولدها وقرت به عينها قال مجد
فلما أصبح الله بالصباح وأضا الكريم بنوره ولاح طلعت عليهم
نواصي الخيل وهي مثل قطعة سيل يقدمها فارس في الحديد
غاطس كأنه قلة من القلل أو قطعة فصلت من الجبل أو قضاء
الله اذا تحول ونزل وكان ذلك الفارس يسمى شهاب اليربوعي
الحجر الجلمد الذي ناره في الحرب لا تخمد كما اشتهى الأمير بسطام
وكان معه خمسمائة فارس في الحديد غواطس أبطال قناعس
فنهبوا الاموال وساقوا الخيل والجمال قال وكان الملك قيس بن
مسعود عند مسيره الى بني تميم ترك في الحي بن عم له يقال له الامير
غالب بن جهير وعنده سبعون فارس من بني شيبان قال فلما سمع
غالب صياح الفرسان ركبت الابطال الذين عنده وصاروا يتبعون
آثار النوق والجمال فعاد اليه شهاب اليربوعي ومن حوله
من الفوارس واستقبل بهم فرسان بني شيبان والتقطهم بضرب

السنان والسيف اليمان والتقى بغالب بن جهير فأورثه البلا والويل والذل والضير ثم ان شهاب اليربوعي قوم السنان وضايقه ولاصقه وسد عليه طريقه وطعنه في صدره أخرج السنان يلمع من ظهره وحمل على الخيل وأنزل بركابها الذل والويل وهجم بعد ذلك على البيوت ومن حوله فرسان بني يربوع الشجعان فعند ذلك زعقت البنات والنسوان ووقع البكا في الصبيان وكان الامير بسطام أراد ان يركب من حيث أقبلت الاعداء ولكن أمه ما مكنته من ذلك وخافت عليه من شرب كأس المهالك وصارت متعلقة بأذياله والامير بسطام مستحي من ذلك ومازال على ذلك الحال وهو كلما أراد ان يركب على القوم تمنعه أمه حتى رأى الخيل وهي بين الاطناب والنساء قد زادبهم البكا والانتعاب فزاد به الحرب وأخذته نخوة العرب ووثب على ظهر جواده وثبة الاسد ولم يلبس على جسده زرد لان النخوة وقد غيرت أوصافه والشجاعة لعبت بأعطافه فأخذ الرمح وحمل وطلب الاعداء بقلب أقوى من الجبل وانصب على أعدائه انصباب السيل وهو ينشد ويقول

وما بني في العلا بيت من الكرم * الا بطعن القنا والضرب في القمم
فخل ذكر سليما والرباب اذا * دارت رحا الحرب في داج من الظلم
اذا لم أمت وسيوف الهند مشهرة * فلا سعيت على ساق ولا قدم
ولا ركبت جوادا يوم معركة * ولا هزمت جيوش العرب والعجم
ولا نصرت على خصم أحاربه * ولا خلوت من الانكاد والهمم
ولا بلغت المنا من أمــــله * ولا مشيت الى اللذات والنعم
ولا رجوت بباعي مقصدا أبدا * وكان دمعي براقيضا بمزج دم

(قال الراوى) فلما فرغ الامير بسطام من ذلك الشعر والنظام زعق على الخيل ونزل عليهم انزول السيل وأبلاهم بالذل والويل ونثرهم بالرمح والحسام حتى أخرجهم من المضارب والخيام فعند ذلك عاشت أرواح بنى شيبان وصاحت البنات والصبيان وطلع الغبار الى العنان ونظر شهاب اليربوعى فعال بسطام فزادت أهواله وعظم بلباله فانقض على بسطام وأراد ان يطعنه فسبقه بسطام وطعنه فى جنبه أقلبه وعن مركبه كركبه فصار يخوض فى دمه ويضطرب فى عندمه وقد أشرف على الهلاك والعطب واندق ضلعه وحلت به النوب وعاد الى فرسانه عودة الاسد ففرقهم تفريق الهائم الرتع وشتت شملهم بعد ما اجتمع فولوا هاربين والى النجاة طالبين ولم يزل بسطام تابعا الآثار حتى أبعدهم عن الديار قوة واقتدار ثم انه عاد الى الاحياء هو ورجاله الاخيار (قال الراوى) وأما بنو يربوع فانهم رجعوا وأخذوا سيدهم شهاب لانهم وجدوه فيه الروح فشالوه وقصدوا عرض البرارى والقفار وأما بسطام فانه رجع وهو مؤيد منصور وأمه لم تسعها الدنيا من شدة الفرح والسرور وأنزلته عن جواده من بعد ما بلغ من الاعداء مراده وكان بسطام أخذ جواد شهاب وكان جواد امخبور يقال له ذات النسور وبعد أيام وصل أبوه وفرحان بغنيمته من ديار بنى تميم فزادت أفراحه وزالت اتراحه فأحضر بسطاما وأحسن اليه وقربه منه وأخلع عليه وقال الحمد لله رب العالمين الذى أخرج لى ولدى هذا المخرج ونقله مما كان فيه من هذا المنهج (قال الراوى) ومن ذلك اليوم صار الامير بسطام حامية بنى شيبان وخافت من شره جميع العربان واتفق ان الملك المنذر كما وصفنا مات وشرب

كاس الحمام وتولى بعد ولدى النعمان وأطاعته القبائل من سائر العربان فسمع النعمان بشجاعة الامير بسطام وانه قوى العزم عظيم الشان فانفذ اليه الخلع والهداية وامران يحضر الى ميدانه لان النعمان كان يحب الفرسان ويقرب الشجعان الى عنده ويعطيهم الانعام فلما ان وصلت رسالة الملك النعمان الى عند الملك قيس الهمام جهز ولده بسطام وسار الى أن قدم على الملك النعمان فأكرمه غاية الاكرام وقد أحسن ضيافته ثلاثة أيام وبعد ذلك أراد يطلب بسطام الى الميدان فأحضروه فى جملة الفرسان وامره بالنزول الى الابطال والشجعان فجال بسطام مع الاقران وقد أظهر من فعاله ما حير به الفرسان ولم يبق بطل الاوبطال عليه مجاله ولا فارس الا وافترسه وقطع أوصاله فلما ان نظر الملك النعمان الى فعاله غمره بجوده وافضاله وتركه حاميا بلاده وأوطانه وما عاد الى أبيه الا وخلع النعمان عليه والجنائب تقاد بين يديه فخرج بنو شيبان مع ملكهم ولاقوا الامير بسطام وقد فرح أبوه به وبرؤيته وكان مالك أبو عبلة قد أتى الى ديارهم فى غيبته فلما ان خرج قيس الى لقاء ولده فى ذلك اليوم كان مالك وولده عمرو فى جملة الناس وهم الى جانبه فلما ان سلم الملك قيس على بسطام تقدم مالك وولده اليه وسلموا بأفصح السلام عليه وتكلموا معه بأحسن كلام فتعجب بسطام من فصاحتهم وقد أنكرهم لقلة معرفته بهم فلما ان حصل وجلس فى مضارب أبيه واجتمعت حوله أهله وذويه فسألهم عن مالك وولده فقالوا له أيها الامير اعلم ان هؤلاء القوم عبسيين وقد نزلوا على أبيك مستجيرين من عبد قد نشىء عندهم وقد قهرهم بشجاعته

واحتاج ملكهم الى سيفه وحمايته ثم انهم حدثوه بكلما كان وقد
وصفوا الداينته عبله وما فيها من الحسن والجمال وما حازت
من الملاحة والكمال (قال الراوى) فلما سمع بسطام منهم هذا
الكلام هام بها على الصفة واشتغل خاطره بها من غير نظر ولا
معرفه فلما كان عند المساء خلا بأمه وقال لها يا أماه هل رأيتى
هذه الجارية العبسيه فقالت له أمه وحق خالق البرية هى والله
أحسن من الشمس والقمر ولا يوجد فى هذا الدهر مثلها واعلم ان
الذى وصفها فا أنه فهاولا يعرفها لانه ما حقق رؤيتها واعلم أنها
فى الحسن غريبه وخلقتها خلقة عجيبه وهى تفتن بنات الترك
والعجم وتبقى بنات الملوك عندها خدم (قال الراوى) فلما
سمع بسطام من أمه ذلك الكلام قلق بحبها وزاد به الهيام
وقد اشتد به الوجد والغرام فقال لها يا أماه وحق الكعبة الحرام
ما كان فى نيتى ان أضاجع امرأة مدا الزمان والآن قد وقع
فى قلبى من هذه الجارية نيران وقد اشتد لهيبها واشتهيت
ان أنظرها من قبل ان أخطبها ولكن يا أماه اذا كان فى غداة غد
وركب أبوها للسلام على أبى فادعى أمها الى عندك وأكرمى
مثواها ثم استوحشى لها وأكثرى معها الحديث وطاوليها
فى الكلام حتى ألتف أنا فى كساء وأتى الى أبياتهم فى زى سائلة
من بعض النساء لعلى أنظرها بعينى حتى يتم لى ما أريد ثم ان بسطاما
صبر الى ان كان من الغد وركب أبوها فى أبطال بنى شيبان
ودارت به الشجعان والفرسان فعند ذلك تخلف بسطام عن الركوب
وقد أظهر لابيه وقومه أنه متعوب فتركوه فى الابيات وساروا
قال فلما ان خلت المضارب من الرجال أنفذت أم بسطام خلف أم

عبلة فاتت اليها فنهضت اليها قائمة وسلمت عليها وقد اجلستها
بين يديها وطاولتها فى الحديث والكلام فهناك خلع بسطام
ما كان عليه من ثياب الملك والاحتشام وقد تزيا بزى امرأة فقيرة
رثيثة الحال وقد التف فى عباءة وسار يطلب أبيات مالك وقد
زين له الهوى ذلك الحال والاعمال وقد كانت عبلة لما خلا لها
المكان تذكرت المنازل والاوطان وقعدن وخلعت البرقع
عن وجهها وجعلت تبحث فى الارض بيدها وتشغل نفسها بكلام
يجلب لها البكا كما جرت عادة النساء فبينما هى كذلك واذا
بسطام قد أتى ووقف على باب الخبا ونادى بعبلة وقال لها
ياحرة العرب وأفخرهم حسبا ونسبا بحق رب يبلغك آمالك ومرادك
ويشفى قلبك ويغسل عنك همك ويزيل غمك ويدفع
كربك روى لوعتى وردى جوعتى وهدى سرى بشىء
امسك به رمق الفؤاد لانى امرأة ضعيفة الحال قليلة الرجال
(قال الراوى) فلما سمعت عبلة منه ذلك المقال وثبت فى عاجل
الحال وهى تسحب ازيال الجمال وأتت ومعها قطعة طرطوس
وشىء من التمر وقالت لها خذى ياخالة واعذرينا فى هذا المقدار
لاننا قوم غربا ولا لنا هنا أقربا وادعى لنا بجمع الشمل بالخلان
والعودة الى الديار والاوطان هذا وبسطام لما أن رآها وسمع منها
ذلك المقال غاب عن الدنيا من لذة كلامها وظرفها وتلاطم
أمواج أردافها وجمال وجهها ثم انه أخذ منها الزاد وعاد بلا
قلب ولا فؤاد ولما وصل الى أبياتها يعنى ابيات أمه رمى عن
اكتافه عباءته فقالت له أمه ياولدى ما الذى رأيت فقال لها ياأماه
لا تسألى عن حالى ولا على ما جرالى واعلمى اننى ما عدت اليك

الا

184

الا وانا ما املك شيأ من عقلى ولا بقى لى سمع ولا نظر ولا أقول انى
عندك حاضر لما قد رأيت من صنعة رب السماء التى قد صورها
من ماء والآن فما بقى لى نجا من اشراك الغرام وقد زادت بى
الغصص وبقيت مثل الطير فى القفص وان لم تساعدينى على
ما نزل بى من البلا والا هجيت على وجهى فى اقطار الفلا (قال
الراوى) فلما سمعت أمه منه هذا المقال ورأت ما حل به من تلك
الاحوال فقالت له يا ابنى طب نفسا وقر عينا واعلم أنك اليوم
ملك بنى شيبان وفارس العصر والأوان وأنا التى أخاطب
ابيك فى هذه المعنى وأبلغك كلما تشتهى وتتمنى ثم انها صبرت
الى أن عاد أبوه من الركوب وأكل الطعام مع الفرسان ودخل
بعد ذلك الى الابيات وقد أراد الراحة فى المنام فأقبلت عليه
وجلست بين يديه وقد أعادت كلما جرى لولدها عليه فقال لها
والله يا ابنة العم انها ما تصلح الا له ولا يقارب جمالها الا جماله
وسوف أدعو أباها يحيى عندى وأتحدث معه فان هو اتمم
حكمته فى جميع ما املكه من النعم وأعطيه كلما يريد وأزيل
عنه النقم وأعطيه ما يريد من المال والخيل والجمال (قال
الراوى) ثم ان الملك قيس بن مسعود أرسل خلف أبى عبلة مالكا
وولده عمرا فلما أقبلا ودخلا عليه قام الملك قيس اليهما وقد رحب
بهما غاية الترحيب ثم انه أجلسهما بين يديه وقال لمالك يا وجيه
العرب ويا صاحب الحسب والنسب اعلم أن بعد مسيرك من
عندى قد بدا لى أمر وأنا أقول لك فيه الافراح ان وافقتنى على
الاصلاح فقال مالك لما سمع ذلك الكلام قال وما هو أيها الملك
الهمام والليث الضرغام فقال له الملك قيس اعلم اننى أريد منك

أن تزوج ابنتك لولدى بسطام الذى هو سيد بنى شيبان وحامى بلاد الملك النعمان وفارس العصر والزمان واطلب المهر ماتشاء من المال والنوق والجمال حتى انى أسوق كلما تطلبه اليك وتكون بعد ذلك منتك علينا الامتنا عليك (قال الراوى) فلما سمع مالك أبو عبلة من الملك قيس بن مسعود ذلك الخطاب فرح واستبشر وأجاب وقال والله يامولاى ما أنتم الاغاية الشرف والخير المذكور وأكون أنا المسعود من دون جميع الجنود ولكن ياسيد العرب أنت تعلم ماتم لى من السبب وانى ما أتيت اليك مستجير الامن ذلك العبد الحقير لانه يامولاى قد شيب مفرقى وكدر عيشتى وأكثر قلقى قال فلما سمع بسطام من مالك ذلك الكلام انفرجت كربته وزالت شدته فعند ذلك انبسط مع مالك فى الكلام وقال له أنا ابلغك المرام واضمن لك هذا المقدار واطفى مابقلبك من لهيب النار واعطيك بعد ذلك أموالا تسد الفضا وتملأ المستوى فعند ذلك زوجه مالك ابنته عبلة وقد أعطاه يده على ذلك وانفرجت عن قلبه تلك الذبلة ثم ان مالكا أقسم قدام بنى شيبان ان رأى رأس عنتر وصورته سلم اليه ابنته ثم انفصل الحال وتمت الامور والاشغال (قال الراوى) فلما خلى الملك قيس بولده بسطام قال ياولدى أى شىء هذا الكلام والله ياولدى ان ترك هذا الامر خير من الجدفيه لانك ان سرت الى بنى عبس وحدك ما آمن عليك وان سرت مع عسكرك وجندك يقولون جميع العربان بنوشيبان ماقضت حاجتها الابكثرة الفرسان فقال بسطام وحق من أرسى الجبال وقدر الارزاق والآجال لاسيرن الى عنتر الا وأنا وحيدا فريد

185

ولا تعلن فعلا تعجز عنه الصناديد لان ابي زوجتي عبلة في قلبها من هذا العبد دبله واخوها وامها وابوها في قلوبهم منه امر عظيم من هذا العبد الزنيم واذا علموا اني سرت الى بني عبس وحدي وقهرتهم بساعدي وزندي وعدت وراس عنتر معي وارتفع عندهم قدري واريد منك ان تكتم عني هذه القضيه ولا تطلع عليها احدا من البريه وان سالك عني انسان فقل انه مضى يشرف على بلاد الملك النعمان ثم ان بسطاما بعد ذلك الامر والشان ركب جواده وتقلد بعدة جلاده وسار يقطع الربا والآكام ومازال سائرا وهو يلتفت الى الربا والآكام وينظر الى الخيام حتى انجلا غسق الظلام فهنالك ثبت عقله وفتح عينيه ونظر بعين خبرته الى ما بين يديه فراى قائد الهوى قد اعدمه التوفيق والقوى وسار به العشق على غير طريق الاستوى لانه اراد يطلب وادي ديقار فسار الى ارض الدمايث وقد اصبح في ارض واسعة الجنبات دارسة الطرقات موحشة الفلوات فوقف عند ذلك بسطام وقد نظر يمينا وشمالا وتامل الى تلك الروابي والتلال فبينما هو على ذلك الحال واذا بغبار قد ثار وارتفع قدر ساعة من النهار وانكشف عن سبعين فارسا صناديد مسربلين بالحديد والزرد النضيد وقدامهم فارس مثل البرج المشيد قال فلما نظر بسطام الى ذلك حرك الجواد واعتد للحرب والجلاد فعندها تقدم الفارس المقدم ذكره وقال له يا فتى من تكون من العربان انتسب لعل يخيبك النسب فقال له بسطام يا غلام وان لم يخيبني النسب انجاني رمحي وحسامي المشطب ياويلك انا بسطام بن الملك قيس

ابن مسعود سيد بنى شيبان وحامى بلاد الملك النعمان فانت
من تكون من العربان ومن يقال لك من الفرسان تأخر وتكلم
بما عندك من الكلام (قال الراوى) فلما سمع الغلام من
بسطام ذلك الكلام ضحك ضحك العجب وقد هز الرمح فى يده
وقد فرح وطرب وحط يده على الحسام وقال ان هذا الاتفاق
فيجب عليه شكر الملك الخلاق فقال له بسطام وكيف ذلك
ياغلام هل لك عندى دين تستوفيه أودم تقتضيه فقال له
الفارس لا والله يا أبا اليقظان مالى عندك لادم ولا دين ولكن
بعد ما رأيتك مابقيت أقدر أعود الا برأسك لانى أنا يقال لى
طرفة بن نافع وقد خطبت سعدى ابنة شهاب اليربوعى الذى قتلته
أنت يوم غار عليكم وقد قالت لى أمها ما أزوجها الالمن يأخذ لى
بثارها ويأتينى برأس بسطام قاتل أبيها وبعد ذلك يأخذها بلامهر
معدود ولا صداق محدود وهذه طريقى من عند قومى اليك
حتى انى آخذ رأسك من بين كتفيك على أننى وذمة العرب
ما أبغى عليك ولا أترك أحدا من بنى عمى يدنو اليك حتى ينفصل
الحال فخذ الآن حذرك ودبر أمرك للحرب والقتال والطعن
والنزال (قال الراوى) فلما سمع بسطام ذلك الكلام قال له
والله ياطرفة لقد ساقك الطمع الى سوء المصرع واليوم ترى
أنت وقومك فعالى وسوء المصنع وتنظر أسدا ليس لك منه
خلاص الا أن تذل وتخضع وما أريد منك فى هذا المكان الا
الانصاف وان أبيت ذلك ولا تعمل انصاف فاحمل أنت وقومك
أجمع لانكم عندى مثل الغنم اذا وقع بها الاسد الادرع
فقال له طرفة ألك أن تتكلم بهذا الكلام فى مثل هذا المقام

186

لكن قول لى ما الذى تريد من الانصاف يا بسطام فقال له تمهل على حتى أنزل من على ظهر جوادى وأريحه قليل وأعود على ظهره وبعد ذلك دونك والقتال فقال له طرفة افعل ما بدا لك فعند ذلك عاد طرفة الى عند قومه وأخبرهم بما كان بينه وبين بسطام ففرحوا بقضاء حاجته هذا وقد نزل بسطام عن جواده وحل عنه الحزام وأراحه من اللجام وحط عنه سرجه وسيره حتى أراث وبال وأخذ الراحة للعجال لانه كان قد سار من أول الليل الى ذلك الوقت ولما أخذ الراحة أسرجه وألجمه وعاد بسطام الى ظهره وجعل ينشد هذه الابيات

أنصف الدهر وبالحق حكم * ولعمرى بالقوى ما ظلم
سرت أبغى دم من لاضامنى * فأتانى من يطالبنى بدم
قصته تعجب من يسمعها * ثم تبقى مثلا بين الامم
يا بنى شيبان قلبى ضائع * فانشدوه بين أطناب الخيم
أسرته ظبيـة فى طرفها * صائد يصطاد آساد الاجم
شبه شمس تطلع وقت الضحى * أو هلال بان فى جنح الظلم

(قال الراوى) ثم ان بسطاما بعد ما فرغ من شعره انقض على الخيل وقد نزل عليها نزول السيل فى ظلام الليل فأهلك حماتها وبذل دماء ساداتها ثم انه عاد الى خصمه طرفة وتلقاه بروحه وجسمه وقد صاح به وخبله وطعنه بالرمح فى خاصرته فقتله ثم انه عاد الى باقى الخيل وكان القوم من بنى مضر فلما أبصروا من بسطام ذلك الامر المنكر فهجوا على وجوههم فى البر الاقفر والمهمه الاغبر ومازال بسطام وراهم حتى أهلك جماعة من رفقاهم ثم انه عاد عنهم بعد القتال وهو يهمهم مثل الاسد الرئبال وبعد ذلك

سار وجعل يجد في قطع القفار الواسع حتى انه بقي في ديار بني معصعة ومن هناك استقام على الطريق ولم يزل يجد المسير ويقطع الصحرا حتى أشرف على ديار بني مره فبينما بسطام سائر في ذلك الطريق فتلقاه فارس أسود على حصان أجرد وبين يديه رجل يسعى وهو يقطع الارض قطعا وكان ذلك الفارس عنتر بن شداد والثاني شيبوب الهمام المنصور (قال الراوي) وكان السبب في ذلك هو أن شيبوبا لما وصل الى عنتر وقد حدثه بالخبر لما سمع أن عمه زوج عبلة لبسطام وطلب في مهرها رأسه فاشتكت من الغبينة أضراسه وقد صعب ذلك عليه واحمرت من الغيظ أماقي عينيه وأخفى الخبر عن أهل الحي ولم يطلع عليه احد لا أبيض ولا أسود وأوصى امه زبيبة بكتمان سره وقال لها اذا أتا أحد من أولاد الملك زهير يطلبني أو يسأل عني فقولي له انه قد مضى يكشف أخبار أخيه شيبوب لانه قد طالت غيبته ثم انه خرج من الاحياء بعدما نامت جميع أهل الحله وسار يقطع القفار وقال لاخيه اقصد بنا ديار بني شيبان حتى انني أوريك ما أفعل بعمي من الهوان ولم يزل يجد السير في جنح الظلام حتى انه التقى ببسطام وقد عرف كلا منهما صاحبه بالصفة والحيله قال وكان بسطام أخذ صفات عنتر من عمه مالك وعنتر أخذ صفات بسطام من شيبوب الا أنهما أرادا أن يذهبا الشك باليقين فناداه عنتر الى أين يا أبا اليقظان فقال له بسطام والله يا ابن شداد أنا سائر الى حضرتك أقطع راسك وآخذ أنفاسك وأعود أتزوج بعبلة زوجتك فقال له عنتر وقد زاد قلقه والله من بعد هذا اليوم ما عدت ترى خيامها ولا بد ما تندب عليك أمك وتموت بحسرتها وغرامها

187

فخذ حذرك وتأهب للموت فانه قد حضر أتك في هذه الساعة ثم ان عنترا التفت الى أخيه شيبوب وأوصاه أن لا يعينه عليه وتأهب له بسطام وهو يقول له والله يا عبد السوء ما قتالك الا غاية العار ثم انه جال وصال وحمله الهوى على الاخطار ثم انه أنشد وقال

حادثات الدهر تأتي بالبدع * ترفع العبد وللحر تضع
خل عنك الحرب يا لون الدجا * واتبع الحق وزل عنك الطمع
ما ركوب الخيل نوق في الفلا * كنت ترعاها اذا الصبح طلع
لا تقل انك تحظى بالمنا * والعبيد السود مثلك لي تبع
لا ولا عبلة من بعض الاما * تكثر الاطماع فيها والولع
انما عبلة ما فيها غبا * من سناها البدر اذا البدر طلع
فاسل عنها قد حواها فارس * سيفه لو ضرب الصخر قطع
يلتقي الابطال في يوم الوغا * بجنان لا يخالطه جزع
يا بني شيبان قد نلت المنا * وانجلا الهم فؤادي واندفع
وغدا أخبركموا عن عنتر * أنه يشرب الموت جرع

(قال الراوي) فلما سمع عنتر من بسطام ذلك الشعر والنظام علم أنه معجب بنفسه وعاشق وقد زين له الشيطان طريق المحال فأجابه على شعره يقول شعرا

يا أبا اليقظان أغراك الطمع * سوف تلقى أسدا لا يندفع
رمتني تطلب مني غفلة * مثل ذيب جائم رجع
يا أبا اليقظان كم صيد نجا * خالي البال وصياده وقع
ان كنت تشكو من تباريح الهوى
فأنا أشفيك من هذا الوجع
بحسام كلما جردته * سجد الموت له ثم ركع

وأنا الأسود والعبد الذى * يصدم الخيل اذا النقع ارتفع
نسبتى سيفى ورمحى وهما * يأنسانى كلما اشتد الفزع
وجميع الخلق شخص واحد * واله الخلق يرفع ويضع
يابنى شيبان عمى ظالم * وعليكم ظلمه اليوم وقع
ساق بسطاما الى قتلته * فالقاه باذيال الطمع
ها أنا أقتله فى أرضكم * وأجازيه على ما قد صنع

(قال الراوى) ثم انهم بعد ذلك الشعر والنظام حمل كل منهم على صاحبه وجعل يطاعنه ويضاربه وقصد بالاسنة مقاتله الاشباح وأوسع فى البر والبطاح ودام بهما الامر حتى سكرا بغير راح ولا خمر وذاقوا حرارة الجمر وأمسى عليهم المسا وهم فى لعل وعسا الا أن بسطاما قد كل ومل وضعف رسم قواه واضمحل وندم غاية الندم على ما كان عليه قد عزم وعلم أن الفرسان تتفاضل وأن عنتر الايقابل وعلم أنه ما بقى له خلاص من ضيق الاقتناص فطلب منه الاقالة الى الصباح ويرجعوا للحرب والكفاح فأجابه على ذلك الايضاح وقد علم أن ماله من يده براح وقال له انزل حيث شئت من البطاح فقد أطلقت لك السراح من هذا الوقت الى حين يطلع الصباح (قال الراوى) فعندها طلب بسطام أعلا الروابى ونزل عن الجواد وهو لا يصدق أن يشم الهوى من كرب الجلاد وقد سلا عنه بذلك الحال وبان له الصدق من المحال ونزل أيضا عنتر عن جواده الابجر وهو تعبان مكروب وقعد مع أخيه شيبوب وأتى له بشىء من المأكول والمشروب فقال شيبوب لاخيه عنتر وأى شىء غرضك يا أخى بالمطاولة مع هذا الشيطان وهو قد أتى يطلب

وتلف

قتلك من أبعد مكان وأنا وحق مكوّن الاكوان قد همت على قتله مرارا وأقتل جواده ولكن خفت من محال القتل وأنا لا يهون على تعبك فقال له عنتر دعه يا شيبوب فى هذه الليل يموت بحسرته ويعض على أنامله وعند الصباح آخذه عند جملته لانه فى قبضتى وهذه الفعلة ما كانت فى ارادتى ولو أردت قتله كنت قتلته من أول النهار ولا أمسى عليه المساء الا وهو ممدد فى الصحرى وأنا أرد أحمله معى الى بنى شيبان وأذيق كل من فيها الذل والهوان ولا أبقى منهم انسان لانه وحق ذمة العرب فارس لا يشبه الفرسان وقد ربت من قتاله وأنا تعبان ثم أنه أمر أخاه شيبوبا أن يتولى أمره الى الصباح فقال شيبوب على الرأس والعين يا ابن الام ثم انه صبر الى هجمة الظلما وعرف أن بسطاما أراد أن ينام فسار شيبوب الى عنده قبل أن يغرق فى نومه وجاء من ناحية رجليه و رقد على بطنه وحبا على بطنه ورمى بسطاما بحجر من يده فرفع بسطام رأسه من الارض فلما رآه شيبوب رفع رأسه التصق الى الارض حتى ما بقى أن يفرق منها فظن بسطام أن الذى حصل له منام فرجع براسه الى الارض فالحق أن يستقر عليها الا وشيبوب قد عضه فى كعبه فقام بسطام على حيله فرجع شيبوب أسرع من البرق الى خلفه فلما رآه بسطام ظن أنه شيطان من عمار ذلك المكان فقال أعوذ برب البيت الحرام وما زالوا على ذلك الحال الى أن أضاء الفجر بالاشتهال فتركه شيبوب ومضى الى أخيه عنتر ايقظه من المنام وحكى له على ما جرا الدمع بسطام وما زالوا على ذلك الايضاح الى أن أصبح الله بالصباح فتقدر بسطام من على

الرابية وقد جرد في يده الحسام ولكن أيقن بورود الحمام وكان مما جرى عليه في تلك الليلة تعجب كيف قاده العشق والغرام الى الهلاك وسوء الارتباك وندم على مخالفته لابيه وكيف انه قد سار على حالة الوحدة فلما قارب بسطام الى عنتر أشار ينشد ويقول هذه الابيات

العشق فيه هلاك النفس بالاسل
والضرب بالبيض والعسالة الذبل
ما كان ظني بأني ألتقي أسدا * لا كالاسود عظيم القول والعمل
حتى غدوت وعندي من مخافته
مابت فيه على خوف من الوجل
صبرا على كل ما ألقاه من سقم * ومن غرام ومن بعدي عن الحلل
يانفس لاتجزعي ان الحمام له * وقت وان بعدت أيامه الاول
فيه الحروب فطب نفسا وكن فرحا
وخوف النفس بالاعلال والوجل

(قال الراوي) فلما فرغ بسطام من كلامه فأجابه عنتر يقول
من لا ربي في القنا والضرب في العلل
يبيت من هيبة الفرسان في وجل
كم وقعة لي وبيض الهند مشهرة
وطعنتي تنقص اللذات والاجل
وضربتي تترك الابطال صاغرة * وغمد سيفي ورود الموت في القلل
وصرختي هزمت كم من جيوش لها
والخيل جمعا مع الانعام والابل

189

أين الذي يبتغي أخذ العروس وقد
أضحى وفي القلب نار الحرب كالشعل
ما يبلغ القصد منها غير عنترة * فدونك الحرب ان الحرب للبطل

(قال الراوي) ولما فرغ عنتر من شعره أخذا في معاناة الحرب والطراد وحملا على بعضهما البعض وجالا بخيلهما طولا وعرض حتى زاغت منهما الابصار وتحيرت الافكار وزاد عليه عنتر الدرهم قنطار فبينما هما على ذلك الحال واذا بغبار قد ثار من ناحية بني عبس وبان من تحته مائة فارس على خيول كأنها الاطيار الا أنهم لما قربوا من الحرب حققوا بالنظر الى عنتر وبسطام فنادوا كلهم يالعبس يالعدنان فهم بسطام أن ينفلت من يد عنتر ويطلع الى رؤس الروابي والتلال واذا بغبار آخر قد طلع وامتد في تلك الاقطار وانكشف بعد ساعة من النهار وكلهم بالسيوف الصقال وهم مشتاقين الى الحرب والقتال وهم ثلثمائة فارس ربال (قال الراوي) وكانت تلك القبائل التي أقبلت كلها طالبة قتل عنتر وماله منهم صديق ولا رفيق ولكن الله يسر له أسباب السعادة والتوفيق وكان السبب في تلك القبائل التي أقبلت من خلف عنتر وكانت مائة فارس شداد يقدمهم الامير شرف الدين عمارة القواد وعروة بن الورد والباقي من بني زياد وكان سبب ذلك مالك أبو عبلة لانه لما جرى له ما جرى في بني شيبان وسار بسطام يأتي برأس عنتر فأرسل مالك الى عمارة يعلمه بالخبر ويقول له قد رأيت من الكرم شيأ كثيرا وأنا خائف لا يصل نسبي ببني شيبان ونحترم الاوطان وأشتهي من احسانكم ان تعاونوا بسطاما على قتله لعله يشرب كأس المهالك

فأعلم عمارة الربيع وقال له دبرني يا أخي يا ربيع فقال له من الرأى اذا نترك عليه العيون والارصاد وتتبعه في مائة فارس شداد ونأخذ خبره ونساعد بسطاما عليه ونقتله ثم ان عمارة لما فرغ هو وأخوه من ذلك المقال دعيا بعروة بن الورد وأطلعاه على ذلك الحال وصار وارا صد بن عنترا حتى انه رآه غاب عن الحى فعلم انه ما غاب الا وقد سمع بذكر عبلة ثم انهم استعدوا وساروا وأوسعوا في البر وقال عمارة لعمرو ونحن خيلنا جياد ورماحنا مداد وساعدنا شداد واذا نحن رأيناه وقع في المصيبة رجعنا عنه وتركناه ولم يزالوا على ذلك الحال حتى أدركوه كما ذكرنا عند الصباح وهو مع بسطام في الحرب والكفاح وكان اليوم الذى التقى فيه عنتر بسطاما كان اليوم الذى خرج فيه عمارة وعروة ومن معهم من الحى وأما الغبار الذى ظهر من ناحية بني شيبان ذكرنا انه انكشف عن ثلثمائة عنان والسبب في ذلك كان الملك قيس بن مسعود أنه افتكر في أمر ولده فصار يدبر فكره ويحسب ألف حساب ورأى الى أمه وهي تبكي وتقول كيف بسطام صار لعنتر وحده فما كان له الا أنه جهز هذه الثلاثمائة فارس وقدم عليهم ابن عمه وهو يقال له نجاد وكان من ذكور ايوم الحرب والجلاد وأوصاه على الاجتهاد فقال له يا مولاى انا ما أحتاج الى وصيه لانك تعلم أنني أخبر أهل زماني بالامور والتدبير والفروسيه ثم انه تجهز وسار على الطريق الواضحة حتى أشرف على بسطام وعنتر فلم تكن الا ساعة حتى عرف كل أحد أصدقاه من أعداه وأبصره عنتر هذه الامور فعرف بواطنها وعلم أن الكل ما فيهم صديق بل أتوا يريدون سفك دماه فلما

مع عنده ذلك الامر لاصق بسطاما فال وكان بسطام قوى قلبه وأراد
أن يطلق رأس الجواد فما مكنه عنتر بن شداد بل أدركه
وزعق فيه وطعنه بعقب الرمح ألقاه على وجه الارض وقال
لاخيه شيبوب شده كتافه حتى ننظر ما يجرى بيننا وبين
القادمين فنظر نجاد الى هذا الحال فقال لمن معه يا ويلكم
أخذ هذا الاسود بن ملكنا بسطام وشده فى الاعتقال وانى
أقول انه ما قدر عليه الامن خوفه من هذه الفرقة العبسيه التى
لحقت بصاحبها حتى تعينه على هذه القضيه كما لحقنا نحن صاحبنا
فدونكم واياهم شيلوهم على أسنة الرماح وأنا أمزق جسد هذا
الاسود واطلق لمولانا السراح لانى أقول ان هذا الفارس هو عنتر
الذى سار بسطام يأتى براسه ثم انه حمل يطلب عنترا فى خمسين
فارس وحملت بقية الثلثمائة فارس على عمارة ورفقته مثل الاسود
القناعس وقد قلوا فى أعينهم ودار وابهم وتمزقوا كراديس
ومواكب فعند ذلك لزم بنو عبس القتال خوفا من المهالك فانظر
أيها السامع الى هذه الاشياء التى تحير العقول لان عمارة أتى
يقاتل عنترا فصار معينا له بغير اختياره وعلمه واحتاج أن يقاتل
معه ويخلص نفسه فزعا من العطب ولو أمكنه من ذلك الهروب
لهرب ولكن ما قدر على ذلك لان الاعداء قد أحدقت بهم من
سائر الجهات والمسالك فقاتل وأبذل المجهود وتزاعقت
عليهم الفرسان مثل الاسود وتواثبت الشجعان مثل الفهود
واقشعرت الجلود وقدحت حوافر الخيل النار فى الجلمود وخيم
الغبار على رأسهم حتى بقى مثل الرواق الممدود وفاضت الدموع
على الخدود وقدت الصوارم الهامات والقدود وخفقت الرايات

والبنود وتلهبت فى الاحشاء نار الحقود وعادت وجوه الابطال
سود من كثرة الغبار الممدود ومما جرى عليهما من نقض المواثيق
والعهود وشربت الاودية من أدمية الفرسان والكبود
وخسرت بنو زياد فى ذلك اليوم المشهود ورأت مقام عنتر فى ذلك
الوقت محمود وأيقن عمارة أنه هالك من بين أهله ومفقود وكاد أن
يموت من الحسد وعاد متنغصا ومكمود ثم انه افتقد أصحابه فوجدهم
قد فقد منهم خمسون فارسا والباقى أشرفوا على الهلاك فعندها قال
عمارة النجاة النجاه ثم انه الوى عنان جواده وولى هاربا فتبعه
عروة ومن بقى من رجاله وهم لا يصدقون بالنجاه (قال الراوى
فلما نظرت بنو شيبان الى هروب بنى عبس من قدامهم تبعوهم
وجالوا خلفهم فى وسيع البرارى والقيعان وأرجعوا بصياحهم
تلك البرارى والبطحان فهذا ما جرى لهؤلاء من الامور المناحس
وأما ما كان من أمر أبى الفوارس فانه التقا تلك الخمسين فارس
وحمل عليها وروعها وحمل أيضا مقدمهم نجاد وتكبكبت الفرسان
من على ظهور الخيل الجياد وقد قتل منهم قتلى عظيمة وطعن
فيهم طعنا يسبق لمح البصر ومال عليهم عنتر وهو كأنه البحر اذا
ذخر واستقبل نجادا وطعنه بالرمح الكعوب الاسمر حكم
فى صميم فؤاده نكسه عن جواده وبعده أهلك ثلاثين فارسا
أمجاد فنظر الباقى منه طعنا مثل شعل النار لا يبقى ولا يذر
فولوا الادبار وركنوا الى الفرار وهم يقولون لعن الله أباك
ما أنفذ طعانك (قال الراوى) هذا وبسطام قد حار ولحقه
الانبهار وكان شيبوب عنده موكلا عليه وهو يحفظه لما عاد
أخوه من خلف بنى شيبان وأمره أخوه أنه يشده على ظهر جواده

حتى استراح وعاد اليه نشاطه فركب وتبع أثر القوم الذين
وراء بني عبس واذاهي راجعه تخب بالخيل في وسيع البر ومعهم
أسلاب من قتلوا وخيولهم (قال الراوى) وقد كنا ذكرنا أن
عروة وعمارة هربوا لما قتل منهم خمسون فارسا وانهزم الباقي من
عمارة وعروة وعادوا بنو شيبان يطلبون مقدمهم مجاد فلاقاهم
عنتر بن شداد وناداهم ياأوغاد غير أمجاد وحرمة البيت
الحرام وزمزم والمقام لولا ما بيني وبين بني عبس من العناد
ما حصل من هذا الامر شيء ولا كاد ثم انه حمل عليهم ونكس
فرسانهم الاجواد قال وكان بنو شيبان قد عادوا تعبانين من
الجلاد وفيهم جماعة مجرحين الاجساد وفي دون ساعة عملت
بينهم السيوف الحداد وتقاتلوا وتناصلوا حتى علموا أن عنترا قتل
مقدمهم مجاد وأبصروا الرجال الذين كانت معهم ممددين على
المهاد فقال بعضهم لبعض يا ويلكم ما أسرع عنتر ابسطام وقتل
لمقدمنا مجاد الا وهو مصيبة طارقه ومحنة ماحقه وسنان
رمحه تسبق الآجال السابقه اطلبوا بنا الاهل والديار والا حل
بنا الدمار ولا يبقى منا ديار ولا نافخ نار ولا من يؤدي أخبار
ثم أنهم داروا رؤس خيولهم وأطلقوا لها الاعنه وولوا وهم بالنجاة
لا يصدقون فتبعهم عنتر وما عاد عنهم حتى ملأ الارض من
قتلاهم وأرواها من دماهم ورجع وهو يخب بالجواد وسنان
رمحه يقطر من دماء الابطال الشداد حتى وصل الى أخيه شيبوب
وهو كأنه الاسد الوثوب فعندها قال شيبوب ما الذي عولت عليه
يا ابن الاتم ان تفعله فقال أسير الى بني شيبان وأعرفهم شؤم طلعة
عمي القرنان واملأ ديارهم خوفا ورعبا وأشتتهم بعدا وقربا

ولا أعود حتى آخذ عبلة من بينهم غصبا لانى أعلم أن المنهزمين
اذا وصلوا الى قيس بن مسعود يعرفوه عارا وا من سيفى و يخبروه
أن ولده بسطام فى قبضتى واقول انه يجمع القبائل التى بينى
شيبان و يسير الى ديارنا والاوطان حتى انه يخلص ولده بسطام
فحينئذ تبقى الاحياء خاليه والاموال سائبه وابلغ منها ما أريد
وآخذ عبلة وأنهب الاموال والعبيد واقتل من تخلف من الرجال
الصناديد وان ظفرت بعمى مالك تركته مثلا فى سائر الاقطار
فقال بسطام وهو فى الشدة والوثاق ما يحتاج يا أبا الفوارس
أن تكلف نفسك ما لا تطيق واتركنى لك محبا وصديق
على مدا الايام وأنا وذمة العرب أبلغك ما تختار ولا أدع عمك
ترحل من أرضنا والديار حتى يزف عبلة عليك وأ كون أنا
وقومى ليلة الزفاف بين يديك فعند ذلك قال عنتر يا أبا اليقظان
وأنا عاجز عن قضاء حاجتى انى أستعين بغيرى على ملتى فوحق
من أشرق الدجا وجعل الشمس سراجا مبتهجا لاجعلن لى
فى دياركم فعال تتحدث بها الامم على قارعة الطريق ما بقى
الزمان وسوف أترك دياركم قفرا خراب يزعق فيها البوم والغراب
وأعلقن راسك فى رقبة عمى حتى انه يتوب عن فعاله ولا يرجع
يتغرب عن دياره والطلاله ثم انه قال يا شيبوب سر فى عرض
البر ولا تركب على طريق حتى لا يرانا عدو ولا صديق ففعل
شيبوب ما أمره أخوه ولم يزالوا سائرين وهم يقطعون القفار
والسهول والاوعار فجاش الشعر فى خاطر عنتر فأنشد يقول
هذه الابيات

لحا الله عمى كم كذا يتغرب ❊ فرارا منى بعبلة يهرب

192

وارسل بسطاما الى بعزمة * ليأخذ راسى وهو كالليث أغلب
ولما تلاقينا أتى معه نجدة * يرومونا قتلى مع نجاد واغرب
وزوجه عمى بى قدوه عهد * وكان به دون الخلائق أرغب
فجلت عليهم جولة عنترية * فجعلتهم فوق الثرى تتكبكب
وألبستهم ثوبا من الدم أحمرا * تنوشهم وحش الفلاة وتسلب
وبسطام قد أضحى بكفى مغلغلا * أسيرا ولم يبلغ لما كان يطلب
سأطلب حقى منك يا عم عنوة * لتحلف حقا لا تعـــدته تغرب
والا فلقت الرأس منك مهانة * لانك غدار تقول وتكـــذب
أنا عنتر المعروف فى حومة الوغا * وانى ليث فى الحروب مجرب
ولى همة فوق السماء محلها * وسارت بها الركبان شرقا ومغرب

(قال الراوى) ولم يزالوا سائرين الى أن وصلوا الى بنى شيبان فعدل بهم شيبوب عن الطريق الواضح ودخل الى وادى عميق حتى أصبح الصباح وهم مكمنين فيه فعند ذلك قال عنتر يا شيبوب اتركنى هاهنا واطلب طريق القوم واطلع على أحوالهم وعد الى بالخبر اليقين فمضى شيبوب وغاب ساعة ورجع وهو منزعج الحواس فقال عنتر ما حالك حتى عدت على عجل وعقلك قد انذهل فقال يا أخى انى أشرفت على حلل القوم فرأيت الدنيا منقلبة لفقد بسطام وأصوات النساء عاليات بالنوح والصيحات على من فقد من الرجال والسادات والخيل تركض من كل جانب وتعود الى المضارب فخفت على نفسى من النوائب فوقفت على بعد من الخيام وقد فزعت على نفسى أن يعرفنى عمك مالك وولده عمرو فيوقعانى فى المهالك ولما هممت أن أعود اليك سمعت راعيا يقول لعبد آخر يا ابن الخالة رح الليلة بغنمك بعاجل فان أهلنا

غدى راحلين الى دارة جلجل (قال الراوى) وهذا المنزل ذكره امرئ القيس فى قصيدته التى فى البيت الحرام حيث قال لاو سيما يوم بدارات جلجل ثم ان عنتر قال يا شيبوب قل وأوجز فى مقالك فقال يا ابن الام ولما سمعت برحيل القوم فرحت بذلك وعلمت ان لا بدلعبلة ان يسير مع القوم فتخرج أنت عليهم وقت رحيلهم على الاظعان فتأخذ بزمام ناقة عبلة وتسلمه الى وأنت خافى ولا تخاف من القوم ان كثرت أوقات فتبسم عنتر من مقاله وقال وحياتك يا شيبوب انا أرد عنك الخيل وأفرقها ولو كانت مثل السيل واتركها تنظر اليك من بعيد ومن قريب كما تنظر الغنم الى وجه الذيب (قال الراوى) فلما سمع بسطام ذلك المقال تحير ووقع به الانذهال ونسى الفروسية وقد تعجب كيف ان فارسا وراجل يحدثان أنفسهما بانهما يهجمان على قبيلة ويبلغان أغراضهما منها وهى جمرة العرب فى زمن الجاهليه وبعد ذلك أقام عنتر وشيبوب مكانهما حتى قرب الصباح وخرجا عند آخر الليل يتعثران فى الصخور والاحجار وهما ينتظران رجاله يطلبون أحدا يأخذون منه الاخبار فهم كذلك واذا بأغنام سائرات وهى الى الاحياء قاصدات وخلفها عبد واحد وهو يسعا وقد شبك على أكتافه العصا وهو يبكى بكاء المرأة الثكلا ويقول وأسفاه عليك يا بسطام كيف غدرت بك الليالى والايام وسلمتك الى عبد لا قدر له ولا شان ولعب الهوى فى مهجتك فلا بارك الرب القديم فى عبلة ولا فى أباها ولا رعا الله ساعة فيها رأيناها ثم أنشد يقول

فجعنا فيك يا بدر الكمال ✲ ويا ليث الوغا يوم النزال

وياحامى الحريم بكل أرض * اذاولت صناديد الرجال
لقد عدمت بنو شيبان رجلا * له ضرب تقد به الجبال
وذلت بعدما كانت سباعا * تذل لذكرها أسد الدحال
أسيره من بنى عدنان عبد * قريب العهد من رعى الجمال
ولولا الغدر فى الايام طبعا * لما نصروا العبيد على الموالى
الا ياعبل لا لقيت خيرا * ولا وقيت حادثة الليالى
ولا زالت ديار أبيك قفرا * خرابا من أهاليها خوالى
أتانا زائرا فى يوم نحس * وكان فعاله بئس الفعال
لحاه الله من شيخ وضيع * شقيع الذقن منتوف السبال
وقبر مانبا من طيب عيش * وخلا جمعنا فى سوء حال

(قال الراوى) وساق العبد الاغنام وسمع عنتر تلك الابيات فزاد غيظا وغرام على ذلك العبد ابن الاثام فقال لشيبوب ائتنى به حتى أجابه على مقاله واسأله عن الحى وابطاله فانقض عليه شيبوب ومسكه من خناقه وأتى به الى أخيه ومكن الخنجر من نحره وقال له ويلك ياعبد السوء من يقال لسيدك بين العربان وأنت عبد من من عبيد الفرسان فقال يامولاى أنا من عبيد الملك قيس سيد بنى شيبان والحاكم على من له من العربان فعندها قال له عنتر لا بأس عليك أنتم غدا راحلون من ذلك المنزل الى غيره فقال العبد نعم يامولاى نرحل لوجوه عديدة أحدها اننا خائفون من بنى تميم والثانى لاجل سيدى بسطام فانه قد أسر ونريد نرحل الى منزل أوسع من هذا الموضع وأكثر مرعا ونجمع خلفاءنا وبنى عمنا ونسير الى خلاص الامير بسطام حاميتنا فقال له عنتر ومن أسره من الفرسان وهو واحد العصر والزمان فقال العبد

يا مولاى والله ما أسره الا عبد لا قدر له ولا شان ولا يعد من الفرسان ولا له حسب ولا نسب لان الايام تأتى بكل عجب فقال عنتر صدقت يا ابن الخالة ولكن لكل شىء سبب قل لى من من أسره وما سببه فعند ذلك حدثه العبد بحديث عبلة وما جرى لها مع بسطام وكيف طلب أبوها منه رأس عنتر فى مهرها فضا يأتى بمهرها وهى رأس عنتر عبدها فأسره عنتر فى الطريق ثم ان العبد قال وأنت من تكون يا وجه العرب وأى شىء الذى أتى بك الى هذا البر والسبب فقال له عنتر يا ابن الخالة أنا عبد من بنى حنيفة ومولاى غضب على وقد أتيت الى بسطام أسأله ان يسأل مولاى فى وها أنت قد قطعت ظهرى لما ذكرت لى أسره وذكرت أنك تحبه فقال العبد يا ابن الخالة ان له على فضلا وامتنان ولو كنت أتيت اليه وهو سالم وحاضر فى الاوطان كان مولاى اشترك من مولاك ولو طلب فى ثمنك عشرين ناقه فتبسم عنتر لما سمع هذا المقال وساقه قدامه حتى وصل به الى المغارة التى فيها بسطام وقال للعبد انظر الى هذا الاسير وانظر ان كان يشبه مولاك حتى انه نجود عليك به يا ابن الخالة من أجل رؤياك (قال الراوى) فلما نظر العبد الى بسطام انعجم لسانه عن الكلام وسقط الى الارض وقد ضعفت ركبتاه عن القيام وقد علم أن الذى يكلمه هو فارس الانام عنتر بن شداد فعند ذلك خفق منه الفؤاد وأحس بالهلاك والنفاد فأقبل بعد ذلك على عنتر يلقاه ثم انه تقدم اليه وقبل يديه وأسافل قدميه وقال له العفو يا فارس الانام لان العفو عند المقدرة من شيم الكرام ولا تفعل مع هذا الاسد ذلك الفعال واعلم أن هذا سيدى بسطام

ما يستحق الامر والانتقام فأطلقه يامولاى ولاتقطع شجرة الكرم من بين الانام ثم ان العبد بكا من قلب قريح وفؤاد جريح وجعل يقبل أقدامه ويصيح فبادره شيبوب وسد فمه وأدار كتافه خوفا من عاقبة أمره واتلافه ثم خرج شيبوب طالبا الى بنى شيبان حتى انه يستعلم الخبر وينظر رحيلهم ويعود الى أخيه عنتر فما غاب الا شيأ يسيرا وعاد على الاثر وهو يقطع الفلاة الى أن وصل الى عند أخيه عنتر والدمع يجرى من أما قى عينيه فلما رآه عنتر على هذا المثال قال له مالى أراك هكذا متغير الاحوال فقال له سبقتنا الاعداء يا ابن الام الى بلوغ المراد وضاع تدبيرنا والاجتهاد فقال له أخوه عنتر وكيف تلك الاحوال فقال شيبوب الذى أعلمك به يا ابن الام انى لما سرت من عندك وغدوت فى البر والبطاح فوصلت الى حى بنى شيبان عند الصباح فرأيت القوم فى المسير وركوب الطريق ولا بقى لهم عائق يعيق فلما حققت الخبر عولت ان أعود اليك حتى أعلمك بالخبر وتأخذ لنفسك الحذر وأنا أظن أنى قد بلغت المآرب واذا بالبر قد امتلأ بالمواكب والكتائب وغبار قد سد المغارب والمشارق وكل الجوانب وخيل غائره وفرسان جائله وهم ينادون بالتميم ابشروا بالويل العظيم وفى أوائل الخيل فارس عظيم على جواد جسيم كأنه الليل البهيم وقد مال الى بنى شيبان وأهلك جميع الشجعان وقلع البيوت بما فيها من البنات والنسوان ونظرت عبلة فى أوائل المسبيات وهى تنادى وتصيح يالعبس يالعدنان أين الفارس الغيور أين من يستر الحريم واويلاه واقلة ناصراه واشوقاه اليك يا أبا

الفوارس يا من كنت لنا حافظا وحارس فلو كنت حاضرا ونظرت عيناك ما لاقيت من بعدك فلا أذاقني الله فقدك وسمعتها يا أخي تعدد كما جرت عادة النسوان والبنات وحفظت ما قالته من الابيات

يا عين ابكي على هزبر الرجال * وسيد الكماة والابطال
لو يكن حاضرا حماني من القوم * لو يكونوا عدد الحصى والرمال
يا لقومي فهل غيور كريم * ليحامي عن البنات الغوال
كل يوم في غربة وهجاج * وتماد وذلة وضلال
لا رعاك الاله من شيخ سوء * فاعل الاثم مضمر للمحال
أنت تدل على الحقيقة لا عشت * بأمان من حادثات الليالي

(قال الراوي) ثم ان شيبوب قال لما سمعت منها تلك الابيات وقفت بالبعد منهم أنظر ما يكون من تلك الكائنات واذا بأبيها سمع نداها فحمل يطلب خلاصها من أعداها فانقض عليه هذا الفارس المقدم ذكره فوالله لقد رأيته يا ابن الام خطفه من سرجه وحذفه الى ورائه فتلقته منه العبيد وكتفوه وأرادوا قتله فأراد ولده عمرو أن يحامي عنه وبزعم انه يخلصه منهم فطعنه الفارس بعقب الرمح في صدره ألقاه على الارض فانقض عليه بعض العبيد وأوجعه بالضرب وأخذه أسير وقاده ذليلا حقير وبعد ذلك سمعت الفارس يقول لقد بلغت المنى والمراد وحويت بغية فؤادي بسرور ونلت المنى والسرور اني يا أخي لما رأيت هذه المصايب انسدت في وجهي جميع المذاهب وعدت اليك كما تراني وأنا خائب (قال الراوي) فلما سمع عنتر ذلك المقال فاض دمعه على خده وانحدر وتنغص عيشه وتكدر وقال يا عم

لا سقاك الله غيثا لا ولا قطر الندا ولا تخلصت من أيدى العدى كما ابليت نفسك بهذا البلا وهتكت بنتك فى الملا واحوجتها تنادى بذلك الندا وتخضع للحقير والذليل ثم ان عنتر اهم بركب الجواد ويخرج من ذلك الواد فسمع بسطاما وهو يصيح عليه وينادى ويقول واذلاه من بعد شماتة الاعداء فظن عنتر أن ندامته وبكاه من أجل محبة عبله وماجرى عليها من تلك العمله فعدل الى الغاره وقال ويلك يابسطام من ذلك وسبى عبلة أصابك هذا اللعاب فقال له لا وحق مسبب الاسباب وخالق آدم من تراب مابقى لبنت عمك فى قلبى من المحبة لا قليل ولا كثير ولا تأسف على ما أنت اليه تشير وانما بكائى على هتك حريمى واعاقتى عن مجازات غريمى لان لى أختا اسمها بدور وأنا عليها غيور وقد خطبوها منى جماعة من آل قحطان وغيرهم من الفرسان فاسمحت بها لاحد من العربان وكان من جملة خطابها هذا الذى أغار عليها وهو يقال له قنعب بن غياث فرددته عن طلبه خائب وكرهت أن يكون لها بعلا وتكون له أهلا لانى سمعت انه بخيل الطبع على كل من عنده وانه يأكل وحده ويحرم عبده فمضى وهو غضبان وبقى يهدد بنى شيبان ويقول لابد أن أجمع عليهم العربان ولا شك أن هيبتى كانت تحمى بنى شيبان وتحترمنى العربان لاجل الملك النعمان الى أن جرى لى معك ماجرى وملكتنى أنت بشجاعتك من دون الورى وأظنه قد سمع بقصتى واغتنم الفرصة فى غيبتى وغزى قومى وقبيلتى وسبا حريمى وتحكم فى أختى وشقيقتى التى أغار عليها من نظر مقلتى (قال الراوى) ثم ان بسطاما لما فرغ من

كلامه زاد بكاه وقلقه وشكواه قال يا أبا الفوارس بحق ذمة
العرب مكن مني حسامك والا أعطيني ذمامك واعلم أني قبل
اليوم كنت من أهل الاعتدا وها أنا قد اعترفت بالخطا والظلم
وان قتلتني في هذه النوبة فلا أحد يلومك على فعالك لاني أنا
بالظلم معتدى وها قد ردني الله عما كنت عليه عازم وأنت تعلم
أن الكلمة المسموعه يعلو صاحبها درجة رفيعه وأن العرب
الكرام ما يفتخرون الا بالعطا والتجاوز عن الخطا وأنت تعلم
أن هذه القضية لك فيها انشب لاجل بنت عمك لان أخاها وأباها
مع انذال العربان وهي تنادي ما لها مجير وتشتكي بالذل والتعثير
وما لها من نصير والذي يريد حلها منهم ناس كثير وأنت في هذه
الديار فريد وحيد فاجعلني يا أبا الفوارس لك معين ومساعدا
وقرين حتى انني أبذل روحي لاطراف القنا لعل أن تبلغ المنا
ولا تحسبني ممن يضيع معه الاحسان واتخذني لك أخا وصاحبا
مدا الازمان ثم أنشد يقول

يا فارس الخيل يا شمسي ويا قمري * ويا عمادي ويا عوني على الضرر
أسرتني وخيول الحرب جائلة * والبيض والسمر لا تبقي ولا تذر
وقد أتيت اليك الآن معتذرا * ومعترف أنني بالظلم مبتدر
فان قتلت فحقا أنت فاعله * وان عفوت فأنت السمع والبصر
يا من اذا سل في الهيجاء صارمه * سال القضاء على حديه والقدر
والله لو أن أهل الارض قاطبة * يحاربوك غداة الروع تبتدر
أنت الذي أضحت الابطال صاغرة
من عزم سيفك بين الخوف والحذر
فامنن علي باطلاق أسريه * فأنت كهف العلا ذخر المدخر

لازلت ترقى المعالى دائماً أبدا * ومن يعاديك يغدو غير منتصر
لازلت ما دامت الدنيا وزينتها * ماضى العزيمة تعلو رتبة القمر

(قال الراوى) وما فرغ بسطام من كلامه حتى فاضت عينا عنتر بالدموع لانه كان حليما قريب الرجوع فرق قلبه لذل بسطام والخضوع وعلم أن فؤاده من الغيرة على الحريم موجوع فحله من الكتاف والوثاق من بعدما أخذ عليه العهد والميثاق وسلم جواده وآلة حربه وجلاده فأقبل شيبوب على أخيه عنتر وقال له وهذا العبد الولد الزنا ما نقتله وننزل به العبر والموت الاحمر ونسقيه كأس الانتقام لاجل ما سمعنا من غليظ الكلام فقال له عنتر ويلك يا ابن الملعونة تطلق السادات الاماجيد وتقتل أقل العبيد ولاسيما بيننا وبينه نسبة السواد وهو ما فعل شيأ ينبنى عليه العناد وانما أظهر التأسف والبكاء على مولاه الذى يكرمه فى كل وقت ويرعاه فأطلقه من شداده فقد أكرمناه لاجل سواده (قال الراوى) فلما سمع بسطام ذلك الكلام تبسم وأظهر الابتسام ويا أبا الفوارس فما أنصفك فى الفعال والكلام ثم انه أطلق العبد من شداده وركب عنتر فى الحال على ظهر جواده وخرج من الوادى الذى مكث فيه وشيبوب يسعى بين يديه وبسطام بجانبه وهو قد فرح بعنتر صاحبه وما زالا يركضان حتى أشرفا على ديار بنى شيبان فابصروا الديار خالية من الرجال والاطلال مقفرة العرصات والقتلا مطروحون فى سائر الجهات فبكى بسطام وتناثرت من أجفانه العبرات (قال الراوى) وكان قنعب قد هجم على القوم فى ثلاثة ألف فارس وفعل بهم ما فعل من النحس وأسر قيسا

أبا بسطام ووضع في الباقين السيوف فقتل خمسمائة فارس من الشجعان وأسر مائتين من الاقران والباقي هجوا في البرارى والقيعان فلما ان أتى عنتر وبسطام ونظروا ذلك الامر والشان فانفذ بسطام عبده يلم الرجال من البرارى والآكام فلم تكن الا ساعة من النهار حتى اجتمعوا من سائر الاقطار وفرحوا بسلامة بسطام لما علموا بحقيقة الاخبار وقالوا والله يا بسطام ما بلغ العدو منا آمال الا لما علم بغيبتك (قال الراوى) فعند ذلك حدثهم بسطام بما اتفق له مع عنتر وكيف أسره وكيف من عليه بالاطلاق فعند ذلك عظم عنتر في أعينهم وقويت به قلوبهم ثم انهم ساروا على أثر بني تميم وفي قلب عنتر من أسير عبلة أمر عظيم وما زالوا سائرين في عجيج وتغريب حتى أشرفوا على الاعداء عند المغيب ورأوا قنعب ابن غياث وقد نزل الى المبيت وقومه يضربون المضارب والخيام والسبايا على ظهور الجمال قيام ولهم ضجيج وبكاء قد أقلق جنبات البيدا فقال بسطام لعنتر وقد أهاله ما نظر أي شيء تقول يا أبا الفوارس في أننا نقعد الى غداة غد فقال عنتر لا وحق من أمر البحر فزخر وأشار الى الصبح فأسفر لا نزلت عن ظهر هذا الجواد حتى أخلص الحريم والاولاد (قال الراوى) ثم حمل عنتر وحمل أيضا بسطام وجعل عنتر ينادى ويقول أبشروا يا بني الانذال بالفنا والزوال هذا وقنعب ابن غياث قد أبصر جانب جيشه قد تفرق وعددهم قد تمزق فصاح فيمن معه وزعق وحمل وركب مع أهله هذا وقد عمل القتال ودام النزال ووصل عنتر الى الحريم والعيال ووصل بعده بسطام وقد فعل فعل الكرام وكذلك الفرسان الذين معه

من بني شيبان لانه ما وصل بهم عنتر الى الاموال والنسوان حتى قتل منهم خمسين انسان وبعد ذلك حازوا أموالهم واجتمعوا بنسوانهم وعيالهم فعند ذلك قال عنتر لبسطام امض الى أبيك وحله وعجل له الفكاك وأطلق جميع من كان معه من قومك ورفقاك وخل عمي وولده على حالهم في الاعتقال حتى ينفصل بيننا المحال لانني أعرف عمي وجيشه وفعاله لاني أن أطلقته هرب ونرجع معه في التعب ثم ان عنترا انفذ أخاه شيبوبا الى عبلة حتى يطيب قلبها وينفس كربها ثم أقام وهو يحفظ المضايق من طارق وسارق قال وكان عمه قد سمع حسه فقال له ولده عمرو هذه والله صيحات الاسود الزنيم والليلة يفنى بني تميم ونرجع معه الى المنهاج القديم وما أدري كيف كان مجيئه مع هذا الاتفاق حتى أتانا عند ضيق الخناق فياليت سقتني الاعداء من الموت كؤس ولا كنت رأيت هذا الاسود المنحوس (قال الراوي) هذا وبسطام قد وصل الى أبيه وخلصه وحدثه بما جرى له مع عنتر من حين غاب الى حين حضر فتعجب الملك قيس من ذلك غاية العجب وأخذه الفرح والطرب وقال والله يا ولدي ان هذا الانسان لم يوجد مثله في هذا الزمان ولا بقينا نقدر نكافئه على فعاله ولا نجازيه على جميل أفعاله ومن الصواب أننا غدا نعينه على ملاقات العدا ثم انه أمر بحل الرجال الذين كانوا معه في الاعتقال كما أمره عنتر وأما شيبوب فانه وصل الى عبلة وطيب قلبها وحدثها بما فعل أخوه عنتر مع بني شيبان لاجلها ثم انه أنزلها عند الملك قيس مع حريمه ونسائه فأكرموها غاية الاكرام وقالوا لها يا عبلة وأنت لك مثل هذا الاسد المباهر

الذي لم يوجد مثله في هذا الزمان وتهرب منه من مكان الى مكان فقالت لهم والله يا ستاتي ما أنا هاربة منه ولا مرادي أغيب عنه ساعة واحده لانني ما أرى العز والامان الا مادمت معه في فرد مكان ولكن أبي هو الذي يبغضه ويبعدني عنه ويطرده وكل ذلك من شدة حسده وقد رماه في ألف مصيبه وهو يرجع منها بالنصر والهيبه (قال الراوي) ولما أصبح الله بالصباح أخذت بنو تميم تطاب الحرب والكفاح وظهر الملك قيس والرجال الذين كانوا معه في الاسر والاعتقال وكان قد أعلمهم بالحديث الذي جرى بين بسطام وعنتر وأعلمهم بجميع ما سمعه من الخبر فأتوا اليه بقلوب منشرحه وما فيهم الا من سعى اليه وقبل يده هذا وعنتر قد ترجل للفرسان واعتنق الشجعان وخدم الملك قيس ابن مسعود سيد بني شيبان وقال له يا مولاي ما كنت محتاجا الى هذا التعب فأنا كنت أبلغك الارب فقال الملك قيس يا ولدي وحق ذمة العرب ما في بني شيبان اليوم من أحد لا من أبيض ولا من أسود الا وهو عتيق سيفك وأمين خوفك فشكره عنتر على مقاله واثنى عليه وعلى رجاله قال و بعد ذلك أقبل عنتر على بسطام وقال له يا أمير ابدأ بالعداء قبل أن يبدأ بك واحمل عليهم وطيب قلبك ثم انه عاد الى ظهر جواده الابجر وهو مثل الاسد القسور فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من قنعب فانه من حين ما جرى على قومه هذا المجرى ورأى عدد رجاله قد تمزق وجمع جيشه قد انمحق أخذه الوسواس والقلق فصاح على عبد من عبيده وأمره أن يقدم له جواده وأراد أن يركب لانه قد زاد به على بني شيبان الغضب واذا بخاله قد أقبل وكان يقال له

الاخطل فقال له ياولدى تمهل ولا تعجل وتجنب الخطأ والذلل وهذا بسطام ابن قيس قد وصل وعلى قومك قد حمل وقد أتى معه رجال قناعس قتالها بخلاف الاول وقد قتلوا منا أدنا من مائتين بطل وقد داسوا الرجال وعبروا عند الحريم والاموال فاصبر حتى يصبح الصباح وينجلى الظلام ونبصر من قد صحبه من الفرسان ونديرأمرنا على قدرما نقدر ولا نخالط القوم فى الليل فتصير ويحل بنا العنا ونقتل بعضنا بالسيوف وبالقنا وتبلغ الاعداء منا غاية المنا (قال الراوى) فعند ذلك قال قنعب ياخالاه انا أفزع من بسطام أومن غيره أوأخاف من خوض الظلام حتى تخوفنى وترقنى عن ضرب الحسام أما رأيت فعلى قبل هذه الايام وهجومى على السباع فى الآجام فقال خاله بلى والله ياولدى صحيح انى قد رأيت فعلك وشاهدت أعمالك ولكن خائف عليك من شرب كأس الحمام من فارس قد رأيته فى هذه الساعة مع بسطام وهو أسود كلون الظلام على جواد من الخيل يحكى ظلام الليل وهو يحمل على الفرسان حملات الاسد وينثر الجماجم نثر البرد ويضرب ضربات ما تلتقى ويطعن طعنات ما لها بقى وأنا ياولدى قبل مجيئى معك فى هذه السريه أوصتنى أمك عليك بوصيه وقالت لى بالله عليك لا تفرط فى هذا الولد واحفظه فى هذه المرة من شرب كأس الحمام والنكد ولا تتركه يقاتل عبدا أسود لانى رأيت له منام وأنا فزعانة عليه من شرب كأس الحمام فى هذه الايام فقلت لها وما الذى رأيتيه لولدك من الرؤيا وهو فارس الزمان وما سارقط فى مكان الاوغاد وهو فرحان فقالت لى أنا رأيته كأنه اصطاد صيدا وهو به فرحان مسرور وهو يقول هذا

مدينة المحجوبة قابي بدور ورايت بعد ذلك كان عقابا أسود انقض
عليه وأخذ صيده من بين يديه فاراد ولدي أن يمنعه فأخذ راسه
من بين كتفيه وقد صار مثل الأكره في مخلبيه ورايته طائرا
الى مكان بعيد وأنا من خلفه أكثر النوح والتعديد فعند ذلك
صرت الى كاهن العرب وقصيت عليه هذه الرؤيا فقال لي لا تدعى
ولدك يقاتل أخس العبيد ولا يقاتلهم في البيدا ولا يحارب
السودان فيكون معهم خسران وهي قد أوصتني بذلك الشان
وان هذا المنام بعضه قد تفسر وها قد أخذ صيدك من يدك لانهم
قد تحكموا في السبي والأموال وأنا والله يا ولدي خائف عليك
من هذا الحال (قال الراوي) فلما سمع قنعب ذلك من خاله تبسم
من مقاله وقال له يا خالاه اصبر وأنا أريك ما أفعل ببسطام وهذا
الاسود العنيد حتى تبقى تعلم ان فروسيتي ما عليها من مزيد
ثم ان قنعبا أمر الخيل تمسك الطرقات من كل جانب لئلا يأخذوا
السبي ويعدوا في السباسب قال الاصمعي ولم يزالوا على ذلك
الرواح الى أن أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح فعندها
أخذت كما ذكرنا بنو تميم وبنو رياح يطلبون الحرب والكفاح
وصفت صفوفها وعبت ألوفها وتصدر عنتر على ظهر جواده
الابجر فرأى بني تميم تريد الحملة فسبقهم عليها وحمل على ميمنتها
واستقبلهم بالنظر وضرب فيهم ضربا يوافق القضاء والقدر
لا يبقي ولا يذر فقال الملك قيس لولده بسطام يا ولدي البدر قملن
بدر فاحمل وساعد أخاك عنتر فأطاعه وحمل في الحال على
الاثر (قال الراوي) لهذا الخبر وكان قنعب بن غياث قائما
في ذلك الوقت يلبس درعه وهو مدل بشجاعة بأسه وقوة

199

مرأسه وقد عوّل بزعمه وعدم عقله انه يبارز عنترا وبسطاما سواه ويورى خاله مقاله وفعاله لاجل المنسام الذى رأته أمه وقد أسرع فى لبس جلاده وعدته وتمم آلة حرابه وركب فى عاجل الحال على ظهر جواده وقد هدر وزمجر وحرك جواده الى مقدمة العسكر حتى يكف عنهم شر بسطام وعنتر فهو كذلك واذا بعنتر عن يمينه قد ظهر وهو مثل الاسد اذا هدر وزمجر وكان فى حملته قد قتل خمسة وعشرين فارس فى لمح البصر وكانت تلك الفرسان من بنى تميم ورجع بعد ذلك الى بنى شيبان من خوفه على الحريم فصدمه فى عودته قنعب وقد اشتد به الحنق والغضب ثم قال ويلك يا عبد السوء ما سمعت بفعالى ولا بلغك صفة حربى ونزالى حتى انك تأتى من أقصى الوادى تريد بزعمك خلاص غنيمتى من يدى قال عنتر اما الغنيمة من أول الليل فقد خلصتها وبشدة عزمى قد حزتها وبانت من البارحة تحت أمانى فقد أخذتها وكنت لها محامى ومدانى ثم ان عنترا بعد هذا الكلام جاش الشعر فى خاطره فأنشد وقال

جزع الانوف وقطع الروس سيمتنا
والطعن بالسمر فى اللبات والحدق
بسطو بهمته لا بالسيوف اذا * كان الكمى غداة الروع والحرق
اذا تراءت بروق البيض لامعة * والقوم من دونها يرمون بالدرق
وارتجت الارض تدوى من صوارمها
كأنها الرعد لما شابه البرق
والخيل جائلة لما تصادمنا * مثل الصواعق اذ تهوى من الافق
كم جاهل ذاهل يهوى لمصرعة * سمح بمهجته اذ خط فى الطرق

(قال الراوي) فلما سمع قنعب من عنتر ذلك الشعر والنظام زاد به الوجد والغرام الى معانات الحرب والصدام وكان ذلك سبباً لشربه كأس الحمام فعنده أجابه على شعره يقول

سل السيوف عني في مجال السهم * هل هالني بطل أو خفت من بطل
أو راعني شرس في يوم معركة * يطير منها فؤاد الفارس الوجل
واليوم ألقاك في البيداء منجدلا * والدمع منك على الخدين منهمل
والطير تصبح عليك الآن عاكفة * والوحش ناهلة كالشارب الثمل
والنادبات تنادي لا مجيب لها * والصائحات عليها يضرب المثل
وما قتالك لي فخرا أسر به * وانما خلق الانسان من عجل

(قال الراوي) فلما فرغ قنعب من شعره والنظام وأطبق كل واحد منهم على صاحبه وأخذ يطاعنه ويضاربه واصطدما والتحما وهمهما وزمدما وغابا عن الارض والسما وصار النهار في أعينهم مظلما وقد زادت الطائفتان عليهم ملالا وحنقا وصارت الارواح قلقا وتبدل النعيم بالشقا وكرها طول الحياة والبقا وتقدم خال قنعب في جماعة من بني تميم وقال لهم يا بني عمي خذوا الاهبة للحرب في هذا النهار العظيم فقبلوا منه المقال وتأهبوا للحرب والقتال واشتد الحول وكثر الزلزال وتصايحت نسوان بني شيبان من خوف السبي والهوان وجرت دموع عبلة من الاجفان وصارت تنادي بالويل والاحزان خوفا على ابن عمها عنتر من الهلاك وفزعا من السبي والانهتاك وصارت تنادي واغربتاه واقلة ناصراه بعدك يا فارس عدنان واذلاه ان أتتك نوائب الزمان فسمع أبوها وأخوها نداءها وهم في الاعتقال فقالوا وحق ذمة العرب ما جمعنا بينكما مادامت الايام والليالي

(قال الراوى) لهذا الكلام وقد دام بين قنعب وبين عنتر القتال وأبصرت الفرسان منهما الاهوال قال وكان بسطام قد حمل على الميسره كما حمل عنتر على الميمنه وطلب الحرب والكفاح فانطبق عليه مقدم بنى رباح الا انهما ما طال بينهما المطال حتى طعنه بسطام وتركه ممدا على الرمال وعاد الى ناحية عنتر فى الحال وهو خائف عليه لا يصاب وقد غاب عن الصواب وصارت الفرسان تعترضه وهو يردها على الاعقاب الى أن وصل الى عند عنتر وعرف حقيقة الخبر فوقف ينظر الى الغبار ساعة من النهار واذا بصيحة قد زلزلت الاقطار وامتدت اليها الاعناق وشخصت الابصار وقائل يقول يا عبس الاخبار واذا به عنتر قد ظهر من تحت الغبار وفى يده رأس قنعب وهى كأنها رأس شيطان من الشياطين الكبار والدماء يقطر من وارديه وجميع الخلق تنظر اليه وهو يترنم ويقول

اذا لم أروى صارمى من دم العدا * ويصبح من أجزائه الدم يقطر
فلا كحلت أجفان عينى من الكرا * ولا جاءنى من طيف عبلة مخبر
أنا الموت الا أننى غير صابر * على أنفس الابطال والموت يصبر
اذا ما منادى الحرب نادى أجبته * وخيل المنايا بالجماجم تعثر
سل المشرفى المهند فى يدى * يخبرك عنى اننى أنا عنتر
اذا ما رآنى الموت ذل لهيبتى * وأصبح باع العضب غير مقصر
أنا قابض الارواح بالسيف والقنا
أنا البطل المقدام أنا هو الغضنفر
اذا ما لقيت الليث عمت رأسه * بسيف على شرب الدما يتجوهر
أنا الاسد الحامى حمى من يلوذ بى * وفعلى له فضل يجل ويذكر

سوادى بياضى حين تبدو افعالى * وجدى على والجد بالمجد يفخر
فو الرافع السبع الطباق بأمره * ومن يعلم الاضمار جل المصور
يمين بأنى لا أمل من اللقا * الى أن أجازى للعدو وأظهر
فنادى ندى الهيجاء والحرب دائما * وخوضى المنايا والغبار المكدر
قهرت تميما ثم جندلت ليثهم * وعدت وسيفى من دما القوم يقطر
بنى عبس سودوا بالمعالى وافخروا * بعبدلة فوق السما كين منبر
(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من شعره ونظر خال قنعب مصرعا وما قد جرى عليه ونابه فقال وحق الاله القديم هذا المنام الذى رآته أمه وحسبت حسابه ثم انه فى عاجل الحال خرق اثوابه وعلا بكاؤه وانتحابه وصاح وحمل وتبعته قومه الشجعان وحملت أيضا بنو شيبان وجال فى أوائلهم بسطام وطلع على رؤس الطائفتين الغبار والقتام وتنكست الرايات والاعلام وصبرت الكرام وفرت اللئام وعمل الرمح والحسام وقل الكلام وتعثرت الاقدام وعظم الحر وزاد الشر وضاق الصدر وقل الصبر وعضت الخيل على لجومها وتقطع من شدة الجولان عزمها وعطشت أكبادها وعرقت أجسادها هذا وقد اسود الجو وعدم الضوء وتمكنت الصوارم من الهام والجماجم وطارت العمائم وتقطعت من الخيل القوائم ودام الضرب بالصارم (قال الراوى) هذا وعنتر قد أحما الطعن والاطفال كالمحمى الاسود الاسبال حتى كلت منه المناكب والاوصال لما سمع رنين النصال وقد افتخر وصال وصار يضرب فى هامات الرجال وتصادمت جميع الرجال وكثر الركض والزلزال هذا وقد طعن جواد بسطام فوقع وقاتل وهو راجل حتى كل

وتضعضع

وتضعضع وقتل أكثر فرسان بنى شيبان وصاحت الحريم والنسوان وتعلقت على عنتر الفرسان وصاح فيها الاخطل بن حمدان وهو يقول يا ويلكم يا بنى تميم اشفوا فؤادى من هذا الاسود الزنيم وفوزوا بالمال والحريم (قال الراوى) هذا كله يجرى وعنتر صابر لوقع المصايب وشيبوب يدور حول جواده ويضرب بنباله الصدور والملك قيس بن مسعود ينادى واولداه واواحداه هل أرى ما فى بنى شيبان من يعين ولدى بسطام على ما دهاه واقلة ناصراه هذا والخلائق مجموعة على عنتر من كل جانب وهو صابر لوقع المضارب وقد ضاق به الخناق وجمعت عليه المواكب من سائر الآفاق ونهبوه بأسنة الرماح الدقاق وزاد فى وجهه الابراق من السيوف الرقاق فذكر تعبه من جهة عبلة فى ذلك الموقف المر المذاق وشبه السيوف لثغرها فى الايماض والابراق فأنشد يقول

واقد ذكرتك والرماح نواهل * منى وبيض الهند تقطر من دم
فوددت تقبيل السيوف لانها * لمعت كبارق ثغرك المتبسم

(قال الراوى) فبينما هو على ذلك الحال واذا بأربعين فارس قدمت من بين تلك الرمال لكنهم أبطال ما منهم الا كل فارس ريبال وهم معتدون للحرب والقتال وحملت على بنى تميم ردتها على الاعقاب وافترستها افتراس اسود الغاب ودارت بعنتر من كل ناحية ومكان وقالوا له حماك الله يا فارس الزمان ابشر بالنصر على الاعدا وكن آمنا من جميع الردا فنحن بنو عمك وعشيرتك واعداؤك قد ساقونا لنصرتك (قال الراوى) فعند ذلك تأملهم عنتر واذا هم من بنى عبس الاطايب والمقدم عليهم

عياض بن ناشب قال أبو عبيدة وكان هؤلاء من بنى عمه وعشيرته وماجاؤا لمعونته بل جاؤا لقتلته وأخذ مهجته واقتراب منيته وكان السبب فى ذلك الاتفاق الحلو المذاق الذى يكتب ويسطر فى الاوراق وذلك أن عمارة بن زياد لما عاد مكسورا وحصل له ذلك الابعاد وعاد الى بنى عبس وقد فنيت رجاله وكذلك عروة ابن الورد كان قد جرى له مثل ماجرى له وفنيت من الآخر أبطاله وهربوا وكل منهم مايصدق بالنجاه الا باحلال الموت لفناه فدخل عمارة على أخيه الربيع بن زياد الكثير المكر الكياد وأخبره بما تم عليهم من ذلك الامر الشنيع وكيف انهم لحقوا بعنتر وبسطام فى ذلك البر الوسيع وأرادوا بذلك هلاكه وكيف كان فكاكه فقال الربيع هذا الامر ما كان لنا فى حساب وانى مادبرت الا أحسن التدبير ولكن ما أقدر ارد المقادير ومالى حيلة فى قطع أجل من يريد الله بقاه والذى سعده مولاه ما أقدر أنا على شقاه ولكن دعه ياعمارة عن بالك وانتظر له الفرصيات ونبصر ما تقضى به الامور المقضيات (قال الراوى) فلما سمع عمارة ذلك الكلام من أخيه خرج من عنده وقد زاد به غرامه ووجده وانه من كثرة ما أصابه ادعا بعياض بن ناشب وكان من بنى عبس الاطايب وله فى هذا الديوان حديث وشان وهو الذى لاقى عنترا نوبة خرج من أبيه غضبان واشترى بالغنيمة الحصان فحدثه عمارة بما بقى من بنى شيبان وماتم عليه من أجل عنتر من الخذلان وطلب منه المعونة عليه وأنه يسير خلفه بمن معه من الفرسان وقال له ياابن العم عسى أن يكون أجله قد اقترب وقد حضر على يديك

ويصل

ويصل لك من الهدية ماتقر به عينيك ثم انه أعلمه انه فى بنى شيبان وانه لما عادها ربا تركه فى ذلك المكان وكان عياض من جملة المبغضين لعنتر من أجل ماذكرنا لكم من الخبر فأجابه الى ما أراد من المقال طمعا منه فى المال وبلوغ الآمال وسار فى أربعين فارس من بنى عبس الاشاوس كلهم شجعان واقتفى أثر عنتر حتى وصل الى ديار بنى شيبان ومن هناك أخذ أخبار بنى تميم ففرح بما جرى على عنتر من ذلك الامر العظيم فقال لاصحابه لعلنا نلحقه وهو مشتغل بالحرب ونشفى ما فى قلوبنا منه من الكرب (قال الراوى) ثم انه أجهد نفسه هو ومن معه فى المسير على الاثر حتى أشرف فى الوقت الذى ذكرناه على عنتر وأبصره وهو فى صدور الخيل وهو يقاتل عن النسوان والحريم وقد فعل فعل الرجل الكريم وقد داربه ذلك الموكب العظيم وهو ينادى باسم بنى عبس ويسقى الابطال كأس التعس والنكس (قال الراوى) فلما رأى ذلك الامر وذلك العناد انقلب بعد البغضة الى المحبة والوداد وقال والله يابنى عمى ان الكلب أخبرنا ان ما كنا نعين هذا الفارس فى مثل هذه الاوقات لانه غريب وحيد فى هذه الفلوات وقد طاب على قلبه القتل وعدم اللذات وهو لا يولى ويترك البنات المخدرات ويحصل آرابه والله العظيم لاعين هذا الرجل المظلوم حتى يبلغ آماله (قال الراوى) ثم انه حمل وقد أطاعته الرجال وأجابت مقاله وكشفوا عن عنتر الغمة فاتسع عليه المجال وتمكن فى ذلك الوقت من الاعداء بقتاله ولم يزل يطعن فى الصدور ويضرب الاعناق والنحور حتى ولت بنو تميم الادبار وركنوا الى الهرب والفرار وتبعتها بنو رياح وأوسعت

في البطاح وهي لا تصدق بنجاة الارواح وعاد عنتر وبسطام وهما يتعجبان مما صار من ذلك الامر والشان وعياض بن ناشب يحدثهم بما بذل له عمارة من المال وكيف انه لما وصل الى ههنا ورآهم على ما هم عليه قلبته المشيئة من حال الى حال قال الاصمعي المصنف لهذا المقال ثم ان عياض بن ناشب حلف لعنتر انه لا عاد يسير من مكان الا وهو في صحبته في كل آن يكون من بعض رجاله ورفقته فشكره على ذلك عنتر واوعده هو ورجاله بالمال الوافر ولم يزالوا سائرين وهم في سيرهم مجدين حتى وصلوا الى الظعن والحريات فتلقتهم النساء والبنات والسادات وجعلوا يشكرونه ويثنون عليه بما فعل من تلك الهمة وبعد ذلك رحلوا وساروا طالبين بني شيبان بعد ما لموا الاسلاب وبعد ذلك ساروا الى لقاء الاحباب ووصلوا الى أرضهم وذلك المقام وضربوا المضارب والخيام وسرحت الخيل والجمال والدواب والاغنام وضرب الملك قيس وولده بسطام لعنتر بيتا عاليا الى جانب أبياته وأنزل فيه عبلة وأمر والدته باكرامها ثم ان الملك قيس أخذ في اصطناع الطعام وتصفيف آنية المدام وصنع وليمة عظيمة لما قدر وقيمة وأفاض عليهم المدام والشراب وأخذوا في الحديث والكلام ليلا ونهارا ثلاثة أيام (قال الراوي) وفي اليوم الرابع قال عنتر لعمه مالك بعد ما كان حله وخلصه من المهالك اعلم يا عم أن أيام الوليمة قد انقضت وفرغت وقد ثقلنا على القوم فاعزم بنا على الرحيل الى ديارنا والاطلال حتى يلتم شملنا بالاحباب والقرائب والجيران فقال له عمه بخبثه ومكره ودهاه اعلم يا ابن أخي أنه ما بقي لي وجه في الرجوع الى بني عبس الان نجاني أحد من أولاد الملك زهير

ويترضانى واعود أناواياه والامتى مادخلت معك الى الديار مابقى لى عند بنى عبس مقدار ولا عند بنى زياده منزلة وكان يشتفى فى الربيع بن زياد واخيه عمارة القواد وجميع المبغضين والحساد والرأى عندى انك ياولدى تمضى الى الديار أنت وهذا الامير عياض بن ناشب وتحكى لاخى شداد ماجرى لنا فى هذه البلاد من الاخبار وتأمره أن يدخل على الملك زهير الهمام حتى يرسل بعض أولاده الى الملك قيس وولده بسطام واجى فى صحبة أولاد الملك زهير وأكون معهم فى غاية الاكرام وان كنت ياولدى ماتصدق لقولى فخذ بنت عمك عبلة فى صحبتك ودعنى أنا وولدى عمرا ومن يلوذ بى عند الامير بسطام ويكون نظره علينا الى حين عودتك واشهدوا على يامن حضر انى أزوجه ابنتى عن يقين وهذه يدى لك قدام هؤلاء السادات الحاضرين (قال الراوى) فلما سمع عنتر من عمه ذلك الكلام اجابه الى ماطلب من المرام وأشهد عليه الملك قيس وولده بسطام وقال عنتر لبسطام أريدك يا أخى تكون وكيلا عليه وعلى ابنته عبلة لعل أن يصدق فيما قال وتزول هذه الدبلة فقبل منه ذلك وطابت منه النفس وودعه عنتر وسار طالبا ديار بنى عبس وجعل يجد المسير ليلا ونهارا ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع ظهر عن يمينهم غبار وبان من تحته ألف فارس كرار وهم ينادون بالضباب الاخيار قالت رواة هذه السيرة العجيبة وكان هؤلاء القوم من بنى ضباب والمقدم عليهم ومالك رقابهم الملك عمرو بن شهاب وكان قد سار فى هذه الالف فارس قاصدا بنى عدنان وبنى عامر من دون العربان فوقع بهم عنتر اتفاق وهذا مما يكتب

و يسطر فى الاوراق فلما وقعت العين على العين ونظروا لبعضهم الفريقين ونظر الملك عمرو الى عنتر وهو سائر فى ذلك البر الاقفر فنادى يا بنى الاعمام سألتكم بحق ذمة العرب الكرام الا ما شفيتم قلبى من هذه الشرذمة اليسيره وأنزلتم بهم الذل والحيره فانهم من بنى عدنان فدونكم واياهم لتقع لكم الهيبة فى كل مكان لانى من حيث وصلت الى هذا المكان وهذه الديار لابد لى أن أقلع منهم الآثار وأفعل شيأ أذكر به فى سائر الاقطار فعند ذلك تقدم منهم مائة فارس وطلبوا بجملتهم عنتر أبا الفوارس (قال الراوى) فلما نظر عنتر الى هذه المصايب التفت الى عياض بن ناشب وقال له يا ابن العم سألتك بحق الكعبة الغرى وأبى قبيس وحرا لا يقاتل معى هؤلاء المائة فارس منكم أحد وانظروا ما أنزل بهم من النكد بل اجعوا أنتم ظهرى وتفرجوا على كرى وفرى ثم انه استقبل المائة فارس بوجه مثل وجه الاسد العابس وقلب قوى وجنان جرى واستقبل أوائلها برمحه السمهرى وهو مع ذلك ينشد ويقول

لا يروعنى فى الحرب عمن أريده * معادلة فى الحالتين صبور
همام ومقدام وليث كريهة * وضرغام آجام تراه جسور
اذا ما غدى نحو الحروب مصمما * عنوف على أعدائه وكشور
يقد لهامات الفوارس فى الوغا * ويترك من عاداه وهو عفير
نعم واذا ما ينزل الضيف عنده * تراه عليه يحتمى ويغير
وانى من بنى عبس الكرام ومن بهم سطوت على أعدائهم واجور

(قال الراوى) وكان قد تقدم منهم فارس لسرعة جواده وقدم بين

204

أذنيه سنانه وأرخاعنانه فاخلاه عنتر يصل اليه حتى
استمداده بطعنة فى صدره أخرج السنان يلمع من ثغر قفاه وهجم
على الثانى وطعنه أخرج السنان يلمع من ظهره واعترض الثالث
وضربه بالسيف على هامه وقع رأسه أمامه والرابع كان
لاصحابه تابع والخامس بقى على الارض خانس والسادس
والسابع والثامن بقوا على الارض رمايم ثم انه صرخ فى المائة
فارس ودار فى أطرافها وامالها على بعضها وقد ثار عليهم الغبار
حتى غشيت منهم الابصار ساعة من النهار واذا بعنتر قد قتل
من المائة ثلاثين وهربت من بين يديه السبعين فاردفها الملك
عمرو بمائة اخرى مع تلك المائة الاولى فحملوا على عنتر وطلع
عليهم الغبار واعتكر هذا وعياض بن ناشب واصحابه
فى مواضعهم وهم يتعجبون منه ومن فعاله هذا وعنتر قد استقبل
الفرسان وطعن فيها بالسنان الى أن طلع الغبار الى العنان
ولم يعرف منهم صاحب الزيادة من النقصان ولم يزالوا على ذلك
الحال والغبار الى أن تنصف النهار وانكشف بعد ذلك الغبار
وبان الفريقان للنظار واذا بعنتر يجول على الفرسان وقد قتل
منهم تمام السبعين فارس أعيان وهربت الباقين وقد تفرقوا
فى البرارى والقيعان فعند ذلك زاد بالملك عمرو الغيظ والغرام
وخرج بنفسه من تحت الاعلام وأشار على قومه بالحملة فانطبقت
على عنتر من كل جانب ومكان فاستقبلها بقوة قلب وجنان
وضرب السنان (قال الراوى) فلما رأت بنو عمه ما نابه حمل عياض
ابن ناشب وأصحابه فعند ذلك زاد الامر وكثر الشر وتصادمت
الابطال بالابطال والتقت الاقيال بالاقيال وبطل القيل والقال

وتهبت من شدة الكد الخيل وزاد الحرب والويل وقدحت الحوافر النار وزاد النقع المثار وتزوبع عليهم الغبار ووقع السيف خطأ وصواب وعدمت الاهل والاصحاب فكم من فارس حار ودم قد فار وجواد قد غار وقد قد تزلزل وفارس تململ هذا وقد هطلت الدما وحجب الغبار بين الارض والسما (قال الراوى) لهذا الكلام فبينما عنتر فى وسط المعمعة والضباب واذا هو قد التقى بعمر سيد بنى الضباب وهو يقمع الابطال ويردها الى حومة الميدان والمجال فلما راه عنتر علم انه مقدم القوم فقال لا عتب الزمان ولا لوم ثم انه طلبه من دون الفرسان وحمل عليه من دون الابطال والشجعان واخذ معه فى الحرب والطعان الى أن جرى بينهم ما شيب رؤس الولدان وانعقد عليهم الغبار وحجبهم عن أعين النظار ورأى عنتر خصمه فارسا ثقيل العيار فاخذ معه فى الجد والكد والاستظهار حتى حارت منهم الافكار واستباده بضربة من سيفه البتار واذا براسه عن بدنه قد طار فوقع على الارض يخور فى دمه ويضطرب فى عندمه ومن بعده وقع القضاء والقدر فى بنى الضباب لما فقدوا الاهل والاصحاب وطلبوا رؤس الروابى والهضاب وهم يبكون على ملكهم بغصة وانتحاب (قال الراوى) هذا وعنتر وأصحابه من خلفهم يضربون فى أقفيتهم بالحسام الى أن أظلم الظلام وولى النهار بالضياء والابتسام ورجع عنتر وأصحابه ونزلوا فى ذلك المكان لاجل الراحة والمنام ولم يزالوا على ذلك الرواح الى أن أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح فأمر عنتر أخاه شيبوب بجمع الخيل والسلاح والاسلاب التى تركها هؤلاء

الاوقاح وقال لعياض بن ناشب هذه لكم دون كل أحد ولم يشاركم فيها مشارك لا أبيض ولا اسود وهى أكثر مما وعد كم به عمارة بن زياد وقد وقع الصلح بيننا وبينكم والوداد فضحك عياض بن ناشب من ذلك القول وقد فرح بذلك واستبشر وقال والله يا أبا الفوارس لا عدت أفارقك لا فى سفر ولا فى حضر ان أنت قبلتنى لك صاحب (قال الراوى) وبعد ذلك رحلوا وساروا طالبين الديار وعنتر بين أيديهم يترنم بالاشعار

ما ان تأخر فى الورى لى مقصد * طلب السلامة بعد طول مجال
الا وكنت امامه فى معقب * فيه الرجال تقاتلوا برجال
واذا المبارز ثار يوم كريهة * جندلته بمهند فصال
ناديت عمرا فى الهياجة اصطبر * فأنا لذى أرميك وسط مجال
فضربته فى الحرب ضربة قاتل * فغدا قتيلا دمه هطال
وأنا الذى لحم الفوارس مأكلى * أبدا ونجمى فى السما متعال

(قال الراوى) ولم يزالوا سائرين الى أن وصلوا الديار فأنفذ عنتر أخاه شيبوبا يبشر بقدومه فعند ذلك سار شيبوب الى أن وصل الى الحلة وأعلم أباه شدادا وعمه زخمة الجواد بقدوم أخيه عنتر وشاع فى الحلة الخبر ففرح أهله وأقاربه واغتم من كان يحسده ويبغضه وكان ذلك اليوم عند الملك زهير من أبرك الايام لانهم كانوا من بعده حرموا شرب المدام ومعاشرة الكرام وما كان ظنهم فيه الا أنه قد هلك واندثر لاجل ما انقطع منه ومن عمه الخبر (قال الراوى) ولما أن سمعوا بقدومه ركبت الخيل للقاه وركب الملك زهير أيضا من فرحته برؤياه وقد خرج فى موكب عظيم وخلق جسيم والتقاه قريبا من الديار وهو على غاية من الفرح

والاستبشار (قال الراوى) ولما تقارب بعضهم من بعض ترجل عنتر فى عاجل الحال على وجه الارض ومشى الى عند الملك زهير وخدم ودعى للملك زهير ولاولاده بدوام العز والنعم وأشار اليه بهذه الابيات ينشد ويقول

أراك من النوائب فى أمانى * وجارك والمجاور فى مكانى
وأنت أحق من مدت اليه * يد السؤل مع نيل الامانى
علوت على الاعادى كل يوم * وأنعشت المنى بعد التدانى
بجودك عاد غصن البان رطبا * وقد نلت المدامع الامانى
واضحى الشعر غالى السعر جدا * وكان يباع فى سوق الهوانى
كريم الكف محمود السجايا * شجاع القلب مطلوق اللسانى
اذا اسود القضا ابصرت منه * مضىء العزم منصان الجنانى
شديد البأس ذو رأى سديد * قوى العزم فى الحرب الهوانى
مليك قد حوى فضلا ومجدا * جميل الوجه مخضوب البنانى

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من شعره ونظامه طرب الملك زهير غاية الطرب وجميع من معه من العرب وفرح الملك زهير من ذلك الكلام وشكره وزاده فى الاكرام وأمره بركوب جواده وأخذه الى جانبه وجعل يسأله عن حاله وعن خبره من حين سفرته الى حين عودته فحدثه بما جرى من عمه مالك فى بنى شيبان من العجائب وما تم لهم مع بسطام من الغرائب وما فعل فى بنى تميم وما سقاهم من النوائب حتى انهم وصلوا الى الخيام والمضارب وكان كل من لا يقدر من بنى عبس على حديثه ولا يصل اليه يأتى لعياض بن ناشب والى جماعته ويسألهم عما جرى عليه فيحكوا له ما جرى من أول الكلام الى آخره الى أن وصلوا الى قول عمه

مالك ما أرجع حتى يأتى خلق أحد من أولاد الملك زهير يترضانى ويرفع قدرى ومكانى فلما علم الملك زهير بذلك الحال قال يابنى عى اعلموا ان الرجل قد ندم على فعاله وذاق طعم الغربة لانها أذلته ولو امكنه كان عاد ولكنه خاف من شماتة الاعداء والحساد وانه والله قد نظر موضع النظر والرأى عندى أننا نبلغه ما أراد ولكن حتى نقضى مع ابن عمنا عنتر وطر ولو انه شهر من الزمان أو أكثر قال الاصمعى المصنف لهذا الكلام بعد الصلاة والسلام على سيدنا محمد بدر التمام ثم انهم ساروا حتى نزلوا فى الابيات وعملوا الولائم والدعوات وصاح الحى من جميع الجهات وحصلت لهم الافراح والمسرات وكان كل من فى الحلة فرح الا أبيات بنى زياد ومن يوافقهم من الاعداء والحساد وقد وقع عليهم من قدوم عنتر البلاء والمصاب حتى كان كل واحد منهم لفقد الاهل والقرائب وقد عتب عمارة على عياض بن ناشب وقال له ويلك ياعياض أنا أرسلتك تقضى حاجتى وتقتل عنتره قوى وتكشف ظلامتى أراك قد انقلبت نيتك وصرت من حزبه أنت ورفقتك فقال له عياض والله ياعمارة وحق الملك الفتاح ان عنتر يستاهل أن يفدا بالاموال والارواح لاجل مافيه من المروءة والكرم والسماح ثم انه ألوى وجهه عنه وتركه فى كفاح (قال الراوى) وبقى الامر كذلك يومان وهم فى هنا وأمان واتفق الامر على ان بعض أولاد الملك زهير يسير مع عنتر بن شداد ويترضى مالك بن قراد وفى اليوم الثالث بطلوا شرب المدام وأخذوا فى الاستعداد والاهتمام وقد زاد بعنتر الوجد والغرام وقد عولوا على المسير الى الملك قيس بن مسعود وولده بسطام

فبينماهم على ذلك الحال وقد عزموا على المسير والترحال واذاهم بعبد اسود يهيم بين تلك البراري والتلال وهو مقبل من ناحية أرض بني شيبان وقد نفر الوحوش من الوديان فلما وصل تقدم وسأل عن أبيات عنتر وبني قراد ليستدل بذلك عليه وصار يقول ياوجوه العرب أرشدوني اليه فلما ان صار واقفا قدامه وبين يديه قال له يامولاي ان مولاي بسطام يسلم عليك وأيضا مولاي الملك قيس والده يقرئك السلام ويخصك بالتحية والاكرام ويقول لك لا تؤاخذه بعتب ولا بملام فان عمك وولده عمرا قد فعلوا فعل اللئام لانهم بعد مسيرك من عندنا ما اقاموا في الحلة أكثر من ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع طلبناه فما وجدناه ولاعلمنا أين توجه لمسافة بعدناه ولا كيف سلك في البر الاقفر ولا كيف تحايل حتى أخذ عياله ولا أقدر أصف لك ماجرى علينا من ذلك وما حل علينا وبنا من أجل ابنة عمك مالك لاجزاه الله خيرا وأورثه المهالك وان سيدي بسطام يقول لك ياأبا الفوارس لا تتحرك ساكنا حتى نسير اليك ونعلمك أنه نزل في أي مكان (قال الراوي) فلما سمع عنتر ماقاله ذلك العبد من الكلام صار الضياء في عينيه ظلام وحس أن مفاصله قد تفصلت وأن روحه من جثته قد طلعت وان رسل المنايا اليه قد أرسلت وخاف من شماتة الاعداء والحساد فأخفى الكمد وأظهر الصبر والجلد ومضى الى الملك زهير ليعلمه بما كان من الخبر وذلك الامر المنكر فوجده قد خرج لوداع أولاده في ذلك البر الاقفر وهم في ظاهر الحي لانتظار عنتر فبينماهم كذلك وهم في انتظاره واذا به قد وصل اليهم وأعلم الملك زهير بالامر الذي قد جرى فاغتمت الاصدقة وفرحت الاعداء

(قال

207

(قال الراوى) فعند ذلك قال عروة بن الورد وقد أظهر النصيحة لعنتر ويلك يا أبا الفوارس أقل من هذا الامر فكم جهدت تطلب من لا يطلبك وتريد من لا يريدك وترغب فيمن لا فيك يرغب فاسمع منى وأرح نفسك من هذه الشدائد ولا تقع على مواليك وتقطع وداهم الذى فيه ربيت بينهم وبين حريمهم وأولادهم فما جزاءهم منك أن تشتتهم عن الاوطان وتقطع ما بينك وبينهم بهذا الشان فقال له عنتر والله يا عروة انك تتكلم بلسان ناصح من قلب شامت فكيف ترى سوف أزيل هذه الحوادث وأبلغ المنى وأعيش منعما على رغم آناف العدا وأملك ابنة عمى حتما ولو كان الموت لى خصما فالويل كل الويل لمن يريد لى ظلما ويعاندنى فيمن أهوى ثم انه انشد يقول

أثنى على بما علمت فاننى * سمح مخالطتى اذا لم أظلم
واذا ظلمت فان ظلمى باسل * مر مذاقته كطعم العلقم
واذا شربت فاننى مستهلك * مالى وعرضى وافر لم يكلم
واذا صحوت فما أقصر عن ندى * وكما علمت شمائلى وتكرم

قال الاصمعى وأبو عبيدة فلما فرغ عنتر من هذه الابيات تعجب الملك زهير من حسن ألفاظه وعذوبة كلامه واهتز على سرجه طربا ومال عجبا وقال يا أبا الفوارس طب نفسا وقر عينا فما بقى لعمك خصم الا أنا وسوف ترى ما أفعل فى حقه وأجازيه على فعله بما يستحقه حتى انك تبلغ المنى وتنال ما تتمنى ثم انهم ساروا الى الخيام وعمارة يشكر عروة على ما قاله من الكلام الذى قاله فى ذلك المقام فقال له عروة والله يا عمارة انه كان فى هذه النوبة رابح فلعن الله الكذب لانه أشد القبائح والله لقد

ذكر في شعره وفصاحته مالا يقدر عليه أحد غيره (قال الراوي) وبعد ذلك نزلوا في المضارب والخيام وكان كلام عروة ابن الورد شق على عنتر في هذه النوبة فعزم على هلاكه وقال لاخيه شيبوب أما تنظر الى فعل عروة معي مرة بعد مره وكرة بعد بعد كره وبك يا أخي اجعل بالك معه اذا طلع من الحي أعلمني به حتى أطلع خلفه وأشفي فؤادي منه فقال شيبوب السمع والطاعه (قال الراوي) وكان مما وقع من الاتفاق الذي تسمى أن كان لعروة أخت اسمها سلما وكانت متزوجة في بني غطفان وكان عروة يحبها ولهان وكان أكثر الاوقات يزورها واذا سمح خاطره بشيء من الشعر يعرض بها فيه ويذكرها ومن جملة ما قال فيها هذه الابيات

كفي ملامك يا سلما ولا تلمي
أخاك في البذل والاحسان والكرم
لا تعذليني اذا ما سرت مكتسبا * فان عزمي به جاري لمحترم

واتفق انه زار أخته سلما في بعض الايام فعلم شيبوب به هنالك فأخبر أخاه عنتر بذلك فطلع عنتر خلفه يريد له الهلاك وسوء الارتباك وأكمن له في شعب جبل هناك حتى يعود من زيارة أخته وينزل به منية عدمه واذا اقدر بعد ذلك على شيء في حق بني زياد فعله وأقام مكمنا في ذلك الشعب والمغار وقعد لعروة في الانتظار وهو من أجله على مقالي النار (قال الراوي) وكان عروة لما سار الى بني غطفان وزار أخته فرآها غضبانة على بعلها وهي عنده في الذل والهوان لانه كان جرى بينها وبينه خصومة وكلام (قال الراوي) فلما رأته أخته بكت في وجهه وشكت

حالها اليه وقالت له يا أخى بحرمة الاحشاء التى بيننا ان توذينى الى ديار قومى واجعلنى من بعض رجالك الذين تأوى اليهم والصعاليك الذين تنفق مالك عليهم ودعنى أعيش عندك عزيزه ولا أكون فى غير وطنى ذليله ثم انها أسرفت فى البكاء والنحيب فتحركت عنده النخوة العربيه والحمية الجاهليه فعند ذلك ركب فى عاجل الحال جواده وأركبها فى هودجها وأخذ فى يده زمام جملها وسار يطلب دياره وحلته وأنصاره (قال الراوى) ومازال سائرا حتى وصل الى الجبل الذى كمن فيه عنتر وقد أتاه الامر بما يشتهيه وهم أن يحوزه ويدخل فى نواحيه وفى الغيب عجب وأمور الدهر نوب ومن القضاء والقدر السابق أنه بينما عروة كذلك واذا بعشرة فرسان قد اعترضته على خيول سوابق وبأيديهم سيوف خوارق وبين أيديهم فارس طويل فى تقاطيع الفيل وجواده قد أقلب الارض بالصهيل (قال الراوى) فلما رأى ذلك الفارس الناقة والهودج صاح ما أبركه من صباح حصل لى فيه السرور والانشراح ونادى لعروة وقال ويلك من تكون أنت من العربان والى من تنسب من الشجعان أخبرنا قبل أن تشرب كأس الهوان ويحل بك الويل والخذلان فقال لهم عروة الويل لكم يا كلاب العرب كيف تعرضتم لفارس كريم النسب عظيم القدر رفيع الحسب يا ويلكم أنا عروة بن الورد العبسى أنا الذى أفدى صعاليك العرب بمالى ونفسى أنا صاحب الغارات المذكوره والمقامات المشهوره فاغدوا عن طريقكم والا عدمتم توفيقكم (قال الراوى) فلما سمع الفارس المقدم ذكره

من عروة ذلك الكلام ابدا الفرح والابتسام وقال له مرحبا
بك يا أبا الابيض هل أنت تعرفني فان لي عندك غرض فقال له
عروة ليس لي بك معرفة يا وجه العرب فأخبرني بماذا اعولت
حتى داخلك من كلامي الفرح والطرب فقال له ذلك الفارس
أنا قيس بن جعدان فارس الوقت والزمان وأنت يا عروة قتلت
أخي وكنت أنا غائبا في بعض غزوات العربان ولما فرغوا
مما دار بينهم من الكلام اخذوا في معانات الحرب والصدام
وجالا على بعضهما بعض وبالاطولا وعرض حتى ارتجت من
تحت خيلهما الارض ومال عروة معه وصال وركبا الاثنان
طريق الاهوال (قال الراوي) كل هذا يجري وعنتر يسمع
ويرى ويتعجب من هذه الامور والبراهين فما كانت الاساعة
من الزمان حتى أتعب قيس عروة ابن الورد في ساحة الميدان
وضايقه وشد عليه طريقه وهجم عليه وطعنه بعقب الرمح
في صدره ألقاه على ظهره فتقدم اليه بعض العبيد الفرسان
وأوثقه كتاف وشد منه السواعد والاطراف وتقدم ذلك
الفارس الى الناقة وأخذ زمامها وأبركها ورفع سجاف الهودج
فرأى سلمى أخت عروة فقال يا لهامن طريق ما أبركها وسفرة
ما كان أجودها ثم قال لاصحابه اضربوا لي هنا خيمة حتى أنزل
فيها وأتملى بجمال تلك المليحة وأسبيها وأعود بعد ذلك آخذ
ثاري من أخيها (قال الراوي) كل هذا يجري وصاحب
الامر يدبر الامر والاحكام بما يريد الملك العلام حتى يتصافى
عروة مع عنتر ويصيرا حبيبا وصاحبا على مدى الايام فعندها
صاحت أخت عروة واسبياه وامصيبتاه واقلة ناصراه وافضيحتاه

واقلة رجالاه واضعف حالاه يالعبس يالعدنان أمامن مجيرأما من مجير أمامن نصير يخلصنا من هذا البلاء والهوان ويستر وجهي ويربح الشكر والثناء على مدا الازمان (قال الراوي) لهذا الديوان فلما سمع عنتر من سلما ذلك الكلام والندا وكان لها ولاخيها من جملة الاعدى أزال الله من قلبه الحقد والردا وحركته النخوة العربيه والحمية الجاهليه على ستر الحريم فطلع من جانب الوادي ولا بقي في قلبه لها غل ولا أسا وتقدم الى الخيل وانصب عليهم انصباب السيل ونادى في عاجل الحال لبيك يا ابنة العم أبشري بالخلاص من الاعدا وزوال الهم والغم والردى فقد استجاب الله منك الندا وقد بعثني الى حماك حتى أخلصك من أعداك ثم انه تقدم الى الخيل وحمل كانه الغيث اذا هطل وصار يرتجز ويقول شعرا

أيا ولد الزنا تسبي لسلما * وعنتر في الكمين لها رقيب
وفي يمناه بتار ثقيل * ورأس سنانه يفري القلوب
وتأسر عروة من آل عبس * ولم تخش أسباب الخطوب
ولولا أخته سلما تنادي * وأدمعها تفيض من النحيب
لما ذهبت حقود كنت فيها * ولا هزيت معتدل كعوب
فطلي وانظري قيس اذا ما * تواقى الأرض من كف نجيب
ويرجع عروة من بعد لومي * اذا ناديته دوما يجيب
وان وأخذته بني زياد * فما كانت عبيلة لي نصيب

(قال الراوي) فلما سمع مقدم القوم ذلك الشعر من عنتر صرخ في وجهه وحمل عليه وأراد أن يجول معه فلم يمهله دون أن ضربه بالسيف الماضي على وارديه أطاح رأسه من بين كتفيه وأطبق

على بقية الخيل مثل المجنون فقتل منهم ستة وانهزمت الباقون وتشتتوا في أقطار الفلوات ومافيهم من يصدق بالنجاة وبعد ذلك عاد عنتر الى عروة وحله من عقاله وقد حن عليه ورثا لاحواله فعند ذلك نزلت سلمى من هودجها وتقدمت اليه وهي فرحانة بخلاص أخيها وخلاصها وصارت تقبل يديه ورجليه وصاحت لله درك من فارس ناصر فلا أخلا الله منك كرام العشائر وأشارت اليه بهذه الابيات

جزاك الله عنا كل خير * ولا تأتيك نائبة الزمان
كما خلصتنا من قوم سوء * وأنزلت المخافة بالامان
رأوك فودعوا الارواح لما * هززت مضارب السيف اليماني
وعدت وفوق رمحك من دماهم * تتابع سيل قطرات السنان
وقد جندلت سيدهم بسيف * صقيل المتن ضرب الهندوان
فأنت الليث حامي آل عبس * وسيدهم الى قاص ودان
فلا زالت عداك بكل أرض * محسرة على طول الزمان
ولا زالت سيوفك مشهرات * على أعداك في الحرب العوان
وأنت تزيد مجدا مع علو * الى برج السها والفرقدان

(قال الراوي) فلما سمع عنتر من أخت عروة ذلك الشعر والنظام صار غيظه رضا وعاد الى عروة وهو عنه معرضا وقال له ياعروة مابرح جرح قلبي من كلامك ولا خرجت من الحي الاحتى أسقيك كأس حمامك وانما الزمان أتى بشيء ما كان في الحساب ورأيتك في هذه الحالة فنسيت ما كنت أضمرت لك من العذاب وذلك لما رأيت بكاء أختك سلمى والانتحاب وصعب على هتك الحريم وسترتهما بعد الحجاب وفعلت هذا الفعال وخلصتهما من

أيدى الاعد الانذال واما أنت أريدك أن تخبرنى بالصحيح قبل
أن أتركك فى هذا البرطريح وأبصر من بقى يقدر يخلصك من يدى
ويكون لك مقتدى فقال عروة يا أبا الفوارس وتأذين المجالس
بخلاصى منك طيبة أملاك وحسن لبنك وجميل فعلك وانى أريدك
من هذه النوبة تصطفينى لك صديق وأكون لك بالنفس والمال
عند كل شدة وضيق وانك ان رجعت نظرت منى قبيح فما أكون
ولد حلال ولا نسبى صحيح وتكون أمى فعلت فى حملى القبيح هذا
وأخته سلما قد تقدمت نائبا اليه وصارت تسأله فيه وتقبل يده
ورجله وتقول يا حامية عبس بحق رب سلمك آمالك ويعطيك
سؤلك الاما اصطفيته ومن حسامك خلصته وانها لم تزل به
وهى تسأله وتتذلل اليه حتى حل قيده من رجليه كما كان
أطلق يديه فقال عروة جزاك الله كل خير وقام اليه واعتنقه
وقبل صدره وعنقه وحلف له انه ما عاد يخونه فى أمر من الامور
ولا عاد له الا صديقا مدى الايام والشهور (قال الراوى) ثم انهم
بعد ذلك جمعوا أسلاب القتلا وحازوا الخيل التى كانوا مبددين
فى جنبات الفلا وصاروا راجعين الى الديار يطلبون أرض بنى
عبس الاخيار فبينما هم كذلك سائرين واذا قد اعترضهم أعرابى
وهو يهيم بين تلك الرمال والروابى والوحش يهرب من بين يديه
وهو قاصد الى أرض الشربه والعلم السعدى فلما رآه عنتر قال
وحق ذمة العرب ما هذا الاعرابى الالامر وسبب وأقول انه من
بنى شيبان وقد أتى من عند أخى بسطام يعلمنا بما كان من
الامر والشان وانه قد جاء الينا يخبرنا بأن عمى قد ظهر خبره وبلك
يا شيبوب أسرع واقتفى أثره وأتينا به حتى اننا نسمع خبره فعنده

انطلق شيبوب خلف ذلك الاعرابي على قدميه في ذلك البر الاقفر وانطلق مثل الريح المهبوب وألقى قدميه للريح في ذلك البر الفسيح وهو كأنه النجم اذا زرق حتى لحق ذلك الاعرابي وقال له ما حالك حائد عن الطريق وايش أنت طالب ومن أين أنت وارد اخبرني بكلام الصدق فقال له الاعرابي اعلم يا وجه العرب انني من بني شيبان سائر الى عنتر بن شداد وأعلمه بان خبر عمه قد ظهر في بني كندة لان العبيد الذي مضت وساروا في أثره عادوا وقد أعلموا بذلك وقد أرسلني اليه سيدي بسطام حتى يبيض وجهه معه فهو مع شيبوب في الكلام الا وعنتر أقبل عليهم فأعاد عليه القصة التي أتى فيها من أولها الى آخرها وقال له في آخر الكلام وان سيدي بسطام قد أمرني أن أستر سيرك وهو يقول لك ان أردت يأتي اليك بطائفة من بني شيبان الى ههنا وان أردت أن يلحقك الى بني كندة لانه مستحي منك كيف أوصيته في عمك ومن عنده هرب (قال الاصمعي) فلما سمع عنتر ذلك الكلام قال له اعلم يا وجه العرب ان قوله انه مستحي مني فأنا أعذره لاني أعرف غدر عمي ومكره وخبثه ولعنته واما قوله ان يسير الى خدمتي فانه لا يكلف نفسه بشيء من ذلك وهو لا يستحق وسلم لي عليه وقل له اني قادر على أخذ حقي بيدي ومعونة القدرة وسوف يبلغه ما أفعل في بني كندة وما أنزل بهم من البلاء والشدة (قال الراوي) ثم انه ودع الاعرابي وسيره الى أهله وقد اشتد به الغيظ والغضب فقال له عروة بن الورد يا أبا الفوارس ما ترضاني أن أكون من بعض خدامك وأخذ رجالي وأسير في ركابك فقال له عنتر سير يا أبا الابيض وأتني برجالك ولا تعلم أحدا بأحوالك

ولكن

211

ولكن كيف آمن لك عند القتال وانا ما جربتك فى حال من الاحوال فقال عروة لا تقل هذا المقال فوحق من رفع هذه القبة الخضرة النبات والمرعى وأخرج من الارض نسمة تسعى لو قدرت اليوم أجعل قلبى لك ترسا تلقى به أسنة الاعدا لفعلت ذلك ولم أجد لك مكافأة ابدا (قال الراوى) ثم ان عروة ودعه وساق جمل أخته وسار الى الديار ولم يخطر كلامه لعنتر على بال بل انه سار يطلب بنى كنده وقد هانت عليه تلك الشده فانشد يقول

بأى لسان لى العواذل لاموا * وقد علموا انى سهرت وناموا
وما ظهرت لى فى المحبة ساعة * ولو انهم ذاقوا الغرام لهاموا
وانى على حبى لعبلة دائم * وهل يرتجالى فى هواك سلام
وانتظار الوصل لى منك ليلة * وقد مر عام للصدود وعام
وانى على العشاق ضربة لازب * وما هى الا مكرمات ترام
بتى صحى السكران من نشأت الكرا * لها جبة من عرفها وسهام
ويخجل منها الاقوام اذا هدت * وناحت بأعلى الدوحتين حمام

قال الاصمعى ولما فرغ عنتر من شعره والنظام ساره هو وأخوه شيبوب يقطعون الروابى والآكام فقال له شيبوب الى أين أنت قاصد يا ابن الكرام قال له أقصد ديار بنى كندة اللئام حتى أريك ما أفعل بهم من الانتقام فساروا وتوكلوا على الملك العلام (قال الراوى) وكان عنتر قد وجد راحة عظيمة لاجل الملك زهير وأولاده حتى لا يعلمون بحاله فيتحملون بعض أثقاله وكان قد تذكر العودة الى الديار لاجل ابنة عمه عبلة لانه كان كلما نظر الى أطلالها تزايد بلباله وعظم اشتغاله واشتدت أحواله ولعبت به أمواج الاحزان اذا سمع صياح الغربان فسار يتسلا

بنشيد الاوزان وجعل يترنم ويقول

خلت الديار من البدو والعلمي * يامقلتي جودي وفيضي بأدمعي
وابكي على من كان فيها نازلا * وارثي لاحزاني فاقلبي معي
قلبي ترى والله في آثارهم * تبعا لماتيك البدور الطلع
وبقيت مسلوب الفؤاد من الضنا * حيران لا قلبي ولا سمعي معي
قصدي لعبلة لا أريد اغيرها * فلعلها يوما ترق وترجعي

(قال الراوي) هذا وشيبوب قد طلب أرض بني كندة وأخوه عنتر سائر على أثره وقد أراد الانفراد والوحدة وقد زادت الى عبلة أشواقه وأحزانه وسالت دموعه على أجفانه بغير اختياره وهو يقول أقسمت بالملك الجواد أن مسيري على حالة الانفراد أحب الي من الفرسان والاجناد ثم انه جاش الشعر في خاطره فباح عما كانت عليه ضمائره وأنشد يقول

ياطائرا بالرقتين شجاني * رحلت به أيدي النوى فمكان
وقفت به والشوق يكتب أسطرا * بأقلام دمع في رسوم مغان
أسائله عن عبلة فأجابني * عن مابه عندي من الهيمان
ينوح على ألف له واذابكا * يبكي ينوح لا ينطق لسان
ونادانى من فرط الهوى فأجبته * بحسرة قلب دائم الخفقان
ألايا غراب البين لوكنت صاحبي * قطعنا بلاد الله بالطيران
عسى أن ترى من نحو عبلة مخبرا * في أي أرض أو بأي مكان
لقد هتفت في جنح ليل ظليم حمامة * تعدد بشجواها صروف زمان
فقلت لها لو كنت مثلي حزينة * بكيت بدمع زائد الهمعان
ولا كنت في دوح تميل غصونه * ولا خضبت رجلاك أحمر قان
أيا عبل لو أن الخيال يزورني * في كل شهر مرة لكفاني

وان

وان غبت عن عبنى أيا ابنة مالك * فشخصك باق فى رسيس جنان
غدا تصبح الاعداء بين بيوتهم * تعض من الشجعان كل بنان
فلا تحسبوا أعظم الجيوش يردنى * اذا جلت فى الهيجا بكم بحصان
دع الموت يأتينى على أى صورة * اذا ليس ينظار صورتى وطعان

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من هذه الابيات ساروا يجدوا السير فى البر والآكام وشيبوب يعدو مثل ذكر النعام الى أن وصلوا الى أمياه بنى عطبول وعولوا هناك على النزول واذا بغبرة من خلفهم قد ظهرت وعجاجة قد ارتفعت ومن تحتها فرسان على خيول تمشى على عجل والغبار على رأسهم قد تقسطل ومن تحتها فرسان على خيول ضمر فوقف عنتر ينظر اليها وتأهب للحملة على لقائها واذا هى قد انجلت عن مائة فارس شبوس عوابس فى الحديد غواطس وبين أيديهم فارس شديد كأنه برج مشيد فتبينهم عنتر فرآهم من بنى عبس وعدنان والمقدم عليهم عروة ابن الورد سيد الاقران وسبب قدومه الى ذلك المكان الى عنتر أنه يريد معونته جزاء بما فعل معه ومع أخته لانه لما فارقه وصل أخته الى الديار والاطلال وبعد ذلك جمع من له من الرجال والابطال الذين كان يعتمد عليهم فى الشدائد والاهوال وقال لهم يا بنى عمى اعلموا أنه كان أبغض الخلق على عنتر بن شداد والآن هو عندى أعز من روحى التى بين جنبى مما جرى من شفقته على وما كنت فيه أنا وأختى من المهالك بعدما قبضت عليه ألف مره وعملت معه ما لا يعمله ابن أمه ولا حره فتعجب أصحابه من مقاله وقالوا له أخبرنا ما الذى فى حقك فعله حتى نجازيه بما يستحقه ونكون نحن وأنت من بعض أصحابه وأعوانه وأين ما سار سرنا

معه ونكون فى ركابه وتحت كنفه وجاه لانه والله ما رفع ذكر هذه القبيلة الا هو فقال لهم عروة والله يا بنى عمى انه رجل مسعود وعدوه مقهور وكيف ما سار عاد بالفرح والسرور وما فارقته الا وهو سائر الى بنى كنده وقد عول أن يفنيهم وحده ويخلص بنت عمه عبلة مما هى فيه من تلك الشدة وقد حدثته نفسه أن يخرب ديارهم ويقلع آثارهم لاجل ما فعلوا مع عمه مالك ومن يكن فيه هذه الفروسية والشجاعة لا يجوز أن يتخلا عنه بنو الاعمام (قال الراوى) ولم يزل عروة يصف لرجاله كرم عنتر وشجاعته حتى أجابوه كلهم الى ما يريد واتفقوا أن يكونوا لعنتر من جملة العبيد ومن يومهم تأهبوا للمسير وخرجوا من الحى الى ذلك التدبير فعلم عمارة بذلك الحال وان عروة سائر من الحى بمن معه من الرجال فخرج اليه واعترضه وأبدا له التذلل والسؤال وقال له الى أين يا أبا الابيض عولت على المسير فأنا كنت لك فى الانتظار حتى تدبر على قتل هذا العبد السوء وتمحى الآثار لانه فقد من منذ ثلاثة أيام وأنا أقسم بأجل الاقسام ان عاونتنى أنت ورجالك أعطيتك المال والانعام فقال له يا عمارة ان كان عنتر غاب فهو سار الى بنت عمه عبلة ان كان سمع لها خبر وها أنا سائر الى بلاد اليمن ان لقيته بذلت معه المجهود وأقلع منه الاثر فقال عمارة واسرتاه على صحة هذا الحديث والكلام وحق ذمة العرب ان بشرتنى بهلاكه قاسمتك فى نعمتى وأعطيتك أكثر أموالى وأنضلك على أهلى واخوتى وأوهب نصف مالى للكعبة الغرا وحق أبى قبيس وحرا فقال عروة أبشر بما تريد ثم ان عروة فارق عمارة وسار يجد السير فى ذلك البر

والحجير وهو ينشد ويقول

أسير الى نحو الهمام المجدد * أساعده بالقول والفعل باليد
وأنجده حتى يخلص عبلة * وأضرب فى أعداه بمهند
فجدوا بنى عبس لتقفوا أثره * فهو لنا يوم الكريهة منجد
وخلصنى من بعد أسرى وذلتى * وأطلقنى من بعد ما كنت مقيد
وصان حريمى فعل ليث سميدع
وأفنى لأعدائى بعد ما كنت فى اليد
فوالله ما صاحبت فى الناس غيره * وأهوى هواه أو أموت فألحد

(قال الراوى) ولم يزل عروة ورجاله سائرين الى أن التقوا بالامير عنتر وأخيه شيبوب وهو قدامه كأنه ريح الهبوب فلما ان وقعت العين على العين والعين تعرف من يليها ان كان من حزبها أومن أعاديها ودنى بعضهم من بعض قال له عنتر يا أبا الابيض أنا ما فعلت معك شيئا أستاهل عليه ذلك حتى أتعبت نفسك أنت ورجالك فقال له عروة يا أبا الفوارس ويا زين المجالس والله ما بقينا نفارقك ولا نسير الا فى ركابك ثم انه أقبل عليه وله شكر فحمدهم عنتر على ذلك الجميل وأوعدهم هو ورجاله بكل خير وساروا وقد اتسعت عليهم الطريق وبقيت الجبال كنيران الحريق فقال عنتر لشيبوب سر واكشف لنا الاخبار وانظر تلك الارض والقفار وعدلنا على الآثار فقال شيبوب السمع والطاعة ثم ان شيبوبا أطلق قدميه للريح وطلب البر الفسيح وسار يقطع القفار فغاب عنهم قليلا وعاد اليهم وقال اعلم يا أبا الفوارس ويا بطل الزمان أننا على أرض بنى غيلان (قال الراوى) فلما سمع عنتر من شيبوب ذلك الكلام التفت

الى عروة وقال له يا ابا الابيض انزل انت ورجالك فى هذا المكان حتى اسير انا واخى فى هذه الآكام ونكشف ما بين ايدينا ونعود بالماء فى عاجل الحال فقال عروة انا ولى بهذه الخدمة فقال عنتر لا وحق الحميد المجيد لا تكون الموالى تخدم العبيد ولا تردونى فى فعالى لانى انا عبد وانتم الموالى فشكره عروة واعتذر اليه من هذا الكلام ونزلوا كما امرهم عنتر فى هذا المكان واخذ عنتر اخاه شيبوبا وتبعان فى تلك القفار وساروا يجدون المسير الى نصف النهار فما رقعوا باحد فى تلك الديار فقال عنتر يا شيبوب انا كنت اعهد فى هذه الارض غدير فسر بنا اليه حتى نقبل عليه فاجابه شيبوب الى ذلك وساروا يجدون السير فى الدكادك وما ساروا غير قليل حتى اشرفوا على وادى اخضر نضر مورق بالزهر اشجاره باسقه وانهاره دافقه واطياره ناطقه تسبح من له العز والبقا والغزلان على خافته متسابقه وفيه من كل شيء اثنان مثل القطا والسمان والفاخت والكيروان وان الهزار على رؤس الاغصان والزهر فى ارضه الوان مثل الورد والرمان والياسمين والاقحوان والقرنفل والزعفران وشقايق النعمان والاغصان تدلت عروقها مما عليها من الاثمار كانها قناديل للنظار مثل تفاح تلهب وخوخ معجب وعنب مكعب وتين مكتب ونارنج معنب واترج مشعب والماء بتكوثر والطواويس تجلا وتتبختر وذلك الوادى كانه جنة من الجنان خلقة الواحد الديان المهيمن الرحمن كما قال فيه فصيح اللسان

وادترنم طيره بغديره ✽ يشتاقه الولهان فى الاسحارى

219

فكأنه الفردوس فى نغماته * ظل وفاكهة وماء جارى
(قال الراوى) فلما أن رأى عنتر الى ذلك الماء الجرار واراد أن يستظل تحت تلك الاشجار واذا به يسمع أنين من كبد حزين وقائلا يقول لعنك الله يا مالك ولا أقالك من طرق المهالك فما أكثر دهاك ومكرك ومحالك فلما سمع عنتر ذلك الكلام وقف يسمع وكاد قلبه أن يتقطع واذا هو بصوت أقوى من الاول وأوسع وهو يتأوه ويتكمد ويتوجع وهو ينشد ويقول

يا أم روى كبدى * بالماء من كرب الظما
وابكى على متيم * صب حزين هائما
وكان دمعى منجدى * واليوم قد صار دما
وبل خصمى سهمه * ولا أرى لى راحما
حمامة الوادى اعتنى * وساعدى المتيما
وارعى ليالى سلفت * ونحن فى وادى الحما
نقيم كل ليلة * على الفراق مائما
بحرمة العهد الذى * حفظت فيه الذمما
ان سألتك عبلة * قولى لها قد عدما
واليوم يقضى نحبه * شوقا الى ذاك الحما
يا عبل ما خلا الهوى * فى رسم جسمى مائما
والعزم منى قدوها * والصبر منى انصرما
لما رأيت عبلة * مسبية تسبى الاما
لكن بهذا قد قضى * بحكمه رب السما
صبرا على ما حل بى * حتى أرى لى راحما

(قال الراوى) فلما سمع عنتر ذلك الكلام والشعر والنظام

ارتعدت منه الاقدام وكاد ان يغشى عليه وقام وعرق الغضب من بين عينيه ثم انه التفت الى أخيه شيبوب وقال له ويلك يا ابن الام أماترى مانحن فيه هذا منام او اضغاث احلام أو فى العرب من اسمها عبلة أخرى فما أظن هذا الامر يجرى ويكون القضاء والقدر ساقنى الى عمى مالك حتى أخلصه من المهالك فوحق مالله على من النعم والايادى لقد اقلق قلبى صوت هذا المنادى ولابدلى ما أكشف خبره (قال الراوى) ثم أتى الى الغدير بجواده وسار فى تلك الوهاد فرأى فيه جارية شديدة السواد كأنها الليل اذا اعتكر وقدامها غلام أسمر يشابهها فى اللون والنظر وهو تارة يحرك يديه وتارة يغمض عينيه فتقدم اليها عنتر وهو على جواده الابجر حتى وقف على رأسها وبقى قدامها وقال لها ياامولدة العرب الكرام من أى الناس انتم حياكم الملك العلام وماحال هذا الغلام فقير الحال بالى الاوصال لايسمع مقال ولايلتفت يمينا ولاشمال فقالت له والله ياوجه العرب ماكانت هذه الحالة حالته ولاهذه الصفة صفته وماكان الافارسا من الفرسان المذكوره وبطل عند الابطال المشهوره وانما غدرت به الايام وترادفت عليه الاعوام وعاداه الزمان وبلى بالذل والهوان وله يافتى قصة عجيبه مطربة غريبه لانه هذا يقال له عنتر بن شداد وأنا امه واسمى زبيبه وامورنا يافتى عجيبه وانا أبين لك بعضها وأشرح لك ابرامها من نقضها وذلك ان أباه سبانى من بعض الاحياء ووقعنى فى الصحرة فعلقت منه بهذا الولد باذن الفرد الصمد ولما انتهى الحمل وضعته فى أبياته وربيته حتى كبر وانصلحت حالاته

215

ثم أخرجته الى المرعى وصرت أنا وإياه للجمال نرعى فصار يركب الخيل ويخوض بها النهار والليل حتى رزق القوى والحيل وأتته السعاده باذن صاحب المشيئة والاراده فتكبرت نفسه عن الرعيه وصار يغزو قبائل العرب القصية والدنيه ومازال كذلك حتى نزل عليه القضاء والقدر فعشق بنت عمه عبلة ابنة مالك وصار يقاسي من أجلها المهالك فلما ان أصابه ذلك الحق روحه بالنسب والذهب لعل أن ينال منها الارب وأراد أن يتقرب الى قلب أبيها بكل سبب وأعطاه كثيرا من الاموال وخلصه من المصايب والاهوال حتى زوجه بها زورا ومحال فصار يغير على قبائل العرب ويرجع بالاموال والذهب حتى انصلح من دخوله عليها الحال فغدر به عمه وصار يهرب بها من مكان الى مكان الى ان وقع به صاحب الوقت والاوان والحرب والطعان ومهلك جميع الفرسان اليقظان بن جياش صاحب الوقائع والهواش فأخذها منه بعد ما قتله وهو ساكن في هذا الوادي وقد أشمت بنا الاعادي فجعل ولدي يهيم في القفار وعرف ان عمه قتل هذا الجبار وسباها فحمله الهوى والهيمان حتى قصد الى هذا المكان وأنا لا أقدر أرده الى المنازل والاوطان وجعلت أنهاه وهو لا يسمع وارده وهو لا يرجع وقد انبطح على هذا الغدير وقد أهلك روحه من قلة الاكل والشرب والحسرة والزفير وله ثلاثة ليال في هذا المقام وهو لم يستطعم بطعام ولم يلتذ بنام ولم يقدر على القعود ولا على القيام ولا على الدخول الى هذا البطل الهمام ولا بقى يقدر يرجع الى المنازل والخيام ولا بقى فيه رمق يسمع كلام (قال الراوى) فلما سمع عنتر من الامة ذلك الكلام تعجب

غاية العجب من هذا الحديث الذي يكتب بماء الذهب وقال والله يا مولدة العرب الكرام ان كل الاعمام لم يحبوا ابن أخيهم بين الأنام فقالت له نعم يا وجه العرب أما سمعت قول الشاعر حيث يقول

الم غم فلا تأمن اليه * اذا جار الزمان وكن عنه بمعزل
شيخ لئيم خبيث لا اخلاق له * الكذب سمته والنطق بالذلل
شيخ يقول ولا ينصف بمنطقه * زورا وكذبا بلا قول ولا عمل

(قال الراوي) فلما سمع عنتر ذلك الكلام قال لشيبوب والله لقد صدقت في مقالها وقد تعجبت من أم هذا الغلام وأمرها وغبت والله عن الدنيا ونسيت عشق ابنة عمي عبلة ويلك يا شيبوب انظر انظر ما كأنها الا أمنا زبيبه وأنا والله قد دهشت من هذه المصيبه ولكن اسألها يا أخي هل لها ولد آخر اسمه شيبوب أو جرير فسألها شيبوب عن ذلك الكلام فقالت لا وحق الملك العلام قال وكانت قصة هذا الغلام مثل قصة عنتر البطل الهمام ولكن عنتر كان أكثر سعد واقدام وقد سبقت له المشيئة من الملك العلام وليس السعيد عند ولادته وانما السعيد من سعد في بطن أمه اللهم اجعلني واياكم من المسعودين ويشفع فينا وفيكم سيد المرسلين (قال الراوي) وان عنتر لما سمع من الامة ذلك الكلام ألم قلبه شكواها وعزم على قضاء دعواها وقال لها يا مولدة العرب والساعة أين الفارس الذي سبا ابنة عم هذا الغلام وفعل في حقكم هذه الفعال فقالت له يا مولاي انه في هذا الوادي مقيم ونحن ههنا من خوفنا منه قاعدين لانه ان ظهر من هذا الوادي وعلم بنا قتلنا وشرب دماءنا وأكل لحمنا

واحل

وأحل بنا العنا فعند ذلك الوى عنتر عنان جواده الابجر وطلب فم ذلك الوادى وهو على ملاقاة ذلك الفارس يتحسر قال وكان هذا الفارس جبارا من جبابرة العرب وقتالها وكان طبعه سفك الدماء وهتك الحرائر المخدرات وخطف النسوان والبنات ومالهمة الا مال ينهبه أو شىء يكسبه أو فرج حرام يركبه أو زق خمر يشربه أو فارس يقتله ويأخذ سلبه وهو الذى كان السبب فى خلو هذه الارض وشتت منها أهلها طولا وعرض وهجوا الى روس الجبال خوفا على حريمهم والعيال لانه كان يرسل العيائر الى سائر الحلل القريبة ويعطيهم المال الجزيل حتى يأتوه باخبار البنات الموصوفات واذا أتاه خبر ابنة صبيحه أو مرأة مليحه فيشن عليها الغاره حتى يأخذها مسبية من وسط الابيات وينزل بأهلها البليات ويأتى بها الى هذا الوادى ويتمتع بها الى ان يسمع بغيرها فيذبحها وينزل بها الدمار ويشوى لحمها على النار وبعد ذلك يأكله وكان هذا الفعل دائما يفعله وكان الذى جراه على أكل لحم الآدمين وتلك الفعال اكله لحم الاشبال قال ولما ان علم ان العرب كلها طالبته اتخذ هذا الوادى حما وجعل سكنته فيه دائما لانه كثير الغابات وفيه كثير من السباع واللبوات والافاعى والحيات فداوم على السباع واللبوات بالاكل حتى قطعهم وقتل أكثرهم ونهب أسرهم وكان قد اختار له عشرة من أولادها الاشبال ورباها كما يربى الراعى البقر وصار يطعمها من يديه ويربيها حتى استوت استواء كثير وبقى كل واحد منهم قدر الثور الكبير لانها ربيت شبعانة ريانة من لحم الضأن والغزلان وأيضا كان يطعمها من لحم البنات

والنسوان وكان الاسد منهم اذا لطم البعير قتله واذا اراد اكله أكله وكان ذلك الجبار اذا قعد دارت به الاشبال وتبقى حوله من كل جانب واذا نام تحرسه من النوائب واذا غاب فى بعض المواضع تحرسه حتى لا يطمع فيه طامع الى أن سمته العرب أبا الاشبال وخافت من شدة بأسه جميع الابطال قال ولما أن وقعت هذه الجارية فى يده ودخل بها الى هذا الوادى فأشمت بها جميع الاعادى وقد حل بها الاسا وصار يطلب منها ما تطلب الرجال من النسا وهى تمتنع وتشمخ ليه ولا تسلم فى نفسها اليه وهو يماطلها ويطول روحه عليها مثل ما تفعل الاحباب بالاحباب لانه يعلم أن خلاصها من بين يديه بعيد وصعب شديد الى أن أتى عنتر الى ذلك الوادى وهو طالب أن يدركه فلم يجد له مسلكا من الاشجار يسلكه فشم الجواد رائحة الاسود فتأخر وقشعر بناصيته فعلم عنتر منه ذلك فأتى رجله وترجل وسل سيفه الضامى الابتر والى ذلك الوادى دخل وقال لاخيه شيبوب خذ أنت الجواد والحق به الى الجارية والغلام حتى أفصل أنا هذا الامر وأبلغ المرام فقال له شيبوب والله يا أخى أنا فى هذه النوبة ما أفارقك وان سرت سرت أنا خلفك وأرافقك ثم ان شيبوبا ربط الجواد فى بعض الاشجار الطوال وعاد يطلب أثر أخيه (قال الراوى) فلما دخل عنتر الى ذلك المكان رأى قدامه مكانا واسع فيه ماء ومنابع وخيام منصوبه وبيوت مضروبه وفرس ملجوم ورمح عالى مقوم وسيف معلق وأبا الاشبال جالس قدام ذلك البيت وبين يديه حمار وحش وهو يحمى النار ويلقع من لحمه ويشوى عليها والى جانبه زق خمر كأنه الناقة العشار

والجارية قدامه تبكي بدموع غزار وكلما لج عليها تهم أن تلقى روحها فى النار وهى تقول له الى كم هذا الجور يا ابن الانذال والله لو أنك تقتلني وتشوى لحمى وتأكله أنت وهذه الاشبال فوالله لا اخنت ابن عمى عنتر بن شداد ولو شربت كأس الردى والعناد افعل بى ما تختار والقنى فى النار ولا ألبث ثياب العار والله انك الى وصال أملك أقرب لان ذلك أقبح ما يكون عند بنات العرب (قال الراوى) فلما سمع أبو الاشبال منها ذلك الكلام قام اليها وعول أن يهلكها فصاحت واحرباه واقلة ناصراه أين عينك يا عنتر ترى ماجرى على من الهتيكة والافتضاح فى تلك الربا والبطاح فقيل لعنتر انها ابنت عمه عبله وقد وقعت فى هذه البلية والدبله فغاب عنتر عن الوجود ولا بقى يعرف ما بين يديه وقد قام عرق الغضب بين عينيه وقامت شعرات شاربيه فصرخ صرخة أدوت لها الجبال وتفرقت منها الاشبال وهى تدمدم مثل بذل الجمال فاستقبلها عنتر بسيفه الصامى المصقول وضرب فيها عرضا وطول وتبعه شيبوب بضرب النبال وصار يقصد بها الاشبال يمينا وشمال وقد أملأ الوادى بالزعاق حتى سد الآفاق فلما سمع أبو الاشبال هذه الضجة اشتغل عن الجارية وزاد به الخبال فصاحت الجارية فيه الى كم هذا البغى والعناد والجور والفساد فقد أتاك من يردك عن هذا العناد فقال لها يا لخنا الساعة تريه بين أنياب السباع وهو ملتقى فى هذه البقاع (قال الراوى) وكانت هذه السباع معتادة اذا ظفرت بشئ تجيبه اليه فلما سمع هذه الضجة خرج ينظر الاشبال فرأى أنه قد بقى منهم ثلاثة والسبعة قتلهم عنتر وقد استقبل الثامن بالصامى الابتر بضربة

بين عينيه طالع يلمع من بين فخذيه فلما ان نظر ابو الاشبال الى هذه الضربه ايقن بحلول النكبه وزعق على الاسدين الذين بقيا بين يدى عنتر أدخلهما الى الغابة خوفا عليهما لا يفعل بهما مثل مافعل برفقائهما ثم انه بعد ذلك تقدم الى عنتر وقال له ويلك ياعبد السوء لا بقى لك من يدى مفر لانى ما أظنك الا جاهلا بخبرى وما اطلعت على شىء من أمرى ثم انه حمل عليه وانشد يقول

أنا أبو الاشبال ليث الوادى * والبطل المعروف بالفسادى
لحم البنات ماكلى و زادى * والدم يروى بعضه فؤادى
كم قد تركت حرة تنادى * وماترى من العذاب فادى
وفخرى انى أقتل الاولادى * وأهتك النسا فى كل وادى
وآكل الحرام والانكادى * واقتل السفار والورادى
مالى جميل طول عمرى بادى * الا قنا الشعراء والقصادى
وان فعلى كله عنادى * وليس لى فضل سوى الفسادى
وقد قتلت اليوم فى أولادى * وساقك المولى بغير زادى

(قال الراوى) فلما سمع منه ذلك الشعر والنظام الذى يورث الحرب والخصام فأجابه على عروض شعره يقول

ان كنت تبغى الشر والفسادى * فالخير طبعى والصلاح زادى
وصارمى نار بلا زنادى * يقدح فى الارواح والاجسادى
وقد قتلت فى سباع الوادى * ومابقى لك من يدى نفادى
لانى عنتر وسبع الوادى * وقاتل أهل البغى والفسادى
وحامى للحريم والاولادى * وقاتل الحساد والاضدادى
وأكرم الخطار والورادى * وأكرم الشعراء والقصادى
وليس عمرى ابتغى فسادى * ولم أول يوما من الطرادى

حتى

حتى تذوق الحرب والجلادى * وأخلى منك هذا الوادى
(قال الراوى) ثم انهما حملا على بعضهما بعض ودكدكا جنبات الارض وزاد بينهما الزعاق حتى ارتجت الآفاق وكانا فى القتال سوى وقد ضاق بهم الاستوا وكل منهما أظهر عجائبه مما أبدا من طعنه ومضاربه وما منهم من استظهر على صاحبه بل انهما افترقا ليأخذلهم راحة من الكرب والشقا لان كل واحد لاقى من صاحبه حربا شديدا ما عليه من مزيد فعندها أنشد أبو الاشبال وقال صلوا على باه الجلال

قف واستمع يا ابن اللئام مقالى * فالقول منى تابع لفعالى
ولسوف تصبح ساويا فوق الثرى * وتضربنى لا بحد نصالى
أفاعلمت بأبى البطل الذى * ضربت بى الامثال فى الاحلالى
كم ذا قتلت وكم اسرت مدرعا * ولكم هتكت لسترذات حالى
قتل النساء مع البنات شجاعة * قتل النسا هو فخر فى الافعالى
كم ذا قتلت غلام خدر فى الفلا * وسبيت ربت خدر ذات جمالى
أهوى الفساد وفعله بين الورى * أهو الزنا وكل ذا أهوالى
ادنو لتعلم أننا فى حربه * قرن كمى مسدد الاقوالى
فلسوف تبقى ناويا تحت الثرى * من سطوة المتفرس الريبالى
انى أنا ليث الحروب ومن سمى * بين الورى يدعى أبا الاشبالى

(قال الراوى) فلما سمع عنتر ذلك الشعر والنظام عرف معناه وأذرفت عيناه وبقى عبرة لمن يراه وقال واعجباه من هؤلاء القوم العتاه البغاه الذين يتباهون بالزنا والفساد ويفتخرون به بين العباد ثم انه أجابه يقول صلوا على طه الرسول

ها قد برزت اليك غير مقصر * بين الورى لما طلبت قتالى

انظر ترى بالصدق ما قد قلته * لى يا كذوب القول والافعال
وترى سبيل الموت بين مهندى * متقربا بالاسمر العسال
انا عنتر العبسى سيد قومه * مفنى الالوف ومهلك الابطال
شهدت لى الابطال انى واحد * بين الورى بفعائلى وخصالى
ها قد أتيت كما طلبت فجد فى * نيل العلا واصبر على الاهوال
المجد مجدى راقيا فوق العلا * متشعشعا متلعلعا متلالى

(قال الراوى) لهذا الكلام ثم انهم حملا على بعضهما بعض وصرخا صرختين ارتجت من عظمهما الارض هذا وقد انطبقا كأنهما جبلين وافترقا كأنهما بحرين وأخذ واسع بعضهما بعض فى الصدام والالتزام والمهاجمة والمخاصمة والملاكمة والاقدام فلما طال بينهما المطال ولحق أبو الاشبال الضجر والملال وحل به مما رأى من عنتر الاندهال فقال له ويلك يا ابن اللئام والله انى قد لاقيت الابطال ومارست الاقيال فما لاقيت أعظم منك صبرا على الاهوال فهل لك فى الصراع على هذه الارض والبقاع فقال له عنتر أى وأبيك انى فى الحرب منصف وفى العطاء والبذل مخلف ثم انه لقح السيف من يده وخلع الرمح من على جسده وكذلك فعل خصمه وعادوا الى الصراع والملاكمة بالزند والباع وصاح كل واحد منهما على صاحبه وكان ذلك أعلا مما كانا فيه من المحاربة فاغتاظ عنتر من طول مقاومته معه فى الصراع فدخل فيه ومكن منه الباع والزراع ورفعه على باعه وساعده حتى بان سواد ابطه وجلد به الارض فرض عظامه رض وأدخل طوله فى العرض وعاد أخذ حسامه وضربه به على رأسه فنزل الى حد اضراسه فنادت الجارية لا شلت يداك

219

ولا كان من يشناك ولا سبيت حريمك ونصرك الله على غريمك (قال الراوي) وكان شيبوب قد رمى السبعين بالنبال التي بقيت من أبي الاشبال وطرحهم على الارض في عاجل الحال ودخل على الجارية حلها من الاعتقال وبشرها بابن عمها عنتر وانهم وجدوه في الآفاق فاكثرت له من الشكر والثناء وقامت وصارت تقبل قدميه وأنشدت تقول

لله درك من فتى طعاني * يوم اللقا ومكافح الاقراني
ياقاهر الفرسان ياليث الثرى * بك قد غدا ذخرى اذا يا ماني
ياقاتل الهامات ياتاج العلا * يا ملجأ القاصين من عدناني
أصبحت تجمل غمد سيفك دائما * يجلوا الملوك الشم من قحطاني
يامن يجور على الزمان اذا غدا * في جوره يتضاعف الاحساني
مااذ كرتك في الوغا الاغدت * تثني عليك جوارحي ولساني
فاسلم ودم في طيب عيش دائما * مالاح برق بالحجاز يماني

(قال الراوي) ففرح عنتر بفعل المعروف واغاثة الملهوف وامر اخاه شيبوبا ان يجمع ما في الوادي من الحطام من مواش وقماش واغنام واخرجه في ذلك البر والآكام فوجد الامة تعلل ولدها بالملام وتخبره بما جرى وهو كانه في منام فلما ان رأت عبلة قد ظهرت ومن خلفها عنتر وقد ركب على ظهر جواده الابجر فكاد قلبها أن يطير من الفرح ثم انها في عاجل الحال قامت اليه وقبلته بين عينيه وقبلت يديه ورجليه وجعلت تمرغ وجهها على قدميه فترجل عنتر عند ذلك وجلس عند راس الغلام وقال لابنة عمه كليه ورشي على وجهه من الغدير وقيميه وقد ذهب عنه جميع اللهيب الذي هو فيه لانني اعرف مرض العشاق

انه لا يبرأ الا برائحة الحبيب فانه هو الدواء والطبيب قال فدنت الجارية من ابن عمها وضمته الى صدرها وكلمته بنفسها فقعد على حيله من غير أن يقعده أحد ولما أن قعد الغلام أمر عنتر أخاه شيبوب ان يقدم له شيأ من الطعام لانه كان لا يفارقه فى سفر ولا فى حضر ولا فى مقام وصار عنتر يأكل ويطعمه وابنة عمه تحادثه وتلقمه فعند ذلك زال عنه ما كان يجده من وجعه وصار يقبل صدر عنتر ويديه واشار يمدحه يقول

الا على قلب يذوب غراما * مع مقلة ألقت اليك سقاما
ان كنت سيفا كنت سيفا مرهفا
وان كنت قوسا كنت قوس سهاما
احييتنى يا فارس الخيل الذى * ابدت له ايدى الزمان مراما
فلاشكرنك جهد ما أنا قادر * يا مانحى من جوده انعاما

(قال الراوى) فلما سمع عنتر ما ابداه الغلام من الشعر والنظام فعلم عنتر فى نفسه انه أجل العشاق وما يقدر احد مثله يصبر على ذلك الصبر المر المذاق فقال ما أظن أحدا يكون أصبر منى وربما تبقى الناس تحدث بهذا عنى وأما الغلام فانه شم الهوى وعاد اليه الحيل والقوى فقال لعنتر يا مولاى أشتهى ان تأخذنى لك غلام واكون بين يديك أخدمك على ممر الشهور والاعوام فقال له عنتر رح يا أخى الى حلتك وادخل على زوجتك بين اهلك وعشيرتك واستقر فى ديارك والاوطان فى طول عمرك والازمان ولكن يا أخى بحق البيت الحرام وزمزم والمقام لا عدت تسمانى بهذا الاسم على طول الايام لانى اخاف عليك ان يقتلوك العربان ويسقوك كأس الهوان ثم انه سماه عطاف وأمر أخاه شيبوبا أن يقطع له

قطعة

٢٢٥

قطعة من النوق والجمال من الغنيمة التى كانت لابى الاشبال
وودعه وسار يقطع البرارى والقفار وعنتر فى حيرة من تلك الامور
والاسباب وهذا الحديث الذى يحير عقول أولى الالباب
ثم انهما اخذا فى السير طالبين عروة بن الورد واذا هما بغبار قد ثار
وظهر من بين الروابى والقفار الى ان تقرب منهما وظهر وبان من تحته
ثلاثين فارس اجلاد ومعهم غنيمة قد غنموها من تلك البلاد
فقال شيبوب لاخيه عنتر هذه غنيمة قد ساقها الينا رب العباد
حتى نعود بها الى أصحابنا ونحن بالغنى المراد فقال له عنتر لا يا اخى
لا تتسبب بهذا السبب ربما يكون معها قوم من صعاليك
العرب وقد تعبوا عليها غاية التعب وقد قتل منهم جماعة حتى
ملكوها ومايعود يقع لهم غنيمة مثلها يغتنموها ثم انه عدل عن
الطريق من غير أن يريد لهم تعويق فلما نظرت الفرسان الى عنتر
وهو قد ميل عن الطريق فظنوا أنه خائف منهم فعند ذلك قصدوا
اليه وميل فارس منهم عليه وقال له ويلك انزل عن جوادك وسلم
نفسك من قبل ان تسكن رمسك فقال عنتر لعن الله لحاك
ومن المصايب لانجاك امضوا الى حال سبيلكم والاعدمتم
توفيقكم فانى ماتركت هذه الغنيمة الاشفقة منى عليكم فلما سمعوا
قوله صاحوا عليه وتبادروا اليه (قال الراوى) فلما رأى عنتر
منهم ذلك وهم يصيحون و يتبادرون اليه و يطلبون منه الحرب
والقتال فقال لهم وذمة العرب الكرام ورب الباقى على الدوام
لابد ما ابدل ضحككم بكى وأن واشتكى ثم حمل عليهم وطعن
الاول الذى كان يكلمه قتله والثانى جندله والثالث رمله
والرابع على الثرى عفره ولم يزل يقتل فيهم الى أن أهلك منهم سبعة

فعند ذلك تصايحوا عليه وتبادروا كلهم اليه وهم ينادون الثار الثار قبل أن يحل بكم البوار هذا وعنتر يشكس فارسا بعد فارس وهو يعجل حتفهم حتى أفنى أكثرهم فلما رأوا ذلك الهول العظيم قالوا أشل الله أناملك يا عبد زنيم ما أشد قتالك وما أقوى نزالك فلما سمع عنتر منهم ذلك الكلام أبدا الضحك والابتسام وصاح يا أوغاد غير امجاد ألم تروني عنتر بن شداد (قال الراوي) فلما سمع القوم بذكر عنتر قطاروا في البر الاقفر وولوا الادبار وركنوا الى الهرب والفرار فأمر عنتر أخاه شيبوبا أن يجمع النوق والجمال التي كانوا سايرين بها تلك الرجال وأضافوها الى ما معهم من غنيمة أبي الاشبال وأنشد يقول صلوا على طه الرسول

يا عبل قد طال شوقي واحترق ذ ما

أرجو سواك ولا أحـــدا من الناس

وصرت أرجو اليك نظرة فيها * يخلو فؤادي من هم ووسواس

وقد لقيت أبا الاشبال ذو وهج * من السباع وسبع أحمر قاسي

فجلت فيهم وقد جندلتهم عجلا * بهمتي وباقدامي وأشراسي

وقام عمدا أبو الاشبال مبتدرا * فهوى فجندله رمحي ومقباسي

وقد لقيت كتلي عنترا وكذا * خلصت له عبلة من شدة الباسي

وعارضتني خيول تبتغي سابي * من كل ليث صبور ناسل قاسي

فقلت لاتقـــربوني انني بطل * حذرتكم من هزبر ليث احناسي

فخالفوني فصاروا وسط بلقعة * صرعى تندبهم في القاع أعراسي

وانـــني ارتجي من خالقي فرجا * يرتاح قلبي بلك يانور مقباسي

(قال الراوي) ثم ان عنتر اسار هو وشيبوب من بعد ما جمعوا

221

اسلاب القتلى وما تخلف من الحطام الى أن وصلوا الى عروة ورجاله الكرام ولما أشرفوا عليهم تواثبوا اليهم والتقوهم من كل جانب ومكان واعتنق عروة عنترا وهنأه بالسلامة وسأله عن قصته وما جرى له من ذلك الحال فحدثه بجميع ما جرى له في الوادي مع أبي الاشبال وقصة الجارية وابن عمها عنتر وأمه زبيبه فوقع لعروة الانذهال وكثر تعجبه هو ومن معه من الرجال وقال يا أبا الفوارس هذا الحديث ما جرا مثله بين العبيد والموال ولا في القرون الخوال ممن تقدم وتأخر وهذه سعادة ما نالها أحد ولم يزل سعدك يتبعك الى الابد فشكره عنتر وأثنى عليه على ما أبداه من المقال وأعطا رجاله أوفى قسم من المال ونزل هو وأخوه يأخذوا لهم راحه مما قاسوا من التعب والشده وأرسلوا المال مع عشر فوارس مشتده ومن الغد ساروا يطلبون حي بني كنده وعنتر بين أيديهم راكب على جواده الابجر وعروة الى جانبه كأنه الاسد القصور وعنتر كلما طال عليه المطال والسفر يتذكر عبلة ويتحسر فقال له عروة أيها الليث الهمام والبطل الضرغام لو أنك أقللت من ذكر عبلة والكلام لخف عن قلبك الوجد والغرام فقال له عنتر كن عاقلا يا أبا الابيض وذر الملام فهل رأيت أحدا يفارق روحه التي بين جنبيه أو ينظر بغير عينيه ثم زاد به الوجد والغرام وأقلقه الهوى والهيام فأنشد يقول

يقولون لي اسل عبيلة يا فتى * فقلت وما السلوى فذاك عجيب

أتأمرانسانا يفارق روحه * وتصلح اجساد بغير قلوب

وكيف اطيق الصبر عنها وأسلها * وحبها في القلب زاد لهيب

وما دار قرن الشمس الا ذكرتها * واذكرها فى كل وقت مغيب
ولولا مى فيها نصوحا وشفقا * فقلت اكففا عنى فلست مصيب
وأه كلم من هذا الموت صبابة * وداوى منكم قد عياه طبيب
اباعبل رقى فى الهوى لمتيم * نحيل عليل بالوصال يطيب

(قال الراوى) فلما ان سمع عروة هذه الابيات عرف انما فوق هواه هوى وانما ذلك من تباريح الجوا فسكت عنه ولم يعذله وساروا يجدون المسير والرواح فى تلك البرارى والبطاح مدة ثلاثة أيام فزاد لعنتر الوجد والغرام فبكا وأن واشتكا وانشد وجعل يقول صلوا على الرسول

قلبى سقيم تائه ولهان * من جور دهر جار فى الاحكام
فلقد أمر على الهوى فاطالما * ارضيه جهدى فهدّ عظام
فلكم شكوت حوادث الدهر الذى * جلت مصايبه عن الاحكام
ومع معشر القوم الذين تساوموا * قبح الفعال على مدا الايام
كم قد رميت من الزمان بنكبة * ورهيت منه بجعبة وغرام
ولكم جرى لى فى الحروب وقائع * تدهى وتذهل عقل كل همام
فى كل يوم لى حروب لم تزل * تجرى وعقام وقائع وصدام
وتقارب وتحارب وتباعد * مكتوبة للعرب والاعجام
ياعبل كم لقيت فيك هزاهزا * مشبوبة عند الفتى الضرغام
ولكم قتلت باسمرى ومهندى * من فارس ومدرع مقدام
ولكم سريت بعصبة عبسية * شوس ضراغمة اجل كرام
من كل ليث فى الكريهة باسل * متغطرف متغشرم ضرغام
فسلوا أبا الاشبال حين تركته * فى البر رزق قشاعم وهوام

وتركته في البر غير موسد * بسنان رمحي ثم حد حسام
هذا هو الفضل الذي ما ناله * أحد من الاعراب والاعجام

(قال الراوي) فلما فرغ عنتر من شعره والنظام تعجب منه هؤلاء الرجال الكرام وساروا يطلبون البر والآكام فهذا ما كان من هؤلاء وما جرالهم من الامور والاحكام وأما ما كان من مالك أبي عبلة وما فعل من فعل الاثام فانه لما هرب من ديار بني شيبان من عند الامير بسطام فسار يطلب له مجيرا ونصيرا من العربان فسار وقد أوسع في البر وتلك القفار وهو يجوب البراري والجبال ومازال سائرا وهو يجوز الحلل والقبائل والعشائر فكان كل قبيلة نزل فيها وطلب من أميرها الذمام من عنتر بن شداد فلم يجيره أحد من العباد خوفا من عنتر بن شداد لان خبره قد شاع في جميع البلاد وتسامعت به جميع العباد ولا أجاره أحد فزاد به الشر والنكد وزادت به الشدة ولم يزل سائرا حتى وصل الى حي بني كندة وكانوا هم جمرة العرب من بعد منها ومن اقترب ولما أن وصل الى الحي نزل على أبيات الملك عمرو المقصور وقد ظن أنه بنزوله عليه يكون منصورا ثم انه شد أذياله بأطنابه وفعل ولده عمرو مثل فعاله ثم انهم طلبوا منهم الذمام من تقلبات الدهر وحوادث الايام فما كان الملك حاضرا في ذلك الوقت بل انه كان في الصيد والقنص فأقام مالك وولده الى أن عاد الملك عمرو الى بلده وكان قدومه عند المسا وكان الليل قد اكتسا غلسا فنظر الى مالك وولده عمرو فسأل عنهما فأخبروه بذلك الامر وقد حدثوه باحوالهما وما جرالهما وما زالا يحدثوه بشيء كان وشيء لا يكون الى أن أعطاهم الذمام من جميع من في الآكام وجميع من طلعت

عليه الشمس من الجن والانس ثم أخلط امواله باموالهم وجماله بجمالهم واضافهم ثلاثة ايام ولما ان كان في اليوم الرابع أحضرهم بين يديه وتحدثواهم واياه وقال لمالك من أى البلاد ومن أى العرب أنتم وما الذى جرى لكم مع قومكم من السبب فأخبره مالك أنه من بنى عبس وعدنان وماجرى له مع ابن أخيه عنتر من الامر والشان وماتم له معه من أول الكلام الى اخره فقال له ياشيخ لما استجرت بيني عملت لانهم امنع العرب جوار واعزهم انصار فقال له مالك ياسيدى ان ابن أخى جبار وبطل مغوار ومايقدر عليه أحد ممن سكن القفار فساعنى الانى اخذت ابنتى وأتيت بها الى هذه الديار واستجرت بكم لانكم نعم الجوار فلما أن سمع الملك عمرو ذلك الكلام علم انه شديد الغير والاهتمام فأمر أن يضرب له بيتا فى جانب أبياته وحكمه فى مراعيه وامواله وأقام آمنا على نفسه من التعب وظن أنه بنزوله عليه قد بلغ الارب الى ان كان يوم من بعض الايام خرج مالك وولده عمرو من مضربهم قاصدين الى الملك عمرو فرأوا الحى قد انقلب بناسه وهو يموج بسكانه ويرتج بقطانه قد ركبت فرسانه وصاحت شجعانه وهرعت نسوانه وخرجت الى الحى أماؤه وظهرت مولداته فسأل مالك عن ذلك الامر قيل له ان أخت الملك عمرو قد اتى الى زيارته وهو فارس الآفاق ويسمى بالامير مسحل بن طراق الطويل الركاب العالى الجناب الكامل بالفخار الملقب فى الحرب بالعقاب والناس قد خرجت الى لقاه مبادرين الى لقياه فسار مالك وولده وقد عجبا من احتفال الناس على شان فرد انسان وسطوته بين هؤلاء

الشجعان

الشجعان فعند ذلك وقع له هيبة عظيمة فى قلوبهم من قبل أن يروه
وما زالا يركضان حتى لقيا الملك عمرا وسلما عليه وصارا مع الناس
بين يديه وهما يرقبان الطريق حتى يتحققان ذلك الامر غاية
التحقيق واذا بمصحل قد أقبل وبان غباره وتقسطل ساعة وقد انجلا
وانقشع وبان للابصار وطلع واذا قد بان من تحته فارس طويل
القامه عريض الهامه وبين يديه سبعمائة فارس كالاسود
العوابس ومائتين عبد ماشية فى ركابه يردون عنه من من يغشاه
وهم بالثياب الملونه والعمائم الخزرجية المكونه والحراب
الجشيه والسيوف الهنديه وهو له هيبة عظيمة تحير البصر
وهو يظن فى نفسه انه أقوى من كسرى وقيصر أو الجندلى بن
أبى كركر فتحير مالك أبو عبلة لما عاينه بالنظر لانه رأى غلاما كأنه
البدر اذا بدر وهو كأنه الرمح الطويل وله اعضاء كأنها اعضاء
فيل عريض الاكتاف غليظ الاطراف عليه حلة عتيبه
مرصعة بالذهب عسجديه وعلى رأسه عمامة ريحانيه أطرافها
مذهبة بهيه وفاضلها على كتفه مرخيه وهو يخط الارض
بابهاميه من طول قامته وقد اتعب الجواد من ثقل جثته وجواده
ركائبه ذهب يكاد البرمن ضيائهم أن يلتهب وهو فى تلك الزينة
البهيه يعجب كل من رآه من البريه وهو يتصلا فى مشيته كأنه
العروس وتشتاق الى رؤيته النفوس الى ان دنا من الاقوام
فازدحمت عليه لاجل السلام فصار واجميعهم يقبلون يديه وازدحموا
كلهم حواليه ولما ان رأى مالك وولده عمرو هذه الاحوال تقدموا
فى جملة الابطال وقد اتبعوا سنة القوم حتى لا يقع عليهم عتب
ولا لوم ودنوا من مصحل وسلموا عليه وبقوا الاثنين يقبلوا يديه

فأخذهم مسعل الى جانبه كأنهم من أهله وقرابته وقال لمالك
ياشيخ شرفت بك الديار وطابت لك المزار ونارت بك الاقطار
فقال له مالك والله ياسيدى ماعرفت لى قدر ولا قيمة الا عندكم ولا
عادت لى روحى الا لما نزلت عندكم وبقيت فى جواركم فلازالت
أرضكم حما ولا برح عدوكم نادما (قال الراوى) ولازالوا كذلك
حتى فرغت الناس من السلام وعادوا وهم راجعون الى المنازل
والخيام وعملوا الولائم والدعوات فرحا بقدوم مسعل بن طراق وقد
اختلط الخواص بالعوام ودارت عليهم أقداح المدام ودار بينهم
الحديث والكلام فقال الملك عمر لمسعل ياولدى أى شىء الذى
أقدمك علينا فى هذه الايام ولا هى أيام مجيئك للسلام قال وكان
بالعادة يدما يأتى الامن العام للعام وقدومه هذا ماله أربعة أشهر
تمام فقال مسعل الذى أعلمك به ياخالاه أن سبب قدومى فى هذه
الايام الى خطبة ابنة هذا الشيخ العبسى لانها قد أشغلت قلبى
ونفسى وأبذل له مايريد من المال والنوق والجمال لانها وصفت
بين يدى فى ديارى والاطلال وأخبرونى بما هى فيه من الحسن
والجمال وقد التهب بوصفها فؤادى وطال من أجلها سهادى وان
قدومى فى هذه النوبة من أجلها وأريد منك المعاونة على أهلها
فقال له وقد تعجب وأخذه من ذلك الطرب والله ياولدى لقد وفقت
وسددت بخطبتها غاية التوفيق وما أشار عليك الا كل صديق
والبارحة كنت أنا وزوجتى فى حديثها وقالت لى كنت أريد من
رب السماء أن يكون لى ولد ذكر حتى انه يحظى بذلك الوجه القمر
فقال له مسعل ياخالاه كنت أشتهى أن أنظرها قبل ان أخطبها
حتى لا يقع لى ندم عند الاجتماع بها فقال له ياولدى وكأنك لا تقدر

تنظرها

تنظرها وهى محجوبة فى خدرها بين أبيها وأخيها وأمها ولا يراها
الامرأة مثلها فقال له مسعد يا خالاه انا أفعل ذلك ان ساعدتنى
زوجتك بحسن التدبير فقال له خاله أخبرنى كيف تريد أن تفعل مالا
يكون فيه شىء من الخطأ والزلل وقد زين لك الهوى بئس العمل
وتبقى تلومنا الناس على ما تفعل فقال مسعد هذا أمر ما علينا فيه
ملام لانى أعلم ان غدا تأتى نسوان الحى تهنىء زوجتك بقدومى الى
حضرتك وبعطا لبنها بالهدية فأكون أنا قاعد الى جانبها مبرقعا ببرقع
فى ثياب النسوان فلا بد لعبلة وأمها من مجيئهما مع جملة النساء
والبنات للهنا وأنظرها بينهن وقد تم الشغل وبلغت المنا فقال له خاله
ومن أين لنا امرأة فى طولك وهيئتك حتى تخفا عليهن حالتك فقال له
مسعد اعلم أن ابنتك ناجية تقاربنى فى الخلقة والتقدير ومابينى
وبينها فى التفاوت الاشىء يسير فألبس جميع ثيابها وأجلس الى
جانب أمها فقال له افعل ما بدالك بلغك الله آمالك لانك نور العين
والروح التى بين الجنبين (قال الراوى) فعند ذلك قام مسعد ودخل
على امرأة خاله وقد أعاد عليها جميع ماجرى وما دبر من احتياله
فأجابته الى ما قال من سؤاله ثم ألبسته ثياب ابنتها ناجية وأقعدته
الى جانبها بين النسوان وبعد ذلك قدمت عليها النسوان لاجل
السلام من كل جانب ومكان وجاءت أيضا عبلة وأمها وجلست مع
النسوان والبنات المخدرات فأخذتها زوجة الملك من يدها وقد
أجلستها الى جانبها وقد تعجبت من ذلك الحسن والجمال والقد
والاعتدال وضحكت قدامها وكشفت البرقع عن وجهها وقبلت
فمها وأجلستها بين مسعد وبينها وقد تدبلت منها تلك الخدود
وتغزلت تلك العيون السود وصارت تلاعبها والمكان أضاء من نور

وجهها وتفاح خدها وتقول هنيأ لمن تمتع بذلك الجمال وحاز ذلك الحسن والكمال هذا ومسعل قد رأى القمر قد بزغ من تحت الغمام وهو خلقة الملك العلام ورأى وجهاً كأنه قمر فى ليلة أربعة عشر وقد أبهره قدها ونور وجهها وقد بهتت النسوان اليها وصاروا يتعجبن من بهجتها وأما مسعل فانه بهت ناظره وتاه خاطره وتبلبلت سرائره وهم أن يصيح من شدة ما جرى عليه من الهوى والغرام فخرس لسانه عن الكلام لانه رأى قمراً لا كالاقمار وشمساً تشبه شمس النهار بل ابهى وأكثر انوار فزاد فى قلبه لهيب النار وذل بعد العز والوقار والهيبة والافتخار وما صدق متى ينصرفن النسوان ويخلى منهن ذلك المكان حتى قام وعقله قد غاب وخلع ما كان عليه من الثياب وقد ابس ملبوسه وقد تحركت فيه حركات عكوسه وخرج الى خاله وقد تغيرت أحواله فوجد عنده جماعة من الناس يسلمون عليه وهم يتحادثون بين يديه وهم من أصحابه الامراء ومن جملتهم مالك أبو عبلة وبجانبه ولده عمرو وفى قلبهم نيران الجمر فلما أقبل الامير مسعل قام له كل من فى المجلس الا مالك وولده فان الملك عمراً منعهم عن القيام وقال لمالك أنت صاحب الاجلال والاكرام ويحق لك أن تكرم يا ابن الكرام لانك أنت عندنا نور العين والروح التى بين الجنبين فعظمت نفس مالك عنده لما سمع هذا الكلام وعلى شأنه بين الجلوس والقيام وبعد ما جلست الناس واستقر بهم المقام فأقبل مسعل على مالك وعظمه وعلا قدره وبجله وقال له يا عم أنت أولى بالكرامة والنعم لانك أنت المولى ونحن الخدم فعندها التفت مالك الى ولده عمرو وقد حلت به الفكر وزاد به الامر وقال انظر يا ولدى ما أحسن تودد هذا

الغلام وما أحلى ملتقاه فى هذا المقام وما أعلى شانه بين الجلوس
والقيام ومثل هذا يصلح أن يكون زوجا لاختك وان خطبها
يكون من سعدك وبختك فانه والله فارس تقر له بفروسيته الابطال
وهو صاحب بلاد واقطاع واموال وله اليد العاليه والمنزلة
الساميه عند سادات العرب واصحاب الحسب والنسب
وكنت اشتهى أن يخطب ابنتى ويكون بعلا لكريمتى (قال
الراوى) واما الامير مسحل فانه اشتغل قلبه وتغيرت أحواله
فما خفى ذلك الامر على خاله وقد علم بتغير أحواله فعند ذلك قال
لخاله ياخالاه اعلم انى أريد منك انك تخطب لى ابنة الامير وزوجنى
بها والا مت كمدا وحل بى التدمير فعند ذلك التفت الملك عمرو الى
مالك أبى عبلة وقال له ياوجه العرب الاجواد ان ابن اختى قد وقع
فى قلبه لك محبة وداد من عهد ما وصل الى هذه البلاد وعلم انك من
آل عبس الاجواد والبارحة كان معى فى هذا الحديث والكلام
وقال لى والله ياخالى انى اشتهى هذا الامير وولده أن يسيرمعى
الى بلادى والاطلال واحكمهما فى مالى وبدبرانى مملكتى
واشاركهما فى نعمتى لانه ياأمير مالك هو اليوم فارس الآفاق وتحمل
اليه الخفارة من أرض اليمن وأرض العراق وهذه البلاد التى هو
فيها ملكها بسيفه لانها ارض واسعه وغدرانها تابعه وعربانها
كثيرة تحت أمره ونهيه ويحملون له حق الرعية لاجل أن يعطيهم
الامان ولابد ما أريك طرفا من شجاعته وجزأ من براعته فانه
أذل الكم بكفه رقبة بعير شارد أصرعه واذا ضم فخذه على جواد
شديد قطعه وانى لما وصفت له صفتك وجميع ماتم لك من قصتك
فقال لى ياخالاه هذا يدل على همته وكثرة مروءته وفتوته وأنا أريد

أن تخطب لى ابنته حتى أتزوجها ويصير بينى وبينه صلة ونسب ولا
يكون لاحد عليه مشاحنة وأسلم اليه جميع ماتحتويه يدى وانه ياوجه
العرب كفأ لابنتك ومعادل فى الصباحة والملاحة لكاملتك
وأريد منك يا كريم الحسب والنسب أن تقبل منى هذا السؤال
وتجيبه الى ماطلب من المقال حتى ترى ماينفعل فى حقك من
الاكرام ومايدفع اليك من الاموال وما تصير فيه أنت من المنزلة
وبلوغ الآمال فقال جميع من حضر من السادات الذين من بنى
كندة والله ياملك لقد نظر ووضع النظر لان ما تصلح هذه الشمس
الا لهذا القمر (قال الراوى) فلما سمع مالك أبو عبلة هذا الكلام
ظن أنه قد بلغ من عنتر المرام وقال فى نفسه هذا الذى كنت أطلبه
وأتمناه لانى استرحت من عبد شداد وعناه ثم انه قال أيها الملك
الكريم والقيل العظيم وحق اللات والعزى ان هذا الحديث
قد خطر فى بالى من حيث مارأيته ولكن احتقرت روحى لاننا نحن
هاهنا قليلو المال بعيدون عن الديار وها قد بلغنى الله ما كنت
أرتجيه من أمنيتى ولا فضح فى ابنتى فافعل أيها الملك ماتريد
فابنتى للامير مسحل أمة وأنا وأخوها من جملة العبيد وهذه يدى لك
بالوفى وصدق القول والصفا وخلاص النية من الحقد والجفا
ثم انه حط يده فى يد الامير مسحل بن طراق ووقع بينهما الاتفاق
وفرحت بذلك العشائر ووقعت فى بنى كندة البشائر وحددوا
الولائم والدعوات واغتنموا الطرب والهوى واللذات وكان
أكثر الافراح فى بيت الملك عمرو لاجل كثرة الخيرات وشدة
ضجيج المولدات بما فعل مسحل بن طراق من نحر النياق المسمنات
وماخلع من الخلع الملونات على الفرسان والسادات ولم يحص

226

ماوهب من الخيرات والخيول العربيات والنياق البجاويات
قال ولما أن كان عند المساء عملت بينهم الكاسات ولعبت بعقولهم
الطاسات فطلب أبو عبلة وولده الانصراف من بين الرفاق
فخلع عليهم الامير مسحل بن طراق وأعطاهم أفضل العطيات
وقاد لهم الجنائب المزينات ومشيت بين أيديهم العبيد والاماء
والبنات (قال الراوى) وما وصل الى أبياته الا وهو فى رتبة الملوك الكبار
أصحاب الاقاليم والامصار وكانت عبلة قد سمعت عنهم تلك
الاخبار فنزلت دموعها على وجنتها اغزار وامتنعت عن الطعام
والشراب ولازمت البكاء والانتحاب فهذا ما كان من هؤلاء
وأما ما كان من الامير مسحل فانه اختلا بخاله فى آخر المجلس وجعل
يستشيره فيما يفعل من الامر والشان وما يدبر من العرس
والمهرجان فاتفق الامر بينهم أنه يسير الى أرضه ويسوق لهم المهر
وهو ألف ناقة من النوق الملاح محملة من طرائف اليمن وأربعة ألف
رأس من الغنم الغاليين الثمن وخمسين رأسا من الخيول المسومة
السوابق بدروعها والرماح الخوارق ومائة من السيوف البوارق
وألف ثوب من الديباج ومائتى أوقية من الذهب الوهاج ومائة
أمة وأربع عقود من الجوهر وخمسين نوعا من المسك الاذفر
ومائة طبلة من الكافور والعنبر وصار مسحل يوسع فى المهر قدر
حاله وذلك لكثرة ماله وشدة عشقه وبلباله واتفق بينهم الامر على
هذا وأمثاله وبات تلك الليلة وقد اشعلت فى قلبه لهيب ناره
وما بقى يقر قراره فلما كان عند الصباح رحل بمن معه من العساكر
طالبا دياره الى ان وصل اليها وزادت أفراحه وجهز المهر
وأرسله مع خمسين فارسا من قومه وأجل لهم أياما معلومة فساروا

بالمهر طالبين ديار بنى كنده وقد زالت عنهم الشده حتى وصلوا الى
الملك عمرو المقصور وقد بلغوا بوصولهم سالمين الفرح والسرور فلما
أبصرت بنو كندة الى هذه الاموال انبهرت منهم الاحداق وقالوا
عمرنا ما رأينا مثل هذا المهر انساق ولا قاد أحد مثله فى سائر
الآفاق وقالت البنات والنسوان وحق ذمة العرب الكرام
ما أبصرت قط جارية مثل ما أبصرت هذه العبسية ولكنها تستاهل
أوفى من ذلك وانها والله ما هى غالية بزوال الممالك لما فيها من
الحسن والجمال والبهاء والكمال (قال الراوى) ولما قبض أبوها
المهر أخذ فى تجهيز الامر حتى بقى من الاجل الذى أجله لهم مسهل
ثلاثة أيام ويعودوا الى بلادهم والآكام (قال الراوى) لهذا
الكلام صلوا على البدر التمام ومصباح الظلام ورسول الله
الملك العلام وفى تلك الايام وصل عنتر بن شداد واشرف على
بنى كندة بتلك البلاد وكان وصوله فى الليل ففرق رجال عروة
فى أحاقيف الرمال وبطون الاودية الطوال وقد أكمن فى تلك
الاماكن والتلول يريد لابنة عمه عبلة وصول ويريد أن يبلغ منها
مأمول فقال لعروة بن الورد ها نحن قد وصلنا الى هذه الاطلال
والديار وقد اشتهينا أن نعلم الاخبار ونعلم ما تم لعبلة من الاخبار
فانها لا تخلوا من زوج جديد ولو طلبها من أبيها أقل العبيد فقال
عروة والله يا أبا الفوارس انى قد جربت طلعتها واختبرت ناصيتها
على الفرسان القناعس فوجدتها وحق ذمة العرب وشهر
رجب انما يخطبها الا من منيته قد حانت وآجاله قد تقاربت
وقد رأيت بعينى مرار سوى ما بلغنى من الاخبار فتبسم عنتر
من ذلك وقال له أنا فى خاطرى يا أبا الابيض ان أدخل الى تلك

الديار والاطلال وانظر الى أبيات بنى كندة واحضر الى عندهم
فى هذا الحين والا أعود بالخبر اليقين فقال له عروة افعل
مابدالك نجح الله أفعالك فقال له شيبوب يا ابن الام أنا أحق
بالدخول الى هذه الديار وأجى لك بجميع الاخبار فقال له عنتر
أخاف عليك من عمى أن يعرفك فانه ان عرفك أتلفك فقال له
شيبوب أنا ما أدعه يعرفنى ولو خالطته فى كلامه ثم ان شيبوبا وثب
فى عاجل الحال الى رحله وأخرج منه ثيابا نسوانيه تصلح الى هذه
القضيه فلبسها وتبرقع ببرقع وسخ عتيق يصلح لهذه الاشياء وعلق
فى عنقه عقودا من الجزع الملون وجلاجل نحاس وخرزوسلاسل
وأجراس وأخذ على كتفه قربة من الماء وقد صار فى زى
الاماء فبقى عنتر باهتا اليه وقد لحقه من ذلك التحير وقال له
ما هذه الفعال والله ما كأنك الا أم أبى شداد فقال له شيبوب
وهذه ثيابها لانها محبوبتى وأنا محبوبها وبينى وبينها محبة
ووداد ومن محبتى فيها أخرجهم معى لاشم رائحتها فيهم ثم انه سار
من عند أخيه عنتر وتبطن فى ذلك البر الاقفر ولم يزل يقطع الربا
والبطاح حتى وصل الى الحى عند الصباح ثم دخل بين المضارب
وتحدث مع القوم ولا اختشى عتبا ولا لوم قال وكان الملك عمرو
راكبا مع فرسانه والاقران وأبعد عن الحى فى تلك البرارى
والقيعان وبقيت الاطلال خالية من الفرسان فعند ذلك تقدم
الى الابيات التى هى عاليات وهى أبيات الملك عمرو وحمر
نفسه على ذلك الامر وصار يقطع ردفه ويهز عطفيه ويغمز من
يراه بطرفه ويلوح على صدره بكفه حتى وصل الى مضرب
العروس ورأى الناس فى انتساب المسرات والبنات يرقصن مع

المولدات وهن يضربن المزاهر والدفوف ويصفقن بالايادي والكفوف (قال الراوي) فلما نظر شيبوب اليهن تقدم حتى بقي بينهن فصارت اماء الحي يظنن هذه من المدعيات والمدعيات يظنن هذه من اماء الحي فضاع بين الفريقين فسأل شيبوب من بعض الجواري اي وقت يكون الزفاف فاخبرته جارية بجميع الحالات وما فيها من المسرات فلما سمع شيبوب تلك المقالات بقي حائراً بين المضارب والخيام وهو في قلق عظيم وبقي حائراً في نفسه ومراده يعرف مكان عبلة وهي في اي المضارب وبقي في قلق عظيم لاجل ذلك فبينما هو متفكر في معرفة ذلك المكان فلاحت منه التفاتة فنظر الى خيمة من الابريسم وفيها عمودين من الذهب الاحمر وهما مرصعين بقطع من الياقوت والزمرد الاخضر والقطع الجوهر والشموع توقد فيها وقد بقي المكان من النور مثل النار التي تلهب فعرف انه مضرب العروس العبسيه التي من تحتها هذه القضيه ولكن بقي حائراً من يوصل خبره اليها ولا اتى له سبيلا على الهجوم عليها فعند ذلك صاح واظهر الطرب والانبهار ودار دورة الدولاب الدوار ورقص حتى انه حير جميع النظار واذهل من اعطافه البنات الابكار فبينما هو على ذلك الرقص واذا ببعض المولدات قد قعدت من شدة التعب ومما حصل لها من النصب وكان في يدها مزهر مليح فبادر اليها شيبوب كأنه القضاء المصبوب وصاح فيها واخذ المزهر من يدها وقال لها وحياة سيدي مسحل لقد قطعتي علينا الطرب وقطعتي لذتنا بين نساء العرب ثم انه تقدم بين المولدات وضرب على ذلك المزهر حتى حير جميع النساء والبنات فاستقبل ذلك المضرب الذي علم ان فيه

228

عبلة انه وجد النساء جميعاً يدخلن فيه فضرب بذلك المزهر واعلى بصوته وانشد يقول صلوا على طه الرسول

يا ظبية القناص صبادك أتا * فابشري بالنصر من سيف القنا
وافرحي بالقرب يا كل المنا * لا تقولي ما أتاها تدانى
وافهمي ما قلته من قصتي * الامتى هذا التوانى الامتى
حلت الافراح فى حيكم * دائم الاوقات صيفا وشتا

(قال الراوى) وأعجب ماجرى فى هذه السيرة العجيبه والامور المطربة الغريبه ان عبلة كانت تسمع الغنا من داخل المضرب فلما أن سمعت ذلك الصوت عرفته وفهمت المطلوب فبقت حائرة كيف انها تجاوب شيبوب وهى بين تلك النساء والمولدات فحنت كاحن النياق وكثر منها الوجد والاشتياق فانشدت تقول هذه الابيات

أيها الصائل ما بين الخيم * وأتى يرقص ما بين الخدم
بشرا القناص والسبع الذى * رابض ما بين كثبان الاكم
ها غزال الحى ما بين الظبا * ترتجى الفرح من فرط السقم
هذه أوقات أفراحى بكم * ليزول الهم عنى والنقم
فسرورى قربكم ياسادتى * وبعادى قد أتانى منه غم
هذه خيل ساداتى أتت * فامنئوا بالقرب انى فى عدم

(قال الراوى) فلما ان سمع شيبوب من عبلة ذلك الشعر والنظام فعرفها معرفة تمام فعند ذلك أظهر التعب وجلس كأنه يأخذله راحة الى جانب المضرب وتفرقت من حوله الجوار والبنات والابكار واذا بعبلة قد طلعت من باب الخيام فنظرت الى شيبوب وهو جالس فى زى الامة فقال وحق خالق البريه ورافع السموات

العليه ان هذه الامة ما أظنها كنديه وان فاتني حذري ماهي الاعبسية شداديه (قال الراوي) فلما سمع شيبوب هذا المقال خفق فؤاده من شدة الفرح والبلبال ثم انه التفت الى الذي تخاطبه بهذا الكلام ومن هي تذكر مولاه شداد واذا هي عبلة ابنة مالك بن قراد وهي وحدها في الخباء فأقبل عليها لما أن هدأ من الرقص والانزعاج وهنأها بذلك الزواج وكان ذلك حذرا منه لا يكون أحد قريبا منهم ويطلع على هذا الخبر فقال لها وحق من علا فاقتدر وخالق بني الاشباح والصور لقد شبهتي ونظر في موضع النظر فلمن شبهتي بين العباد قالت بانه مولدة عمي شداد فقال لها ما أنا بأمة مولدة عمك شداد فأنا شيبوب أخو عنتر الفارس الجواد ثم انه كشف عن وجهه اللثام فعرفته معرفة تمام فقامت اليه وكاد قلبها أن ينفطر وفاض دمعها وانحدر وقالت ويلك يا شيبوب واين أخوك عنتر فقال لها قريب في هذه البيدا ومعه عروة بن الورد وانه قد صار صديقه وبقي من اليوم رفيقه ومعه اصحابه المائة فارس من فرسان بني عبس الاشاوس ولكنه في هم عظيم لاجل معرفة أخبارك وقد انفذني الى هنا اقتفي آثارك فعندها حدثته عبلة بحديث مسحل بن طراق وكيف تزوج بها وحصل الاتفاق وأنا وحق من انار الشمس بالاشراق الواحد الخلاق ان زفوني على مسحل لاقتلن روحي واسكن ضريحي واموت في تلك الآفاق ويكون هذا بيني وبينكم سبب الفراق ولو كان أبي وأخي يقطعوني قطعا ما اكون لهم مطيعه ولا لمسحل ضجيعه ولكن يا شيبوب عد اليه وسلم عليه واخبره بما سمعت من هذا الامر والشان ولا تمكنه من الهجوم على ذلك

المكان

المكان لانهم فرسان كثيرة لاتحصيهم بعدد الرمل والحصى ولكن يرتقبون وقت الزفاف لما أن ينقضى الامر ولا يبقى خلاف فاذا رآني مع الظعن فذلك الوقت يخرج ويهجم عليهم ويقتل كل من معي ويقود أنت بزمام ناقتي ومحملي ومن تبع أثرى فانه يلقاه ويسقيه كأس فناه وأوصيه ان لقى أبى دعه يقتله ولا يرثى له لانى قد بغضته من أفعاله الرديه ومقاله الكاذبة التي هي له محبوبه ثم انها قالت ياشيبوب بحق من خلق النطفة وأنشأها احفظ مني هذه الابيات ولا تنساها وبلغها الاخيك عنتر وأنشده اياها ثم انها أنشدت تقول صلوا على طه الرسول

صبرى وصبرى قد فنى وتجلدى * وظننت انى المنية فى غدى
مما أقاسى من عظيم تلهبى * حتى وعيشك ظل عنى عودى
يا لائمى فى حفظ عهد مودتى * ابن الكريم الحافظ المتودد
ما طاب عيشى بعد بعدك ساعة * ياطاعن الفرسان منه باليد
ما قر جفنى هجعة فلربما * لا ينقضى حرى وفرط تجلدى
بلغ حديثى لهزبر مقاله * فلعل تبرا منه نار توقدى
لا تبق ان ظفرت يداك بمالك * ياقاهر الفرسان ياذا السيد

(قال الراوى) فلما سمع شيبوب ذلك الشعر والنظام وفهم معنى الكلام فخرج من الاطلال يجوب البرارى والجبال قال وكان عنتر حين فارقه أخوه شيبوب وهو فى نار لا تطفى ولهيب لا يختفى وما زال فى انتظاره الى ان انتصف عليه النهار واذا بشيبوب قد قدم عليه وصار بين يديه فوجده فى ضر أيوب وحزن يعقوب فلما ان نظره عنتر قام اليه وسأله عن حاله وهمه ومصابه وأشار اليه يقول صلوا على طه الرسول

بردغليل جواى بالاشعارى * فلقد جرادمعى كما أمطارى
رقوح بها روحى وخبره نهموا * قلبا غدى فى ضيقة الاحصارى
كررحديثك عنهمو ابا قادما * من دارهم أكرم بها من دارى
بالغ بلغت الخير هل ان رأيتهم * وعرفت منهم يا أخى آثارى
أم نلت منهم لحظة أو نظرة * تشفى بها قلبى وتبرد نارى
قسما بمن جعلت فؤادى والها * ونأت عن الاسماع والابصارى
لاحلت عن ذلك الوداد وعهده * لو أن فى سقمى يكون بوارى
ماهب ريح من حماك عشية * الاوأهدت طيب الاخبارى
منى على بهجة فلعلنى * أحظى بنيل الطيف فى الاسحارى

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من أشعاره وسمع شيبوب أوزانه أجابه على شعره يقول

مهلا أخى وقيت للاضرارى * وبقيت سالم من يد الاقدارى
لازلت محفوظ الجناب مؤيدا * ما دامات الافلاك فى الاقمارى
قسما لقد عاينت كل شدائد * حتى أتيت بسائر الاخبارى
ولقيت قد قرب الزفاف لعبلة * فاصبر عليه تنول كل فخارى
ولقد رأيت عبيلة ذى حسرة * تبكى بدمع فائض مدرارى
ان كنت ذا عزم فحد لخصمها * سيفا يقد الدرع والاظهارى
واعدد له رمحا كعوبا أملدا * يوم الكريهة قاصم الاعمارى

(قال الراوى) ثم ان شيبوبا لما فرغ من شعره قص على أخيه القصة التى سمعها من عبلة وما قالت وما أنشدت من الاشعار وأعلمه بما فى قلبها من لهيب النار وقد انتجز أمر الزفاف ومضوا بها الى بعلها ولا بقى خلاف (قال الراوى) فلما ان سمع عنتر من أخيه شيبوب ذلك الكلام فصار يسمع وقلبه يتقطع وعينه تدمع

على ما فى حقه عمه صنع ثم انه استوفا الكلام ثانى مرة من أخيه شيبوب وقال فى آخر الكلام وحق الكعبة الحرام لا بد أن أفجع مالك فى ولده عمرو لان الاثنين منكرين الجميل غير شاكرين لنعمتى وما فيهم الا من يطلب قتلى ثم ان عنترا أنشد يقول

فبعثت جاريتى وقلت لها اذهبى * وتجسسى أخبار عبلة واعلمى
قالت رأيت من الاعادى فترة * والشاة ممكنة لمن هو مرتمى
ياشاة ماقنص لمن حلت له * حرمت عليه وليتها لم تحرم
أبيت عمى غير شاكر نعمتى * والكفر مخبثة لنفس المرغم

(قال الراوى) ثم انهم لما دار بينهم الكلام وتناشدوا ماقد أنشدوا من الشعر والنظام أخذوا يتشاورون فيما يفعلون من المرام فقال عنتر لشيبوب أيما أحب وأجود الهجوم على بنى كندة وخلاص بنت عمى عبلة أو المقام فى تلك الربا والآكام فقال له شيبوب يا ابن الام المقام هنا أصوب وننتظرها فى هذا المحل أوجب لان القوم فى جمع عظيم وخطب جسيم من فرسان العرب وها أنا قد أعلمتك بالسبب لانى قد حذرتهم برأيى وفرزتهم بمعرفتى فوجدتهم يزيدون عن سبعة ألف فارس وهم أبطال قناعس مافيهم الا كل مدرع ولابس غير الرجال والعبيد وكلهم شجعان صناديد فاذا دخلنا وعقدنا الصياح يحملون علينا بسائر السلاح ويضربون فينا بشفار الصفاح لاننا هناك كما تعلم مائة فارس ونحن فى قلة وفى أرض غريبة ولاسيما ان أدركنا مسحل بن طراق الذى هو فارس الآفاق فقال عروة وحق علام الغيوب لقد صدقت فى هذا الكلام يا شيبوب لانى

أنا الآخر سمعت عن هذا الرجل مسحل أمورا كثيرة أنه فارس خطير وانه غار على بنى عامر وجرح ملاعب الاسنه ورداد الاعنه خثعم بن مالك وقتل أبطاله ونهب أمواله والصواب يا أبا الفوارس اننا نقيم حتى تخرج عبلة للزفاف ويقضى الامر بلا خلاف فهنالك نحمل عليها ونأخذها ونعود وكل من لحقنا بذلنا فيه المجهود قال فأقام عنتر فى ذلك المكان وفى قلبه على بنت عمه النيران ومازالوا على مثل ذلك المقال والكلام حتى مضى عليهم ثلاثة أيام ولم ظهر لهم خبر ولا أتى لهم بشر فقال عنتر لشيبوب ويلك يا ابن السوداء لقد حملتنى من الامر مالا أطيق وشمت بى العدو والصديق لانى خائف لا يكون القوم خرجوا من المكان وساروا بها على غير طريق واتسعوا فى البر والآفاق وتكون عبلة عند مسحل بن طراق ويحظى منها بالضم والعناق وينال منها ما طلب ويبلغ ما يريده من الارب ونحن هنا فى الانتظار ولم نعلم بما جرى من الاخبار وأنا وحق الملك الغفار خالق الليل والنهار الواحد القهار لارميت روحى فى هذه الديار ولو كانوا أهلها فى عدد رمل القفار وأفعل بهم فعلا يذكر مدى الاعمار حتى أبقى طريحا فى وسط البيدا وتدوس على خيول الاعدا فقال شيبوب ربما يكون شغل شاغل أعاقهم وعن الزفاف أشغلهم قال وكان لاعاقتهم سبب وأمره طرب عجب وذلك أن عبلة من حين زوجها أبوها المسحل ما عادت وقعت عينه عليها ولا رآها ضحكت بل انها مشتغلة بالنحيب والبكاء والانين والاشتكا وهو يسمع منها ذلك ولا ينكر عليها لانه يعلم بما وصل من الاضرار اليها حتى أتى شيبوب وأعلمها بزوال الكروب

231

وشرح بذلك صدرها وزال عنها حزنها فصارت تأكل وتشرب
وتلذ وتطرب وتلبس من الحلل التي جاء بها بعلها وأبصر أبوها ذلك
فأنكر أمرها وفعلها وبقي يحسب ألف حساب ولكن لم يقع من
أمرها على سبب من الاسباب قال فلما أشكل عليه الامر شكا
حاله الى ولده عمرو وقال له أنا أنكرت على اختك في هذه الايام
لما أن رأيت انبساطها بعد ذلك الغرام أقول انها قد سمعت عن
ابن عمها خبر والا ما كانت تفعل هذا الفعل المنكر وأنا وحق
اللات والعزا خائف أن يعارضها وقت الزفاف والرواح في الطريق
وكنا والله نعدم السعادة والتوفيق ويأخذها ويحصل بنا
التعويق ويبلغ مناه ومناه وينال من أخذها ما يتمناه وكل
من مانع عنها أورده قتله وفناه وأنا قد وهبت له دمي لما كان بيني
وبينه ما كان واشهدت علي وعليه كبار بني شيبان وأنا والله
خائف لا يقع بنا ويحل بنا الفنا فقال له ولده عمرو لا تحدث نفسك
بهذا الامر من أين يقدر عنتر يأتي الى هذه البلاد وان أتى ما يكن
معه عساكر وأجناد وان عاونوه أولاد الملك زهير وساروا معه
في عسكر جرار افنتهم عربان هذه الديار لان ما فيها لبني عبس
صديق ولا خل ولا رفيق وبعد هذا ان كان قلبك فزعان
وخائف أن يتفق هذا الاتفاق فأنفذ خلف الامير مسحل ابن
طراق وأعلمه بما نطرقك من الانعواق حتى انه يأتي الى ها هنا
ويسير بزوجته كما يحب ويختار وان جرى عليها أمر من الامور
العظام فما يكون في ذلك علينا ملام وأنت أخبر بهذه الامور
والسلام (قال الراوي) فلما أن سمع أبو عبلة من ولده ذلك
الكلام فأنفذ رسولا الى حضرة مسحل يعرفه بذلك الامر

ويقول له اعلم أيها السيد الجليل أنني نكبت مع ابن أخي مرارا كثير غير قليل وأنا الى الآن قلبي فزعان لأني أعلم انه هجوم على الامور الخطره وله قلب على لقاء الامور المنكره وأن أمر زوجتك قدراج ولابقي في ارسالها احتجاج ولكن ما أقدر أبعثها مع احد خوفا لا يحدث علينا حادث من الامور الحوادث والصواب أنك تأتي تأخذها في جماعة من رجالك وابطالك وتمضي بها الى ارضك وأطلالك قال فلما أن وصل الخبر مع الرسول الى مسعل تبسم عجبا واضطربا وقال ان هذا الرجل العبسي طائر القلب زائد الفكر مما هو فيه من خوفه من ابن اخيه عنتر ولكن ما في الامر الا الى المسير اليه كما أراد واتبع رأيه ولا اخالف مقاله وان كانت اللات والعزى ساقت هذا العبد الى هذه البلاد كنت افرج عليه مالك بن قراد واريه فيه ما يسره وامنع عنه ما يضره واريه ما أصنع ان كان غر ذلك العبد الطمع (قال الراوي) ولما أن فرغ من ذلك الكلام أمر قومه بالاهتمام ويكون ذلك بعد ثلاثة أيام ثم انه جهز نفسه وركب في رابع يوم في سبعمائة فارس من فرسانه العوابس لابسين الحديد والزرد النضيد راكبين على الخيول المجحفه وبايديهم السيوف المرهفه وعلى ظهورهم الدرق المكلفه وعلى اكتافهم الرماح المثقفه وقد تزينوا للزفاف باطيب الملبوس حتى يتفاخروا قدام العروس قال وما زال مسعل سائرا برجاله وأبطاله حتى قدم على خاله فلما علم خاله بقدومه ركب الى لقائه في جماعة كثيرة من قومه وفي الجملة مالك وولده عمرو وجميع فرسانه الاخيار وقد التقوه على بعد من الديار فعند ذلك تقدموا اليه

وسلموا عليه ثم انهم لما فرغوا من السلام اخذوا يتحادثون في الكلام واخبر مسحل لخاله بالكتاب الذى وصل اليه من عند مالك ابي عبلة (قال الراوى) فلما سمع عمرو المقصور ذلك ضحك وقد تعجب واخذه من فزع مالك الهارب فالتفت اليه وقال له يا وجه العرب سمعت أنك أرسلت الى ابن اختى كتاب من خوفك من ذلك العبد المرتاب فقال مالك نعم أيها السيد الامجد لانى اعرف من ابن أخى ما لا يعرفه أحد وخفت لا يأتى ويفعل شيأ يلحقنا عليه النكد وما فعلت هذه الاسباب الا ورأيتها عين الصواب فاحببت أنى اعلمك أيها الملك المهاب وأنا الى الآن ما أنا طيب القلب بهذه الحساب فقال الملك عمرو يا وجه العرب طيب خاطرك من هذا السبب فان ابنتك الآن ما يقدر عليها كسرى ولا قيصر ولا الجندلى ابن كركر ولا ملوك بنى الاصفر فافرح يا أمير بهذا الفارس الذى أذل رقاب الشجعان وأكل عقارات الملوك والفرسان ثم انهم عادوا اجمعين الى الخيام ونزلوا واستقر بهم المقام وأكلوا الطعام وشربوا المدام وأتت اليهم العبيد بالنوق والجمال وشدوا عليها الهوادج والاحمال ونشرت عليهما الثياب الديباج الملونات ورفعوا عبلة على هودج من المحامل وهو جمل عظيم كامل وزينوها باصناف الحرير الفاخر والبسوها الحلع المذهبات والعقود واللآلى المثمنات ودارت بها العبيد والاماء البنات كما جرت العادات (قال الراوى) وكانت عبلة ما تحتاج الى زينة من دون البنات لان جمالها عجيب وكمالها غريب الغصن من قوامها تعلم الميل والاطراب والسحر من جفونها يلعب بعقول

أولى الالباب قال فلما ان تمت الامور وبقيت عبلة على ذلك الحال أظهر الفرح والابتهال وطلعت امها قدامها فى هودج ثانى وبنو كندة يتعجبون من ذلك الحسن والمعانى وطلعت معهم جماعة من بنات بنى كندة فى الهوادج المزينات والحلل الفاخرات المزركشات وساروا فى الربا والسباسب وبين أيديهم الخيل والجنائب والعبيد قدامهم يلعبون بالسيوف وجميع البنات اليهم تشوف والبر قد ارتج من اسنة الرماح ولمعان الصفاح وتقدم بين ايديهم مسحل بن طراق والفرسان من حواليه قد أكثروا الصياح والزعاق وفى ايديهم الصوارم القاطعه وعلى رؤسهم الخود اللامعه (قال الراوى) كل هذه الامور تجرى ومالك أبو عبلة وأخوها عمرو افرح الخلق بين العباد ويقولون فى انفسهم انهم تخلصوا من عنتر بن شداد وانزاحت عنهم جميع الانكاد وعبلة فى هودجها وقد أظهرت الفرح والاستبشار وصارت تكشف سجاف الهودج وتلتفت فى البر والقفار وتنظر يمينا ويسار قال وكان هودجها الى جانب هودج أمها فبان لها منها الحال فقالت لها ويلك يا عبلة لما ابصرت منها الفرح بعد الهم والترح أنا ما كنت أقول ان فى ذلك اليوم تنشف لك دمعه ولا ترد لك لوعه وأراك اليوم فرحانه مستبشرة بخلاف العاده فأى شىء السبب فى ذلك فلعل أن يكون من أجل هذه السعاده فقالت لها يا أماه أنا أقول لك الموجب لهذا الشأن انى ايست من الرجوع الى الاوطان وقد رأيت هذا الفارس البهلول الذى قد زوجتمونى به ورغبتم فى ماله وقد سلب عقلى بحسنه وجماله وقده واعتداله وطرفه وقوته وعذوبة منطقه وكلامه

وحق اللات والعزى يا أماه انه اليوم أحب الى من كل أحد ولا سيما وقد أغاثني من ذلك العبد الاسود لانه فارس العرب وصاحب الحسب والنسب وانه عالي المقدار وأحسن من البدر اذا استنار وحياة رأس أبي وأخي لو قدرت الساعة على عنتر لأكلت من لحمه وشربت من دمه لاني ضربت ما القاسي من أجله ومن كثرة هذيانه وشقشقة لسانه واغضب أبي وأخي من شانه وعاير بسواده ففرحت أمها بذلك المقال واطلعا عليها ذلك الحال فأعلمت أخاها وأباها بذلك السؤال فزادوا بذلك فرحا وسرورا وابتهال هذا وقد قالت لها أمها يا عبلة من يكن اليوم مثلك وقد صرت صاحبة هذه الارض والحاكمة في طولها والعرض ثم انهم ساروا من بعد ما دار بينهم الكلام وما زالوا سائرين الى أن قاربوا المكان الذي مكمن فيه عنتر فسمع عنتر صياحهم ففرح وركب جواده واعتدل في الحال هو وأصحابه قال وكان عنتر مراده يحرب عروة هو ورجاله فقال له يا أبا الابيض ها هي عبلة ابنة عمي قد اقبلت والى هنا قد وصلت وأنا أعلم أنها ما تاتي الا والخيل خلفها تحميها ومسحل بن طراق وراءها يطلب رضاها وأنت أحب اليك تلقى الخيل أنت ورجالك حتى آخذ عبلة وأسلمها الاخي شيبوب وأأتي اليك واعمل مثل اعمالك أو تعود أنت بزمام ناقتها وتحفظها حتى أرد أنا الخيل عنك وعنها فقال له عروة لا والله يا أبا الفوارس دعني أنا أحفظ عبلة وأنت رد الخيل عنا ونحن نتولى أمرها فلما سمع عنتر ذلك الكلام تبسم لما ان رد عليه عروة بهذا الخطاب في ذلك المقام قال له أي وأبيك أيها الفارس الهمام أنا الكاسها شارب ولها مخاطب ومحارب

تسلم أنت وأصحابك زمام ناقة عبلة اذا قربت من هؤلاء القوم اللئام حتى اريك ما أفعل فى ذلك اليوم ما تقر به عينيك فى هذا البر والاكام وأرد عنكم الخيل من فرد جملة وافرقهم جميعهم جملة وسيروا بها الى هذا الوادى حتى اشفى من هؤلاء الاوغاد فؤادى ولا فيكم من يحمل لا قليل ولا كثير الا ان رأيتم فرسان بنى كندة قد حملت على جميعها واما عبلة فانها صارت تكشف سجاف الهودج وتلتفت يمينا وشمالا فقالت لها أمها يا عبلة أما تلفتك فى هذا البر الاقفر أنا اقول ان عندك خبر من ابن عمك عنتر فقالت لها من أين يعلم بى عنتر صاحب الوجه الاغبر وأنا مخبية لا يرانى بشر ولم يدخل على لا انثى ولا ذكر وانما انا اماه تلفتى هكذا فى البر الاقفر لاطلب الفرجة فى هذه الارض والحجر لانها أرض عزيزه وهى كثيرة الرياض والاشجار كثيرة النبات والاثمار فقالت لها أمها تكذبى يا الخنا فى هذا الامر المنكر وحق اللات والعزى ما هذا التلفت وهذا الفرح الاخبر أتاك من عند ابن عمك عنتر وما زالوا على مثل ذلك الكلام الى ان سمعوا من بين أيديهم صياح قد اقلب الربا والبطاح فسكتوا واذا هم يسمعون لقائل يقول يا اوغاد غير انجاد جالكم عنتر بن شداد واذا به قد خرج من بطن الوادى خروج الجان وقد طلب عبلة وقاربها وصار قدامها وضرب العبد الذى قائد زمامها اطاح رأسه على الثرى وضرب آخر أنزل به العبر والثالث أورثه الخبل والرابع كان لهم تابع وطعن الخامس أقلبه والسادس والسابع والثامن صاروا نواكثا وصاح يا أوغاد غير انجاد أنا عنتر بن شداد حبيب عبلة ابنت مالك بن قراد

فلما

234

فلما علموا أنه عنتر هجوا امر بين يديه فى البر الاقفر مع ما سمعوا عنه من الخبر فلما سمعه عمه مالك حلت به العبر وقد دارت حسرته وانقطع كلامه وكلام زوجته وقد وقفت العبيد عن قتاله لماذا قوا حربه ونزاله فعند ذلك ترنم فى سرجه ترنم السادات وعجب بفعاله التى جرت له بها عادات وارتجز وأنشد يقول صلوا على محمد الرسول

اليوم يوم به الهيجاء تنتظر * بمرهفات ترى الاعمار تنصرم
يوم تروع قلوب الشامتين به * يفيض فيه الدما بالصارم الخذم
اذا الكماة تساقت من منيتها * كأساً وفى سرجه القوم قام لم يقم
من غير ضحك ولا لهو ولا لعب * ابدا مضاربه والنقع مرتكم
هناك حقا ترانى فى معامعها * ابرى الرؤس بأبيض حده وضم
واترك القرم حقا فى صحاصحها * بأبيض الحد قد زادت به النقم
من ضرب هام ومن قطع الى زرد * يظل من قسطل الهيجاء مرتسم

قال الاصمعى وأبو عبيدة المصنفان لهذا الكلام ولما فرغ عنتر من هذا الشعر والنظام زعق فى عمه مالك ابى عبلة وحمل عليه حملة وأى حملة وكان فى قلبه منه ألف دبلة وقال له لعنك الله بين الرجال ولا اقالك من المنايا والاهوال أبشر بالهلاك وسوء الارتباك فقد أتى الليث المشابك والقرم المماحك فلما سمع عمه مالك انقطع قلبه وزاد رعبه وأخذه الزمع ووكف طرفه ودمع فهمز جواده وولى يطلب مسحل بن طراق حتى انه يعلمه بما وقع من شؤم هذا الاتفاق فعند ذلك تسلم عنتر زمام ناقة عبلة وانفرج عن قلبه ما كان قد اعتراه من هذه الدبلة وقال لها السلام عليك يا منية القلب ومزيلة الكرب وحبيبة الصب فقالت

له عبلة وأنت حييت بالسلام ياذا البطل الهمام ياصاحب القلب القوى والفؤاد الجرى والعنان الذى لم يلتوى وصاحب الحسام الجوهرى والرمح الكعوب السمهرى فقال لها عنتر لاتسألى يابنة العم عما جرى لى بعدك من الهم والغم ياصاحبة الوجه المليح والقد الرجيح ثم انه لما فرج من قلبه ثلاث الكربه أشار ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

ياعبل يابنة مالك بن قرادى * غدروا وحبك فى صميم فؤادى
ولسوف القاهم بطعن خارق * بالرمح حتى اشفى الاكبادى
ولاضرن بالسيف وسط رقابهم * ولاطعنن به رقاب الاعادى
ولاقصمن اعمارهم وديارهم * ولارتعن الوحش فى الاجسادى
أنا عنتر ذو نجدة وحمية * من نسل فارس جد جوادى
أنعم به فى الحروب فارس قومه * يدعى لدى الهيجا باشدادى

(قال الراوى) فلما سمعت عبلة من عنتر هذا الكلام ورأت منه ذلك الاهتمام قالت له بلسان عذب مليح يداوى القلب الجريح ياابن العم أنعم الله صباحك وازال عنك همك وانزاحك ثم أنها اجابته تقول صلوا على طه الرسول

البيك عنترة الفوارس كلما * أنا فيه من أمرى بغير مرادى
والله انى لم أحل عن ودكم * لوأن منى يشتفى احسادى
فاعدد اليهم لاعدمتك دائما * ضربا وطعنا يهلك الاضدادى
ياابن عمى عنتر ياليتنا * اسق عداته السم نقعا صادى
ياابن عمى دام ركنى عاليا * مادمت تحمينى من الاوغادى
فاشبعهموا حربا وضربا دائما * طعنا يشك علائق الاكبادى
حتى تعودوأنت قد فقت الورى * فخرا واقبالا وكيدا عادى

235

يعطيك ربى كل يوم جلادة * حتى تعود بنيل كل مرادى

(قال الراوى) فلما سمعت أمها منها ذلك الكلام قالت لها يا اختنا أما قلتى ما عندك خبر منه فانى عرفت هذا منك لما رأيتك تتلقى فى البر الاقفر وحصل لك الفرح وزال عنك الضرر (قال الراوى) فهذا ما كان من عبلة وأمها وأما ما كان من العبيد لما عادوا الى مسحل بن طراق وأعلموه بشؤم هذا الاتفاق فاحمرت منه الاماق واشتدت من غيظه الاشداق فحرك جواده هو وقومه الى نحو عنتر على الخيول السباق وهو ينادى الى اين تفوتونى يا عبيد السوء وأنا فارس العرب والعجم واليمن والعراق وخلفى فرسان تطعن بالرماح الدقاق وما زال يكد بالجواد حتى لحق بعنتر بن شداد وكان التحاقه به عند باب المضيق وقد اطلقت فى قلبه نيران الحريق وكان عنتر قد سلم عبلة الى اخيه شيبوب فقدلهما كأنه الريح المهبوب وكان عنتر قال له ادخل بها الى الوادى حتى اشفى من هؤلاء الاوغاد فؤادى ثم انه عاد راجعا واستقبل وجوه الخيل ونزل عليها نزول السيل وقصد ركابها بالحرب والويل ونظر الى مقدمها مسحل وهو فى المقدمة وهو فارس طويل فى تقاطيع الفيل وهو يهز رمحه على كتفه وهو ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

أيسبى زوجتى راعى النياق * ويرشقنى بسهم من الفراق
وعلك ظبيـــة أسرت فؤادى * بسحر من الجفون مع الاماق
حرمت وصـــالها ان لم أراها * عـــلى خيل مضمرة عتاق
واسق عبدها كأس المنايا * بعسال من السمـــر الدقاق
وأترك فى ديارهم عويـــلا * تردده النساء بالاتفـــاق

أنا البطل الذي قد شاع ذكري * من أرض الروم الى أرض العراق

(قال الراوي) لهذا الكلام صلوا على بدر التمام فلما سمع عنتر منه ذلك الشعر والنظام حمل عليه حملة الغضب وعبس في وجهه وقطب وأجابه على عروض شعره يقول صلوا على طه الرسول

امسحل دون وصلك والتلاقي * طعنا بالمثقفة الدقاق
وضربة فيصل من يد ليث * كريم الجدّ فاق على الرفاق
ودون عبيلة ضرب المواضي * وطعن منه تفتجر الاماقي
أنا الاسد الذي خبرت عنه * وشعري فاق في كل الافاق
اذا طعنوا الفوارس طعن خصم * فطعني في الصدور وفي الاماقي
اذا افتخر الجبان بفخر مال * ففخري بالمضمرة العتاق
الا ان المنية رأس رمحي * ولا لطعنتي بالرمح باقي
الا ان الفخار على وفق * فلا بعدي لمن يرقى الترقي
الا اني سبقت لكل فعل * وقد اعيا الاعادي لحاقي
الا فاخبر لكندة ما تراه * عويلا مع فناء مع محاقي
وأوصيهم بما تختارمنهم * فمالك رجعة من ذا التلاقي

(قال الراوي) فلما سمع مسحل شعر عنتر استعظم كلامه عليه فأجابه يقول

مزيفة ذيلك الآن بالاطلاق * من سطوتي بالارذل المشاق
ياقاتلا بالسيف منه لنفسه * ما كان اعناقها عن الاسواق
ياساعيا يبقى خراب دياره * مهلا رويدا لاتروم لحاقي
قد أوثقتك يد المنايا وثقة * لاتستطيع بها الى الاطلاق
سل مجمع البحرين عما أودعت * فيهم يدي فالهم من راقي

واسأل

236

واسأل قلوب الثاكلات رجالهم ✲ ماقد لاقوا من شدة الاحراق
ماهزكفى صارما فى معرك ✲ الا وزلت لى ذوا الاعناق

(قال الراوى) فلما فرغ مسحل من كلامه فما أمهله عنتر أن يتم نظامه دون أن حمل عليه حملة بطل همام وأخذ معه فى الطعان والصدام والانطباق والالتزام فالتقاه مسحل بن طراق وقد أكثر من الصياح والزعاق وأخذ معه فى الانطباق والافتراق وتضاربا على القتال بالسيوف الرقاق الى ان طارت عليهم طيور الاجل رحى الحرب واشتعل واشتد الكرب والوجل وثار الغبار وتقسطل وأبصر مسحل بن طراق من عنتر ما أطرش منه السمع وأعمى البصر وانذهل عقله وضمير ولكنه أظهر الصبر والجلد قدام عنتر بعدما كان منه تقهقر وتأخر وأخفا الكمد واشتهر وزاد عليهما الغبار وانعقد ورأى عنتر أن الخيل أدركته من جنبات البر والعدد فهاجم خصمه مهاجمة الأسد وطعنه طعنة الحنق والحرد فاخرقت الطعنه ما عليه من الزرد ومزقت أحشاءه والكبد وأخرج ما فى أحشائه وتبدد وانقلب الى الارض فصار مثل الجزع الممدد وصار يختبط فى دمه ويضارب فى عندمه ويلعب بيديه ورجليه وداست سوابق الخيل عليه وبعد ذلك انطبق عنتر على الخيل وتلقاها بمضارب الحرب والويل وكانوا قد هابوه وصاروا يرقبوه بالاحداق لما رأوا منه تلك الطعنة التى طعنها لمسحل بن طراق الذى كان فارس الآفاق ووقع فى قلوبهم منه الفزع وزادهم الهلع والجزع وقاتلوه على قدر جهدهم حتى أيسوا من الوصول اليه وأبصروا المنايا تحمل من خلفه ومن بين يديه فأوسعوا من قدامه وساروا يتهاربون

من حواليه بعد ما قتل منهم جماعة من أصحابهم وتفرق
الباقون على أعقابهم وكان أبو عبلة وأخوها
لما وقعوا فى تلك الامور التى عاينوها وقد
أخذوا فى هزيمتهم مما قاسوه من
الشده حتى أشرفوا على حى بنى كندة
ونادوا بالويل والثبور وعظائم
الامور وصاحوا عن
صوت واحد يا للعرب
دهمتكم الفرسان
بالحرب
والاجل
منكم قد
اقترب